



المشروع القومي للترجمة



أزهار مسك الليل

رواية



تأليف: مريم جعفري
ترجمة: هويدا عزت محمد
مراجعة: بديع محمد جمعة

888



المشروع القومى للترجمة

أزهار مسك الليل

رواية

تأليف : مريم جعفرى

ترجمة : هويدا عزت محمد

مراجعة : بديع محمد جمعة

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٨٨
- أزهار مسك الليل
- مريم جعفرى
- هويدا عزت محمد
- بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

گلهای شب بو

مريم جعفرى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

إهداء

الأخت العزيزة : مريم جعفرى

أهدى هذا الكتاب إلى روح مه تا الغالية

ارزش این کـــتــــاب را به روح نازنین چشم
فـــروبســـتـــه مـــه تا اهدا مـــیکنم تا چیـــزی
از تسلیت به پیش گـاه مـــادر گـرامی اش باشـد

تقديم المترجم

إن العمل الذى بين أيدينا الآن ثانى عمل أدبى للكاتبة الإيرانية المعاصرة مريم جعفرى أقوم بترجمة عن اللغة الفارسية وتقديمه إلى القارئ العربى .

وقد آثرت فى هذه المقدمة أن أتناول بشىء من الإيجاز تعريفًا بالكاتبة وأعمالها الأدبية . ونظرًا لصغر سنها وظهورها المبكر فى الساحة الأدبية لم تسعفنى المراجع اللازمة للتعريف بها تعريفًا تستحقه . وما جاء فى هذه المقدمة كان بناءً على مراسلة شخصية فيما بيننا ، وكذلك على أحد الأحاديث الصحفية التى وردت فى العدد ٢٩٢٩ من صحيفة إيران ، العام العاشر ، الصادر فى ١٦ شعبان ١٤٢٥ هـ .

ولدت مريم جعفرى عا[م] ١٩٧٤ [ف]ى إحدى [illegible] العاصمة الإيرانية طهران ، وأتمت دراستها العليا إلى أن حصلت على دبلوم العلوم الإنسانية . ونظرًا لنشأتها وسط أسرة تهتم بالعلم والثقافة صارت موضع اهتمام من حولها وتشجيعهم ، وبدأت الكتابة وهى فى سن مبكرة . ومن أشهر أعمالها القصصية فى تلك الفترة :

" عشق شيدا " ، " تنها باتو" ، "افسون يك نكاه "و "ترانه هاى نيمهٔ شب" .

وحصلت عام ١٩٨٨م وهى فى الرابعة عشرة من عمرها على جائزة أحسن كاتبة شابة على مستوى محافظة طهران . وعلى حد قولها كانت متأثرة فى هذه المرحلة إلى حد كبير بما كانت تقرؤه .

وفى أوائل عام ١٩٩٣م تزوجت من أحد المهندسين فى مجال الإحصاء والكمبيوتر وأنجبت منه طفلين ، الأولى تدعى "مه تا" إلا أنها توفيت فى ربيع عام ٢٠٠٤م وهى فى العاشرة من عمرها على أثر إصابتها بمرض خطير ، والآخر يدعى "نيما" وله من العمر الآن تسع سنوات .

وكان العمل الأول لها بعد زواجها وهى فى التاسعة عشرة من عمرها تحت عنوان "سايه هاى غمگين عشق" ، وبعد فترة انقطاع استمرت عامين نشرت ما يقرب من خمس عشرة رواية فى أقل من أربع سنوات ، وكانت من بينها رواية "فراموشم مكن" التى استقبلت باستحسان شديد فى المحافل الأدبية وهو العمل الأول الذى قامت المترجمة بترجمته وصدر عن المشروع القومى للترجمة فى عام ٢٠٠٣م .

وفى المرحلة التالية حيث بلغت قدراً من النضج الأدبى، بدأت تنظر إلى الحياة من حولها وتتخذ اتجاهًا جديدًا فى كتاباتها يستند على التحقيق والتأمل فى مشكلات مجتمعها، ورأت ضرورة النظر إليها بعين فاحصة والتعمق فى أبعادها والانصهار فيها للتعبير عنها بشكل جيد ، فجاءت أعمالها فى هذه المرحلة بشكل أكثر نضوجًا ونالت استحسانًا شديداً فى الأوساط الأدبية ، ومن هذه الأعمال :

روايات " مستانهٔ عشق" و " گلهاى شب بو" ، و "بى بازگشت" .

وتعكف الكاتبة الآن على دراسة وتحقيق حياة الشاعرة الإيرانية فروغ فرخ زاد وإنتاجها الأدبى؛ لتكون هذه الدراسة منطلقًا لها فى روايتها المقبلة ، والاسم المقترح لهذه الرواية هو " شهر آشوب". وتعدنا الكاتبة بالانتهاء من هذا العمل وطرحه بالأسواق مع نهاية العام الحالى .

فهى حقًا – كما تقول – كاتبة صغيرة تحدوها آمال كبيرة .

هذا فيما يتعلق بالكاتبة ، أما عن الرواية التى بين أيدينا الآن، فتعكس الكاتبة من خلالها إحدى المشكلات الاجتماعية التى تطرح نفسها داخل المجتمع الإيرانى ، وهى مشكلة واقعية لامرأة انحرفت فى فترة من حياتها نحو تيار هوى بها فى النهاية كى تكون من نساء الشوارع . ومن وجهة نظرى أن طرح مثل هذا الموضوع يعد جرأة شديدة من قبل الكاتبة ، وقد اتسمت طريقة تناولها له بالنظرة الواقعية وإلقاء الضوء على أهم السلبيات داخل هذا المجتمع ، وربما داخل كثير من المجتمعات الشرقية والتى قد تؤدى فى النهاية إلى نتائج وخيمة . فهى رسالة موجهة إلى جيلين ، حيث توجه أنظار الآباء والأمهات إلى وجوب احتواء الأبناء ، ووجود مساحة من الحوار ، وتبادل الرأى فيما بينهم ، وإسداء النصح لهم دومًا فى مسير حياتهم ، والوقوف بجوارهم

وقت الأزمات وعدم تركهم لأهوائهم أو ميولهم الشخصية . كما تلفت نظر الفتيات إلى عدم الافتتان بالبريق الزائف الذى سرعان ما يكشف عن وجهه القبيح، وربما يكون ذلك بعد فوات الأوان فى وقت لا يفيد فيه ندم ولا علاج .

تريد الكاتبة أن تطرق برسالتها هذه الأبواب المغلقة كى نتلاشى الآثار الوخيمة التى تؤدى إلى انهيار القيم الأخلاقية داخل مجتمعاتنا ، تريد أن نرقى بفكرنا وعملنا إلى المستوى اللائق بإنسانيتنا . فهى رسالة موجهة إلى جيل الشباب فى كل زمان وكل مكان نرجو أن يعيها جيداً للنهوض بمجتمعاتنا .

هذا وقد أتبعت الترجمة العربية للرواية بدراسة حول الحدث والشخصية وفقًا للمناهج البنيوية الحديثة التى ترتكز فى دراسة الحدث على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية داخل العمل الأدبى ، وفى دراسة الشخصية على اعتبارها تنويع ثقافى لفعل أصلى يتجاوز الخاص والمتحقق، ويعد عنصراً ثابتًا داخل البنية .

د. هويدا عزت محمد

أولاً

الترجمة العربية للرواية

مقدمة الناشر

من الضرورى إمعان النظر ...

لا أعلم ، هل أنتم من بين أولئك القراء الذين ينتظرون من الكتاب شغل أوقات الفراغ والضيق فقط ، أم تنظرون إلى الرواية برؤية جديدة تهدف إلى الإفادة من تجارب الآخرين ؟ على أية حال ، وبأية نظرة تنظرون إلى الرواية ، فمن الأفضل أن تتعاملوا معها بنظرات متعددة شاملة بهدف التعلم ، والاستماع ، والتفكر ، لأن كلاً من هذه الأهداف يستلزم وجود الآخر .

واليوم ربما نحصل برواية "أزهار مسك الليل" على واحد مما تعهد به الناشر ، ألا وهو أننا نستطيع أن نسير بين الناس الذين نشاهدهم فى الحارات والشوارع أو فى أى مكان آخر ، ونستمع إلى قصص حياتهم . ومنها قصة حياة امرأة من بين جموع النساء اللائى كن يرين أنفسهن – مثلنا – جبلاً من الثبات والكبرياء .

أتحدث – بكل حياء – عن أولئك اللائى قلما سمحنا لأنفسنا بالحديث عنهن ، ونخشى حتى أن نصبح موضع مساءلة بالحديث عنهن . نعم ، حديث عن نساء كن يتحدثن ذات يوم – مثلنا – عن الآخرين ، واليوم وهن يعرضن حديثهن يعتبرن من حولهن ، والظروف وعشرات الأسباب الأخرى سبباً فى انحرافهن وسوء حظهن .

"أزهار مسك الليل" ليست أزهاراً ذات عطر أخاذ فى ليلة قمرية ، بل هى رائحة لأزهار شبه ذابلة ، تظن نفسها أحياناً محكوماً عليها بالحياة ، ولا أثر فى أيامها لنسيم العشق والهوى .

أنتم تدركون حقاً أن ثمة طريقاً للخلاص مما قد يكون مشكلة اجتماعية ، وهو إيجاد عدة ذرائع – وبالتأكيد كان لها أثرها – خاطئة، ولكننا فى حاجة إلى المعرفة ، والتحدث والاستماع ، وبدون التحدث والاستماع نكون فقط قد وضعنا رءوسنا تحت ركام من الجليد .

و"أزهار مسك الليل" خطوة أولى لفتح نافذة لمشاهدة حقيقة أحد المواضيع وإن كان يؤثر علينا ، إلا أنه يجب أن نتقبل فكرة أننا كنا مشاركين في حدوثه بسبب تجاهلنا له أو لهروبنا من سماعه . واليوم نستمع لقصة حياة واحدة منهن ، تعتبر نفسها ضحية ، ونحن حين ننظر إليها من الخارج نحاول أن نقدم لها آلاف النصائح والحلول ، لكننا غير مستعدين لأن نضع أنفسنا مكانها ولو للحظة قصيرة .

واليوم هيا نتعلم القراءة بشكل جيد والاستماع بشكل صحيح حتى يصير الغد أجمل من حولنا ، وهذه هي أقل مهمة لنا .

"نعيش اليوم على أمل الغد"

بهمن رحيمي

« من واقع حياة "ل . ع" من طهران »

مركز رعاية نساء الشوارع

من شدة العار الضحك على الطعنات العابثة الجوفاء،
إننى أستطيع أن أعبر عن ذاتى وكيانى، ولكن يا
للحسرة، وللأسف، إننى امرأة!

(١)

حينما خرجت من المنزل فتح سائق الطبيب الشاب باب السيارة الخلفى حتى تركب ، حاولت أن ترى وجه الرجل الذى كان يقف أمامها ، إلا أن أوراق شجرة ضخمة كانت تحجب من الخلف ضياء نور القمر ، كان أمرًا مثيرًا للعجب! كيف لا تتذكر ملامحه رغم مضى عدة ساعات فقط على آخر لقاء بينهما ؟! كأنها كانت تشاهد كل شيء فى المنام ونسيت فجأة كل ما كان فى ذهنها . نسيت كل شيء باستثناء ذكريات تلك الساعات المثيرة للفزع والانزعاج ، كانت تعلم أنها لن تستطيع بعد ذلك نسيان تلك الليلة ، فكيف يمكن أن تنسى أصلاً تلك اللحظات الحساسة التى كانت سببًا فى تغيير مصيرها ؟! استقلت السيارة وهى تائهة حائرة ، وأغلق السائق الباب . كتمت بكاءها بداخلها إلا أنها كانت لا تقوى على البكاء وكأنها تخلت عن حياتها السابقة للأبد فى ذلك المنزل !!

وللمرة الأخيرة ، وقبل أن يبتعدا تمامًا ، عادت إلى الخلف . كم كان الوضع يماثل تلك الكوابيس الليلية التى لم تكن تبرحها فى الآونة الأخيرة . كانت الحارة تسبح فى الظلام ، لم يكن أى صوت يصل إلى المسامع سوى الحفيف الصادر عن أوراق الأشجار على أثر نسيم المساء .

انكمشت لا شعوريًا على نفسها ، وإحساس البرودة الذى كان يسرى بداخلها حتى أعماق وجودها كان فى غير محله فى فصل ذلك العام . كانت ترغب فى أن تتمكن من إبعاد تلك الأفكار التى كانت تتداعى عليها كالأرضة دون فائدة . لم يتركها ذلك الإحساس ، كان تمامًا كالضمير اليقظ ، كالأجنبى الذى تتعذب من وجوده معها ، كالظل !! على كل حال ، ربما كان وجود مثل هذه الأفكار سببًا فى أن توبخ نفسها ، وفجأة تبدو أمامها جميع الأسباب التى كانت تستند عليها لتقنع نفسها للقيام بهذا العمل عديم القيمة .

ومرة أخرى ارتسمت أمامها صورة الطبيب وهو يطلب منها ما هو خارج عن حدود طاقتها ، فشعرت بالانزعاج ، وأمرت السائق بالتوقف ، وقبل أن تقف السيارة بشكل تام ، خرجت منها مسرعة ، وجعلت رياح المساء الباردة جسدها المبتل من عرقها يرتعد ، كانت ترغب فى التقيؤ ، انحنت ، تقيأت داخل مجرى الماء ، كانت خائفة لدرجة تكاد تنتزع معها معدتها وتخرج من فمها . كانت تشعر بأن ماء المحيط بأكمله غير كافٍ لتطهيرها ، والآن تستاء حتى من رائحة جسدها ، تسأل نفسها فى ذهول : "ماذا فعلت بنفسى ؟" وكأنها جمعت حواسها تدريجيًا واستعادت نفسها وعثرت على وجودها الحقيقى . فكرت : "أيكون انحراف امرأة وضياعها شيئًا بمثل هذه السهولة ؟! لم يرد فى فكرى ذات يوم أن أسلم نفسى إلى رجل غريب تحت أية ظروف ، كم كنت حمقاء حينما تخيلت أن المرأة تضعف وتبيع نفسها وكيانها تحت الضغوط ، حقًا ، بأى ثمن بعت نفسى؟!"

كانت تفكر فى نفسها قبل دخول ذلك المنزل وبعد الخروج منه وهى فى حالة من الحيرة والاضطراب . كم تكون المسافة قليلة بين العصمة والإثم، إنها أقل من شعرة الرأس ، ويأخذها الضحك من هذا القياس . إنه - من وجهة نظرها - لشىء يدعو إلى السخرية ألا تكون تلك المرأة السابقة، وتذكرت لاشعوريًا آخر كلمات للطبيب: "ليس صعبًا بهذا القدر أن تفكرى بعد مضى فترة ... " ورغبت ثانية فى التقيؤ ، فابتلعت ريقها بصعوبة ، ووقفت على أقدامها الواهنة.

كانت ليلة الخميس ليلة ساكنة وصامتة ، مضت متعثرة ناحية السيارة واستقلتها ، وسألها السائق :

- إنتِ كويسه ؟

أخذت تراقب وجهها فى المرآة وكلها حيرة . أى سؤال أحمق هذا ؟! وبدون أن تكلف نفسها مشقة الرد ، أسندت رأسها إلى الخلف ، وأغمضت عينيها .

وحينما تحرك السائق ثانية فى السكون ، راودتها أفكار مثيرة للتوتر، فتحت عينيها وهى فى حالة من اللاوعى والاضطراب ونظرت أمامها . كان الطريق مجهولاً وسط الظلام الدامس ، تمنت أن تكون نهاية ذلك الطريق هى نهاية حياتها ، وكأنها لم ترَ قط ظلامًا محببًا لها بمثل هذا الكم . كانت كاللص الذى يشك حتى فى نفسه .

كانت تشعر أن كل شيء يوجد حولها يقوم بلومها ، حتى يداها ! تشبثت بيدها اليمنى على اليد اليسرى ، وجعلت تنبش جلدها الرقيق بأظافرها. أى عشق للألم هذا !! كأنها كانت تتلذذ بكل كيانها بهذا الألم ، زادت من ضغط أظافرها ، شعرت بسريان الدم فوق جلدها ، ألم تكن تلك الأيدى شريكة لها فى إثمها ؟! لم يكن سلوكها بشكل إرادى ، حتى إنها لم تحاول أن تمسح دموعها التى انهمرت من عينيها بلا توقف من شدة اليأس . بدأت ذكريات الماضى تتجمع رويداً رويداً وتحيا أمامها . لا ! لا يمكن تصديق أن الماضى وأحداثه كانا نتاج أفعالها ، وكأنها نسيت أن الإنسان له جذور ، وأن الزمان - مثل كل البشر - له منزل وأسرة .

(٢)

بقى على بداية المحاضرة أقل من نصف الساعة ، إلا أن "بيتا" كانت لا تزال تنظر إلى وجهها فى المرآة دون مبالاة ، وكأن رؤية تلك العيون البراقة السوداء ذات البروز الخاصة التى تجذب الشخص إلى وجهها كانت سببًا فى أن تشعر بالثقة بالنفس بشكل أكثر ، وكان هذا الإحساس يبلغ ذروته حينما تغلق جفونها عمداً وتتشابك أهدابها العليا مع بعضها البعض . وقد صرحت لإحدى صديقاتها ذات مرة بأن وجهها يشبه أحد تابلوهات المتحف المرسومة ، والآن تعطى بيتا الحق لنفسها بكل خيلاء وهى تنظر إلى نفسها فى المرآة جزءًا جزءًا ، خاصة حينما تبتسم فى المرآة وتصبح النغزات على خدودها أكثر عمقًا .

لم تكن ذات جمال خارق ، لكن ملامح وجهها كانت متناسقة مع بعضها البعض ، وكأن رسامًا ماهرًا قد استنفذ أعوامًا فى رسمها . كان جلدها أبيض اللون ، والحواجب سوداء ، رفيعة وجذابة أعلى العينين ، يغلب عليهما البساطة على نحو يجذب إليها النظر وكأنهما ليسا ملكًا لها! وفى الحقيقة ، لم يكن جمالها الأخاذ بالشىء الذى تدخلت فيه بنفسها ، بل كان طبيعيًا تمامًا .

مسكت "بيتا" حقيبتها والدوسيه الخاص بها فى عجالة وخرجت من الحجرة، لم تكن لتمضى دون أن تودع والدتها ، لكنها كانت متعبة بسبب بحث ليلة أمس – الذى كان يُعد أول بحث لها طوال تلك الأعوام – كانت واثقة من أن هذه المرة لن تكون المرة الأخيرة لمعارضتها وحماس الأم تجاه بابك !

وخرجت الأم من المطبخ مسرعة رغم آلام المفاصل التى تعانى منها عند سماع الصوت الذى أصدرته ابنتها عمدًا أثناء عقدها لرباط الحذاء ، وحينما وصلت إليها استأنفت بفتور توصياتها اليومية وكأن شيئًا لم يحدث :

– اغلقى أزرار البالطو ، الجو ده لا يناسبه الشياكة ، ممكن تتعبى .

وما أن مالت "بيتا" تجاه حذائها حتى غلبها الضحك من الحيطة التى كانت تبديها فى سلوكها ، لكنها تمالكت نفسها بصعوبة . كانت الأم بسيطة واضحة حيث كان من السهل على "بيتا" - بعد مضى أعوام ليست بالكثيرة - أن تقرأها كالكتاب المفتوح . كانت بيتا هى البنت الوحيدة لأحد أصحاب المصانع الكبار ، ورثت عن أبيها العصبية والعناد ، وعن أمها الصبر والكبرياء .

كانت الأم تبدو أكبر من سنها ، وهى سمينة القوام إلى حد ما ، قصيرة ، ذات شعر ناعم يصعب السيطرة عليه ، دومًا ما كانت تقوم بصبغه وقلما كان يعلم شخص أن ما به من بياض كان بسبب ما عانته من الآلام عبر الأعوام الماضية .

عادت بيتا إليها ، ورغبت فى تقبيل وجناتها الناعمة الممتلئة ، لكنها كانت تعلم جيداً أن القيام بهذا الأمر فى مثل هذه الظروف لا يقل عن رفع راية الاستسلام ، لأنها بنفس القدر الذى كانت تعرف به أمها ، كانت أمها كذلك تعلم جيداً نقاط ضعفها ، ولكى تقنعها بحديثها دخلت إليها من المدخل المناسب :

- عايزة حاجة يا أمى ؟

كان صوتها أفتر مما كانت تعتقد ، ولم تتوقع الأم - بعد كل هذه المرونة التى استخدمتها لإقناعها - مثل هذا الرد الفاتر ، فخرجت عن طورها :

- عايزة حاجة ؟! تقصدى إيه من سؤالك : عايزة حاجة ؟ فكرتِ فى الموضوع اللى كلمتك فيه امبارح ؟

عادت "بيتا" صوب باب الخروج ، وقالت فى فتور :

- فكرى زى ما انتِ عايزة .

مسكت الأم يدها ومنعتها :

- استنى ، عايزه أعرف ردى هيكون إيه ؟

- ردك هو اللى أنا قلته امبارح .

- أى رد ؟ لم أسمع منكِ أى رد !

كم كانت خبيثة . فبينما كانت تحاول السيطرة على نفسها بصعوبة كي لا يتملكها الغضب ، ردت على أمها قائلة :

- ليه بتحاولى تمشى فى الموضوع ده يا أمى ؟

- الموضوع مش كده ، أنا سألتك إمبارح : أقول إيه لخالك ؟ فذكرتى لى كلامًا طويلاً صعبًا مبهمًا ، وفى الآخر ما فهمتش قصدك إيه .

- ماشى ، مع إنى متأكدة من إنى وضحت حديثى لكنى هقوله تانى ، أمى ، أنا مش عايزة أتجوز "بابك" ، فيه كلام تانى أوضح من كده ؟

- إنتِ غلطانة ، هو بس عيبه إيه ؟!

- رجعنا تانى لنقطة البداية ، ليه عايزانى أضايقك يا أمى ؟ يعنى أنا ماليش الحق فى أن أحدد بنفسى مستقبلى ؟

- لا ، إنتِ أصغر من أن تفهمى مصلحتك فين .

- طيب ، لو كان كده ، ليه رأيىّ مهم بالنسبة لكِ ؟ خلاص حلى انتِ واربطى .

- إنتِ عمرك سمعتِ كلامى وخسرتِ ؟

- أمى الحبيبة ، الموضوع ده يختلف عن غيره ، ده مش قرار خاص ببلوزة هتشتريها وهلبسها ، ده كلام عن عمر وحياة بحلوها ومرها ، يعنى مش مهم بالنسبة لك إنك تعرفى إيه مشاعرى ؟

- عيبك إنك بتفتكرى إنك ذاكرتى كام درس وبقيتى تفهمى كويس .

ومرة أخرى دخلت إليها من مدخل المشاعر ، وقبلت "بيتا" وجهها ، وقالت:

- إمتى ادعيت الفضل يا أمى الحبيبة ؟ أنا لغاية دلوقتى سايبة لك الرأى فى كل حاجة، إنتِ عايزة السلوك ده بشكل مطلق ؟ ليه بتعتقدى إنى لا أشعر بهذه الأمور؟ ولو كان الأمر كده ، إزاى عايزاه يكون زوجى ؟

- لإنى أعرف "بابك" تمامًا ، وأنا مرتاحة له ، هو أنا مش عندى أولاد ؟!

- هو ده العيب فى الموضوع ، ربما لو كان عندك عدة أولاد لما أبديت ذلك القدر من المشاعر تجاهى .

- مشاعرى دى لإنى عارفة مدى سذاجتك .

- أنا مش زى ما أنتِ معتقدة ، بصى يا أمى الحبيبة ، أنا هريحك ، أنا أحب أختار شريك حياتى بنفسى ، أنا أصلاً لا أحب الزواج بالأمر ، وده بالتأكيد مش علشان "بابك" فيه عيب . لا ! المشكلة فىَّ أنا ، أنا مش قادرة أتقبله كشريك حياتى ..

- يا سلام ! إيه الكلام ده ! زى ما تكون مش عارفة أبوها مين ويتدعى إنه ملك ، لعل ابنتى أميرة ؟ تعالى شوفى بنات الناس بيعملوا إيه علشانه ، لما أقول إنك لسه مش عارفة مصلحتك فين ما تقوليش ليه ، إنتِ لازم تفرحى إن "بابك" جه وخطبك ، الفرصة اللى زى دى ما بتجيش الأيام دى للبنات ، وقالوا زمان : "يجب انتهاز الفرصة الجيدة" .

- أنا مش ذليلة أو عليلة أو معيوبة ، لازم أشكر ربنا لإن "بابك" جه يخطبنى!! ياريتك تتحمسى لىَّ وتعملى حسابى زى ما انتِ متحمسة لابن أخيك .

- إنتِ متخيلة أنا تاعبة نفسى علشان مين ؟ معاكِ حق ! إنتِ مش أم علشان تفهمى كلامى ! أنا نذرت أربعين شمعة لو وافقتى على "بابك" ! اضحكى إنتِ بتستهزأى بىَّ ؟ قسماً بالله إن " الإنسان ممكن يكون ثعباناً ولكن مش ممكن يكون أماً " .

وسألتها "بيتا" التى كانت تضحك فى ذهول بنفس الابتسامة البلهاء:

- إنتِ بتقولى إيه يا ماما ؟ بالتأكيد إنتِ بتهزرى !

- إنتِ ما تفهميش الحاجات دى !

قالت "بيتا" فى عصبية :

- إنتِ خايفة من إيه يا أمى ؟ بالتأكيد إنتِ خايفة من بقائى معك ! أحياناً بفكر إنك هتضحى فى النهاية بىَّ وبمستقبلى بسبب تعصبك المفرط لـ "بابك" .

- ليه بتتكلمى بصوت عالى على الصبح كده ؟

- ليه بتقولى كده ؟ ما تقوليش الكلام ده لحد . والله هيستهزأوا بىّ .

- أنا مش عارفة ليه بتعتقدى إنى عدوتك ؟

- وأنا مش عارفة ليه بتعتقدى إن مصلحتى فى الزواج من "بابك" ؟

- لإنى هكون مرتاحة من جميع الجهات .

-إنتِ عندك أولاد تانيين بتقومى بتربيتهم ؟!

- أنا دايماً باختار الأحسن ليكى ، وإنتِ عارفة كده كويس .

- يا ريت أفهم إيه اللى مخليكى تفتكرى إن مفيش حد أفضل من "بابك" ؟!

- سيبك من الكلام ده وقولى لى أقول إيه لخالك ؟

- ليه يا أمى بتحاولى تسمعى منى الرد اللى إنتِ عايزاه وأنا تحت الضغط ؟

وخرجت "بيتا" من المنزل غاضبة ، وهبطت درجات السلم .

- استنى يا بنت ! هو أنا مش بتكلم معاكى ؟ كأننى لست أمها !

كانت تستخدم آخر سلاح لها ، فكان من عادتها تغيير الموضوع بسرعة حينما ترى الأمور تسير على غير رغبتها .

- كأن مسألة الأصغر والأكبر قد انتهت !

قالت "بيتا" وهى أسفل السلم :

- انظرى أمى الحبيبة ، لا فائدة من الحديث بينى وبينك ، لإن كل حاجة أقول رأيى فيها كلامك إنتِ هو اللى يمشى ، قولى لخالى اللى إنتِ عايزاه، لكن لاتنسى أننى لن أتزوج بابك ، دلوقتى لازم أمشى لإنى اتأخرت جداً .

أطلت الأم بعصبية من الباب ، وصاحت :

- يا عديمة الحياء ! أهذا هو الرد على محبة خالك ؟!

قالت "بيتا" وهى تفتح باب سيارتها :

- آسفة يا أمى ، أنا لا أستطيع أن أتخذ قراراً يتعلق بأهم حدث فى حياتى على سبيل المجاملة ، ادخلى الآن وإلا ستصابى بالبرد .

صاحت الأم :

- أماتك الله ، أنتِ عنيدة وليس لديك أية مرونة ، لو سيبتك هتضيّعى مستقبلك.

أنزلت بيتا زجاج سيارتها بفتور ظاهرى ، وقالت بصوت عالٍ :

- أحبك يا أمى ، مع السلامة ، حقًا ، استمرى فى نذورك وانذرى شيئًا لأن المعلم لن يقبل عذرى اليوم ، فأنا لا أعرف كم مرة اتأخرت عن محاضراته هذا الشهر .

حينما كانت "بيتا" تنزل من سيارتها كان الجليد يتساقط ، نظرت فى ساعتها للمرة الثالثة خلال تلك الدقيقة ، فقد مضى ما يقرب من العشرين دقيقة على بداية المحاضرة ، فأسرعت الخطى نحو بهو الجامعة وتملكها الاضطراب ، وفكرت :

« من سوء حظى أن تأخيرى دومًا يكون عن محاضرة الرياضيات ، ماذا يفعل الله بك يا أمى ! علىّ أن أقول للمعلم الآن أننى كنت فى محاضرة مع أمى عن درس الحياة ».

وقفت تصغى خلف باب القاعة ، كانت تسمع بوضوح صوت الأستاذ مهدوى، أخذت نفسًا عميقًا ودخلت القاعة بعد أن طرقت الباب عدة مرات ، فكرت فى أن الأولاد سوف يقومون بمشاكستها مرة أخرى ، وهو ما حدث بالفعل ، فقبل أن يتفوه الأستاذ "مهدوى" بكلمة واحدة ، قال أحد الأولاد فى الخلف مازحًا :

- تأخرت عن المدرسة مرة أخرى ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

وانفجر الأولاد فى الضحك ، وتصببت "بيتا" عرقًا ، وغلب الضحك أيضًا الأستاذ "مهدوى" . وفى الحقيقة ، لو كان قد تفوه بشىء لرضيت به "بيتا" . كان رجلاً نحيلاً ، طويلاً ، شعره بنى فاتح يميل إلى الرمادى ، كان يقف فى الغالب أثناء التدريس بقامة مستقيمة أمام السبورة ، ينظر إلى الجميع من خلف النظارة، ولم يكن لدى أحد الجرأة على إفساد جو القاعة الهادئ الجاد لأى سبب كان . كان يُشاهد فى الغالب غبار الطباشير

الأبيض فوق ياقة قميصه وكم بزته ، كان حديثه يتدفق فى جدية وعنوية فى آن واحد بحيث يبعد ذهن المخاطب عن المسائل عديمة الأهمية بشكل لا شعورى .

وجهت "بيتا" حديثها إلى الأستاذ وهى مطأطئة الرأس خجلاً :

– أنا فى غاية الأسف ، معذرة ، للأسف ليس لدى أى مبرر مقنع .

وأشار الأستاذ "مهدوى" بيديه وهو صامت كى تجلس ، فقالت "مريم" – أقرب صديقة إلى "بيتا" – وهى تمزح :

– لو كنا مكانك يا أستاذ لأوقفناها بجوار الحائط على قدم واحدة .

فقال الأستاذ "مهدوى" وهو يمسح السبورة :

– إذن الحمد لله أنكِ لستِ مكانى ، سيدة "بنايى" .

ونظرت "بيتا" وهى تجلس فى مكانها شذراً إلى مريم، بينما ضحك عدد من الطلاب ، وقال الأستاذ وهو يقف أمام السبورة وظهره إلى الطلاب :

– سأكرر خلاصة الموضوع من أجل أولئك الذين لم يكونوا متواجدين...

وبالطبع ، كان الأستاذ يقصد "بيتا" ، فما من شخص سواها قد تأخر، فرفعت "مريم" حاجبيها مستفسرة فى استغراب ، وضحكت "بيتا" ، فسألت "مريم" فى هدوء :

– أتعلمين فى أى قبر كنتِ ؟ قلت اليوم يحتاج إلى اعتذارك .

قالت "بيتا" فى هدوء :

– إذن أنا محظوظة .

قالت "مريم" :

– إنتِ تعرفى كويس كيف تغررين بالآخرين .

– تقصدى إيه ؟

– هل هناك مشكلة سيدة "بنايى" ؟!

كان هذا صوت الأستاذ وقد امتزج باللطف والجدية .

فقالت "مريم" فى ارتباك :

- لا يا أستاذ ، أنا بسمع .

وما أن التفت الأستاذ حتى كتبت شيئًا لبيتا :

"إلهى ، امنحنا الحظ ، وكأن صوتها قد بُح" !

فهمست "بيتا" :

- غورى !

فكتبت "مريم" ثانية :

" إنتِ حمارة ، الكل عارف " .

وكتبت "بيتا" فى عصبية :

" الكل مخطئ ، وأنتِ " .

فكتبت "مريم" وهى تبتسم :

" بمجرد مادخلتى وكأنهم وهبوا له الدنيا" !

نظرت "بيتا" ناحية السبورة وهى مقطبة الجبين ، فهى غير سعيدة بهذه الشائعات التى كانوا يروجونها فى الآونة الأخيرة حول علاقتها بالأستاذ "مهدوى" . ومما لا شك فيه أن الأستاذ لم يقل شيئًا إلى "بيتا" بشكل مباشر حتى ذلك اليوم ، إلا أن ثمة شيئًا فى تعامله - رغم كل الفتور الذى كان يبديه - كان يجعل حتى "بيتا" تعترف به على عكس رغبتها، لكن بسبب خشيتها من استمرار الشائعات كانت تضحك على حديث زملائها .

وهمست "لادن" من خلفها قائلة :

- أنا اتراهنت اليوم مع الأولاد على أنه سيتم حرمانك من الحضور ، يا سلام يا ستى ، واسطتك جامدة أوى !

فابتسمت "بيتا" ، وقالت "مريم" للادن بهدوء :

- إن الحسود لا يرتاح أبدًا ، إنها غير واثقة حتى الآن من معزتها !

وابتسمت بيتا ثانية ، لكن ابتسامتها هذه المرة لم تخف عن عين الأستاذ.

- سيدة "سپهرى" ، ما الذى يجعلك سعيدة هكذا؟! قولى لنا، إنتِ عارفة إن درس الرياضة ليس سهلاً ، وأعتقد أن الجميع متعب مثلى .

وعندئذ ضحك الطلاب ، حتى "مريم" و"لادن" ! وابتسم الأستاذ أيضًا ، ومن هذه الابتسامات المفعمة بالمعانى - التى لم تكن تهدف سوى لومها - تمنت "بيتا" لو تم إخراجها من المحاضرة حيث ستكون أفضل حالاً ، وقالت "مريم" :

- ما فيش حاجة مهمة يا أستاذ ، كان للسيدة "سپهرى" استفسار حول المبحث الجديد.

قال الأستاذ :

- مش لازم تتعبى نفسك ، ده شغلى أنا ، وممكن أنجزه بعد المحاضرة !

وتهامس بعض الطلاب ثانية من الخلف ، وتعجبت "بيتا" من ذلك الفتور الذى كان يبديه الأستاذ تجاه هذا الأمر ، وقالت فى هدوء:

- أسفة يا أستاذ .

- ليه؟ هو حصل حاجة علشان تعتذرى ؟! أنا كنت بتكلم جد ، إذا كان هناك شىء يمكن البوح به فلتقولوه بصوت عالٍ حتى نسعد معًا ، فبالله لقد بُلينا بهذه المعادلات ، وتلك النماذج !

فقال أحد الطلاب فى الخلف :

- يا أستاذ الق نظرة إلى الخلف ، نحن نعرف أيضا الفكاهة ، والمزاح والنكات بأنواعها .

قال الأستاذ مازحًا بشكل بعيد عن سلوكه المعتاد :

- أنا أنظر لكننى لا أرى شيئًا ، إننى أسمع صوتًا فجأة فقط، ولا أستشعر فيه شيئًا من الشجاعة ، أظهر وجهك أيها العزيز .

وابتسمت "بيتا" هذه المرة مثل الباقين ، وقال أحد الطلاب الذين لاحظوا الألفة في هذا الجو :

- أستاذ ، ليه النساء مقدمات في كل شيء ؟

فنظرت البنات إلى الخلف ، وقال الأستاذ :

- لأن النساء أساسًا خلقوا مقدمًا .

فقال طالب آخر :

- حقًا ، لمَ إذا أردنا الدخول تكون الأولوية للنساء ؟ وإذا أردنا الخروج تكون الأولوية للنساء ، وفي أي مجلس يجب أن يجلسن أمام الرجال .

فقالت إحدى الطالبات دون أن تلتفت خلفًا :

- كأن الرجال لا يرون كل ما يملكونه من حقوق ، فينظرون إلى هذا الكم الضئيل من حقوق النساء .

فقال أحد الطلاب على سبيل الكناية :

- ياه ! كم حقوقهن ضئيلة، أنا فداء له ، إنهن يحكمن العالم بهذه الحقوق الضئيلة .

وعمت الفوضى المحاضرة ، فقال الأستاذ :

- اسمحوا لي، أرجو إذا ما تباحثتم في شيء فيكون في إطار المحبة.

فسألت "مريم":

- ماذا تقصد يا أستاذ ؟

صمت الأستاذ قليلاً، ثم قال :

- انظروا أيها الأصدقاء ، أرجو ألا تطرقوا الطريق إلى حرب الحقوق ، وأن تنظروا دومًا إلى الأمور بنظرة منطقية ، في الواقع إن النساء نظرًا لكونهن أكثر رقة وانكسارًا فهن أكثر حقًا من الرجال .

قال أحد الطلاب بصوت مازح :

– يعنى مثلاً لو أن النساء لم تدخلن أولاً ينكسرن ؟!

فضحك الطلاب ، وقال الأستاذ مبتسماً :

– لهذا كله جذور فى ثقافتنا أيها الأصدقاء ، فضلاً عن ذلك ، ما المشكلة هنا؟ من وجهة نظرى أن ذلك الرجل الذى يبدى احتراماً تجاه أخته ، وأمه أو زوجته إنما هو فى الواقع يبدى احتراماً لذاته .

فهزت "مريم" كتفها على كتف "بيتا" ، وقالت :

– إذن يجب أن نهنئ زوجتك يا أستاذ .

ضحك الأستاذ ، وقال :

– لم أتزوج حتى الآن .

فقال أحد الطلاب :

– إذن فهذا كله تجربة [illegible] يا أستاذ .

قالت "ميترا" :

– من فضلك يا أستاذ ، لا تأخذ الكلام على أنه موجه إليك ، إذ أن كثيراً ما يتحدث معظم الرجال بمثل هذا الحديث قبل الزواج .

وانتهى وقت المحاضرة ، وقال الأستاذ وهو يرفع حقيبته :

– لا علم لى ، لكن هذا ليس داعياً لإحراق الأخضر واليابس معاً ، أيها الأصدقاء، لا بأس عليكم ، لقد كان يوماً مثمراً .

وكان الطلاب وكأنهم قد عثروا بعد فترة من الزمن على موضوع أصبح موضع اهتمامهم ، ولم يكفوا الحديث فيه . وبعد خروج الأستاذ من قاعة الدرس، قالت "مريم" إلى "بيتا" :

– اتفضلى اتكلمى ، ما هو الكلام بقى ببلاش !

وضعت بيتا الأدوات التى فوق منضدتها داخل حقيبتها ، وكررت القول:

- الكلام ببلاش !

قالت "لادن" :

- من وجهة نظرى أن الأستاذ طرح هذا الموضوع خصوصًا كى يقدم نفسه إلى البعض .

ضحكت "بيتا" ، وقالت :

- حتمًا لى ! امشِ يا ماما .. إنتِ فايقة ورايقة !

ثم وجهت حديثها إلى "مريم" قائلة :

- من كام يوم وإنتِ بتهرجى فى المحاضرة كتير !

قالت "مريم" وهى ثائرة :

- ياه ! لما كان الأستاذ يراجعنى ، كنت كمن يموت ، والآن هل قال شيئًا ؟

قالت "بيتا" :

- لا ، لم يقل !

قالت "لادن" :

- إنتِ بالذات متتكلميش ، أنا أراهن إنه لوكان حد تانى مكانك اليوم لحرم من المحاضرة . إنتِ يا مصيبة عارفة اتأخرتى كام مرة عن ميعاد محاضرته ؟ هو اللى اتأخرتيه النهارده كان قليل ، وبعد ده كله يشرح الدرس تانى علشانها وكأنه متوصى !

قالت "بيتا" :

- أنا عايزة أخرج بره ، هتخرجوا معايا ؟

قالت "مريم" :

- نمشى كما كنا فى الطفولة ، نخطو خطواتنا فى الجليد .

مشين معًا ، وعبرن طريق الجامعة ، وإذا بصوت الأستاذ "مهدوى" - الذى كان مع طالبين أو ثلاثة - يوقفهن .

- أنسة "سپهرى" ... لو سمحتى !

واندهشن البنات الثلاث ، وارتبكت "بيتا" بشدة ، وتخلص الأستاذ من الطلاب الذين كانوا حوله بطريقة ما ، واقترب منهن ، فغمزت "لادن" "مريم" ، وقالت :

- أستاذ ، لو لم تكن تريد منا شيئًا فلنمضى بعد إذنك .

وألقت "بيتا" - التى لم تكن ترغب فى البقاء بمفردها مع الأستاذ - نظرة لوم عليهما ، لكن لم يكن فى ذهنها شىء كى تقوله ، وقال الأستاذ بنفس ابتسامته المعهودة :

- أنسة سپهرى ، اسمحى لى أن آخذك لعدة لحظات من صديقاتك .

فردت "مريم" بدلاً من "بيتا" وهى تبتسم :

- كما تريد يا أستاذ ، مسموح لك بالفعل .

كانت "بيتا" تفكر وهى تنظر إلى صديقتيها وهما تبتعدان " لعلنى كنت متفائلة كثيرًا ، من المحتمل أنه سيوبخنى بشدة" ، وسألها الأستاذ :

- فيه حاجة أنسة "سپهرى" ؟

قالت "بيتا" فى ارتباك :

- لا يا أستاذ . فيما يبدو أنك تريد شيئًا منى .

- نعم ، منذ فترة وأنا أرغب فى الحديث معكِ لكن لم تتهيأ الفرصة .

رأت "بيتا" أنه من الأفضل أن تبادر هى بالحديث :

- أستاذ ، صدقنى ، أنا نفسى كنت متضايقة جدًا من عدم انضباطى فى الفترة الأخيرة ، هذا إذا ما كنت تريد الحديث فى هذا الموضوع ...

- لا شك أن هذا الموضوع أيضًا كان يجب أن أتحدث بشأنه .

- هذا أيضاً ؟! وما هو الموضوع الآخر ؟

ونظرت "بيتا" إلى وجه الأستاذ فى حيرة .

- آنسه "سپهرى" ، أريد حقًا أن أسألك ، أثمة مشكلة لكِ معى ؟

- لا يا أستاذ ، ليه بتسأل السؤال ده ؟ هل - لا قدر الله - كان تأخرى هو السبب فى مثل هذا التفكير ؟

- ربما ، فأى شخص مكانى قد يأتيه مثل هذا التفكير ، ألكِ مشكلة خاصة؟ قولى ، ربما أقدر أساعدك .

- على الإطلاق ، صدقنى ، الأمر مجرد صدفة ، والسبب الرئيسى فيه هو أن محاضراتك دومًا بتصادف وتكون الأولى !

- تعلمى ؟ مع كل حال ، الإنسان حينما يسمع الأحاديث ممن حوله...

وكأنه كان على علم بما كن يتحدثن به ، فسألت "بيتا" على الفور :

- أى حديث يا أستاذ ؟

ابتسم برقة ، وقال :

- حسنًا .. تعلمين أن الجامعة أفضل مكان لترويج الإشاعات !

وانساب العرق من جسد "بيتا" . كم كان هذا الرجل فاترًا !!

- مش فاهمة قصدك يا أستاذ !

- أريد أن أقول .. فى الحقيقة أنا محتاج وقت طويل علشان أتكلم معاكِ ...

كان من الأفضل أن تساعده "بيتا" كى يوضح مقصده ، أو على الأقل تنظر إليه بوجه أكثر بشاشة ، لكنها كانت تقف أمامه صامتة ، جافة ، مندهشة ، تنظر إلى حذائه البراق ، وجزم الأستاذ عزمه ، وقال دون مقدمات :

- تعلمين .... أنا عمرى ٣٢ سنة ، أدرس بمرحلة الدراسات العليا شعبة الرياضيات ، وكما ذكرت من قبل ، أعزب ...

- اسمع لى يا أستاذ ، لماذا يجب أن أعلم مثل هذه الأمور ؟

كان صوت "بيتا" أكثر جفاءً بما كان يتوقع الأستاذ ، وكأنها لم تكن تصدق أن كل هذه الشائعات كان فيها شيء من الحقيقة ، وها هى الآن فهمت بنفسها قبل الباقين .

قال الأستاذ فى رفق :

- أعتقد أن قصدى واضح .. أنا أريد أن أطلبك للزواج آنسة "سپهرى" !

فاضطرب قلب "بيتا" ، ونظرت للمرة الأولى تجاه وجه أستاذها وهى على مسافة منه تقل عن قدمين ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة لا إرادية ، وهى تفكر "خطيبان فى أقل من أسبوع" ، هل كانت مشكلتها مع "بابك" صغيرة فأضيف إليها الأستاذ "مهدوى"!

- أنا .... أنا فى الواقع اتفاجئت يا أستاذ ، اعذرنى .

دنا الأستاذ برأسه أكثر ، وسألها :

- ممكن آخد تليفون والدك ؟

- للأسف ، والدى ليس على قيد الحياة ، لقد مات منذ اثنى عشر عامًا .

- أسف جداً ، وأخوكى ؟

- أنا ابنة وحيدة ، وأعيش مع أمى .

- إذن ، حتمًا ستعطينى تليفون المنزل .

وحاولت "بيتا" أن تتماسك بصعوبة حتى إنها لم تكن لتفهم كيف وصلت تلك الكذبة إلى ذهنها :

- أعذرنى يا أستاذ ، أنا .... أنا مخطوبة .

وخبَت الابتسامة على شفة الأستاذ العاشق ، وثبت نظره على يد "بيتا" اليسرى، فأكملت حديثها على الفور وهى تعلم مقصده جيداً :

- إلى الآن لم تتم خطبتنا بشكل رسمى ، فقد تقرر أن نتزوج بعد الانتهاء من الدراسة.

قال الأستاذ وهو يتظاهر بالاقتناع ، بينما يعتريه الخجل وتلمع قطرات العرق فوق جبينه :

- عجبًا ! فى الحقيقة لم أكن أعلم هذا .

قالت "بيتا" وهى تشعر بتأنيب الضمير بسبب الكذبة التى ذكرتها :

- فيه اعتراض يا أستاذ ؟

- قال الأستاذ فى صعوبة :

- أتمنى لكِ السعادة .

قالت "بيتا" مبتسمة :

- أشكرك يا أستاذ . أتمنى فقط ألا تتضايق .

ضحك الأستاذ بحب ، وقال :

- على الإطلاق ، فى الحقيقة أنا الذى يجب أن أطلب العفو منكِ بسبب خطأى .

ومسح بيده أعلى جبهته ، وخلع النظارة ، وظهر التوتر بشكل واضح فى سلوكه :

- حسنًا ، مش هاخد من وقتك أكثر من كده .

نظرت بيتا بطرف عينها ، وقالت :

- أتمنى لك التوفيق يا أستاذ ، وأهنئ زوجتك القادمة من الآن .

* * *

وحينما عادت "بيتا" إلى صديقتيها ، فوجئت من رد فعلهما ، وسألتها "مريم" فى لجاجة :

- حسنًا ، إيه اللى حصل ؟ لازم تشرحى كل حاجة بالتفصيل !

ضحكت "بيتا" :

- يعنى إيه ؟ هو إيه يعنى اللى حصل ؟

فضيقت "مريم" عينيها ، وقالت :

- ياميَّة من تحت تبن (*) ، أنا كنت شايفاكم من بعيد ، قولى بسرعة ، اشجينى.

قالت "لادن" :

- والأستاذ المسكين ده وصل فى الآخر لمراده ولا لأ ؟

- إنتم أكيد عارفين أكثر منى .

وكان صوتها يميل إلى الكناية أكثر .

سألت "مريم" :

- يعنى طلب منك الجواز بجد بجد ؟

- إنتم لغاية دلوقتى بتهرجوا ؟ إنتم مش عارفين بتعملوا إيه ؟

سألت "لادن" غير مصدقة :

- كده ، بدون مقدمات ؟

ضحكت "بيتا" وقالت :

- أيوه ، هو كان من المفروض أديله الإشارة فى الأول ؟ دى حركات مكشوفة ، هو مفيش حد تقدم لكِ لغاية دلوقتى .

سألت "مريم" :

- قولتيله إيه ؟

- أبداً ، رديت بالنفى .

- إنتِ بتهرجى ؟

(*) آب زيركاه است : مثل فارسى للدلالة على المكر . ويقابله فى العربية " يا مية من تحت تبن" بنفس الدلالة .

انظر : على اكبر دهخدا : گزيده" امثال وحكم ، به كوشش محمد دبير سياقى ، تيراژه ، چاپ چهارم ، تهران ١٣٦٦ ش ، ص ٣٠ .

- تهريج إيه ؟ أنا اضطريت حتى أكذب عليه كذبة صغيرة .

فضغطت مريم بإحكام على رقبتها ، وقالت :

- ليهيلوا التراب على رأسك ، حقيقى ، يدوا التفاحة الحمرا للى إيده مقطوعه. (*)

قالت "لادن" :

- الشغل بدأ ، واضح من شكلها إننا هناكل الحلوى قريبًا .

قالت "بيتا" :

- لو هتحلى عن دماغى بعلبة حلوى ، هاجيبهالك .

قالت "مريم" :

- إزاى قدرتى تخليه كالحجر على الثلج ؟

- مش بالعافية ، أنا مبحبوش .

- طب قولى ، ليه المسكين ده كان متضايق أوى كده ؟

قالت "لادن" :

- ليه حق يتضايق ، إنتِ مش عارفة كام مرة تطاول عليه الأولاد فى الفترة دى ...

سألت "بيتا" :

- ليه بقيتوا عاملين زى القِدر اللى أسخن من الأكل ؟

قالت "مريم" :

- على الأقل كنتِ خليه يجلس معاكِ مرتين تلاته ، وتتكلموا مع بعض ، يمكن نظرتك كانت تتغير .

(*) سيب سرخ براى دست چلاق خوبه : مثل فارسى للدلالة على التحسر على ما فى يد الغير ، خاصة لو لم يكن جديراً به ، ويقابله فى العربية « يدوا الحلق للى بلا ودان».

قالت "بيتا" :

- ما تتكلميش ، أنا صبرى نفذ ، هى مشاكلى فى البيت كانت بسيطة علشان أزود عليها الموضوع ده ؟

سألت "مريم" :

- إيه البلاوى اللى وراكى تانى ؟

قرنت "بيتا" على الفور :

- "بابك" جه وطلبنى .

ضحكت "لادن" وغمزت "مريم" قائلة :

- بقى كده ! دى ما خبطتش دماغ هذا الأستاذ المسكين فى الحائط بدون سبب !

- غورى ، أنا مردتش عليه .

وضعت "مريم" يدها على وسطها ، وقامت بحركات مصطنعة :

- ماشى ، قولى إيه اللى تعبك ؟

- أبدًا ، هذا النوع من الرجال مش النمط المثالى اللى بفكر فيه .

- طب اتفضلى قولى ، الرجل المثالى بالنسبة لك ، ماذا يمتلك من صفات لا توجد عند الآخرين ؟ إنتِ دلوقتى رفضتِ الأستاذ "مهدوى" سيئ الحظ ، وابن خالك المسكين ، إيه العيب اللى فيه ؟

- "مريم" ، خلى الكلام ده بينى وبينك ، إنتِ برده هتتجوزى .

- أيوه ، فالرقص فى الظلام أفضل ، كل بنت على كل حال لازم تتجوز ، ولو عايزة الحق ، أنا لو مكانك كنت اختار فورًا واحدًا منهما ، هو دلال البنت إلى متى يكون مقبولاً ؟

- أنا لا أتدلل أصلاً ، أريد فقط أن أختار شريك حياتى بنفسى .

- يمكن يكون فيه شخص تانى هتختاريه ؟

- أقول إيه ؟ أنا أصلاً مش عايزة أتجوز بالشكل ده .

- ليهيلوا التراب على مشاعرك ، إنتِ ماضّحكش عليكِ لغاية دلوقتى ، وإنتِ بتفكرى بالطريقة دى ؟

- هو أنا عمياء ؟

- باقول إنك ساذجة ، ومتقوليش ليه مسكينة ، إنتِ متقدريش تعرفى لعب الرجال حتى لو عندك ستة أزواج من العيون ، الأول يدخلوا بكلام معسول من الأذن بحيث لا تسمعه الأذن الأخرى ، كيف ستكون أيامك ؟ ومنهم زوج "سميرا" ، تعالِ شوفى بيقول إيه الراجل ده ؟ لما تقابليه متصدقيش إن هو ده الغول اللى بتحكى عنه "سميرا" .

- كلهم مش شكل واحد .

- منين نضمن إنك هتلاقى راجل كويس ؟

- لماذا تنفرين من الجميع ، القلق اللى عندى مش مكفينى علشان كده بتزوديه.

- يجب أن يكون الإنسان واقعيًا ، وإنتِ عارفة "بابك" كويس ، أحواله المادية كويسة ، متعلم تعليم عالى ، ألا يرضيك غير الموت !

- فيه حاجة !

- فيه إيه ؟ هو يعنى لو كان بينفخ فى نفسه كان بقى كويس ؟

- لا ، لكن النوع ده مبحبوش ، أنا متأكدة إنهم رشحونى ليه فقبلنى بمنتهى البساطة كده .

- قبل ولا لأ ؟! فهمت ! تعبك كان من حاجة ثانية ، لو لم يكن مغرورًا بهذه الدرجة لكنتِ احترمتهِ ؟

- عايزة الحق ، لأ ! لكننى كنت أتوقع أن يُظهر ذلك من تصرفاته .

- طب دلوقتي عملتي إيه مع هذا الأستاذ المسكين اللي أفصح عن مشاعره إلى حد بعيد !!

- موضوع الأستاذ "مهدوي" مختلف ، أنا كنت واخدة قراري فيه من البداية.

- يصي حبيبتي ، قالوا قديماً : إن حديث العشق ليس الذي يرد على اللسان .

قالت "لادن" التي كانت تلزم الصمت حتى هذه اللحظة :

- "مريم" بتتكلم صح يا "بيتا" ، خليكِ واقعية شوية ، الفرصة لا تطرق باب منزل الإنسان أكثر من مرة !

ضحكت "بيتا" وقالت :

- إنتِ كمان بتتكلمي زي ماما ، إنتم هتستفيدوا إيه لما تضغطوا عليّ ؟

- ماما بتتكلم صح . خدي قرارك بحكمة وتعقل !

- أنا حتى مش قادرة أتخيل إني اتجوز زي الجيل السابق من رجل لا أشعر تجاهه بأي إحساس .

- هو كل الجوازات كانت عن حب ؟ اعلمي أن الحب يأتي بعد الزواج في حالات كثيرة ، وأنا أرى أن الفرصة تأتي أكثر لمن لا يحكمون العاطفة على العقل ويعملون بشكل أكثر واقعية .

قالت "مريم" في جدية :

- ممكن تعملي حاجة تانية .

- أعمل إيه ؟

- لو وصلتي للنتيجة دي مش هتتعبي ، اتصلي بيّ وأنا هرشحلك فتاة جميلة ، ذكية، ربة بيت ، تقدس الحياة الأسرية وأصيلة وبعدين تقديمها لابن خالك .

- مين دي ؟

- واقفة أمامك !

ضحكت "بيتا" وقالت :

- يعنى لو جاءك حقًا رجل مثل "بابك" وطلب إيدك هتردى بالإيجاب ؟

- لا ! هحلّى بضاعتى زيك !

- إذن إنتِ فاكرة إنى بحلّى بضاعتى ؟! الموضوع مش كده والله ، أنا لما بفكر فيه لا أرى أى دليل فى سلوكه يدل على حبه ، ده مغرور ، وبيتعامل بجدية بشكل لا يصدقه إنسان أبدًا ..

- ياه دى نارها شديدة أوى ! حبيبتى ، إنتِ كنتى بتظهرى نفسك ليه خلال السنين دى كلها علشان تتوقعى من ابن خالك السلوك ده ؟ أى رجل عاقل يأتى ويفرش نفسه تحت أقدام فتاة لم ير منها شيئًا ؟ إلا أولئك الذين ذكرتهم، لا تتعجلى .. كل شىء فى أوانه !

- عجبًا ، إنتِ إنسانة عديمة الحياء ، أنا كنت أقصد حاجة تانية .

- أنا عديمة الحياء أم أنتِ ؟ بفكرك الفاسد هذا ...

قالت "بيتا" لـ "لادن" التى كانت تضحك :

- استحلفك بالله ، شوفى أنا بأتجادل مع مين !

(٣)

بعد أن أطلقت "بيتا" بوق السيارة عدة مرات ، وقفت تنتظر حتى يفتح "عبد الله" باب الفناء ، كان "عبد الله" يعمل فى منزلهم بتوصية من خال "بيتا" ، وهو شخص نحيل قليل البنية يكاد يبلغ وزنه بالملابس خمسين كيلوجرامًا . كانت "بيتا" تشك دومًا فى قيامه بما يعهد إليه من أعباء صعبة ، كان عنيدًا ، يبرز فكه قليلاً عن وجهه ، كانت عيناه الصغيرتان فى ذلك الوجه العظمى أحدَّ من أى عين أخرى رأتها "بيتا" ، أحيانًا إن رغب يكون كأكثر الآباء رحمة ، وإن لم يرغب يكون شخصًا آخر لا مثيل له ، كان محبًا لخال "بيتا" حتى آخر قطرة فى دمه ، وفى الواقع كان يعدُّه ولى نعمته ، وهذا فى حد ذاته كان يعد سببًا لتمتعه بمكانة خاصة فى قلب سيدة المنزل لأن والدة "بيتا" لم تكن تتناول حتى شربة الماء دون إذن أخيها .

كانت "بيتا" فى العاشرة من عمرها حينما توفى والدها ، كان رجلاً عفيفًا لطيفًا لم يفهم شيئًا من الدنيا طيلة حياته ، كان مرتبطًا بشكل شديد بزوجته وابنته ، لم يضن قط عن بذل أى نوع من الجهد من أجل أسرته . ولا شك أن والدة "بيتا" كان لديها إحساس مشابه تجاه والدها ، فمازالت حتى الآن ورغم مرور أعوام طوال على وفاته تنفق مستحقاته على الأيتام وفى أعمال الخير ، وتذهب كل ليلة جمعة إلى قبره لزيارته .

أحيانًا كانت "بيتا" تفاجئها وهى تختلى بصورة والدها ، أحيانًا كانت ترى قطرة دمع فى عينيها أثناء تذكرها لأبيها . إنها لم تضعف لعروض الزواج المختلفة بعد موت زوجها رغم صغر سنها ، فلا تزال وفية له ، نذرت نفسها لـ "بيتا".

لم تكن "بيتا" تعرف الكثير عن زواج أبيها بأمها ، إلا أنها كانت تستطيع أن تفهم من صمت الخال والحذر الذى كانت تبديه الأم أثناء الحديث عن أبيها، أن العلاقة كانت

متوترة بين الأب وخالها الوحيد . وذات مرة وتحت ضغطها على أمها عرفت أن أسرة الأم كانت تعارض هذا الزواج ، ولأن جدها كان يرى أن وجود صهر لهم مثل أبيها يعد خزيًا للأسرة ، فقد قام بطرد ابنته وصهره الوحيد من الأسرة ، لدرجة أنه لم يسمح لابنته بالزيارة حتى قبل مولد "بيتا" بفترة، وما أن تم ميلاد أول حفيدة حتى فتح باب قلبه الحجرى فى وجه ابنته وحفيدته ، وقبلهما بعد أعوام طوال . لكن هذه العلاقة ظلت محدودة بعد ذلك بفترة وفقًا لرغبة أم "بيتا" لأنها لم تكن تستطيع أن تتحمل توبيخ والدها لها وكناياته تجاه زوجها. كانت – على عكس رغبتها – لأعوام طوال تطمئن عن أحوال أسرتها عن طريق الهاتف فقط ، وتقف وراء زوجها كالجبل حتى رحل والد "بيتا" ، واستعد الخال – باعتباره الأخ الأوحد للأم – للقيام بدور أساسى فى حياتهما، كان همزة الوصل بين أخته وأبيه لتحسين العلاقة بينهما ، ولا شك أن هذه العلاقة لم تدم طويلاً ، فبعد ذلك بعامين توفى جد "بيتا" على أثر سكتة قلبية، وعلى هذا النحو آل كل ما لديه إلى ابنه الوحيد وابنته الوحيدة (والدة "بيتا") ، وهكذا تحولت حياتهما البسيطة تحولاً كبيراً خلال فترة وجيزة ، وعهدت والدة بيتا بوكالة أموالها إلى أخيها الوحيد ، وباعت تحت إشرافه منزل زوجها الصغير الذى كان مرهونًا لأحد البنوك ، واشترت منزلاً كبيراً فخمًا فى منطقة "دروس"، وتركت الباقى من أموالها تحت تصرف أخيها لتحصل منه على أرباحه الشهرية ، وكان مبلغًا لا يستهان به .

فى نفس الوقت عمل عبد الله لديها بتوصية من خال "بيتا" لإدارة أعمال المنزل ورعاية الحديقة، واستكملت "بيتا" دراستها تحت إشراف خالها وذهبت إلى الجامعة فى ظل رعايته لها . إنه بحق رجل جدير بالثقة ودقيق ، ولم تكن والدة "بيتا" لتجد قط شخصًا أنسب منه لتولى هذه المسئولية الجسيمة . كان يحب "بيتا" مثل ابنته فرشته ويشعر نحوها بشعور الأبوة ، وحينما نجحت "بيتا" فى الامتحان العام للقبول بالجامعة اشترى لها سيارة من حر ماله ، وشجعها كى تعتمد على نفسها وتتعلم القيادة . أحيانًا كان يشعر وكأنه يحبها أكثر من "فرشته"، كان حنونًا عليها لدرجة تحرك مشاعر الحسد لدى أصدقاء "بيتا" المقربين– كان يذهب لزيارتهما مرتين كل أسبوع ، وكان مطلعًا على كل كبيرة وصغيرة من قرارات أخته الوحيدة وأسرارها وأفكارها .

قال "عبد الله" وهو يغلق باب الفناء إلى "بيتا" وهى تنزل من سيارتها :

- سيدتى الصغيرة ، ارفعى قدميك بقوة ، الأرض صارت كالزجاج .

فسألته "بيتا" :

- بتعمل إيه يا عم "عبد الله" ؟ ما الفائدة فى إنك تنظف دلوقتى ؟ مع كل هذا الجليد الذى يتساقط ، سيمتلئ المكان ثانية بعد ساعة !

قال "عبد الله" :

- كلامك صح . لكن لو ما نظفتش هيزيد ويتقل ، وساعتها مش هقدر أجمعه ، والحاج قال ..

- إيه ؟ خالى الحبيب ؟! هو هنا ؟!

- أيوه ، هو مشرفنا هنا .

- طب سيارته فين ؟!

- أخذها السيد "بابك" ، ربما راح علشان الحاجة .

واضطرب قلب "بيتا" .. إذن لم تكن عجلة والدتها دون سبب . صعدت السلم دون أن تصدر صوتًا ودخلت المنزل ، كانت تريد أن تمضى إلى حجرتها دون أن تتنبه أمها ، فإذا بها تقف أمامها وجهًا لوجه :

- سلام أمى الجميلة .

- سلام ، ليه داخله البيت زى الحرامية ؟

- عفوًا ، المرة الجاية همسك جرس فى إيدى .

- روحى غيرى هدومك ، وتعالِ إلى حجرة الاستقبال ، خالك جه .

- خالى الحبيب هنا ؟!

- يعنى إنتِ مش عارفة ؟! إنتِ جنسك إيه ؟!

– ماما ، أنا لازم أمشى ، معايا ميعاد مع واحدة صحبتى .

كانت تريد أن تلقى عن كاهلها مسئولية إعطاء الرد ، ولكن ما أن ظهرت على وجهها ملامح الكذب حتى قالت الأم فى غضب :

– يا مجنونة ، تكونى فى حجرة الاستقبال خلال خمس دقائق ، فهمتى ؟

– ويعدين يا ماما الحبيبة ..

– ولا ماما ولا بتاع ، تعالى وقولى اللى عندك .

– لكن ده ظلم إنك تواجهينى بخالى ، إحنا مش اتفقنا تتكلمى إنتِ ؟

– أنا مش فاكرة إنى اتفقت على حاجة زى كده .

وخرجت "بيتا" عن طورها :

– على الأقل كنتِ تنسقى معايا .

– حاضر ، من هنا ورايح لما أخويا يحب ييجى هنا هاخد الإذن منك .

إنتِ عايزانى أقوله دلوقتى تبقى تشرفنا لما آخد الإذن من بيتا هانم !

مضت "بيتا" حائرة إلى حجرتها ، وحينما وقفت أمها لنصحها دار جدال ، وأحيانًا كانت تحكم الواجهة المقابلة لها كى لا تبقى لها مجالاً للاعتراض وبينما كانت تغير ملابسها فكرت فيما كانت تخشاه وهو مواجهة الخال والرد عليه بالنفى ، كان يضطرب حالها من التفكير فى هذا الأمر . حتى إنها نفسها لم تكن تفهم ما الذى كان يوجد فى هذا الرجل المسن النحيل قليل البنية يحثها على معرفته ، لعله كان مثل والدها ولد فى هذه الدنيا للإدارة ، وبينما كانت تمشط شعرها كانت تنظر إلى والدتها فى دهشة وهى تقف وسط باب الحجرة وفكرت أن تجرب فرصتها مرة أخرى .

ربما تستطيع إقناع أمها وتتحدث بنفسها مع خالها . عادت إلى الوراء فكرت لحظة بين نفسها ، صار صوتها أكثر نعومة بشكل ملحوظ :

– أمى الحبيبة ، ليه واقفة كده ؟

- قالت "نسرين" (أمها) على الفور :

- مستنياكى تجهزى .

وضحكت "بيتا" من نبرة صوتها :

- هو أنا ههرب ؟!

ضيقت "نسرين" من عينيها وقالت بهدوء :

- بين أمتعتك زجاج صغير ، لو تقرر إنك تتصرفى على عكس رغبتك ، اعملى اللى إنتِ عايزاه .

والتفتت "بيتا" ناحية المرآة وهى تمشط رأسها :

- لكنى باقول مرة ثانية ، ياريتك قولتى لى إن خالى جاى النهارده .

- هى دى أول مرة خالك بيجى فيها هنا ؟! ده بيزورنا على الأقل مرتين أو ثلاثة فى الأسبوع.

- إنتِ عارفة إن المرة دى مختلفة عن المرات السابقة .

- إحنا فيها ، اعملى زى ما قلتلك ، قولى كل اللى عندك .

وكانت "بيتا" ترتعد وهى تفكر فى خالها ، إلا أنها كانت تحافظ على هدوئها ، ولم تكن ترغب فى منح الفرصة لأمها :

- بالتأكيد أنا جاية يا أمى ! عندك اعتراض ؟!

- افتكرى بس إنى محبش تكونى سببًا فى ضيقه ، هو له حق كبير عليكى.

ويئست بيتا تمامًا ، وتأثر وجهها من أثر هذا الضيق :

- مفيش داعى تفكرينى يا أمى ، أنا عارفة ، وربما ده هو اللى هيصعب الموضوع.

- وياريت متعمليش حسابى إطلاقًا ، أنا لم أتعود الكذب على نفسى . تعرفى ؟ إنتِ ما تستهليش الرجالة اللى زى بابك ، إنتى لازم تتجوزى واحد تلعنى نفسك عليه كل يوم مائة مرة .

- إنتِ دلوقتى هتسحبينى فى الكلام ؟ إنتِ متصورة إنى مش عارفة ليه خالى مُصِر على زواجى من "بابك" ؟ أو إنى مش فاهمة ليه بتضغطى علىّ علشان أوافق ؟ لكن من الأفضل أن تعرفى إنى مش مستعدة أقضى على مستقبلى علشان خاطر مطالحكم !

- اخفضى صوتك . إيه الكلام الفاضى اللى بتقوليه ده ؟ إنتِ فاكرة إنى ببيعك بالفلوس ؟!

قالت "بيتا" فى جدية :

- لو كان ضرورى هقول الكلام ده لخالى .

أغلقت "نسرين" باب الحجرة خلفها ، وقالت بنبرة أكثر هدوءًا :

- أنا مش عارفة ، إزاى الأفكار الحمقاء دى دخلت دماغك ؟ لكن أقسم بالله لو ضايقتى هذا الرجل المسن ليكن لبنى محرمًا عليك ! أنتِ فاكرة إنى خضبت هذا الشعر بالبياض فى طاحونة (*) ؟! إنتِ متخيلة إنى مش واخدة بالى من تصرفاتك فى الفترة الأخيرة ؟ إنتِ بتتعمدى تعاملى "بابك" دون احترام علشان يغير رأيه !

وانفتحت شفتا "بيتا" من الدهشة .

- أنا اللى ربيتك ، وأعرفك أكثر من أى شخص آخر .

قالت "بيتا" :

- أنا شفت أد إيه كان تأثير سلوكى على "بابك" ، وكأنه ليس مهمًا بالنسبة له ممن يتزوج ، هو مثل خالى أيضًا وافق علىّ لأنه وضع مصالح الأسرة أمام عينيه ! بالضبط زى ما خالى عايز .

(*) مويش را در آسيا سفيد كرده است : مثل فارسى بمعنى خضب شعره بالبياض فى طاحونة . ويستخدم للدلالة على عدم تجربة الشخص وسذاجته رغم كبر سنه . (دهخدا ، ص ١٧٢) .

– أنا مش فاهمة أى حاجة من كلامك ، بس عايزاكى تعرفى ، صحيح أنا مديونة لخالك بعدد شعر رأسى ، لكن ده مش معناه إنى عايزه أضحى بسعادتك فى سبيل مصالحى الخاصة .

ونظرت "بيتا" إليها فى حيرة ، إنها كانت صادقة تماماً عند تلفظها بهذا الحديث.

– أنا لو عايزة أتدخل فى هذا القرار المهم فلأنك مازلت صغيرة ، ومن الممكن خداعك بسبب وضعك الجيد .

– لو كنتِ بتفكرى فى سعادتى لما كنتِ أجبرتنى على التصرف عكس رغبتى .

وقفت "نسرين" وهى حائرة ، وقبّلت "بيتا" وجهها ، ونظرت إليها راجية :

– أمى الحبيبة ، استحلفك بالله أن تحمى ظهرى ، أنا ماليش غيرك فى الدنيا دى.

– قلتلك مرة ، وهاقولها تانى ، لو عندك كلام قوليه .

– على الأقل افتحى إنتِ الموضوع ، علشان خاطرى .

ومضت "نسرين" ناحية الباب يبدو عليها الموافقة ، فهى فى صراع بين أعز الأشخاص فى حياتها :

– أنا ماشية ، متتأخريش كتير .

قالت "بيتا" وهى سعيدة :

– إلهى ، أنا فداؤك يا أمى ، كنت عارفة إنك أعقل من كده .

* * *

حينما خرجت بيتا من حجرتها ، كانت تسمع صوت خالها المسن بشكل جيد :

– طب ليه بنتك ماجتش يا أختى؟!

– دلوقتى هتيجى يا خويا ، اتفضل ، من ساعة ماجيت لم تضع شيئًا فى فمك .

والتقطت "بيتا" أنفاسها خارج حجرة الاستقبال وأخذت تهندم طية بلوزتها وهى متخوفة ، كان خالها المسن يجلس وراء المدفأة يقشر الخيار، سلمت عليه وهى على مسافة منه ، وحينما رآها الخال وضع كف يده على المائدة المقابلة له وابتسم ابتسامة ذات معنى .

- أهلاً أهلاً بالمهندسة .. تعالى أمام خالك الحبيب علشان يشوفك .

وبينما كانت "بيتا" تتقدم ، كانت تتألم من نظرة خالها ، فهذه النظرة تختلف عن نظيراتها ، وكأنه ينظر إليها نظرة المشترى .

- انظرى إليها، لونها راح، إنتِ مش مجبوره تضغطى على نفسك حبيبة خالك، ما تتعلميش ، هُمَّا يعنى اللى اتعلموا وصلوا لإيه ؟! ليه عذبتى نفسك فى مثل هذا اليوم البارد ؟!

قبَّلت "بيتا" وجهه بفتور ، وقالت :

- أنا بحب التعليم يا خالى الحبيب .

أجلسها الخال بجواره ولف يده حول رقبتها :

- بالتأكيد التعليم بالنسبة للبنت شيء كويس ، لكن لحد معين ، والحمد لله إنتِ مش محتاجة العمل .

لم تكن "بيتا" ترغب فى أن تبدأ المعارضة بتلك السرعة ، لكن حان الوقت كى تبدى فى نبرتها شيئًا من الاعتراض :

- أولاً : ومن وجهة نظرى أنه لا فرق بين البنت والولد .

ثانيًا: هو كل شخص بيتعلم علشان العمل أو الفلوس ؟!

وعندئذ غمزت "نسرين" "بيتا" ، وضحك الخال على عكس رغبته ، وقبَّل "بيتا" أعلى شعرها ، وقال :

- حسنًا ، لنترك هذا الحديث ، أحوالك إيه يا مهندسة ؟

قالت "بيتا" فى فتور :

- أنا كويسة بلطفك يا خالى ، بس أنا مش مهندسة ، أنا بدرس فيزيا .

ضيق الخال من ضمة يده ، ووضع كتفه على رأس بيتا ، وقال :

- إنتِ كده بالنسبة لى يا جميلة .

تمنت "بيتا" ألا يكون لطيفًا معها إلى هذا الحد ، فهو بتلك الطريقة لم يكن يمنحها الفرصة للحديث . وأخذ الخال حبة فاكهة من الطبق المقابل له ، وقال:

- يدى نظيفة ، كُلى .

قالت "بيتا" :

- شكرًا خالى الحبيب ، تفضل أنت .

غمز الخال بعينه ، وقال :

- أختاه ، قشريها ونظفيها .

أخذت "بيتا" برتقالة كبيرة ، ونظرت إلى خالها المسن وهى حائرة ، إنه حتى لم يرفع الطاقية عن رأسه . كان مسحوب الوجه نحيفًا ، ذا وجنتين نحيلتين ، وحاجبين رماديين كثيفين ، وعينين صغيرتين ذابلتين ، هل يُصدق أن تجتمع فيه كل تلك الجاذبية والقوة؟!

كانت "بيتا" تنظر إلى وجهه من الجنب وهو يتحدث إلى أمها ، ربما بسبب هذه الهمة التى لديه تمكن من رئاسة كل هؤلاء العمال والموظفين ، وقام بإدارة مثل هذا المصنع الضخم بمفرده ! كم كان يبدو قويًا رغم هذا الشارب الكثّ الأبيض الذى يتحرك أثناء حديثه . وأطلقت "بيتا" آهة من داخلها ، وطأطأت برأسها ، وجعل الخال يبدى عتابًا بشأن نحافتها :

- يا أختى اتوصى شوية ببنتك ، ده مفيش حته لحم فى جسمها .

قالت "بيتا" بأدب (رغم استيائها لأنها مضطرة إلى تقديم كشف حساب عن جسمها ووزنها) :

- لا تقلق خالى الحبيب ، أنا جسمى متناسب تمامًا مع وزنى طبقًا للمواصفات القياسية.

رد الخال بشىء من الجد :

- أنا رأيى غير كده ، المرأة لازم يكسو جسمها قدر من اللحم؛ حتى تستطيع أن تتولى إدارة الحياة وتتمكن فى الغد من إنجاب أطفال أصحاء . أنا محبش الستات اللى يحرموا نفسهم من الأكل ويقولوا عاملين رچيم . لازم الإنسان ياكل كل اللى يحبه طول ما هو عايش ، ولو سألتينى هقولك كل ما تكونى أكثر سمنة كل ما تفتح جلدك وأصبحت أكثر جمالاً .

- أنا محبش أكون أسمن من كده خالى الحبيب ، أنا ثبتُّ وزنى فى الفترة الأخيرة لأن الوزن الزيادة يؤدى إلى الكسل والخمول ويقلل النشاط الذهنى ، والأسوأ من هذا كله أنه يؤدى إلى قِصر العمر .

- إيه الكلام ده حبيبة خالك ؟ ما شاء الله أمك تدير هذا المنزل الضخم بهذا الوزن ، وليست كسولة أو خاملة !

كانت "بيتا" تعلم أن الاستمرار فى هذا الحوار لن يثمر عن فائدة بسبب تعصب خالها ، لكنها عبرت عما أرادت :

- أنا بتكلم بناءً على الأدلة العلمية خالى الحبيب . فضلاً عن ذلك إنت متعرفش ليه ماما بتعانى من ألم المفاصل وهى فى الخمسين من عمرها ؟

قال الخال فى ثقة وهو يتناول الفاكهة :

- علاج آلام أمك عندى ، بشرط أن تعمل بكلامى ، أنا بالصدفة كنت بتكلم معاها فى الموضوع ده قبل ما تيجى ، لازم تقوم بالحجامة .

واضطرب قلب "بيتا" .

- دم والدتك غليظ يجب أن يُصفى .

- لكن خالى الحبيب لو كان ذلك لازمًا لأوصى به الطبيب .

ضحك الخال بشدة وأسند رأسه على كتفها ، وقال :

– الطبيب ؟ الأطباء أصلاً مرفهين ومدّلعين . فضلاً عن ذلك ، أطباء اليومين دول لا يفهمون شيئًا ، ياخدوا فلوس وبس . أختي ، وحياتك ذهبنا الأسبوع اللى فات إلى الطبيب تحت إلحاح فرشته أخذ ثلاثة آلاف طومان ، وكشف دقيقتين، وبعدين قال : لتأخذ نفس الدوا السابق . قلت له : الدوا السابق ماجبش نتيجة . زعل ، وتعرفى قال إيه ؟ قال : مرض زوجتك يلزمه علاج لفترة طويلة . جيبته وأخذت العيال وخرجت واشتريت لها سيخين كباب . تصدقى ، كانت كالماء على النار ، الدكتور بتاعها كان هيموتها واحدة واحدة ، كان بيقول : مفيش أكل طيور ، ولا كباب ، ولا زبد ، ولا زبادى ، حتى إن "فرشته" انزعجت تمامًا . تعرفى أنا قلتلها إيه؟ قلت : قارنى بين لون وجه أمك دلوقتى ومن نص ساعة .. ياختى المسكينة دى كانت هتقع مننا . مفيش حد يقول للدكتور ده إزاى البنى أدم يعيش بدون أكل ولا كباب ؟ طب يمشى على رجليه إزاى ؟!

– لكن خالى الحبيب يجب أن تحتاط زوجة خالى من السمنة علشان ضغطها المرتفع .

– سمنة إيه ؟ زوجة خالك جلد على عظم ، والطبيب قال عندها سمنة ، بس أنا مش عارف فين السمنة دى ؟ أنا مش شايفها !

– ضغط الدم مالوش علاقة بالوزن ، من الممكن أن تصاب به امرأة أكثر نحافة من زوجة خالى .

– جايز كانت زوجة خالك سمينة فى فترة ما ، لكن دلوقتى مفيش لحم فى جسمها ، آه من السمنة ، أنا مش عارف هى دعتلى أد إيه الليلة دى ، وقد انزعج بابك و"فرشته" تمامًا ، لكننى ألقيت بكيس دوائها بعيداً .

وهزت "بيتا" رأسها تعرب عن أسفها ، وصمتت ، بينما ضحكت "نسرين" قائلة :

– الحمد لله إنها كويسة دلوقتى يا خويا ، أكيد إيدك فيها الشفا .

قال الخال متباهيًا وموجهًا حديثه إلى "بيتا" :

– شايفه ؟ إنتم لسه شباب ، أما احنا فعشنا عمرنا على أدوية الأعشاب دى .

وخرجت "بيتا" من حجرة الاستقبال عند سماع صوت الجرس بحجة فتح الباب، كانت منزعجة بذلك القدر الذى كاد يجعلها تنفجر ، كانت فرشته ، و اضطرب قلب "بيتا" بمجرد سماع صوتها من خلف البراقان وشحب لونها ، وكأن كل دقيقة كانت تمر عليها كانت تقترب فيها أكثر من الحقيقة .

- مين ؟

ردت على أمها التى كانت تمسك صينية الفناجين فى يديها :

- زوجة خالى والباقون .

كان صوتها خافتًا مرتعداً وكأنه كان يخرج من أعماق جُبٍ . وضعت "نسرين" الصينية فى يدها ، وقالت :

- إنتِ اتمسمرتى كده ليه ؟ خدى شيلى الحاجات دى وأنا هروح استقبلهم .

وضعت "بيتا" صينية الفناجين فى المطبخ ، وحينما عادت كانت "فرشته" وزوجة خالها في واجهتها ، كانت "فرشته" تسند أمها من تحت إبطها بصعوبة وتصعد بها السلم . كانت امرأة مسنة شاحبة الوجه ، تلتقط أنفاسها وهى تقدم التحية ، قالت "بيتا" بحرارة وهى تقبلها من وجهها :

- إزيك يا زوجة خالى الحبيبة ، أهلاً بيكِ ، كويس إن السلالم بتاعتنا مش كتير.

فقالت وهى تقبل وجه "نسرين" :

- السلالم دى حجة ، إنما الحقيقة هى أعراض الشيخوخة ، إنتِ أخبارك إيه يا أمى ؟

قالت "بيتا" وهى تقبل وجه "فرشته" :

- العفو يا زوجة خالى ، إنتِ مش باين عليكى سن .

قالت "فرشته" التى كانت فتاة لطيفة تُمتع بحديثها :

- كم أصبحتِ جميلة يا ستى ؟

ضغطت "بيتا" على إبطها ، وقالت :

- عينك إنت اللى بتشوف كويس ، لو كان عندك وقت انظرى لنفسك فى المرآه .

كانت "فرشته" فتاة طويلة القامة ، جميلة ، وقد ساء زمان أبيها وأمها منذ أن ذهبت إلى الجامعة مع كل هؤلاء المتقدمين إليها للخطبة . لدرجة أن والدها كان يسعى لمنعها من الذهاب إلى الجامعة . لا ريب أن أغلبية من كانوا يتقدمون لخطبة "فرشته" كانوا مناسبين ومحترمين ، لكن لما كانت "فرشته" ذات وضع استثنائى وتتمتع بالجمال ، كان يتم رفض معظم هؤلاد الخُطاب من قبل أبيها ، لأنه كان يرغب فى صهر يتناسب وقَدْره ، وكانت المؤهلات الدراسية هى آخر شىء يعطى له أهمية .

وبينما كانت "بيتا" تستقبل "فرشته" وتتحاور معها ، رأت "بابك" وهو يُدخل سيارته إلى فناء المنزل ، وانتاب وجهها حالة من السخونة الغريبة واحمرت وجنتاها ، فقد كان هذا اللقاء هو أول لقاء بينهما بعد خطبته غير المباشرة لها ، كانت "فرشته" تتبع مسير نظراتها بخبث ، فهمست لها قائلة :

- فيه إيه ؟ كأنهم قرروا أن يقطعوا رقبتك ؟!

وضحكت "بيتا" على عكس رغبتها ودعتها للدخول ، وقالت زوجة الخال وهى تخلع عباءتها :

- والله أنا تعبانة أصلاً ، وقلت للأولاد روحوا إنتم وسيبونى أنا فى البيت ..

فردت "نسرين" على الفور :

- هو الجو يبقى حلو من غيرك يا مرات أخويا ؟ اتفضلى أخويا فى حجرة الاستقبال .

قالت "فرشته" وهى تحل أزرار البالطو الشيك الخاص بها :

- ماما عايزة تقعد فى البيت على طول .

كانت "بيتا" تبدو وكأنها تهتم بحديث "فرشته" ، إلا أن الأفكار كانت تتضارب داخلها ، وأخذت بالطو "فرشته" ، وقالت :

- لا تخفى علينا سراً ! إنتِ عارفة منذ متى لم تأتِ إلى هنا ؟

وضعت فرشته يدها حول وسطها ، ونظرت إليها جيداً ، وقالت :

- والله كنت مشغولة بالدراسة والجامعة . ما انتِ عارفة .

كانتا تتعلقان ببعضهما البعض منذ الطفولة ، خاصة أنه لم يكن بينهما فارق في السن أكثر من بضعة شهور ، وبينما كانت "بيتا" تضبط ياقة بلوفر "فرشته" دخل "بابك" المنزل ، وما أن رأته "فرشته" حتى ضغطت على ساعد "بيتا" بقوة ، ثم مضت نحو حجرة الاستقبال بعد أن غمزت لأخيها بغمزات ذات دلالة خاصة . حاولت "بيتا" أن يكون سلوكها عاديًا كالمعتاد ، لكن كان ثمة شيء في بابك لم يسمح لها بذلك .

كان هادئًا ، هادئًا جدًا أكثر من المعتاد ، وقف أمامها وهو يحمل في يده باقة من الزهور الجميلة ، كان ينظر إليها مباشرة نظرات خاصة . و يرتدي بالطو كُحليًا جميلاً فوق بدلته السوداء ، بحيث يبدو قوامه المتناسق على نحو أجمل . كان قميصه الأبيض الحريري ناعم الملمس يجعل لون وجهه أكثر جاذبية، أما شعره الناعم المنسدل من مفرق رأسه والذي كان يلملمه خلف أذنه ، فكان يجعله ذا جاذبية عجيبة . أرادت "بيتا" أن تقول شيئًا ، إلا أنه فاجأها :

- دخلتُ ولم تقومي بتحيتي !

قالت "بيتا" في ارتباك وهي تختلس النظر إلى وجهه :

- أهلاً ... أهلاً ومرحبًا بك .

إنهما نسيا حتى أن يسلما على بعضهما البعض . كان "بابك" بحق رجلاً مرغوبًا فيه وجذابًا . لم تستطع "بيتا" قط أن تأخذ عليه أي نقد ظاهر . قدم باقة الزهور التي كانت في يده إلى "بيتا" ، وقال بصوت خافت :

- أنا ... لا أعلم حقًا مدى انطباع الفتيات تجاه الزهور .

أخذت "بيتا" باقة الزهور من "بابك" بيد مرتعدة واقتربت من وجهه ، وبلغ مشامها عطر أزهار "مريم" . كان "بابك" في الحقيقة يود بذكره تلك الجملة أن يعرفها أنه اشترى الأزهار من أجلها .

- شكرًا يا "بابك" .

هذه هي أصدق جملة قالتها حتى ذلك اليوم إلى "بابك" ، سألها :

- كيف حالك يا "بيتا" ؟

كان فى نبرته شىء مختلف عن العادة ، شىء هز "بيتا" .

- أشكرك . أنا كويسة .

- عاملة إيه فى الدراسة ؟

ابتسمت "بيتا" ، وعندئذ نظر كلاهما إلى الآخر .

- مواظبة عليها . والأمور مش بطالة .

- ألم تضايقك سيارتك مرة أخرى .

- لا ، حقًا ، لم أرك حتى أشكرك عليها .

- أنا معملتش حاجة مهمة ، لو قابلتك مشكلة تانى بلغينى .

ونظرت "بيتا" إلى عينيه الحادتين ، ولم تستطع أن تقول شيئًا .

- أنا مبسوط إنى قدرت أعملك حاجة .

وصمت كلاهما لعدة ثوانى حتى قالت "بيتا" :

- الباقون فى حجرة الاستقبال ، اتفضل .

ولما رأت "بابك" بالشكل الذى توقعته ، قالت :

- هروح أجيب الشاى.

ابتسم "بابك" وأخذ يتأملها فى صمت ، ولكى تخرج "بيتا" من هذا الموقف أسرعت بالتوجه نحو المطبخ .

* * *

حينما دخلت "بيتا" حجرة الاستقبال بصينية الشاى ، وجدت نفسها فجأة فى موقف الخطبة ، خاصة وأن كل الأنظار كانت موجهة إليها ، أما بابك فكان يطأطئ رأسه وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى .

قال الخال بحب :

- سيبيها فوق الترابيزة يا حبيبتى ، لا تتعبى نفسك .

واستمعت "بيتا" التى كانت يداها ترتعدان قليلاً - إلى نصيحة الخال ، ووضعت الصينية فوق الترابيزة المواجهة للضيوف ، وجلست بجوار أمها ، وقال الخال :

- تعالى هنا وأجلسى بجوارى .

نظرت "بيتا" إلى الفوتيه سعة الثلاثة أشخاص ، وكان يجلس عليه الخال و"بابك" ، ثم قالت :

- شكرًا خالى الحبيب ، أُفضل أن أجلس أمامك .

- ليه ؟ هو لو جلستى بجوارى مش هتكونى مرتاحة ؟

- إيه الكلام ده خالى الحبيب ! أنا شايفاك أحسن من هنا ، وعلشان "بابك" كمان يكون مرتاح أكثر .

- تعالى هنا ، "بابك" مرتاح ، تعالى هنا شوية علشان خاطرى يا دلوعة .

وجلست "بيتا" على عكس رغبتها بجوار خالها ، وفكرت :" إنه لمن المضحك أن يجلسوا ملتصقين هكذا رغم وجود تلك المساحة وذلك القدر من السعة ".

وقالت "فرشته" مداعبة :

- بالمناسبة ، إحنا قعدنا بالطريقة دى علشان نكون أكثر ألفة وحباً.

قال بابك الذى لاحظ عدم الراحة لدى "بيتا" :

- لو "بيتا" مش مرتاحة أجلس أنا هناك .

قال الخال :

- يعنى إيه مش مرتاحة ؟ أى معنى لهذه المجاملات التى تقتسمانها ؟

كانت "بيتا" مستاءة بسبب إصرار الخال على وضعها فى مواقف محرجة ، إلا أنها آثرت الصمت .

سألت زوجة الخال :

- ليه ما تجيش جنبى هنا يا "بيتا" ؟

قالت "بيتا" باختصار وبنوع من الفتور :

- أنا فى أى مكان أكون مستظلة بكِ وبخالى الحبيب .

قال الخال :

- تستظلى بنا حقًا يا حلوة !

ثم وجه خطابه إلى زوجته قائلاً :

- إدينى الأمانة ، ده طبعًا بعد إذن أختى .

فقاطعته "نسرين" التى لم تكن تفهم غرضه :

- العفو يا خويا .

وأخرجت زوجة الخال علبة كبيرة ذات لون كحلى من حقيبتها ، وتقدمت "فرشته" لأخذها ، ونظرت "بيتا" فى دهشة إلى أمها ، لقد فاجأتها هى الأخرى . أخذ الخال العلبة من ابنته وفتحها أمام "بيتا" :

- هل أعجبتك حبيبة خالك ؟!

كانت إسورة ذهبية شيك قيمة ، لاشك أن الخال كان يفاجئ "بيتا" دومًا بالهدايا المختلفة ، إلا أن هذه المرة تختلف ، وكانت "بيتا" تتنبه جيداً إلى هذا الأمر، وكأنها فهمت توًا سبب ذلك التنقل ، سألت وهى تنظر إلى الإسورة :

- شكرًا خالى الحبيب ... لكن ، بمناسبة إيه ؟

فى الواقع كانت بيتا تتوقع أن تسمع ردًا تتمكن من خلاله فتح الحديث ، إلا أن رد الخال كان بعيداً عما توقعته :

- هو تقديم الهدايا يحتاج لمناسبة ؟ لو مش عجباكى لومى "فرشته" و"بابك" ، لأنها على ذوقهم .

وأخرجت "بيتا" الإسورة من العلبة ، وهى تقدم الشكر فى دهشة ، فقالت "فرشته" :

- باين كده معجبتش "بيتا" .

فردت "بيتا" على الفور :

- لا لا .. دى جميلة بجد ، لكن ......

قبّل الخال وجهها ، وقال :

- مبروك عليكِ يا حلوة .

ثم وجه حديثه إلى "بابك" قائلاً :

- اغلق محبس الإسورة يا "بابك" .

انزعجت "بيتا" بشكل لفت أنظار الباقين ، كما ظهر الارتباك على "بابك" ، وظهرت قطرات العرق أعلى جبهته ، وتدخلت "نسرين" بقولها ..

- حسنًا ! تسلم إيدك يا خويا ، كم هى جميلة ! تعالى يا "بيتا" ، تعالى أغلق أنا المحبس، إنت دايمًا تكسفها كده يا خويا .

ورغبت "بيتا" فى النهوض ، فمنعها الخال :

- "بابك" هو اللى هيقفله يا اختى ، فى النهاية لازم يبدأ من أى مكان ، والارتباك دلوقتى أفضل من وقت العقد .

ثم وجه حديثه إلى "بيتا" :

- مدى إيدك لخالك ، إنتِ دلوقتى مش غريبة .

كاد أن يأخذ البكاء "بيتا" ، فنظرت إلى أمها إلا أنها كانت منهمكة فى الحديث مع زوجة الخال ، لعلها كانت تفضل أن تتجاهل نظراتها .

نظرت بطرف عينيها إلى "بابك" ، كان على ما يبدو أكثر هدوءًا منها ، اضطرت إلى التقدم قليلاً ، ومدت يدها بالأسورة أمام "بابك" وهى مضطرة ، سألها "بابك" بهدوء وهو يأخذ الأسورة من يدها :

- أقفلها على أى يد ؟

قالت "بيتا" بنفس الهدوء :

- مفيش فرق .

واستغل "بابك" الضوضاء وهمس بجرأة :

– الأفضل أن أقفلها على الاتنين علشان متقدريش تهربى .

اندهشت "بيتا" من هذه الجملة ، فحتى ذلك اليوم لم يحدث بينهما أى حوار خارج حدود السلام والاطمئنان عن الأحوال . وكأنها لم تصدق سماع تلك الجمل على لسان "بابك" . كان يحاول إغلاق محبس الإسورة وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى ، كان لأول مرة خلال تلك الأعوام يلمس يد "بيتا" بيديه . وفى النهاية، حينما أغلق محبس الإسورة ، رجعت "بيتا" إلى الوراء دون أن تكلف نفسها عناء إبداء الشكر ، وقبّل الخال جبهتها وقال :

– تعالى نخرج دلوقتى ، عايز أتكلم معاكى فى أربع كلمات .

قالت "بيتا" – التى كانت ترى نفسها قد انتهت فعلاً – بفتور :

– الخروج ممكن يكون بعد كده خالى الحبيب ! عندى مذاكرة .

مال الخال ، وقال :

– المذاكرة موجودة على طول حبيبتى ، لكن الأيام دى مش هتتكرر تانى.

كانت "بيتا" مستاءة غاضبة ، فقال "بابك" :

– والدى ، سيبها لفرصة تانية ، أنا كمان تعبان بالفعل .

قال الخال فى سذاجة :

– بعدين زى دلوقتى ، إيه الفرق ؟ الشباب كان زمان ، أنا وأمك واحنا زيكم كده كنا بننتهز أى فرصة للخروج ، يجب أن تستمتعوا بحياتكم فى فترة الشباب ، فالغد بعيد .

خاطرت "بيتا" ، وعلى ما يبدو أنها لم تكن تعمل حسابًا لوالدتها ، وقالت:

– بص يا خالى الحبيب ، أنا لازم أتكلم معاك .

– وبالصدفة أنا كمان عايز أتكلم معاكى ، لكن خليه مرة ثانية .

- بس ده كلام مهم جداً يا خالى .

- قلت لك خليه فى وقته .

كان يبدو فى كلامه جاداً بعض الشىء ، فاضطرت بيتا للسكوت ، وقالت "فرشته" مازحة :

- هى العروس راحت تجمع الورد ؟

فهمس الخال فى أذن "بيتا" قائلاً :

- أريد أن أراكِ ولو لعدة دقائق فى وقت آخر .

قالت "بيتا" (التى كانت ترى نفسها أمام أمر واقع) فى غضب لم تسع لإخفائه كى تعبر عن رفضها :

- ما شاء الله ، خالى الحبيب عنده خبرة فى كل حاجة .

ضحك الخال ، وقال :

- بالتأكيد ، لازم أكون الأول دايماً ، مضبوط حبيبة خالك .

* * *

كان الجليد يتساقط بنفس الغزارة ، وكان انقطاعه لبرهة من الصعوبة بمكان ، حيث كان يصل إلى المسامع صوت حبيبات الجليد المتساقطة فوق زجاج السيارة . كانت "بيتا" متأثرة ، غاضبة ، تهرب من النظر إلى "بابك" ، كانت تحاول أن تتظاهر بإنشغالها فى مشاهدة المناظر خارج السيارة ، ولم يحاول "بابك" - الذى كان يلاحظ سلوكها تماماً - مضايقتها ، وظلا صامتين لمدة دنت من العشرين دقيقة ، إلى أن قطع "بابك" حالة الصمت ، وكانت "بيتا" تنظر إليه وجهاً لوجه:

- إنتِ كويسة "بيتا" ؟

كانت نبرته جادة هادئة ، إلا أن "بيتا" كانت متضايقة إلى حد ما ، كانت ترغب فى أن تصرخ ، وبينما كان "بابك" يقود السيارة ، حتى قال لها :

– لقد بلغ بك الضيق إلى حد أننى رأيت من المصلحة أن أدعك وحالك ، أمل فقط ألا تتركى مجالاً لخلافنا .

وقررت "بيتا" ألا تتحدث طالما لم تهدأ ، إلا أنها لم تستطع ، فكان غضبها أشد من أن تتمكن من السيطرة عليه ، فقالت :

– هل من المهم بالنسبة لشخص ما أن يعرف ماذا أفعل أو بمَ أشعر ؟

نظر "بابك" إليها فى هدوء ، وابتسم قائلاً :

– واضح من نبرتك أنك غاضبة من أبى !

– غاضبة ؟! ألا تعتقد أنك اخترت لفظًا بسيطًا للتعبير عن إحساسى ؟

إن خالى يتصور أننى عديمة العقل والإحساس ، والأسوأ من هذا أنه يفكر فى عدم أحقيتى فى إبداء رأى فى مستقبلى ، يريد دومًا أن يفرض كلامه ، ولا اعتراض لشخص على هذا الأمر . إنه لشىء مضحك ، لكننى مؤخرًا أخاف من مواجهته ، فأنا لا أستطيع أن أخمن هذه المرة أى منام رآه لى !

جعلت "بيتا" تتحدث عما فى ذهنها ، دون توقف ، بشىء من العصبية ، بينما كان "بابك" يقود السيارة فى صمت ..

– ربما ليس مهمًا بالنسبة لك بمن تتزوج ، لكنه مهم بالنسبة لى ! إننى أرغب فى الزواج من شخص يختارنى بمحض إرادته ، وليس ممن يريد الحفاظ على مصالح أبيه. ولا شك أن هذا لا يعنى أننى لا أكن الاحترام لخالى ، ولو كان هذا قصدى ، فما أكثر ما كنت قمت به ، لأن عدد المرات التى فرض علىَّ فيها آراءه عنوة كانت كثيرة جدًا لدرجة أننى لا أعرف عددها بدقة .

نظر "بابك" إلى "بيتا" بنظرة ذات دلالة خاصة وظل فى صمته ، قالت بيتا بشىء من الصدق ، بعد أن هدأت قليلاً :

– أريد أن تصدقنى فى أننى أحب خالى بشدة ومن صميم قلبى ، وإذا كنت لا أعارضه على المكشوف فهذا لا يعنى أننى لا أستطيع ولكننى لا أرغب فى أن أكون سببًا فى ضيقه ، وهذا جزء من تعاستى وسوء حظى !

وقف بابك بسيارته بجوار الرصيف ، ورفع فرامل اليد ، والتفتت بيتا ونظرت إليه مباشرة ، فقال لها :

- والآن جاء الدور عليّ .

كانت نبرته مزيجًا من السخرية والكناية لدرجة أثارت تعجب بيتا ، فضحك بابك وقال :

- استمعت إليكِ لأكثر من عشر دقائق ، ولا أعلم إن كان حديثك صائبًا أم لا ، فرأى كل شخص ذو قيمة لديه !

أرادت بيتا أن تقول شيئًا ، فبدأ بابك ثانية ، وكانت ملامحه جادة بعض الشىء على عكس الرقة فى حديثه :

- أحاول أن أتغاضى عن أظهار رأيك المتسرع ومن طرف واحد بشأنى ، لكن ألا تتصورى أنكِ مخطأة فيما يتعلق بوالدى ؟!

- على الإطلاق ، لأن خالى يتوهم أننى ، لا أملك إحساسًا ولو بحجم إحساس الطائر الصغير.

ضحك بابك وهو ينظر إليها ، فسألته بيتا فى عصبية :

- ممكن تقول بتضحك ليه ؟!

- ممكن تسمعينى وإنتِ ساكتة مثلما سمعتك منذ دقائق ؟!

حاولت بيتا أن تتسم بالهدوء رغم غضبها بسبب فتور بابك ، وقال لها :

- ما من شك أن الوالد قد أخطأ فى عدم سؤالك عن رأيك ، لكن هو فيه حاجة حصلت؟

أرادت بيتا أن تعترض لكن بابك منعها بإشارة من يده واستطرد فى حديثه قائلاً:

- هو عاش عمره سواء بشكل صائب أم خطأ ، لكن إنتِ متعرفيهوش كويس لإنك ما كنتيش موجودة أيام وجوده مع الجد . لقد كان ابنًا بارًا ونعم الخَلَف له ، لم يتفوه بكلمة أمامه طوال حياته ، وحتى فى تلك الفترة التى كان مشلولاً فيها !

لم تفهم بيتا غرضه ، رغم ذلك ظلت فى صمتها لأن بابك كان يبدى شيئًا من الجدية فى حديثه :

- لا أعلم ، ربما كان سلوك الجد خطأ أيضًا ، لكن كل شىء انتقل إلى أبى ، وهو الآن يريد منا فى مقابل كل هذه المشقة وذلك التعب أن نكون أبناء مطيعين منقادين له نحترم رغباته ! وسعادته تتم بمثل هذه البساطة ، لا أرى فى نفسى القدرة على مخالفته .

- لكن استنى ، أنا مش واحدة من أبنائه .

- احنا اتفقنا تسمعينى عدة دقائق !

تراجعت بيتا وصمتت على عكس إرادتها .

- صدقينى ، كثيرًا ما أجد أبى على خطأ ، إلاأننى لا أعترض احترامًا له ، ولا شك أن هذا لا يعنى أننى أصم أذنى عن أعماله ، فكل شخص فى النهاية له منطق وعقل وشعور خاص به .

قالت بيتا بعد أن نفذ صبرها : -

- لكنك بتعمل كده دايمًا ، وده اللى عملته النهاردة بالضبط .

- بيتا ، أرجوكِ ، أنتِ تعلمين أكثر من أى شخص آخر أن والدى يكن لكِ الحب أكثر منا لأسباب كثيرة .

- إنت متعرفش إن حب خالى زى القيد بالنسبة لى ؟

- بيتا ، لا يصح أن تتحدثى هكذا ظلمًا عن أبى ، إنه يشعر بالمسئولية تجاهك ، بالضبط مثل أى أب !

- آسفة بابك ، أبوكِ هو خالى ، يعنى أنا مش محتاجة توصينى عليه ، أنا عرفاه زى ما أنت عرفه بالضبط .

- دى مش توصيات يا بيتا ، إنتِ نفسك عارفة أكثر من كده .

- واضح وضوح النهار أن الخال يخطئ ! إنه لا يستطيع أن يفهم أهمية رأيى ! وإنت كمان مخطئ ، لإنك تصمت إزاء هذا القرار المهم !

- إنتِ متضايقة علشان اللى حصل الليلة ؟

- إنت أصلاً كنت ساكت ، وخالي هو اللى عمال يخطط علشان تخرج من البيت فى التلج ده، فى حين إنك كنت فاهم تماماً إنى مش موافقة .

- صحيح ، أنا منكرش ، لكنى كنت بحاول ألاقى فرصة منذ فترة علشان أختلى بكِ.

التفتت بيتا إليه فى دهشة ، وتملكتها الحيرة من صراحته ، وكان بابك لا يزال ينظر إليها بنظرة مشتاقة ، نظرة حملت شيئًا جعلها ترتعد ، شىء جديد ، دافئ بذلك القدر الذى جعلها تشعر برطوبة العرق على وجهها فى مثل هذا الطقس البارد .

- أسف ، أعتقد إنى اتكلمت دون مقدمات !

كانت بيتا تعلم أنها يجب أن تقول شيئًا ، إلا أن لسانها قد انعقد ، وجعلت تفرك أصابع يدها ، وتراجعت إلى الخلف وكأنها كانت تسمع صوت بابك فى منام .

- أنتِ تخطئين فى حقى يا بيتا ! إن المرأة التى أتزوجها من الأمور المهمة بالنسبة لى ، فأنا فى النهاية شخص ذو إحساس ، ولست ذلك الشخص الذى يتزوج لمجرد الحفاظ على مصالح أبيه! لا أعلم كيف ولم استقر هذا التصور الخاطئ فى ذهنك ؟ لكننى أريد أن تعلمى أننى مستعد للقيام بأى شىء لمحو مثل هذا التصور ، لعلنى كنت السبب فيه ؟! والأمر الأخير ، ربما لم أستطع أن أجعلك تشعرين بأى إحساس لدى نحوك لأنكِ كنتِ دومًا بذلك القدر من الجدية والفتور ، فلم أسمح لنفسى حتى بمجرد التفكير فيكِ .

وشعرت بيتا أنها تريد التقاط أنفاسها ، هل هذا هو بابك الذى تحدث بمثل هذا الافتتان ؟!

- صدقينى ، حينما رشحك أبى وأمى لى كنت راغبًا فى ذلك ، إنهما فى الحقيقة كانا يتحدثان بلسان حال قلبى ، لا أعلم ما الذى كان وراء اختيارهما ؟ لكن أيًا كان

الأمر فقد توصلا إلى مُنى القلب ، ربما كان يجب عليّ أن أبادر بنفسي بالحديث إليك ، لكن صدقيني ، أنتِ السبب في كونه لم يتم .

نظرت بيتا إليه ، كان هادئًا ، يتسم حديثه بالصدق ، كأنه كان يقرأ متنًا قد أعده من قبل .

– بيتا ، لا أعلم منذ متى ، ولكنني أحبك منذ أعوام طوال ، ولم أفكر قط في فتاة أخرى غيرك، هذه هي أصدق جملة يمكن أن أبوح بها للإفصاح عن مشاعري الحقيقية .

سألته بيتا بصوت مرتعد بينما تحاول أن تبدو طبيعية متماسكة :

– الليلة ، ليلة الاعتراف ؟

– أية ليلة أجمل من هذه الليلة ؟!

– أنت حقًا رجل يستطيع أن يتحكم في نفسه !

– هذا ليس مهمًا ! المهم أنني استطعت في النهاية أن أبوح لكِ بإحساسي الحقيقي ، صدقيني، لو لم يخطبوكِ لي ، لا أعرف ما الذي كان سوف يحدث لي .

قالت بيتا وهي تلعب في أصابعها :

– أنا في الحقيقة ما كنتش أعرف !

قال بابك مبتسمًا :

– لفرط حساسية أبي تجاهك لم تكن لديّ الجرأة في ذكر اسمك أمامه، كنت أخشى ألا يعتبرني جديرًا بك ، كان متعصبًا لكِ كالأب تمامًا .

ضحكت بيتا في رقة ، واستطرد قائلاً :

– لكن دلوقتي لازم اتكلم ، أنا مش عايزك تفتكري إني خطبتك فقط تحقيقًا لرغبة والدي ، صدقيني ، أنا فكرت كام مرة ألفت نظرك ناحيتي لكنني فشلت ، كنت أخطط طوال الليل في الشيء الذي يجب أن أفعله ، لكن كل شيء ينمحي من ذاكرتي بمجرد رؤياك أمامي . لمَ تنظرين إليّ هكذا ؟ الذنب ذنبك أنتِ ، إنتِ كنتِ جادة

لدرجة أننى كنت أخشى أن يتواجه الصخر مع الثلج ، ولعلنى لا أستطيع الآن أيضًا أن أبوح بما فى قلبى بالشكل الذى ينبغى ، فهذه هى أول مرة أفصح فيها لفتاة بأننى أحبها وأنها موضع اهتمامى .

نظرت بيتا إليه ، كان البريق يشع من عينيه ، وقالت :

– لم أتخيل أن هذا الإحساس كان موجودًا لديك . كل ما لديك هو تعودك على وجودى فى حياتك ، لقد عشنا معًا لأعوام طوال !

– لأ ، الموضوع مش كده ، أنا فكرت فيه كتير ، ولو كان صح فما أجملها من عادة ، إنتِ عارفة ، أنا لو لم أحبك لهذه الدرجة كان زمانى اتجوزت من زمان وفقًا لرغبة أمى ، وكان زمان عندى ابن أو اتنين .. لا يا بيتا ، ده مش تعود ، جايز متصدقيش ، لكن فى أى وقت كانوا بيتكلموا عنك فى البيت كنت ألاقى نفسى بشكل لا إرادى عايز أعرف إيه اللى بيقولوه ! دايمًا أسعد لسعادتك ، وأتألم لألمك . إنتِ فاكرة السنة اللى فاتت ؟ لما انكسرت رجلك؟ كنت أتألم وأنا أقف خلف باب الطبيب وأنا أستمع لصراخك ، كنت مستاءً لدرجة أننى أردت قتل الطبيب اللى كان سببًا فى ألمك وهو يعالج رجلك .

واحتقن وجه بيتا ، ثم قالت :

– لست مجبرًا على الإفصاح لى بأسرار قلبك ، لأنك لم تسمع ردى حتى الآن!

– لمَ مجبر ؟!

كانت نبرته حاسمة ومحددة بذلك القدر الذى ارتعد له قلب بيتا ، وقال:

– لأننى بنيت حياتى وأنا أفكر فيكِ ؟! بيتا ، لقد فهمت مؤخرًا أى موت كان لى ، صدقينى لقد تحاورت كثيرًا مع نفسى كى أفهم ما الشىء الذى يجذبنى إليك رغم كل هذا الفتور والكبرياء الذى تبدينه ، كنت تردين على سلامى ببرود ، لم تجعلينى مثار حديثك ، أحيانًا كنتِ تتعمدين تجاهلى ، كنتِ تضحكين ، وتسيرين، وتتحدثين وتمزحين مع الآخرين وأنا أذوب فى نفسى . أتذكر أننى قررت ذات مرة أن أتحدث معك ، فى ذلك اليوم خرجت أمى وعمتى ، وكنت أعلم أنك فى المنزل بمفردك ، فخاطرت واتصلت بكِ !

– فى اليوم اللى سألتنى فيه عن "فرشته" ؟!

– بالضبط ، كانت "فرشته" عند إحدى صديقاتها ، ورغم علمى بمكانها اتصلت بكِ ، لكننى لا أعلم أى سبب جعلنى لا أرى الظروف مناسبة للحديث ؟!

– كنت قد رسبت فى إحدى المواد ، علشان كده أنا فاكرة اليوم ده كويس ، بس أنا إزاى ماخدتش بالى ، إننى غير فطنة !

– فيه مواقف كتير حصلت وإنتِ ماختيش بالك ، كموقف الولد اللى كان بيعاكسك من فترة.

– أنا مش فاكرة إنى قلت الموضوع ده لحد غير فرشته ، إنت عرفته إزاى ؟

– لازم تعشقى علشان تفهمى مشاعرى ! فى يوم رجعت البيت فجأة وكانت فرشته بتتكلم فى الموضوع ده مع إحدى صديقاتها فى التليفون .

– فى الحقيقة ، لو الواحد عايز يحافظ على أسراره لازم يقولها لفرشته !!

– فرشته ماخدتش بالها فى اليوم ده من وجودى ، وأنا ماكنتش بتصنت ، لكن كان فضول كالعادة ، ولما سمعت اسمك ، وعرفت الموضوع ، ظللت أراقبك لمدة يومين.

– أنا ما خدتش بالى .

– بالضبط ، كانت سيارتك فى الأيام دى فى الورشة بتتصلح وكنتِ بتروحى ماشية ، ولما عرفت هو مين الولد ده ، استشطت غضبًا ولم أعرف ما الذى حدث بعدها ؟

– اتخانقت معاه ؟

– امال إنتِ فاكرة راسى اتكسرت ليه ؟

– بس إنت قلت من فرملة فجائية !

– هو لازم يعرفوا إنى اتخانقت مع واحد علشان خاطرك ؟

– اعتقد إن أنا مدانة ليك بالشكر ، واعتقد إن الولد ده مظهرش تانى .

– ظللت أراقبك ليومين آخرين ، كنت عايز أطمئن عليكِ وأتأكد إنه لن يعاكسك مرة تانية !

- بجد ، أنا أسفة للى حصل لراسك بسببى !

- مش مهم . على كل حال ، كان لازم حد يوقفه عند حده .

صمتت بيتا ، وكأنها كانت تلوم نفسها على ما كانت تفكر فيه من قبل، وما كانت تراه ، إنها لم تكن تعرف هذا الوجه قط لبابك قبل تلك الليلة ، ولم تتحرك مشاعرها قط فى تعاملها معه ، لكن الوضع مختلف الآن ، لقد رفع بابك رغم كل ما به من كبرياء ستاراً من الأسرار لم تكن تتخيله من قبل ..

- بيتا ، انظرى إلىّ !

فنظرت إلى وجهه وهى حائرة .

- أعدكِ أن أقوم بإسعادك .

- تريد أن أفصح لك عن مشاعرى ؟

- لو كان هكذا لما بقيت متماسكًا حتى اليوم ، بيتا ، أنا أريدك أنت ، وأرغب أن يكون الرد الذى أسمعه هو رد قلبك !

- إذن اعطنى فرصة ، لازم أفكر ، إنت بجد أفسدت كل أفكارى وحساباتى .

- هذا حق أكيد لكِ .

- انظر ! بابك ، إنت إنسان متعلم ومثقف ، وبالتأكيد إنت بتمنحنى الحق ده علشان السبب ده ..

- تمامًا !

- أنا مش عايزاك تعتقد .. أقول إيه ؟! إنى بعمل دعاية لنفسى !

- على الإطلاق !

- فى الحقيقة إنت تجاهلتنى ، علشان كده عايزة أفكر بينى وبين نفسى بعيداً عن الجميع .

- فى رأيىّ هو ده الصواب !

- أتمنى إن خالى ما يحاولش خلال الفترة دى أن يؤثر على تفكيرى بهداياه الكثيرة التى يقدمها لى على نفقته .

- هى دى أول مرة تلخدى هدية من والدى ؟!

- بس الظروف مختلفة دلوقتى ، وإنت عارف كده .

- لو مش هيضايقك أحاول أوضح له الصورة ، وكل اللى بتمناه إن الفترة متطولش ، أنا صبرى نفذ .

- أنت إنسان عقلانى ومتفهم !

ابتسم بابك ، وقال :

- دى حاجة بسيطة يا ستى .

ابتسمت بيتا أيضًا . إنها لم تكن تعلم حتى ذلك اليوم أن الاتفاق على الارتباط ببابك كان سهلاً ومريحًا إلى هذا الحد بالضبط كحمام دافئ بعد إرهاق مفرط .

وضعت بيتا المفتاح فى الباب بهدوء وهى حائرة ، دخلت المنزل وشعرت وكأنها كانت ترى ما حدث فى منام ، كان كلام بابك واعترافاته لها يهز كيانها ، كانت مضطربة ، يخفق قلبها ، لم تكن عيناها تنتبه لشىء ، لم تسيطر على جسدها ، كانت كالدمية التى تم ملؤها ؛ فإذا بها تتحرك حسب العادة، عبرت الطرقة ، توجهت إلى حجرتها ، كانت تحمل حقيبتها الضخمة فوق كتفها بينما تتردد كلمات بابك فى خاطرها ، رغبت فى عدم مقابلة أمها لأنها لم تكن فى حالة تتحمل فيها النقاش ، كانت رأسها خفيفة وكأنها تطير فوق السحاب ، ومرة أخرى ارتسمت صورة بابك أمامها ، وأصاب قلبها شئ ما. إنها حتى لم تفهم كيف لم ترد عليه بالنفى وطالبته بمهلة للتفكير ؟! أغلقت بيدها باب حجرتها ، وأضاءت المصباح ، ومع وهلة الضوء الأولى نظرت إلى نفسها فى المرآه ، كان لونها مخطوفًا ، لا روح فى عينيها . حمدت الله أنها لم تقابل أمها حتى لا تسألها سؤالها المستعصى . كان وجهها يعتريه حالة ما وكأن أسرار قلبها قد ارتسمت عليه ، وضعت حقيبتها على السرير ووقفت أمام النافذة . مازال الجليد يتساقط ، تملكها إحساس غريب ، كيف لم تنتبه إليه حتى ذلك اليوم ؟ كان هذا

السؤال يجول بخاطرها كأمواج البحر ويمنحها المتعة. فى الحقيقة ، أرضت اعترافات بابك غرورها كأنثى ، وساهمت فى إعادة النظر فى أفكارها ، وأفاقت من حالتها على صوت أمها من الخلف :

- إنتِ دلوقتى مش موافقة ! طب لو كنتِ موافقة كنتِ هتيجى إمتى ؟ الساعة قربت على ١٢ .

قالت بيتا بصوت مرتعد وظهرها إلى نسرين :

- سلام ماما ! إنتِ لسه صاحية ؟!

قالت نسرين بخبث :

- متغيريش الموضوع ، جيتى متأخرة كده ليه ؟

- الشوارع كانت زحمة ، هو خالى والناس التانيين فين ؟

- روحوا من ساعة ، كانوا مستنيين ، ولما ما جيتوش ، اضطروا ياخدوا سيارة من مكتب تأجير السيارات .

ثم قالت بنبرة ذات دلالة خاصة :

- أنا قلت جايز هييجوا البيت على العشا !

التفتت بيتا ناحية أمها وهى تسير بلا هدف حاملة حقيبتها :

- بابك أصر على تناول العشاء بالخارج ، فانكسفت !

- يعنى انشغلتِ لدرجة إنك مقدرتيش تتصلى بالتليفون ؟!

صمتت بيتا وطأطأت رأسها .

- ليه بابك مجاش معاكى هنا ؟

كانت بيتا تحاول أن تظهر جديتها وتماسكها وهى ترتدى ملابسها :

- قال إن الوقت متأخر ، وبيعتذر لك ، هو فيه إيه ؟ هو كان من المفروض إنه يكون بالليل هنا كمان ؟!

أمسكت نسرين يدها وجذبتها ناحيتها :

- استنى يا بنى أدمه ، إنتِ بتلعبى بىّ؟

وتلعثمت بيتا ، لم يكن لديها القدرة على النظر فى عين أمها ، تلك العيون التى كانت تخدعها دومًا ، ثم قالت :

- لعب ؟ تقصدى إيه ؟!

سألتها نسرين على الفور :

- حسنًا ، إيه اللى حصل ، ماذا قلتِ له ؟

- هو كان مفروض أقول إيه ؟ نفس الكلام اللى قلته لكِ !

- يعنى كل الوقت ده كنتِ بتقولى له الكلام ده ؟

مضت بيتا ناحية الكوميدينو ، وقالت :

- ماما ، أرجوكِ ، أنا تعبانة !

- تعبانة ولاّ متخانقة ؟!

واندهشت بيتا ، وكانت تعطى ظهرها لأمها إلا أنها حاولت التماسك .

- كنت عارفة إنكم لو اتكلمتم مع بعض هتتفاهموا .

- لغاية دلوقتى مفيش حاجة يا أمى ، بالله عليكى متتعبيش نفسك .

مضت نسرين تجاهها بدلال النساء :

- إن شاء الله تكونى بخير ، طالما شوفتك فأنا فهمت .

واضطرب قلب بيتا ، أيعنى هذا أن بابك قد فهم ؟ فسألت مضطربة :

- هو أنا قبل كده كنت إزاى ؟

- أبدًا ، كنتِ خارجة وكأنك بالعة عصا .

- أنا بقول لك تانى ، مفيش حاجة واضحة لغاية دلوقتى !

والنفجرت نسرين فى الضحك ، وقالت :

- بنتى الحبيبة ، إنتِ بتشوفى الشّعر ، وأنا بشوف تموجاته .

- يعنى إيه ؟ تقصدى إيه ؟

- أنا قانعة بكده ، وزمان قالوا : إن الفرج بين هذا العمود وذاك (*) ؟

التفتت بيتا إليها فى ضيق ، وقالت :

- أمى الحبيبة ، أرجو ألا تجعلى من الأمر الصغير أمرًا كبيرًا ، أنا وبابك قررنا التفكير.

خرجت نسرين وملامح السعادة تبدو على وجهها ، وفكرت بيتا أنها تواجه معادلة لا حل لها.

(*) از ين ستون به أن ستون فرجه : مثل فارس يعنى أن الفرج بين هذا العمود وذاك ، للدلالة على قرب انتهاء الأزمة ، ويقابله فى العربية «ما ضاقت إلا وفرجت» .

(٤)

ظلت بيتا لمدة أسبوع فى حيرة من أمرها . كانت تعلم أنها يجب أن تتخذ قراراً حكيمًا بعيداً عن المشاعر وبدون الأخذ فى الاعتبار ما حدث فى تلك الليلة ، إن محاولة استرجاعه كان من العذوبة بالقدر الذى كان يجعلها تتذكره بشكل لا إرادى وهى تختلى بنفسها ، وفى كل مرة تقع تحت تأثير إثارة ممتعة .

كان بابك رجلاً جذابًا متكاملاً ، ولم تشك بيتا فى هذه الحقيقة ، لكن المشكلة أن تصوره كشريك لحياتها كان من الصعوبة بمكان عليها ، خاصة أنها كانت تعتقد - قبل تلك الليلة - إنه خضع للزواج منها تحت إصرار أبيه وأمه ، وبعد ذلك أصبحت الحقيقة كالنهار الساطع فجأة! كان بابك يعشقها ، وهى الآن فى حال لا يمكن تصديقه !

بابك ! ابن صاحب المصنع المليونير ، الذى يفاخر الزمان والمكان به، ها هو يركع أمامها . وحينما كانت تصل إلى هذه النقطة كان يتملكها الضحك والدهشة ، كيف لم تنتبه إلى أى شىء حتى ذلك اليوم ؟

وفى هذه الحالة لم تترك نسرين الفرصة تضيع ، إذ كانت تسعى بطرق مباشرة وغير مباشرة لحثها على قبول عرضها ، كانت تلتمس الحجج المختلفة لتجذب أطراف الحديث نحو بابك ، وتسعى للتأثير عليها بالحديث عن السمات الإيجابية فى أخلاقه . وبيتا - التى كانت تعلم ذلك جيداً - كانت تدرك أن مشورة والدتها التى توافق على هذه الزيجة بنسبة ١٠٠٪ ستكون بلا طائل .

كانت تحتاج فى تلك الأيام إلى الحديث مع أى شخص ، لقد نفذ صبرها ، وصارت قليلة الكلام ، لم تكن تستطيع أن تركز فكرها فى شىء محدد . كانت كالأطفال الذين يتذرعون بالحجج ، وتندهش : " لمَ ترغب فى رؤيته أكثر من ذى قبل على الرغم مما طالبته به ؟! " كانت تطير من مكانها عند سماعها صوت جرس الباب على أمل أن

يكون بابك ، كانت تنظر من خلف النافذة على الفناء وقدماها ترتعدان ثم تلوم نفسها بعد ذلك لإقدامها على مثل هذه التصرفات . إنها لم تكن ترغب فى بابك فى أى وقت قط على هذا النحو الذى هى عليه الآن!!

كانت مريم أقرب صديقاتها تلاحظ جيداً ما طرأ عليها من تغيير فى سلوكها وطباعها . وذات يوم ، أثناء عودتهما من الجامعة إلى المنزل ، ومع فتح المجال للحديث، وجدت مريم الفرصة - التى كانت تقتفى بيتا أثرها منذ فترة - مواتية للحديث :

- هتيجى النهاردة ، ولا لأ ؟

سألت بيتا فى دهشة :

- النهاردة ! هو فيه إيه النهارده ؟!

- صحى النوم ، إنتِ لسة بتسألى فيه إيه ؟ احنا متفقين من إسبوعين فاتوا .

- آه ، خطوبة أخو لادن ، مريم حبيبتى ، أنا مش هقدر أحضر حفل عرسه .

- يعنى إيه ؟ إنتِ قلتى هاجى ، هتقولى إيه للادن؟

- هعتذر لها فى التليفون ، صدقينى مريم حبيبتى ، أنا تعبانة جداً .

- ماشى ، بس أشوف فيه إيه ؟ هى سفنك غرقت فى المحيط ؟ لو أنا مش غلطانة؛ حاجة سر ؟!

- ابتديتى تانى ، إنتِ متقدريش تسكتى أبداً !

- الموت لكِ ، أصبحت تصرفاتك زى العجوز اللى عمرها سبعين سنة ! أخدتِ ركن فى الفصل ، ونعستى ...

- ربما علشان الجو كان برد ؟!

- لو كنتِ عرضت الموضوع كويس كنت افتكرت حاجات تانية ! لكن على الأقل أنا متأكدة إن ماكنش فيه قدرة وحيوية !!

ضحكت بيتا ، وقالت :

- ماذا يدريكِ ؟ بيقولوا ما تخفش من اللى بيتكلم كتير ...

قالت مريم :

– لا يا ماما ، أنا عرفاكِ ! إنتِ بعيدة عن أى أخطار ، الأستاذ مهدوى المسكين أشار مائة مرة بالضوء الأخضر ، وفى الآخر جه لحد عندك ، لكنك ...

قالت بيتا وهى تضحك :

– غورى كده ! إنتِ فهمتى إشاراته ، وأنا لأ ؟

– بجد ما فهمتيش ؟ أنا هبتدى أشك فيكِ .

– لا والله ، إنتِ بتاخدى بالك كويس أوى ، أنا ماكنتش فاهمة أى حاجة قبل الأستاذ ما يتكلم .

– لإنك بلهاء وساذجة ! لو كنتِ فتحتى عينك كنتِ شوفتى ، حقيقى إنتِ فعلاً إنسانة عديمة الذوق علشان تردى عليه بالرفض .

– إنتم ليه شاغلين نفسكم بيا ؟! هو مفيش بنت تانية فى الجامعة دى ، الأستاذ مهدوى مهتم بىَّ ؟!

– زمان قالوا : يجب أن يأتى العلف إلى فم العنزة الجميلة . ومن وجهة نظرى فيه بنات كتير لكن بالنسبة للأستاذ مهدوى المسكين مفيش غير واحدة بس، هى بيتا سپهرى .

– بالله عليكِ يا مريم كفاية ، الموضوع انتهى وراح لحاله . إنتِ مش هتبطلى ؟

– لو أنا بطلت الأولاد مش هيبطلوا ، إنتِ ناسية إيه اللى قاله أحد الأولاد الأسبوع اللى فات ؟

– إنتِ شوفتى إن الأستاذ ما سمعش حاجة . إنتِ بتكبرى الموضوع .

– شوية شوية هيوصل لنتيجة ، وهى إن إنتِ اللى بتدفعيه للطريق ده . كم أنك شقية؟ واحنا دلوقتى اللى بقينا فينا حاجة غريبة ؟

– تقصدى إيه ؟

– إنتِ عارفة قصدى كويس ، وواضح من تصرفاتك وحركاتك

- هو إيه يعني اللى عاملته ؟ هو أنا ماليش حق أتعب ؟

- إنتِ عارفة إن التعب ده حجة ، أنا واخده بالى منك طول الوقت .

ضحكت بيتا ، لقد وقعت معظم الوقت فى شباك مريم ولم تجد طريقًا للهروب.

- والله إنتِ بالك طويل ، كان لازم تشتغلى مخبر .

- متغيريش الموضوع ، احكى لى علشان أشوف إيه اللى حصل ؟ هى أمك شافتلك رؤية تانية ؟!

- لا يا مسكينة .

- طب إيه اللى حصل ؟

وقصت بيتا ما حدث أثناء لقائها ببابك تفصيليًا ، ثم أفصحت عن الإحساس الذى شعرت به تجاهه . وأصغت مريم إليها فى صمت .

- صدقينى يا مريم ، أنا وقعت فى الحب ، أنا ما حسيتش بالإحساس ده تجاه بابك أبدًا ، لكن لما اتكلمنا مع بعض كأنى كنت بشوفه لأول مرة . تعرفى ؟ أنا ما كنتش مهتمة به ، ودلوقتى خايفة يكون إحساسى ده نتيجة كلامه المفاجئ المثير ، أنا عايزة أكون واقعية بس مش قادرة ، لإنى للأسف إنسانة حساسة وبتأثر بسرعة ، لما بفتكر كلامه وطريقته قلبى بيدق بشدة ...

قالت مريم بجدية :

- مفيش داعى تشرحى نقطة ضعفك بالتفصيل ، أنا مش قديسة .

ضحكت بيتا وقالت :

- علشان خاطر ربنا ، خليكِ جد شوية .

- أنا جد ، بس إنتِ خدتى الموضوع جد أكثر من اللازم ، ليه بتفكرى بالشكل ده ؟ حقيقى الزواج شىء مهم فى حياة كل إنسان ، لكن مفيش داعى لكل الحساسية دى . ارجعى لقلبك وتأكدى إنه مش هيكدب عليكِ أبدًا .

- هي دي المشكلة ، إني مش عارفة أنا عايزة إيه .

- مش كويس أبداً متعرفيش إنتِ عايزة إيه من الحياة ، بيتا ، أنا بتكلم جد ، اللي حكيتيه ليّ ده ما تحكيهوش لحد تاني .

- إنتِ بتخوفيني يا بنت !

- جايز من الأفضل إنك تخافي علشان تقدري تحددي مستقبلك ، هي ثقتك بنفسك دي هتوصلك لحد فين ؟ أنا ما تخيلتش إنك ضعيفة وجبانة للدرجة دي !

- أنا مش جبانة يا مريم ، أنا بس حذرة .

- في أوقات كتير الحذر الشديد يؤدي إلى كارثة ، لازم تبعدي الخوف ده عنك ، بابك أفضل منك ، هو صارحك وإنتِ محتارة في أمره ، إنتِ مش عارفة إن الموضوع ده مش سهل بالنسبة للرجالة اللي عندهم كبرياء .

- لكن على أي حال هوّ كان لازم يتكلم ، علشان أفهم .

- لا ، كان يقدر يكتم كلامه في صدره ، وإنتِ كنتِ هتفهمي منين ؟ وخالك ومراته سهلوا الموضوع عليه لما رشحوكِ ليه ، هوّ بيحبك يا بيتا ، وربما أكثر مما تتخيلين.

- من و جهة نظرك ، إيه اللي لازم أعمله ؟

- زي ما قلت لك قبل كده ، وافقي ، إنتِ إمتى هتردي عليه ؟

- أنا محددتش يوم معين ، كل ما كان أبعد كل ما كان أفضل ، علشان يكون عندي فرصة أكبر أحكم فيها على نفسي . أنا ما حبش أرتبك وأنا معاه .

- لا ، ده أنتِ وقعتِ في الحب على آخرك !

قالت بيتا وهي تبتسم :

- صدقيني ، أنا محتارة فعلاً . أنا حتى مش قادرة أفكر .

- إنتِ حيرتيني أنا كمان، من أسبوعين قلتي كلام ، ودلوقتي بتقولي إنك مترددة، والله الواحد مش عارف إيه اللي في دماغك !

واقتربت منها أكثر وقالت وهى تمزح :

- أنا بقول إن الجمال ممكن يثير المشاكل ويخلى الإنسان مضطر.

وتملك بيتا الضحك ، فقد كانت مريم كقطعة من الجمر ، وقالت :

- غورى كده يا ستى ، طيب لازم تكونى إنتِ كمان مضطرة.

- لا ، الحمد لله ، احتمال ربناعارف إنى عديمة الصبر والطاقة فضن به علىّ !

عادت بيتا إليها ، وأمعنت النظر فيها ، كانت النقاط السوداء الصغيرة على وجنتها وأنفها تمنح وجهها شكلاً طفولياً . كانت أهدابها وحاجباها يميلان إلى اللون القرمزى تحت شعاع الشمس . ربما لم تكن جميلة ، إلا أنها كانت تتمتع بجاذبية خاصة . كانت فتاة مرحة على خلق ، وبسبب حسن خلقها التفت حولها صديقات لا حصر لهن . تصعدت من بيتا آهه تنم عن الحسرة ، وتمنت أن تكون محلها .

- فيه إيه ؟ هو أنا حاطة وشم على راسى ؟ ليه بتبحلقى فىّ كده ؟ يالا اتحركى ، الإشارة بقت خضرا . البنت خلاص اتجننت !

- اللعنة على طريقة كلامك ، إنتِ ما تفوتيش حاجة .

* * *

نهضت بيتا من السرير مع سماع صوت التليفون ، كانت تندهش ، لمَ لمْ ترد الأم على التليفون ؟ وأوصلت نفسها بصعوبة إلى المنضدة المجاورة للسرير ، ووضعت السماعة على أذنها وهى متعبة :

- سلام بيتا .

طار النوم من رأسها مع سماع صوت بابك ، وجف الريق فى فمها .

- سلام بابك .

كان صوتها يرتعد أكثر مما توقعت .

- كنتِ نايمة ؟ ولا مكسلة ؟!

- لا ، كنت نايمة .

ضحك بابك ، وكأن شيئًا لم يحدث بينهما قبل أسبوعين .

- هتنامى لحد إمتى ؟ إنتِ هتوصلى الظهر بالليل ؟ إنتِ عارفة الساعة كام ؟

نظرت بيتا إلى الساعة المجاورة للسرير فإذا بها الثامنة مساء .

- حقًا لقد كنت متعبة ، مددت جسمى ، وما حسيتش بعدها بأى حاجة .

- أخبارك إيه ؟

- بخير ، وإنت أخبارك إيه ؟ وأخبار خالى وفرشته والوالدة ؟

- كلهم بخير ، عمتى أخبارها إيه ؟

- ماما بخير .

- أعتقد إنى ضايقتك . صدقينى ، أنا ما تخيلتش إنك نايمة .

- مش مهم ، كان لازم أصحى .

وعم الصمت بينهما للحظات ، وكأن كلاً منهما ينتظر رد فعل الآخر ، فسألها بابك فى دقة:

- بيتا ألم يحن الوقت كى تعطينى ردًا صريحًا ؟ إنتِ مش شايفة إن المدة طالت شوية؟

واضطرب قلب بيتا ، وأضاءت الأباجورة المجاورة للسرير ، وجلست بهدوء .

- صدقينى ، أنا اتفقت بينى وبين نفسى إنى ما اتصلش بيكى ، لكن مقدرتش، مش عارف ، جايز المدة دى كانت طويلة جدًا بالنسبة لى ؟!

- إنت بتستعجلنى ؟!

ضحك بابك ، وكان لضحكته فى رده عليها ألف معنى :

- ليه لأ ؟ إنتِ تضمنى لى إن الطير ما يطيرش من القفص ؟

- جايز لو القفص مش مفتوح .

وضحك كلاهما هذه المرة ضحكة تنم على التفاهم .

- أتمنحينى الفخر وتوافقين على تناول العشاء معى ؟

- الليلة ؟ ألا تعتقد أن الوقت قد تأخر ؟

- هجيلك فى أى ساعة إنتِ عايزاها .

- بس ماما هنا لوحدها .

- هاخد عمتى وأوصلها لبيتنا .

صمتت بيتا ، إنها لا تزال مترددة ، لم تكن متأكدة أمن الصالح قبول الدعوة ، أم لا !

- فيه إيه ؟ إنتِ خايفة يبقى لىّ جميل عليكِ ؟

- إيه الكلام ده ؟ أنا كل ما فكر ألاقى نفسى مش قادرة ، ميتفعش تخلى موضوع العشا ده لمرة تانية ؟

- زى ما أنتِ عايزة ، لكننى أعترف إن دعوتى لكِ على العشا كانت حجة علشان أشوفك .

وخفق قلب بيتا ، وكأن شيئًا من الاضطراب قد ألم بها .

- إنتِ عارفة أنا ما شوفتكيش من كام يوم ؟ بيتا ، يا ريت فترة صمتك ما تطولش !

- الفترة دى ضرورية لينا احنا الاتنين .

- أتمنى فقط أن أحظى بالقبول وإنتِ بتفكرى ، صدقينى ، أنا اتحملت المدة دى كلها على هذا الأمل فقط .

- لازم نتكلم مع بعض ، إيه رأيك ، غدًا الساعة السابعة مساءً ؟

- حسنًا ، وها خد عمتى معانا أوصلها منزلنا .

- أنا هجيب ماما بنفسى .

- بيتا حبيبتى ، إيه الفرق ؟ أنا هاجى عندكم .

وانتهت المكالمة بعد إلقاء التحية ، وجلست بيتا - التى كانت لا تزال متأثرة بالنوم - بهدوء فوق السرير . كأن الموضوع قد اتخذ شيئًا من الجدية ، كان جسدها واهنًا تمامًا كمن يشعر بالعجز وهو أعلى قمة جبل ، كانت تخشى من الاختلاء بنفسها ، فخرجت من حجرتها ، وتوجهت إلى المطبخ لتشرب كوبًا من الماء ، كانت أمها تقطع البصل وهى تغطى رأسها بفوطة ، ومع رؤيتها ، نسيت بيتا السبب الذى توجهت من أجله إلى المطبخ ، فاتجهت ناحية الغلاية ، وسألت أمها وهى تصب الشاى:

- أصب لكِ يا أمى ؟

- مسحت نسرين قطرات الدمع من على وجهها ، وقالت :

- لا يا ماما ، إن هذا البصل يثيرنى جداً .

جلست بيتا أمامها وفى يدها فنجان الشاى ، وأخذت تتلمس الفرصة للحديث.

- هاتى يا أمى .

- لا حبيبة أمك ، هو مين اللى كان على التليفون ؟

- وإنتِ كنتِ فين ؟ ليه ما رفعتيش السماعة ؟

- كنت فى الحمام .

قالت بيتا وهى تتلمس الفنجان .

- كان بابك .

استدارت نسرين بعينيها ، وكادت أن تكف عما تقوم به .

- خير ؟

- كأنك مستعجلة أكثر منا يا أمى !

- بابك كان عايز إيه ؟

لم ترغب بيتا أن تتحدث هكذا دون مقدمات ، لكنها قالت :

– اتفقنا ناخدك غداً لمنزل خالى .

وتسمرت نسرين تماماً فى مكانها :

– هو حصل حاجة ؟ خالك بخير !

– نعم ، الجميع بخير ، إنتِ ليه اتخضيتى كده ؟

– إنتِ بتتكلمى جد ؟

– نعم يا أمى ، اتفقنا أنا وبابك نخرج بكرة ، لكن علشان ما نسيبكيش لوحدك ها نخدك عند خالى .

وتهللت أسارير وجه نسرين تدريجياً ، وتملك بيتا الضحك من منظرها .

– مبروك حبيبة أمك ! يخليكم لبعض لحد ما تعجزوا ، ده خبر جميل .

– إيه إيه ! يخلينا لبعض لحد ما نعجز ؟ لعلك لم تنتبهى يا أمى ، احنا عايزين نتكلم مع بعض لسه مفيش أى أخبار لغاية دلوقتى .

وكادت نسرين تطير من الفرحة وقالت :

– امشِ يا خبيثة ، مش هتقدرى تخدعينى ، إنتِ ما فكرتيش ليه ماقدرتيش تردى عليه من أسبوعين ؟ إنتِ مترددة ، لكن تاكدى إنك مش هتندمى على اختياره . أنا نفسى أضمنوا ليكِ .

نظرت بيتا فى دهشة إلى أمها التى دوماً ما تنصفه .

– لا تندهشى يا حبيتى ، أنا أمك ، أنا اللى ربيتك وأعرفك أكتر من أى شخص أخر .

– أمى ، أنا لازم أفكر تانى ، ما تحاوليش تشتتينى .

مسكت نسرين كتفها ، وقالت :

– بتفكرينى بأبوكى ، كان متردداً وموسوساً، إنتِ عايزة تقولى إيه لبابك ؟

قالت بيتا بصدق :

- مش عارفة يا أمى ، أنا محتارة أوى .

ولاطفت نسرين وجنتها بظهر يدها ، وقالت :

- أنا متأكدة إنك هتفكرى كويس وهتعملى الصواب .

احتضنت بيتا يد أمها بين يديها ، وابتسمت .

(٥)

حينما أشارت نسرين لهما بيديها ، تحرك بابك ، لم يكن صمتهما قابلاً للتحمل ، لكن بيتا كانت تتمنى أن يستمر لفترة كي تتغلب - على الأقل - على قشعريرة قدميها والخوف الذى كان بداخلها دون دا ع .

- تحبى نروح فين يا بيتا ؟

- متفرقش معايا .

كان فى صوتها رعشة خفيفة ، وكان وجهها متورداً من الحمرة .

- إنتِ كويسة ؟

- ليه ؟!

- من لحظة ما ركبتِ العربية ما تكلمتيش كلمة واحدة ، فيه حاجة غلط بدرت منى لاسمح الله ؟

- لأ ، مش كده ، أنا بس بفكر .

- تانى، بتفكرى ؟ ربنا يكون فى عونى ! أنا كنت متصور إن إحنا النهاردة بنتقابل علشان نتكلم .

ضحكت بيتا ، بينما كان بابك متجهمًا على عكسها تمامًا .

- هو أنتِ دايمًا بتفكرى فى كل موضوع بالشكل ده ؟

- فيه مشكلة من وجهة نظرك ؟

- لأ ، بس هو غريب شوية ! هو لازم الواحد يحتاط بالشكل ده ؟!

ظلت بيتاً فى صمتها ، وبعد برهة سألها بابك :

- أخبارك إيه فى الدروس ؟

- مش بطال ، أحيانًا بفكر إنى أخطأت فى اختيار التخصص .

- فرشته بتقول نفس الكلام هى كمان ، هو إيه الموضوع ؟

- ممكن أدرس فى تخصص تانى بدلاً من الفيزيا .

- الفيزيا تخصص كويس ، ما تاخديش فى بالك . فى الحقيقة قلما يوجد شخص راضى عن التخصص اللى بيدرسه !

- امبارح كنت بفكر إزاى زعلت خالى منى !

- إزاى تفكرى كده ؟

- منذ فترة لم يأت إلى منزلنا ، أنا كنت عايزة اتصل به ، بس خفت .

ضحك بابك ، وسأل فى دهشة :

- خفتى ؟ ليه ؟

- ما تضحكش . أنا خالى زى أبويا تمامًا ، لكنى لم أفكر أبدًا إنى اتعودت عليه للدرجة دى.

- بيتا ، هو كمان بيحبك زى بنته ، والليلة ماكنش فى حالته الطبيعية لما كنا هنخرج مع بعض ، وكأننى لست بمفردى الذى لا يفرق بين رأسه وقدميه بسبب زواجنا .

سألت بيتا فى خجل :

- هو كويس ؟

- كويس . أنا طلبت منه إنهم يسيبوكى الفترة دى ، إنتِ مش كنتِ عايزة كده؟

وتلاقت عيونهما ، وطأطأت بيتا برأسها ، وقالت :

- ماما كمان فرحانة أوى ، كانت بتضحك ، بس هى افترضت إن الموضوع خلاص انتهى .

- علشان كده قبّلْتني الليلة بشكل مختلف . بيتا إحنا هنكون أنانيين لو محينا سعادتهم .

وتوقفا في الإشارة ، وانتظر بابك برهة ثم سألها :

- بيتا ، إيه ردك عليَّ ؟ إلام نظل في تلك الحيرة ؟ صدقيني الفترة دي كانت بالنسبة لي فترة ضيق شديد رغبت أن أتجاوزها في أسرع فرصة . أنا مش قادر أشتغل أو أفكر ، معنديش طاقة على الصبر ، في تلك الليلة ، حينما ذهبت إلى المنزل تناولت عشائي في صمت ثم توجهت إلى حجرتي ، ومن سوء حظي لم أستطع النوم وبقيت يقظًا لفترة طويلة أفكر فيكِ .

نظرت بيتا إليه ، كان وجهه هو كذلك بلون الورد.

- كنت عايز اطمئن ، أنا بحبك من صميم قلبي ، وليس كما تقولين إنني أردت الزواج منك تلبية لرغبة الآخرين فقط !

- ووصلت لنتيجة ؟

- إنتِ مش عايزة تاخدي قرار ؟ كل اللي قلته ده مش كافي ؟

خجلت بيتا ، وكأنها طرحت سؤالاً كان لا يجب أن تطرحه ، وابتسم بابك في عذوبة ، وقال:

- إنتم صنف النساء كائنات عجيبة ، تخرجن ما في قلوبكن بصعوبة ، بينما ننتظر نحن الرجال ...

- لو مضايق متتكلمش .

- جميل جداً ، احنا اتفقنا نخرج علشان تتكلمي .

- لكن لازم أفكر تاني .

- فيه مشكلة ؟

- لأ ، مفيش أي مشكلة !

وقطب بابك جبينه ، وقال :

- لو سألتك سؤال مش هتضايقي ؟

- لا ، اسأل .

- وتوعدينى إنك هتقولى الحقيقة ؟

- مفيش أى سبب يخلينى أكذب عليك .

- فيه شخص تانى فى الموضوع ؟

نظرت بيتا إلى وجهه فى دهشة ، وقالت :

- إنت فاكر إن هو ده سبب ترددى؟!

ارتبك بابك قليلاً ، إلا أنه كان يحاول أن يكون متماسكًا ، وقال :

- انظرى بيتا .. أنتِ ... أنتِ فتاة متعلمة وجذابة ، ومن الطبيعى أن .... أن أخمن مثل هذا الأمر ، وكونى على ثقة إننى أتفهم الأمر .

صمتت بيتا لبرهة ثم انفجرت فى الضحك بصوت عالٍ إلا أنها سيطرت على نفسها ، ثم قالت:

- إزاى تفكر التفكير ده ؟ لو كان الموضوع زى إنت ما بتقول ماكنش فيه داعى أطلب فرصة للتفكير ، ده اللى أنا قلته فى نفسى الليلة .

- طب فيه إيه ؟ إيه اللى مش لازم أعرفه ؟!

- المشكلة تكمن فىّ ، لإنى مش قادرة أفهم إيه اللى أنا عايزاه .

- لو عايزة ممكن نتفاهم أكثر .

- جايز تحب تغير رأيك فى الزواج منى ؟! لأ يا بابك ، إنت لك معزة خاصة عندى دايمًا .

- لو كان كده ، ليه مترددة ولاّ ده امتحان منك لىّ ؟

- صدقنى الموضوع مش كده ، هو بس ....

- بس إيه ؟ اتكلمى بصراحة !

طأطأت بيتا برأسها ، ثم قالت :

- بس أنا مش واثقة ، هل اختيارى ده صح ؟!

- بيتا !

- اعذرنى ، إنت قلت اتكلمى بصراحة .

كان بابك هادئًا على عكس ما كانت بيتا تتوقع ، ثم قال :

- ده معناه إن جوابك علىّ هيكون بالنفى ؟

صمتت بيتا ، وكأن لسانها قد انعقد ، فهمس بابك :

- فيه إيه بيتا ؟ إيه اللى مخليكى مترددة بشأنى ؟

- صدقنى أنا مش شايفة فيك أى عيب ، لكنى لا أعلم لمَ ..

- انظرى إلىّ بيتا !

نظرت بيتا إلى وجهه ، كانت عيناه السوداء تبرق وسط الظلام .

- احنا لم نلتقِ إلا مؤخراً ، هل تلاقينا ؟

كانت بيتا تنظر إليه فى صمت ، وقلبها يخفق ، فقال :

- من الأساس لمَ يجب أن أتظاهر بقدرتى على التحمل ؟ بيتا ، أنا معنديش قدرة على التحمل، أرجوكِ افهمينى ، أنا ... أنا حتى مش قادر أتخيل إن ردك هيكون بالنفى! إنتِ مش عارفة إنتِ عاملة فى حياتى إيه بأفعالك دى ؟

كان الوضع تمامًا كاتخاذ قرار فى عالم مجنون ، حاولت بيتا أن تقول شيئًا لكن فمها وكأنه انعقد ، وكأن كلام نسرين قد تجسد على أرض الواقع ! كم كانت بيتا تضحك على كلامها ، كانت أمها تقول دومًا : "لما ييجى الوقت وينعقد لسان البنت يبقى .." والآن تجلس بيتا صامتة بجوار بابك ، تنظر إليه فى حيرة ودهشة ، كان قلبها يخفق بشدة ، عدمت الإحساس فى جسدها . الشىء الوحيد الذى كانت تراه هو تلك العيون السوداء المتلهفة تنظر إليها وهى ترتعد حتى أعماق وجودها ، والشىء الوحيد الذى تسمعه هو اعترافات بابك الصريحة العاجلة المحرقة ...

- بيتا ، أنا بحبك أكثر مما تتخيلى ، أنا متأكد لو كنتِ عارفه مدى حبى لما استطعت أن تجيبى بالرفض ! ماذا فعلت بِى ؟ أحيانًا بفكر إن مفيش حد جرّب الإحساس الذى يتملكنى ، كم من الليالى بقيت أنظر فيها إلى صورتك لأوقات متأخرة ، وأحاول أن أكون عقلانيًا لكننى أرى عشقك قد سلبنى حتى العقل . عندئذ فهمت أننى دخلت أسر العشق دون مقدمات ، لا تعتقدى أننى أعترض على هذا ، على العكس، إننى أحب هذا الأسر أكثر من حبى للحرية ، ربما لا تصدقين إننى بدونك أصير جسدًا متحركًا دون روح أو إحساس تمامًا كالدمية المتحركة ، لا أقول إن حياتى تنتهى بدونك مثلما يشعر المراهقون والصبية ، لكن تأكدى إننى لاأكون إنسانًا بالفعل بدونك . ولا تعتقدى إننى أدخل إليك من باب المشاعر والعواطف ، أو أحاول التأثير على رأيك ، فكرى فى إننى لا أريد نفسى بدون عشقك هذا الذى جعلنى أنانيًا قليل التحمل بلا عقل ، وأدى إلى أن تكون حياتى بدونك مثيرة للألم والمعاناة ....

وكأن كلام بابك قد أثر على بيتا ، فكانت تجلس فى صمت ، ترتعد ، تتملكها الحيرة وهى تصغى إليه .

- ولإثبات صدق كلامى ، أنا مستعد لأن أخرج وأقف فى وجه أبى ، تحبى تشوفى ؟ كل شىء رهن رأيك إنتِ ، لأننى لا أريد أن تفكرى بشكل خطأ ، أنا مستعد للقيام بأى شىء لإثبات صحة كلامى .. فقط .. فقط لا تردى علىّ بالرفض ، ولا تطيلى فترة الاختبار اللى أنا فيها .

سكت بابك ، وكأن حياته كلها متوقفة على ما سيسمعه من كلمات على لسان بيتا ، قالت له بينما يختلج صوتها نوع من الضعف والرعشة :

- بابك ... أنا ... أنا فى الحقيقة مش عارفة أقول إيه ؟ إنت متأكد إن اللى هنعمله ده صح ؟

- بماذا أقسم لكِ حتى تصدقى كلامى ؟ هل الحب والعشق ذنب من وجهة نظرك؟

نظرت بيتا إليه فى حيرة ، وحينما فتحت فمها للحديث ، لم تصدق أن ذلك الصوت الضعيف عديم الروح هو صوتها :

- لا يا بابك ، ليس ذنباً ، أنا موافقة !

كان شيئًا يشبه الحلم تمامًا ، حتى إن بابك - من قبيل اللهفة والذوق - قبّل يدها حينما حصل على الموافقة من لسانها ! وورقة المخالفة التى لصقها ضابط المرور فوق زجاج السيارة بسبب وقوفه فى الممنوع ! ومساعدة بابك السخية لذلك العجوز الفقير الذى ظل ينظر إليه عدة لحظات وهو غير مصدق ، كل هذا كان كمقتطفات فى منام ليلى .

وظلت بيتا لعدة ساعات فى حالة من الحيرة وعدم التصديق والذهول .

لا ، لا يمكن تصديق أن الأوضاع تتغير هكذا فى أقل من ثلاث ساعات، كانت نسرين تضحك من أعماق قلبها ، وكان الخال يمطرها بوابل من القبلات ، وأهدتها زوجة خالها عقداً كان تذكاراً من والدتها ، ولم يرفع بابك عينيه عنها . كانت نظرته تلقى فى كيانها حياءً محبباً مثيراً ، وكانت فرشته تبخرهم بالخردل وتقارب بين رأسيهما .

فى تلك الليلة طلب بابك - وهو يقّبل وجه نسرين - أن يضع خاتمًا فى يد بيتا حتى يتخذ حفل الخطوبة سمة الإشهار ، ولما لم ير معارضة ، فتح علبة تحوى خاتمًا ثميناً- أحضرته أمه منذ فترة - أمام بيتا ، وسألها فى هدوء :

- يعجبك ؟

نظرت بيتا فى تردد إلى لمعان فصوصه ولم تتفوه بكلمة ، قال بابك :

- ده على ذوق ماما .

فسألت بيتا :

- بالسرعة دى ؟!

همس بابك بابتسامة ذات معنى خاص بشكل لم يسمعه الآخرون :

- خايف يخطفوكِ ، خلى الجميع يعرفوا إنك مخطوبة ، كده أنا هكون مرتاح أكتر .

نظرت بيتا إلى عينيه ، فإذا بشقاوة جميلة تتراقص فى نظراته ، قال الخال:

- يالاّ يا بابا لبسها بنفسك .

وعلى الفور أخرج بابك الخاتم من العلبة ، وقال وهو يضعه فى إصبع بيتا:

- ما تفكريش إن ده خاتم الخطوبة ، ده فقط إشهار بينى وبينك ولو مش عاجبك أغيره.

نظرت بيتا إلى الخاتم وهو يضعه فى يدها لإشهار الخطبة - وكان ثقيلاً جداً - وقالت :

- لا ، ده جميل جداً ، متشكرة ، أشكرك يا زوجة خالى .

قالت زوجة الخال فى سعادة لا توصف لم تحاول إخفاءها :

- إن شاء الله يخليكم لبعض طول العمر . بابك حبيبى ، قبِّل يد عمتك .

وانحنى بابك ناحية نسرين ولما منعته قبّل وجهها ، وقال :

- تقبلينى ابنًا لكِ عمتى الحبيبة ؟

واغرورقت عينا نسرين بالدموع ، وقالت :

- إنت حبيبى يا بابك ، وزى ابنى ، ربنا يسعدك ، أنا والبنت الوحيدة دى لينا ربنا أولاً ، وبعدين إنت حبيب عمتك .

وكتمت بيتا رغبتها فى البكاء ، حتى أن الخال - رغم ما يتمتع به من رباطة جأش - قد تغير حاله ، وقالت نسرين :

- يا ريت أبوها كان موجود فى اليوم ده .

وانهمرت الدموع من عين بيتا ، واستسمحت الموجودين ، وغادرت حجرة الاستقبال ، وقال الخال :

- يا اختى ، البكاء فى ليلة زى دى فأل سيئ .

قالت والدة بابك :

- بعد إذنك يا ست نسرين ، هنعمل حفلة صغيرة كدة بعد كام يوم ، وبعدين نعقد عليهم على العيد .

قالت نسرين :

- زى ما أنتِ شايفة ، أخويا مش أقل من أب بالنسبة لبيتا بنتى .

ضحك الخال ، وقال :

- ربنا شاهد ، لو إننى لا أعمل خاطراً لبيتا أكثر من فرشته ، فهو لا يقل عنها ، ولو بابك مش هيقدر يسعدها أنا هطلع روحه .

كانت بيتا تبكى وهى تستمع إلى حديثهم ، إنها حتى لم تكن تعرف لمَ تبكى ؟ لكن ثمة شيئين كانا واضحين بالنسبة لها . أولهما : أنها لم تكن قد عرفت بابك قط كما كانت تقول . والآخر : أنها كانت ترغب فى ألا تنتهى هذه الليلة أبداً .

وفى آخر الليلة ، وأثناء إلقاء تحية الوداع ، حينما اختليا معًا لعدة دقائق ، قال بابك :

- لا تفكرى فى أى وقت إننى أردت إخلاء مسئوليتى بهذا الخاتم أو الضغط عليكِ بهذا الحفل؟ قالت بيتا وهى تبتسم :

- إنت فاهمنى ، وعارف إننى لا أهتم بالمظاهر ، ليه بتحاول توضح ؟

- أنا حتى لم أمنحك الفرصة كى تُملى شروطك علىّ مثلما تفعل كل البنات.

والتقت نظراتهما ، وألمّت ببيتا رعشة عند النظر إلى بابك ، وقالت :

- ليس لدى شروط خاصة ، أريد فقط أن أكمل دراستى .

- ده شرطى أنا ! أنا مش عايز حياتنا المشتركة تمنع تقدمك !

كان بابك فى هذا الوقت بقدر من الجاذبية ، ومال برأسه قليلاً إلى الطرف الأيمن أمام بيتا ، ووضع يديه فى جيوب البنطلون ، وجعل ينظر إليها ويتأملها ، وكأنما كان يريد أن يحفظها فى خاطره جزءاً جزءًا ، وانحنت بيتا بحجة ارتداء الحذاء، لم تكن لديها القدرة على تحمل نظرة عينيه لفترة طويلة .

- تعرف يا بابك ؟ أحب جداً أن أتعرف على طباعك خلال الفترة دى . أنا أعترف أننى لم أعرفك بالقدر الذى ينبغى .

- ألم تفكرى أننى جننت بذلك القدر ، لا ؟

كان الدهاء يبدو على حديثه ، قالت بيتا وهى تلعب فى يد حقيبتها :

- اعتقدت أنك مش فى حالتك الطبيعية وأنت تعطى لهذا العجوز الفقير كل هذه الأموال .

- هو كمان افتكر كده . صدقينى أنا اتصرفت بهذه الطريقة لأنى كنت عايز أعيش هذه اللحظة سعيداً بحدث ما . دلوقتى اطمنى ، مش هتندمى بعدين ؟ لإن ... تعرفى .... أقول إزاى؟ ... لا أحب أن يكون ردك متأثراً بسماع حديثى .

ضحكت بيتا وقالت :

- أتعتقد أن اشتياقك ونوقك قد أطارا العقل من رأسى ؟ لا ! اطمن ، أنا مش ندمانة ، أنا محتارة شوية .

- إذن فكرى فى الحالة اللى أنا فيها !

قالت بيتا فى صدق :

- إنت تعبتنى خلال الفترة دى .

مال بابك برأسه ناحيتها ، وقال :

- لقد أصبحتِ خلال هذه الفترة دون أن تدركى أحب شخصاً لدى . إنتِ عارفة كده ؟

وسرت دماء الخجل الدافئة فى عروق بيتا ، وحاولت الانسحاب ، فقالت:

- ماما والباقون منتظرون تحت ، أنا لازم أمشى ، مع السلامة .

- إيه إيه ؟ مع السلامة ؟ إنتِ نسيتى إن احنا اتفقنا أوصلك .

- لا لو سمحت .

وتسمر بابك فى مكانه مندهشاً ، وقامت بيتا بشرح وجهة نظرها ، وقالت :

- حقيقى أنا عايزة أكون لوحدى ، عندك مانع ؟

- لا ، لكن ...

- إذن لو سمحت إدينى مفتاحك وخلينا نودع بعض هنا .

- إنتِ كويسة ؟

- أيوه ، ليه ؟

- لونك مخطوف شوية ، ألا تعتقدى إنه من الأفضل أن آتى معكِ ؟

- رجعت تتكبر تانى ، اطمن ، أنا كويسة ، تقدر تيجى بكرة تاخد عربيتك؟

- أنا أصلاً كنت بفكر أجى بكرة بأى حجة .

- وليه حجة ؟ إنت خايف نطردك ؟

- لا ، لكن جايز تضحكى ، أنا دلوقتى مش قادر أتحمل بعادك ، ومش هقدر أروح وأجى بسرعة كدة علشان أشوفك .

- إنت مكسوف من ماما ؟

ضحك بابك ، وقال :

- إنتِ بتهرجى ؟ لا طبعًا .

ثم سألها بشكل أكثر جدية :

- تقدرى تتصلى بىّ بعد وصولك للبيت ؟

- أنا بكون سعيدة جداً لما أسمع صوتك فى أى وقت .

واعتراهما الخجل ، وإذا بالخال يسأل :

- إنتم فين يا أولاد ؟ أختى اتجمدت !

وخرج كلاهما من المنزل صامتًا ، كانت الرياح تداعب شعر بابك ، وكانت بيتا تنظر إليه وهو يحاول أن يلملمه . كم كان جذابًا ، وكم كانت تشعر بالأمان إلى جواره . نظر بابك - الذى كان يلاحظها جيداً - إلى الحديقة وقال :

- استنى شوية أنا راجع .

دخلت بيتا الحديقة وراءه ، وقالت :

- إنت رايح فين ؟ الناس منتظرة .

ومال بابك على إحدى الشتلات وقطف غصن وردة وقبلّه ثم وثب تجاه بيتا . هل كان يجب أن تصدق أنه يقوم بهذه اللفتة اللطيفة ؟

هل هذا هو الحب الذى كانوا يتحدثون عنه ؟ واستنشقت بيتا عطر الزهرة التى قطفها بابك من أجلها وشكرته بصوت خافت ، فهمس قائلاً :

- خللى بالك من نفسك .

- وإنت كمان !

وعلا صوت الخال ثانية :

- هو أنتم الاتنين عايزين تخلونا ناخد برد الليلة دى ؟

وخرجا معاً من الحديقة ، وأخرج بابك المفتاح من جيبه ، وقال :

- على الأقل خلينى أخرج العربية من الفناء .

- اتفضل .

ومع رؤية الخال لهما استفسر منهما فى خبث :

- احنا تلجنا يا بابا . إنتم بتجيبوا الكلام ده منين ؟

قالت زوجة الخال :

- مالك ومالهم يا حاج ؟ بيقولوا إن فترة الخطوبة من أجمل فترات الحياة .

كانت بيتا تقوم بتوديع الآخرين وتتبادل معهم القبلات ، بينما كان بابك يخرج السيارة من الفناء .

- إنتِ تعبتى أوى يا مرات خالى .

واحتضنتها زوجة الخال بشدة ، وقبّلت جبهتها ، وقالت :

- خلى بالك من نفسك يا عروستنا يا حلوة .

نظرت بيتا إلى فرشته وحضنتها ، فقالت فرشته :

- لو بابك زعلك فى أى حاجة ، قولى لى بس .

وتملك بيتا الضحك من منظرها ، وقالت :

- عقبالك إن شاء الله .

قال الخال :

- أخيراً ، إمتى هيجى الدور علينا ؟

ووضعت بيتا رأسها على كتفه ، وقالت :

- أشكرك يا خالى الحبيب على كل شىء .

قبّل الخال وجنتيها ، وقال :

- إيه الكلام ده يا بنت ؟ هو فيه فرق بينك وبين فرشته ؟ لا تقولى لأحد إنك أصبحتِ من اليوم أعز شخص لدى ، ياللا ، روحى اركبى ، أخذنا برد .

قبّل بابك نسرين ، وقال :

- أعذرينى على عدم مجيئى معكما عمتى الحبيبة ، بيتا عايزة كده .

سألت زوجة الخال :

- ليه ؟

قالت بيتا :

- لو تسمحوا لى كده أفضل .

قالت نسرين :

- عندها حق يا مرات أخويا ، بابك تعبان ، خلى ابنى يستريح .

ثم وجهت حديثها إلى بابك :

- إلهى ، أنا فداك حبيب عمتك . إن شاء الله أشوفك كتير من هنا ورايح .

سأل بابك :

- جايز أضايقكم عمتى الحبيبة !

قال الخال مازحًا :

- أوعدك يا أختى إنه هيجى كتير لحد ما تطرديه .

ونظر بابك خلسة إلى بيتا التى كانت تركب السيارة وابتسم ، قالت نسرين لأخيها :

- لا تنسانا يا خويا .

فأوصاها الخال :

- خليكِ إنتِ فاكرانى ياختى .

أدارت بيتا محرك السيارة بيد مرتعدة ، وظل بابك منحنيًا حتى آخر لحظة ينظر إليها من الشباك المجاور لنسرين لإلقاء التحية ، وامتزج عطر وجوده بعطر الزهرة التى كانت فى جيب بيتا . وضعت بيتا يديها فوق عجلة القيادة وكأنها تشعر بحرارتيهما فوق العجلة ، وغرقت لا شعوريًا فى نشوة غامضة . كانت تنظر إلى الخلف من المرآة وهى تبتعد ، لا يزال بابك واقفًا وسط الطريق ، ورويدًا رويدًا تقل صورته أمامها . تمنت ألا تتحدث أمها حتى يصلا إلى المنزل لأنها كانت قد ذابت من الخجل .

وفى الحقيقة ، ما الذى كان يجب أن تقوله إذا ما سألتها نسرين بعد كل ما أبدته من فجاجة ؟ كان إحساسًا غريبًا بالنسبة لها ، كانت كالسمكة التى ابتعدت عن الماء فلا يقر لها قرار . كانت ترغب فى البكاء ، فى الواقع ، كم كان صعبًا الابتعاد والانتظار فى مثل هذه الظروف! وظلت نسرين - كما تمنت بيتا - فى صمتها حتى وصلا إلى المنزل ، ثم توجهت مباشرة إلى فراشها .

عندئذ بقيت بيتا تنتظر ، مددت جسدها فوق السرير وهى بملابسها ، أمسكت بالزهرة التى أخذتها من بابك وظلت تنظر إلى الهاتف .

* * *

ظلت بين الغفوة واليقظة حتى وثبت من مكانها مع ارتفاع صوت الهاتف، حملت السماعة على الفور ، لم يكن قد مر على قدومها أكثر من عشر دقائق ، لكن الوقت كان يمر عليها ببطء حتى ظنت أنها نامت لساعات طوال .

– آلو بيتا حبيبتى !

كان صوت بابك ، كان مثلها ، لا طاقة له ولا استقرار ، كانت تريد لومه على تأخره لهذه الدقائق ، لكنها تظاهرت بالفتور فى خبث ، وقالت :

– سلام بابك .

– سلام ، إنتِ ما نمتيش ؟

– لا ، كنت صاحية .

– لسه واصلة ؟

– من حوالى عشر دقائق .

– كويسة ؟

– هو احنا مش كنا مع بعض ؟!

قال بابك فى هدوء وهو يضحك :

– مش عارف هعمل إيه بعد كده ؟ لم يمر سوى نصف ساعة على رحيلك عنى ولكنى هتجنن.

– أتمنى ألا يتبدل هذا الإحساس إلى عصبية . جايز أقدر أستحمل أى عيب ، لكن من المستحيل إنى أقدر استحمل الراجل العصبى ، تعرف كده يا بابك ؟

– حبيبتى ؟

– أريد أن يكون أساس حياتنا قائمًا على الرفق والصدق .

– هو احنا اتفقنا على حاجة غير كده ؟

- كل البنات والأولاد بيوعدوا بعض كتير فى بداية حياتهم ، لكن حينما يحن وقت العمل ينسون كل هذا .

- أتمنى ألا أكون أنا وأنتِ من هذه المجموعة .

- تعالى نوعد بعض ونتعهد ونكون مسئولين عن عهدنا .

- اللى إنتِ عايزاه هيكون !

- كده ؟!

- لما يكون كلامك صح إيه اللى مفروض أقوله ؟

- ماكنش فيه فرصة الليلة نتكلم عن مستقبلنا وأمانينا .

- من هنا ورايح هيكون فيه فرص كتيرة نتكلم فيها عن مستقبلنا . هى عمتى نامت؟

- أظن إنها نامت قبل ما تحط راسها على المخدة .

- هنا كمان كلهم ناموا ، وكأن بالهم قد ارتاح .

- ماما كمان نفس الوضع ، هى بتحبك جداً .

- أظن إن عمتى هتعانى من الوحدة مع زواجنا !

- احنا عندنا فرص كتير من دلوقتى ، نبقى نفكر فيها بعدين .

- أتمنى ألا تطول هذه الفترة !

- أحياناً بفكر إنك إنسان متسرع وما عندكش صبر .

- أنا بالضبط زى ما بتقولى .

وبدأ قلب بيتا يخفق ، وضعت يدها اليمنى فوق صدرها ، وحاولت أن تتماسك ، فقال بابك :

- تعرفى ؟ فيه كلام كتير لم يدر بيننا ونحن وجهاً لوجه . ربما لا أملك الجرأة على ذلك!

- أنت والخوف ؟ لا أصدق !

- لازم تصدقى ، الحقيقة إنى بخاف من عينيك ، لما الواحد ينظر إليهما يفقد إرادته وعقله وجرأته .

- ليه ؟ هى عينى شكلها إيه ؟!

كان صوتها مضطربًا مرتعدًا ، فمن وجهة نظرها لم يكن لبابك نظير فى التأثير على المشاعر.

- عيناكِ كعين الغزال ، جذابة وجميلة .

- ولِمَ الغزال ؟

- صدقينى ، أنا نفسى لم أفهم كيف أعجز هكذا عن التعبير عما فى قلبى ، ولما بكون لوحدى بقول كل اللى أنا عايزه .

سألت بيتا فى سخرية :

- إنت مش مكسوف ؟!

- إنتِ كل حياتى ، لِمَ لا أكون صادقًا معكِ ؟

أغمضت بيتا عينيها وهى جالسة فوق السرير ، وتركت نفسها لأحاسيس جميلة لم تشعر بها حتى ذلك اليوم ، كانت تريد أن تبوح بشىء لكنها لم تستطع ، وكأن لسانها قد انعقد .

- منذ وقت طويل وأنا لا أرغب فى أن أتسبب لكِ فى أى إزعاج ، لو اتصلت بكِ هل يضايقك ؟

- لا ، مش هتضايق .

- أنا مش عايز يكون الكلام الكتير معاكِ سببًا فى تعطيلك عن حضور المحاضرات .

- لأ طبعًا ، أنا لما بسمع صوتك فى أى وقت بكون سعيدة .

- حسنًا ، أنا مضطر أودعك دون إرادتى .

- شكرًا على اتصالك .

- بيتا ؟

- نعم .

وصمت بابك لحظة ، فسألته :

- نعم عايز تقول حاجة ؟

- بحبك جداً .

وألقت بيتا عليه تحية المساء بصوت مرتعد ، ووضعت السماعة على الفور فوق الهاتف ، كأنها كانت تخشى أن تسمع جملة أخرى من لسانه ، نظرت إلى نفسها فى المرآة ، كان وجهها يميل إلى الإحمرار ، كانت شفتاها ترتعدان ، تعلوهما ابتسامة ذات دلالة خاصة . ومرت أخرى ألقت بنفسها فوق السرير وابتسمت ، كان حديث بابك يمر دون إرادتها على ذهنها كلمة كلمة ، ويخفق قلبها من هذا الشعور الغريب ، كانت تائهة بذلك القدر الذى جعلها لم تلاحظ مرور الوقت بشكل سريع ، وأفاقت فى لحظة كاد يبزغ فيها الصباح !

(٦)

في الواقع كانت بيتا تشعر بالسعادة خلال فترة الخطبة ، كانت تعلم أكثر من أى شخص آخر أنها لم تحب بابك ، على الأقل لم تكن تحبه بقدر ما كان يحبها هو ، لكنها كانت دومًا تشعر بالسعادة وهى بجواره ، وكأنها لم تشعر بمثل هذه السعادة على مدار حياتها .

في الواقع كانت بجوار بابك تشعر وكأنها طفلة صغيرة لا أكثر، والأهم من ذلك أنها كانت تكتشف فيه أشياء جميلة يومًا بعد يوم .

نعم ! كما كان يقول بابك ، كلاهما كان يشعر بالسعادة بجوار الآخر ، لا يشعر بالسعادة فقط ، بل بأشياء أخرى تفوق ذلك الشعور !

وفهمت بيتا من البداية أن بابك يختلف عن جميع الشباب الذين عرفتهم حولها . فقد كان متماسكًا للغاية في أكثر اللحظات المشتركة بينهما إثارة ، أحيانًا كان يعبر عن كلمات العشق والحب بكل هدوء لدرجة تجعل بيتا في حالة من العجز تقريبًا . كان يذهب لزيارتها كل يوم بعد الظهر وهو في حالة من الارتباك وفي يده باقة من الورود ، ويمكث لفترات طويلة في منزلها تحت معاذير وحجج مختلفة . أحيانًا كان يفاجئها بهدية غير متوقعة ثم يتعامل معها بشكل وكأنه لا يلعم شيئًا قط . أحيانًا كان ينتظرها أمام سيارتها صباحًا دون أي اتفاق مسبق بينهما كي يرافقها إلى الجامعة . ورويدًا رويدًا تمكن بابك من أن يُعرِّف بيتا مفهوم الحب ، كان يذكرها دومًا بألا تستغل هذا الحب كنقطة ضعف في الطرف المقابل ، وازدادت ثقة بيتا بنفسها دون أن تدرى !

كان بابك رجلاً كاملاً ، غير أنه كان يقوم أحيانًا بأعمال تجعل بيتا تشك في أنه بلغ الثلاثين من عمره . في إحدى المرات التي أتى فيها لزيارة بيتا اشترى أكياس

البوزو وذهب بنفسه إلى المطبخ ، ووضعه فى وعاء ثم جعل يأكله أمام حيرة بيتا ودهشتها ، وحينما رآها صامتة على هذا النحو ، سألها وهو يضحك:

- حصل إيه ؟ مش هتاكلى ؟ ليه بتبصى عليا كده ؟ هل اقترفت ذنبًا ؟!

وسألته بيتا وهى تنظر إليه فى دهشة :

- أتاكل البوزو فى هذه السن ؟

- لم أكن أعلم أن تناول البوزو يختص بسن معينة !

قالت بيتا وهى ترفع البوزو من أمامه :

- حقًا إنك شخص غريب ، تستطيع أن تكون شخصًا واحدًا أو عدة أشخاص فى آن واحد .

- هو الناس الكبار ليس لهم بطن !

ضحكت بيتا وسألها بابك :

- بتضحكِ على إيه ؟

- على أفكارى المسبقة عنك ، لا شك أن الذنب لم يكن ذنبى ، لقد كنت تجلس بكل عنجهية وكبرياء حتى يُخيل للشخص أنك مغرور إلى أبعد حد .

- أصدقينى القول ، ألهذا السبب أتعبتنى للحصول على الموافقة .

- لاتتدلل كثيرًا ! فى الحقيقة لم أتخيل أن تتحول بذلك القدر .

فى الواقع كان مسعى بابك كله منصبًا على إزالة المسافة بينهما ، كم كان مثيرًا للسعادة من وجهة نظر بيتا عدم انقباضها من وجوده ، كانت تستطيع أن تتحدث عن كل ما تريد وتفعل كل ما يحلو لها ، وأثبت بابك لها أنه مستمع صبور ، تستطيع أن تحدثه عن أتفه الأشياء وحتى أجلها مما يحدث لها خلال اليوم . لا شك أنه كان يصغى إليها باهتمام ، وإذا لزم الأمر يقوم بتأييدها .

أثناء ذلك بدأ صوت اعتراض الخال يعلو شيئًا فشيئًا .

ولم لا ؟ فشركته تكاد أن تصاب بالفلج مع عدم وجود بابك . ففى السابق ، ومع وجود بابك فى الشركة كان كل شىء مرتبًا منظمًا ، أما الآن مع عدم وجوده انهار كل شىء رأسًا على عقب.

كان بابك في الواقع يقضى معظم أوقاته مع بيتا . وبسبب استياء الخال قامت نسرين ذات يوم بلوم بابك حينما أتى كعادته لزيارة بيتا مبكرًا عن كل مرة ، وذكرتهما وهما يتأهبان للخروج من المنزل فى نزهة أنها لا تتحمل رؤية استياء أخيها الوحيد ، وأنها ستضطر للحد من الزيارات !

فى ذلك اليوم ظنت بيتا أن بابك سوف يستاء، لكن على العكس ، فقد قال لها وهو يضحك حينما كانا يستقلان السيارة :

– لقد أصبحت مزعجًا لدرجة أن العمة تأتى لى بالأعذار بشكل محترم .

فقالت بيتا فى قلق :

– الأمر ليس كذلك . لو تلفظت أمى بشىء فهو فقط من منطلق إرضاء الخال ، أنت تعلم أكثر منى أن هذين الأخين مترابطان ببعضهما ، فضلاً عن ذلك لا يجب أن تجعلهما مضغة على الأفواه ، صحيح أننى دائمًا ما أشعر بالسعادة أثناء وجودى معك ، لكننى لا أرتضى استياء خالى الحبيب .

قال بابك وهو يقود السيارة مبتسمًا :

– لقد اعتاد والدى تقريبًا على هذا الوضع ، وأمى سعيدة للغاية ولا تبدى أى اعتراض! يبقى العمة الحبيبة وسوف تعتاد على هذا الوضع بإذن الله !

نظرت بيتا إليه فى دهشة ، فقال بابك وسط ضحكاته :

– حسنًا ، ماذا أفعل ؟ ليست لدى رغبة فى العمل حبيبتى !

– تستطيع أن تجعل الخال يندم على ما فعله معنا !

– هل أفعل ما يخالف الشرع ؟ إننى آتى لرؤية خطيبتى .

- الآن وقد تمت خطبتنا أيجب أن نزودها ؟ حسنًا ، أرى أن الآخرين على حق . إنك تقضى معظم ساعات وقتك فى منزلنا !

سأل بابك فى دهاء :

- وأنتِ لم تستائين من هذه الزيادة ، هل أقول الصدق ؟

وضعت بيتا يد حقيبتها فوق يدها وقالت :

- الكافر يؤمن بكل شيء فى مذهبه .

قال بابك وهو يضحك :

- هل أكذب ؛ نحن الآن نعيش أفضل فترات حياتنا ، ليس من العدل أن يتشددوا معنا بذلك القدر، ألم يكونوا مثلنا ذات يوم ؟

قالت بيتا :

- هل تعلم ؟ إن قلبى يحترق لحال أمى . فأنا لا أمكث فى المنزل معظم الوقت ، وحينما أتواجد فيه إما أننى أستذكر دروسى ، وإما أننى أتحدث معك فى التليفون، ثم أنام بعد ذلك .

وضع بابك يده فوق صدره ، و قال :

- أنا خادمها ، أنتِ تغتمين ؟ لعلنى مت ؟

- أنا أتحدث بشكل جاد يا بابك .

- وأنا تحدثت بشكل جاد ، ألم تحسنى علىّ ؟

- أنت لست مدينًا لى ، لا تتحدث هكذا .

- نعم أنا كذلك ، لعلك لا تعلمين ، لكن كل مرة تتحدثين معى هكذا أو تنظرين إلىّ مثلما تنظرين إلىّ الآن تمنحيننى جرعة من الحب .

قالت بيتا فى ارتباك :

- مع العكس ، أنا التى أدين لك ، فطوال هذه المدة قد أبديت الكثير من اللطف لى ولأمى أكثر من أى وقت آخر .

- ألا يصح أن تأتوا لى بالأعذار ؟

ضحكت بيتا وقالت :

- تقول أمى إننى المذنبة لأننى أبعدتك عن عملك وحياتك !

- فلتقولى لها إنكِ أكثر أهمية من عملى وحياتى ، فى الواقع إننى أستمد الطاقة من رؤيتك .

- رغم كل هذا فأنا لا أرتضى غضب خالى وأمى .

- أترغبين فى الذهاب لرؤية والدى ؟ لا ريب أنه موجود الآن فى الشركة ، ولدى عمل يجب أن أنجزه .

انتظرت بيتا قليلاً ثم قالت :

- أرى أنه لا بأس من ذلك ، هيا نذهب لرؤية خالى الحبيب ،لعلنى أستطيع أن أسترضيه بذلك.

* * *

منذ دخول بيتا الشركة اضطرت على الرغم منها من إعطاء الحق إلى أمها فيما يتعلق بما كانت تتحدث به بشأن بابك . لقد ذهبت إلى الشركة أكثر من مرة لكنها لم تلاحظ حتى ذلك اليوم مقدار اهتمام الفتيات هناك ببابك ، لقد كن ينظرن إليها فى حسرة وكأنها قد قامت بعمل يفوق الإمكان .

والآن ، تشعر بيتا بالغرور أكثر من ذى قبل ، خاصة وأن بابك لم يعر أيًا منهن أدنى اهتمام . فتح الباب لها كى تدخل أولاً وأمسك بحقيبتها ، وحينما كانت تتحدث كان يستمع إليها بكل حواسه ، والأهم من ذلك كله أنه لم يعر اهتمامًا بكل من حوله وكأنه لا يشعر بوجود أى شخص أو أى شيء حوله فى هذا العالم إلا بها حينما يكون معها .

ركبا المصعد وسط همس وفضول موظفى الشركة ، ونزلا أمام مكتب المدير ، لم تتحمل بيتا الانتظار ، وسألته :

- فى رأيك ، هل فهم موظفو الشركة ما بيننا ؟

قال بابك وهو يضحك :

– من الطبيعى أنهم قد فهموا بعض الأمور خاصة بعد عدم انتظامى فى الآونة الأخيرة ، لكنهم لو كانوا يشكون من قبل ، فاليوم قد تبدل هذا الشك إلى يقين بقدومنا إلى هنا . ماذا حدث ! هل يضيرك هذا ؟

قالت بيتا فى تماسك :

– لا ، أبدًا ، إننى مندهشة فقط لأن الموضوع لم يتم بشكل علنى .

قال بابك فى هدوء :

– لا تندهشى ، عادة ما يفهم الموظفون بعض الأمور حتى قبل أن يفهمها مديروهم ، هذا ما ثبت لى .

قالت بيتا فى دهشة :

– لا أعلم كيف يستطيع البعض أن يكونوا بهذا القدر من الفضول ؟

قال بابك فى نبره تتسم بالإنصاف :

– فى رأيى أن هذا ليس من الأمور غير الطبيعية . على أية حال الجميع يحبون أن يعرفوا المزيد عمن يعملون معه لساعات طويلة . لعلنا لو كنا معهم لأصبحنا فضوليين رغمًا عنا .

رغبت بيتا أن تعترف بأن سلوكه هنا لا يُقارن أساسًا مع سلوكه خارج الشركة ، لكنها لم تفعل . فى الواقع كان بابك قويًا مغرورًا بين موظفى الشركة، لم تستطع الفتيات استمالة قلب هذا المدير ، كان كل هذا يبدو غريبًا أمام ما كان يبديه من اهتمام تجاه بيتا .

دخلت بيتا معه بكل كبرياء إلى مكتب المدير ، وقفز السكرتير من مكانه حيث كان جالسًا خلف مكتبه لحضورهما المفاجئ ، فسأله بابك فى جدية :

– أبى موجود ؟

قال السكرتير وهو ينظر إلى بيتا :

- نعم سيدى ، لقد حضر.

ورغب فى إخبار المدير بقدومهما إلا أن بابك منعه قائلاً :

- ليس ضرورياً . ارتاح .

وتحكمت بيتا بصعوبة فى نفسها حتى لا تضحك على السكرتير إلا أنها كانت تنظر بنفس الحيرة إلى بابك الذى كان ماسكًا بحقيبتها فى يده وكأنها رأت شيئًا خارج حدود الإمكان . فكرت : "لم تصل أقدامنا إلى حجرة الخال ويسعى لإخبار الباقين !

والآن حل دور الخال الذى اندهش من رؤيتهما فى الشركة ، وارتسمت ابتسامة على وجهه مع دخول بيتا حجرته ، لكنه سرعان ما قطب جبينه عند رؤيته لبابك الذى قال وهو يضحك:

- سلام يا أبى ، أتصفح عنى إرضاءً لخاطر بيتا ؟

قال الخال وهو يصافح بيتا :

- ليس معلومًا قط مكان ابنى !

ردت بيتا بدلاً عن بابك :

- وقتما تغضب اضرب رأسى أنا خالى الحبيب .

ابتسم الخال وقال :

- يجب أن يتسم الإنسان بالعقل حبيبة خالك ، ما ذنبك أنتِ ؟

قالت بيتا وهى تنظر إلى بابك :

- إن بابك يقضى معظم أوقاته معى !

قال الخال فى خيلاء :

- عليه أن يفقد الوعى فى وجوده مع ملاك مثلك !

قبلت بيتا وجه خالها النحيل وقالت :

- أنا على استعداد لإرضائك بالشكل الذى تريد .

قال الخال فى حنان :

- الآن ذهب كل شيء حينما أراكِ يتلاشى تعبى وضيقى يا حبوبة .

ثم وجه حديثه إلى بابك قائلاً :

- على الأقل فكر فى عمتك ، ألا تظن أنك مصدر تعب لها ؟

- أرى أننى يجب أن أفكر سريعًا بشأنكما .

نظرت بيتا إلى بابك وكلاهما قد فهم مقصده ، قالت بيتا والحمرة تعترى وجهها :

- معذرة خالى الحبيب ، أعدك أننا لن نكون مصدر ضيق ثانية لك .

ضحك الخال وقال :

- لا فائدة من الحديث فى ذلك وأنتما على هذا الوضع ، لابد أن تنتهى هذه القضية بسرعة كى يستريح خيال هذا الأمير ويتمكن من العمل، لو كنت مكانه لكان قلبى ويدى يهتزان من أجل هذه الجوهرة .

نظر بابك إلى بيتا فطأطأت برأسها ، فسأل الخالُ :

- لمَ تقفان ؟

قال بابك :

- يجب أن نذهب يا أبى .

قال الخال معترضًا :

- لمَ كان المجيء ؟ ولمَ يكون الذهاب ؟

قالت بيتا وهى تبتسم :

- لقد وحشتنى جداً فطلبت من بابك أن يأتى بى هنا لأراك .

قبّل الخال جبهتها وقال :

- تفضلا من هنا، في هذا العصر لا يمكن الرقابة على الشباب ، اذهبا واستمتعا، فقط تذكراني أنا ذلك الرجل العجوز مع كل هذه الأعباء ، أعتقد أننا لو سرنا على هذا النحو فلاشك أنني سأعلن إفلاسي .

قال بابك :

- أنا طوع يديك يا أبي .

قال الخال :

- اذهب ، يحرق أبوك ! أعلم ما هو داؤك ! ماذا تفعل المرأة بالرجل ، إن عدم امتلاكه لها مصيبة ، وامتلاكه لها مصيبة أخرى ! فلتتناول العسل ...

ضحك بابك وبيتا ، وبينما كانا يتأهبان للخروج فإذا بالخال يسأل بابك:

- ستأتي غداً ؟

قال بابك :

- نعم يا أبي ! لم أنس اجتماع أعضاء مجلس الإدارة !

- ولو كنت نسيته لما تعجبت ، خلي بالك منها !

وودعه بابك وخرج على الفور من الحجرة .

* * *

وبينما كانت مريم تهبط درجات سلم الفناء وهي مسرعة حتى وضعت بيتا يديها على عينيها من الخلف ، فضحكت ثم قالت :

- ارفعي يديك يالادن ... أنتِ سميرا ؟ ... إلهام ؟ بابا ، من أنتِ ؟

فرفعت بيتا يديها وقالت :

- يا عديمة المعرفة . أنا عرفتك ! وفهمت أين مكاني في قلبك ! ليس عدلاً ، لقد ذكرتِ أسماء الجميع إلا اسمي !

قطبت مريم جبينها على سبيل المزاح ، وقالت :

- نعم ، لا أعلم .

- اتفضلى ، اضربى ، لا تخجلى ، هذه التافهة تظن أننا مدينون لها .

قالت بيتا وسط ضحكاتها :

- لا تغيرى الموضوع ثانية ، ولتلق نظرة تحت أقدامك .

- أنا أم أنتِ ؟ أنتِ جيتى بالراحة ومشيتى بالراحة .

- غورى ، فلتجعلى نفسك تواسينى ، ألا تدرين ما الذى أعانيه ؟

- ممَ تعانين ؟! ليت الله يجعل جميع الآلام مثل ألمك ، لقد انشغلتِ بهذا القدر بلعبة الخطوبة وتخليتِ عن الجميع ، حدث هذا وأنت لم تكونى موافقة على الخطبة ، فما الذى كان يحدث لو كنتِ موافقة ؟! أعتقد أننا لم نكن لنراكِ ثانية .

- إنت لغاية دلوقتى بتهرجى ، هييجى دورى فى الآخر !

- إننى لم أتعود على أن أتحدث عن شخص فى غيابه ، وأنا أحدثك وجهًا لوجه ! أنا قلت للبنات إننى متأثرة منك للغاية ، لكننى كنت أنتظر كى أحدثك . حقا إنك غير حساسة !

ضحكت بيتا ، ثم وضعت يدها حول وسطها ، وقالت :

- والله يا مريم معكِ حق .

- هذا ليس كافيًا ! معكِ حق ! لقد كنا فى درجة من التقارب مثل أختين ، كنا نخرج معًا مرتين كل أسبوع على الأقل ، كنت آتى إليك وتأتى إلىّ ...

- ماشى ! شكواك فوق راسى عروسة ابنى !

- واه واه ، دى بقى وشها مكشوف ، يعنى كل اللى بيتجوزوا وشهم بيتكشف كده؟

- إلى أين بهذه السرعة ؟

- لدىّ أمر ما .

- فلنذهب معًا ، سأوصلك .

- مش عايزة أتعبك .

- إيه الذوق ده ! كأنك أصبحت فتاة مهذبة .

- لا حبيبتى ، أنا لا أجامل .

- هيا ، تظاهرى قليلاً بالجدية ، فنحن لنا حق عليك .

كانت مريم جادة جداً وصارت تقطيبات وجهها منفرة أكثر من ذى قبل :

- الموضوع ليس كذلك ...

قالت بيتا فى مزاح :

- هتسيبى دروسك !

ضحكت مريم وقالت :

- لا والله ، قلت لكِ لدىَّ أمر ما فى مكان ما .

- وأنا قلت هوصلك .

- بابا ، عجبًا لكِ ، أنتِ شديدة الانتقام سمجة !

- اشجينى ، الموت لكِ !

- بيتا ، وحياتك ، أنا فى عجلة من أمرى ، هقولك بعدين ...

دققت بيتا فى النظر إلى وجهها ، ففى تلك الأيام التى انشغلت فيها مع بابك كانت غافلة عن أقرب صديقاتها ، وفجأة ابتسمت من فكرة جالت بقوة فى خاطرها ، وسألت بحماس :

- إيه الموضوع ؟ مريم ؟ يا مية من تحت تبن ! منذ متى ونحن غرباء ؟!

قالت مريم فى هدوء وقد اعترت وجهها حمرة الخجل :

- مهلاً بابا ! لقد أخبرت الجميع .

مسكت بيتا بإبطها بإحكام ، وسألتها :

- لمَ لمْ تقولى لى ؟ لقد صرتِ غامضة فى الآونة الأخيرة !

قالت مريم :

- هو أنت سألتِ علشان أقولك ؟ لقد انشغلتِ فى هذه الأيام لدرجة إنكِ لم تقابلى شخصاً آخر سوى بابك !

سألت بيتا فى سعادة :

- مبروك ! لمَ تم فى السر ؟

- لم يتم شىء حتى الآن .

- من هو ؟ هل أعرفه ؟

- صديق أخى .

- يا خبيثة ! شفتم بعض فين ؟

- فى حفل زواج أحد أصدقاء أخى ، لا تعلمى أية جوهرة هو ؟

والآن حل الدور على بيتا فى المزاح فقالت :

- انظرى ، لمَ يسيل ماء فمك ؟ لعلك وقعت فى الحب !

واحمرّ وجه مريم خجلاً وضغطت على يديها وقالت :

- غورى بكلامك هذا .

- هل أتى لخطبتك ؟

- إلى الآن لا ! لكنه قال لى نخرج مرتين أو ثلاثًا بعيداً عن أنظار الآخرين لنتحدث سويًا ، لو علم "آرش" لطلع روحى .

- إنتِ مش قلتِ إنه صديق "آرش" ؟

- نعم ، لكن إلى الآن لم يأت لخطبتى رسمياً ، فقد اتفقنا أن نتعرف على بعضنا لوقت أكثر ثم نعلن الموضوع .

- وماذا يعمل هذا يعمل هذا العريس المنتظر ؟

ضحكت مريم وقالت فى هدوء :

- تصدقى إننى لا أعلم حتى الآن ؟ كل ما أعرفه إنه يدرس الموسيقى ويعزف على الجيتار!

ضربتها بيتا خلف رأسها وقالت :

- ليهيلوا التراب فوق رأسك ، هل تحبين مطربًا لا تعلمين على وجه الدقة ما عمله ؟ وما هو وضعه المالى ؟

- ليس سيئًا ، فهو لديه سيارة ويعيش بمفرده ، وأنتِ تعلمين إن الأموال الكثيرة غير مهمة بالنسبة لى .

- نعم ، لكن شيئًا لا يتم بدون المال ! لا أرى أنه من الضرورى مع مثل هذه الحال وذاك الوضع الذى تبدين فيه أن أسألك عن رأيك فيه !

ضغطت مريم على عينيها ، وقالت من أعماق قلبها :

- واى بيتا ، أنا مجنونة به ، صدقينى حينما آراه أصير ضعيفة وأفقد تماسكى .

قالت بيتا فى مزاح :

- بابا ، حسنًا جدًا ، قالوا راجل وقالوا ست ، لمى نفسك شوية .

قالت مريم وهى تضحك :

- غورى ، أنا أبدى جنونى أمامك على هذا النحو ، لكننى أمامه أكون كبرج من سم الأفاعى.

قالت بيتا وهى تشير إليها من الرأس وحتى القدم :

- واضح إنك وقعتِ ! حقًا ، إننى لدى فضول كى أراه عن قرب ، فأنا أريد أن أعرف من ذا الذى تمكن من تغييرك هكذا !!

- إنه فرشته . (أى : إنه ملاك) (*)

- فرشته ! أى أخت بابك !

(*) فرشته : بمعنى ملاك ، وقد آثرت ذكر اللفظ الفارسى كما هو فى هذا الموضع للدلالة على مزاح بيتا . (المترجم)

– أنا بتكلم بجد يا بيتا ، لو رأيته ستعطينى الحق ، إنكِ لا تدرين كيف يتحدث؟ كيف يمشى؟ كيف ينظر ؟ إنه جذاب للغاية !

– إن ما أصدقه هو شىء واحد ، إنه استهواكِ بهذه السرعة !

– غورى ، أنا غلطانة !

– إذن هناكل الحلويات قريباً !

– يا رب تكونى قبلى !

– معكِ صورة أو أى شىء عنه ؟

– وليه صورة ؟ شوفيه بنفسه .

– ماشى ، أكيد ، همشى وراكم لغاية بابك مايطلّع روحى .

– تيجى ورانا ؟ هو أنا عايزة عزول؟ (*) يوجد حفل موسيقى ليلة الجمعة فى قصر سعد آباد، لو تحبى تأتى إلى هناك ، سأكون بانتظارك !

– يجب أن أكون بمفردى ؟!

– لا ! احضرى المجنون معكِ ، أنا مندهشة ، إزاى حل عنك النهاردة ؟!

– لديه عمل .

– لا تذكرى لبابك قط أن ....

– هو أنا صغيرة ؟ لا تقلقى ، أنا عارفة ، فين التذكرة ؟

– ليست ضرورية ، فضيوف فريق الموسيقى لا حاجة لهم بالتذاكر .

– متى تقطعى كل هذا الطريق ؟

– أنا فداؤك ، كامران يرتب كل شىء بنفسه .

(*) مگر سرخر مى خوام : كلمة سرخر فى المثل الفارسى للدلالة على من ينغص سعادة الآخرين ، وعليه تكون ترجمة المثل «لعلنى أريد عزولاً ». (دهخدا ، ص ٩٦)

- إذن العريس المرتقب هو السيد كامران !

- اسمه جذاب مثله !

- بابا ، لقد تأثرت بكِ يا مريم ، وزمان قالوا إن كلام الحب ليس الذى يرد على اللسان .

- لا ، هل تعتقدين أننى أقول أمامه هذا الكلام ؟

- لا تكذبى ، امضى ، فأنتِ فى عجلة من أمرك .

- أنا منتظرة ! هل ستأتى ليلة الجمعة ؟ أم لا ؟

- يجب أن أتحدث مع بابك ، هل يضايقك وجوده معى ؟

- لا يا حبيبتى ، أبداً ، الجميع يعلم أن أحدكما لا يشرب شربة ماء بدون الآخر.

(٧)

لم تكن بيتا حتى ذلك اليوم قد حضرت حفلاً موسيقيًا ، كان الحفل ذا جو خاص ، فقد صنعوا المقاعد فى فواصل منتظمة تحت قبة السماء ويبحث المشاهدون عن أماكنهم فى جو يكاد يحل فيه الظلام . وسأل بابك الذى رافق بيتا إلى الحفل دون أدنى معارضة :

– ألم تظهر صديقتك حتى الآن ؟

– قالت بيتا وهى تنظر حولها :

– لا ، لابد أنها فى الصف الأول .

قال بابك :

– الجو جميل وإلا لما تمكنوا من تنفيذ البرنامج فى قاعة مفتوحة .

قالت بيتا :

– الجو يفوح برائحة الربيع .

فسألها بابك :

– ألا ترين أننا أخطأنا بعدم شراء التذكرة ؟

قالت بيتا :

– قلت لك إن أحد أعضاء الفرقة الموسيقية صديق مقرب لشقيق مريم ، وأرى أن شراء التذكرة سيكون خطأ أفدح .

سأل بابك وهو يشير إلى مقدمة القاعة :

– أليست هذه مريم التى تشير إلينا ؟

قالت بيتا وهى تنظر إلى مريم :

- نعم ، إنها هى .

تقدمت مريم وهما يقتربان منها ، ورحبت ببابك وهى تقبل بيتا ، فقالت بيتا فى هدوء :

- أنا أصلاً لم أتعرف عليك ، إيه الشياكة دى ؟!

سألت مريم :

- يعنى أنا اتغيرت ؟

قالت بيتا :

- يعنى إنتِ مش عارفة ؟ كم أنك خبيثة ! لقد زينت نفسك جيداً !

قالت مريم إلى بابك وهى تمزح :

- بابك ، أليس من الظلم ألا تنهى هذا الهراء ؟

فقال وهو ينظر إلى بيتا بنظرة حب :

- تقولين ظلماً من هذه الزهرة !

قالت مريم :

- ربنا يخليكم لبعض ، وليعجل الله بزواجكما !

قالت بيتا :

- أخيراً يحل علىّ الدور يا ست مريم !

قالت مريم فى سخرية :

- ماشاء الله ، هو أنتِ سيبتيلى الفرصة فى دورى ؟ لقد سيطرتِ على رجل جذاب ومثقف.

ضحكت بيتا وقالت :

- لا تخافى سيحل الدور عليكِ وتسيطرين على آخر ....

كذلك ضحك بابك ، لقد كان يرتدى بدلة رمادية اللون أنيقة تجعله أكثر جاذبية من الجميع ، ودلتهما مريم إلى مقعديهما وهمست إلى بيتا :

- أكاد أموت من شدة الاضطراب .

قالت بيتا :

- دلوقتى هتبقى كويسة ، شوية ويبدأ البرنامج !

قالت مريم فى حماس :

- ألا تعلمين كم يكون جذابًا فى زى الفرقة الموسيقية .

سألتها بيتا :

- متى يبدأ البرنامج ؟

نظرت مريم إلى ساعتها وقالت :

- بعد خمس عشرة دقيقة .

وأشارت بيتا إلى مقعد خالٍ بجوارها ، وقالت :

- لمَ لا تجلسين ؟

قالت مريم :

- أريد أن أدخل مباشرة .

- اصبرى قليلاً ، ترينه كل هذه المرات ولا تشبعى ؟

جلست مريم بجوارها ، ووضعت يدها الباردة فوق يد بيتا ، فقالت بيتا بنبرة معترضة :

- ما بكِ ؟ ! أصبحتِ كملك الموت !

قالت مريم فى رفق وهى تنظر إلى منصة العرض :

- أنا أصلاً مش طبيعية ، حقًا ماذا قلت لبابك ؟

– قلت إن أحد أصدقاء أخيك عضو فى الفرقة الموسيقية ، ومن المحتمل أن يتزوجك !

– أكنتِ تشعرين بنفس هذه المشاعر فى الأيام الأولى ؟

– أتعتقدين أننى نسيت ؟

وهمس بابك فى أذن بيتا :

– تريدين شيئًا تشربينه كى أحضره لكِ ؟

فسألت بيتا مريم :

– ماذا تشربين ؟ بابك يريد أن يحضر شيئًا طالما أن البرنامج لم يبدأ .

قالت مريم على الفور :

– أنا أصلاً لا أستطيع أن أتناول شيئًا .

قالت بيتا :

– وأنا كذلك لا رغبة لى الآن .

فسألها بابك :

– ألا تشعرين بالبرد ؟ أرى أنك خففت من ملابسك .

قالت بيتا :

– لا ، أشكرك ، الجو جميل .

قال بابك :

– على أية حال لو شعرت بالبرد تستطيعين أن ترتدى معطفى .

قالت مريم وهى تمزح :

– قلل شوية من دلعك ليها يا بابك ، بعدين تتكبر علينا !

ضحك بابك وقال :

– أترغبين ذلك ؟

قالت مريم :

- اسمحا لى أن أترككما لعدة دقائق.

قال بابك :

- آسف لأننا كنا سببًا فى تعبك الليلة .

قالت مريم :

- لا بأس ، أنا سعيدة لحضوركما .

نظر بابك إلى بيتا وقال :

- حقًا ، إننى أرغب بشكل جاد فى التعرف أكثر على أصدقاء حبيبتى بيتا ، خاصة وأنك محبوبة للغاية على ما يبدو .

وتلمست مريم وجنة بيتا الناعمة بظهر يدها وقالت :

- إن بيتا أقرب لى من الأخت ، أشكرك على لطفك ، بيتا ، عليكِ أن تعلمى قيمة بابك !

وبعد عدة دقائق من ذهاب مريم واجهت بيتا صوت ضجيج المشاهدين وصفيرهم . وكم منح القمر ونوره جمالاً خلابًا للآلات الموسيقية فى القاعة وكأنها قد أصقلت ، وحينما ازداد تشجيع المشاهدين دخل أعضاء الفرقة الموسيقية الواحد تلو الآخر ، وجلس كل منهم فى مكانه . وقد تأثرت بيتا - كالآخرين - بالجو المثير الذى سيطر على القاعة ، وصفقت بحماس ، وبدأت ترفع رقبتها كى ترى خطيب مريم المرتقب . وردّ العازفون بزيهم الموحد تحية الجمهور ، ثم بدأوا فى العزف الجماعى وسط القاعة ذات الإضاءة الخافتة .

* * *

مرت ثلاث دقائق قط على بداية البرنامج ، وعادت مريم إلى بيتا ، التى سألتها فى هدوء :

- أيّهم ؟

قالت مريم وهى تشير إلى عازف الجيتار على الجهة اليمنى :

- هذا ! الذى كان يحيى الجمهور فى بداية البرنامج بالقبلات .

ومرت سحابة سوداء أمام القمر ، ونظرت بيتا بدقة إلى وجهه ، كان كامران طويل القامة عريض المنكبين ، يربط شعره الطويل خلف رأسه ، كان أنفه المسحوب بين عينيه الزائغتين اللتين تشعان ذكاء ودهاء يتناسب مع وجهه ويجذب إليه المشاهد منذ النظرة الأولى رغماً عنه .

لم يكن جميلاً بشكل يفوق المعتاد من وجهة نظر بيتا ، لكن كان فى وجهه شىء ما يحث الطرف المقابل له على الإعجاب به .

كان مظهره من وجهة نظرها شبيهًا بأحد نجوم هوليود ، كان يرتدى معطفًا أسود اللون وقميصًا أبيض ذا ياقة طويلة ، وكان لمعان حذائه الأسود يدل وكأنه فى حفل ملكى ، وقد خرج قليل من شعره الناعم عن رباطه وانسدل على وجهه ، وكلما وضعه خلف أذنيه عاد ثانية مع أقل نسمة من نسيم الليل . وبتلك الأناقة وذلك الهدوء الذى كان يراعيه فى تعامله كأنه لا علم له بما يحدثه فى نفوس الجمهور و بذلك التماسك وتلك الثقة التى لديه ! كان عدد كبير من الفتيات فى القاعة يقذفن إليه بالورود فقد كان أكثر العازفين شبابًا ووسامة ، بينما كان يستمر فى عزفه فى ذلك الهدوء . حينئذ سألت بيتا :

- هذا الشخص الهادئ هو الذى استهواكِ ؟

قالت مريم فى حماس :

- عليكِ أن تسمعى عزفه على الجيتار ! إلهى ، أنا فداؤك ، حينما تعزف أصابعه الذهبية على الجيتار يقف الشعر فى جسدى !

جعلت بيتا تتأمله بدقة ، عجبًا ، إنها تظن بسابق معرفتها به وكأنها قد شاهدته من قبل فى مكان ما ! تمامًا كالحلم ، وكأن ضوء القمر والموسيقى قد أثر عليها . فى الحقيقة كان كما كانت تقول مريم بارعًا فى العزف على الجيتار ، وكان يبدو بجلاء مدى حبه له وخبرته فى العزف عليه . كانت حركاته مضبوطة وواعية تمامًا ، يبدو جسده قويًا فتيًا والجيتار فى حضنه كرضيع صغير .

بلعت بيتا ريقها بصعوبة ، كانت تبدو فى حاله من الذهول والدهشة ، فكرت أنها لو لم تقم بعمل ما سيخرج قلبها من بين ضلوعها ! اختلست النظر إلى بابك ، كان ينظر إلى منصة العرض ، كان ينتابها إحساس غير طيب وكأنها قد ارتكبت خيانة . نظرت وهى متأثرة لعدة ثوان على غيره من العازقين لكن عيناها عادت ثانية نحوه ، واستقرت على السلسلة الذهبية التى كانت تطوق رقبته . لمَ لمْ تجرؤ على النظر إلى وجهه ؟! فى الحقيقة إنها لم تكن تعلم ما الذى ألم بها ! لم تشعر بمثل هذا الإحساس من قبل حتى عندما تحدث معها بابك للمرة الأولى وصارحها بحبه ، شعرت تدريجيًا بالحرارة والحيوية تسرى فى جسدها ، وتصبب العرق منها ، نظرت إلى مريم وهى فى هذه الحال ، استاءت من نفسها للحظة بسبب مثل هذا الإحساس ، فهى تجلس بجوار أقرب صديقة لها ويرتجف جسدها تأثرًا بخطيب صديقتها وذلك فى وجود بابك خطيبها ! سألت بابك بهدوء :

- هل لنا أن نعود إلى البيت سريعًا ؟

والتفت بابك إليها فى دهشة ونظر إليها قائلاً :

- الآن ؟ وسط البرنامج ؟

- أنا تعبانة .

فى الحقيقة إنها لم تكذب فقد ألم الألم برأسها ، إلا أنها خشيت حينما نظر إليها بابك فى فضول وكأنها توهمت أن أفكارها ستبدو على جبهتها وتظهر فى عينيها . قال بابك :

- لونك مخطوف ! أعتقد أنك أخدتى برد .

كانت بيتا تشعر بعذاب الضمير ، لم تكن تفهم ما الذى ألم بها ، ولمَ وجب أن تشعر بمثل هذا الإحساس ؟ فتذرعت قائلة :

- أعتقد أننى متعبة بسبب الأصوات الصاخبة .

قال بابك مؤيداً حديثها فى قلق :

- نعم ، من الممكن حبيبتى ، لو مُصرة فلا كلام لى ، ألا تريدى فقط أن تخبرى مريم قبل الانصراف؟

قالت بيتا فى هدوء وباختصار بينما يرتجف صوتها :

- مريم حبيبتى ، يجب أن أنصرف .

سألتها مريم بنبرة معترضة :

- لمَ ؟ ألم يعجبك ؟

قالت بيتا وهى تحاول أن تبعد نظرها عن المنصة :

- كل شىء جميل ، أنا بس تعبانة.

سألتها مريم :

- حصل إيه ؟ يعنى إنتِ تعبانة لدرجة إنك لا تستطيعين الانتظار حتى نهاية البرنامج؟! أنا قلت لكامران إنى عايزة أعرفه عليكم .

كانت بيتا ترتجف من فكرة مواجهته ، فسألت فى عصبية :

- هل من الممكن أن تجعلى هذا التعارف لمرة أخرى ؟ لا أعلم ما الذى أحل بى ؟

قالت مريم فى دهشة :

- يعنى مش عايزة تتعرفى عليه عن قرب ؟ ماشى ، زى ما تحبى !

سألتها بيتا وهى حائرة :

- زعلتى ؟ بالله عليكِ خليكِ عاقلة .

قالت مريم :

- يعنى لو قلت اتفضلى امشى أكون عاقلة ؟! أية صديقة أنتِ ؟! تتركينى فى منتصف الطريق وتمضى ؟ أنا كنت معتمدة كتير على حضورك ، مش عايزة تشوفيه وتقولى رأيك فيه؟

قالت بيتا :

- يعنى مينفعش مرة ثانية ؟

قالت مريم :

- فيه وقت أحسن من دلوقتي وبابك موجود كمان ؟

نظرت بيتا إلى وجه مريم الساذج الحنون ، وفكرت : "لو تعلم ما هو تفكيرى بالنسبة لخطيبها .." إنها لم تكن راغبة في الهروب ، لكنها في الحقيقة كانت تهرب ، كانت تعلم أن هذا الموقف سوف يحدث يومًا ما من البداية حتى النهاية ، إلا أنها لم تستعد قط لتلك اللحظة . ربما تستطيع أن تواجهه من بعد حينما تتمكن من السيطرة على مشاعرها . لا ! إنها لم تكن تستطيع أن تمنح عقلها الفرصة للتفكير الصائب . يجب أن تبقى وتواجهه ، وهنا سألها بابك في قلق :

- ماذا قررتِ يا بيتا ؟

وما أن نظرت إليه حتى قالت :

- سأبقى ، لا أريد أن أتسبب في مضايقة مريم .

قالت مريم وهى سعيدة :

- لو كنتِ مشيتى كنت زعلت فعلاً .

وبينما كانت بيتا تنظرإلى كامران حتى ارتجفت ثانية من إحساسها بسابق معرفته . كان هذا الشعور حيًا وقريبًا لدرجة أنها كانت تتخيل أنها تعرفه منذ أعوام .

* * *

بعد انتهاء الحفل الموسيقى وانصراف الجمهور ، وقف بابك مع بيتا ومريم فى أحد الأركان يتحدثون فيما سمعوه وشاهدوه ، قال بابك فى صراحة:

- أنا شخصيًا استمتعت جدًا ، ولازم أشكرك يا مريم على دعوتنا .

ضحكت مريم وقالت :

- على الرحب والسعة ، أنا لم أفعل شيئًا ، كيف حالك بيتا ؟ أعتقد أن الحفل لم يعجبك .

ردت بيتا فى دهشة :

- فى الحقيقة عجبنى جداً .

سألتها مريم :

- طب ليه كنتِ عايزة تمشى وسط البرنامج ؟

رد بابك بدلاً من بيتا وهو ينظر إليها بحب :

- ألمّ بها الصداع ، من الجائز أن أذنها لم تكن قد اعتادت على هذه الأصوات الصاخبة، خاصة وأننا كنا فى الصفوف الأولى . تعلمين ؟ إن بيتا لا تتحمل أساسًا الأصوات العالية ، وأحيانًا تبدى اعتراضها حين أرفع صوت كاسيت السيارة كعادتى دومًا !

وتنفست بيتا الصعداء حينما لمست عدم انتباه بابك لحالتها غير العادية ، وقالت مريم وهى تمزح :

- أنا بقول إنك بتبالغ فى تدليلها .

وسألها بابك :

- إنتِ كويسة دلوقتى يا بيتا ؟

فقالت رغم كونها فى نفس الحالة :

- نعم ، كويسة .

فقال :

- طالما أنكما تشعران بالحر سأمضى وأحضر لكما شيئًا تشربانه .

وبعد رحيله قالت مريم :

- فى الحقيقة لازم تعرفى قيمته كويس ، إنه حنون للغاية وحبوب !

قالت بيتا وهى تضحك :

- لو إنتِ اللى مش هتشكرى فيه مين اللى هيشكر ؟!

سألتها مريم :

- كيف كان من وجهة نظرك ؟

ردت بيتا وهى لم تنتبه لمقصدها :

- قلت إنه كويس .

ضحكت مريم وقالت :

- أنا بتكلم عن الثانى !

نظرت بيتا إليها وهى ترتجف من إحساس الحب والكبرياء ، وحاولت أن تبعد ما كان يجول فى خاطرها وقالت بشكل جاد :

- يجب أن توافقى عليه ، وعلى ما يبدو إنكِ وافقت .

نظرت مريم إليها وهى تتأملها :

- إنتِ بتهرجى ؟!

- لا ، أنا بتكلم جد ! لم تعتقدين أننى أهرج ؟

- تعرفى ؟ جايز أكون حمقاء ، لكن ليس لدى سبب منطقى ومقنع حتى الآن كى أحبه .

- أ للحب سبب منطقى ؟!

- إنه يعجبنى ، لكننى حينما أفكر بعقلى أتردد قليلاً .

- ليه ؟ هو مش اختيارك ؟

- هى دى المشكلة ، إننى لا أفهم كيف صرت أسيرة له ، لقد سألت نفسى ذات مرة هل وقعت فى الحب هكذا بمثل هذه البساطة ؟!

- كل شخص يثق فى نفسه يشعر بنفس الإحساس .

- بتتكلمى جد ؟

- لكن ضعى فى اعتبارك أن الحياة مع الفنانين ليست سهلة .

وإذا بصوتٍ من وراء مريم يقول :

- تماماً !

التفتت مريم وبيتا تجاه الصوت فإذا بكامران ، كان قد بدل ملابسه ويبدو فى عينيه الفضول والشقاوة ، إحمر وجه مريم خجلاً ، لكن بيتا .. قد أصابها الضعف ، ركبتاها ترتجفان من الداخل، ولسانها قد عقد تماماً ، قال :

- مساء الخير عليكما ، أمل ألا أكون قد قطعت حديثكما الشيق . مريم ، ألا تريدين أن تعرفينا ؟ سمعتك قبل بداية البرنامج تذكرين أشياءً عن أقرب صديقة لك .

وفى تلك اللحظة وصل بابك ، وما أن رأى كامران حتى أخذ يمتدحه وبعد أن قامت مريم بالتعريف ، قالت :

- حقًا ، لقد كنت تعزف ببراعة يا ...

قاطعها كامران مبتسماً وهو يمد يده للسلام :

- كامران .

قالت مريم :

- بابك كان معاه حق ، ومش احنا بس اللى بنقول الكلام ده ، الجمهور كله شهد بذلك .

انحنى كامران وقال مازحًا :

- دومًا تتلطف مريم معى وتعاملنى على هذا النحو حتى تجعلنى أصدق أننى أنجزت عملاً خارقاً.

قال بابك :

- لا شك أن مريم على حق تماماً ، لكننى أرى أن عزفك خير دليل ولا يحتاج فى الواقع إلى المجاملة .

ضحك كامران قائلاً :

- وهذه أيضاً مجاملة أخرى تثير غرورى وأنا عازف مبتدئ ! تعلمون ؟ فى الحقيقة أن هذا العزف الجماعى لا يكون الفضل فيه لفرد ما ، فكل فرد يقوم بالدور الذى ينبغى عليه !

شعرت بيتا بالدوار وكأنها كانت تسمع أصواتًا عن بعد ، وسأل بابك :

- معذرة على تطفلى ، لكن قل لنا ، منذ متى تعزف على الجيتار ؟

قال كامران وهو ينظر إلى بيتا خلسة بينما كانت ترتجف :

- منذ أكثر من اثنى عشر عامًا !

شعرت بيتا بالوهن الشديد ، واستمر بابك فى أسئلته :

- أتعزف على آلات أخرى ؟

كانت نظرات كامران تتجه تمامًا إلى بيتا ، وما أن نظرت إليه حتى رد على بابك :

- نعم ، أحيانًا أعزف على البيانو ، وأحيانًا أعزف على الكمنجة ، معذرة ، إنتِ كويسة ؟

كان يقصد بيتا ، والتفت بابك ومريم ناحيتها ، كان لونها مخطوفًا بشدة وقلبها يخفق بسرعة ، سألها بابك وهو مضطرب :

- بيتا ، فيه إيه ؟

وردت عليه بصعوبة :

- معذرة ، مش عارفة إيه اللى حصلى مرة واحدة ...

وضع كامران مقعدًا خلفها ، وسألتها مريم وهى تحاول أن تجلسها :

- بيتا ، إنتِ كويسة ؟

سأل بابك مريم :

- عفوًا ، أيوجد هنا قليل من الماء البارد ؟

رد كامران على الفور :

- سأحضره حالاً .

شكره بابك ، وقالت مريم لبابك على سبيل المزاح لتلطف من الجو بعد رحيل كامران :

- أى عيب أو نقد لك عنه ؟ قل ، لا تخجل ، بابك ، اوعدنى ألا تخجل !

سأل بابك بيتا :

- إنتِ كويسة ؟

قالت بيتا بضحكة مفتعلة :

- لا تقلق ، أنا كويسة .

قالت مريم :

- دى غلطتى ، ما كانش لازم أغصبك على البقاء .

قال بابك وهو ينظر إليها :

- أعتقد إن ضغطها انخفض ، تشربى عصير ؟

رفضت بيتا ، وقالت مريم :

- هى دايمًا صايمة يا بابك ، مبتاخدش بالها من نفسها !

فى تلك اللحظة عاد كامران بكوب الماء وبعض قطع السكر ، وقالت مريم وهى تضع السكر فى الكوب :

- بالله عليك ، انظر إلى لونها .

قال كامران وكان صوته يجعل بيتا فى حالة من الرجفة :

- آمل ألا يكون الأمر خطير ، وإلا ستظل بيتا تتذكر هذه الليلة دومًا على أنها ذكرى لموقف أليم .

كانت بيتا تدرك أنها يجب أن تقول شيئًا إلا أنها لم تستطع ، واكتفت بابتسامة بينما تتملكها الرجفة . سألت مريم :

- ممكن أن تكون الأصوات الصاخبة سببًا فى ذلك !

فقال كامران وهو ينظر إلى بيتا :

- نعم ممكن ، على أية حال هذا نوع من التلوث الصوتى ! ولو كان الأمر كذلك فلابد أن بيتا تتسم باللطف والرقة .

قال بابك :

- نعم ، إن بيتا حساسة للغاية ! وذكرت ذلك من قبل إلى مريم .

قال كامران فى هدوء :

- فى هذه الحالة لن أسامح نفسى قط لأننى كنت سببًا فى أيذائكما .

وتغير وجه بيتا ، وسأل بابك :

- إنتِ أحسن ؟ تحبى نمشى ؟

قال كامران :

- نعم ، أعتقد أنها فى حاجة إلى الراحة ، لو لم يكن لديكما وسيلة مواصلات ..

ردت مريم بدلاً عن بابك :

- بابك معه سيارة ، لكننى كنت أريد أن نتناول العشاء معًا .

قال كامران :

- مريم على حق يا بابك ، أعرف مطعمًا فى تلك الناحية لا يوجد فيه طعام سيئ.

قال بابك وهو يحمل حقيبة بيتا :

- على الرحب والسعة ، لا شىء سيئ قط فى جواركما ، لكننى أرى من الأفضل أن نؤجل ذلك إلى وقت آخر تكون بيتا فيه فى حالة جيدة !

قالت بيتا بصوت خافت وهى تنهض من مكانها :

- آسفة جدًا يا كامران لحدوث هذا الموقف فى اللقاء الأول لنا .

أحنى كامران رأسه قليلاً وسأل بوضوح :

- هو بإيدك سيدتى ؟ بل أنا الذى أعتذر بسبب عدم وجود إمكانيات للاستقبال إننى لم أكن أرغب حقًا أن أستقبل أعز صديقة لمريم على هذا النحو.

قالت مريم فى هدوء وهى تقبلها :

- سأتصل بكِ مساء غد ، خلى بالك من نفسك .

كان كامران لا يزال يوجه نظراته إليها ، وكيف لا يلتفت الشخص إليها؟!

قامت بيتا بإلقاء تحية الوداع دون أن تنظر إليه ورحلت مع بابك وهى تسحب قدميها . كانت تشعر وكأن وزنها قد زاد مائة كج ! شىء لا يمكن تصديقه ، كانت الخطوة الصغيرة بالنسبة لها طويلة ومرهقة للغاية ، كانت تشعر أن نظراته تتبعها من الخلف ، رغبت مرة أو مرتين فى الالتفات إلى الوراء لكنها لم تستطع ، كانت تخاف!

فى تلك الليلة شكرت بيتا الله بسبب تعبها ، فقد كان ذريعة تجعلها فى مأمن من أسئلة بابك والرد عليها . فلو كانت فى حالٍ أفضل ، فأى تفسير لديها لصمتها واضطرابها ؟

لم يتحدث بابك حتى وصولهما إلى المنزل ، لم يجلس معها بالمنزل ليلاً على عكس العادة ، ورفض بشدة دعوات بيتا المتكررة له بالدخول ، وحينما وجد أن إلحاحه لأخذها إلى الطبيب لا جدوى منه ، تركها أسرع من أى وقت آخر !

(٨)

حاولت بيتا أن تنام ، لكنها كانت من الحيرة بما يجعلها لا تستطيع الخلود إلى النوم! كانت تتقلب على فراشها كالطائر الذبيح تحاول أن تطرد عن خاطرها الأفكار التى كانت تنخر فى روحها كالأرضة ، ابتلت وسادتها من غزارة العرق ووهن قلبها ، نظرت إلى الساعة المجاورة لسريرها وهى واهنة ، لقد مر على ذلك اللقاء المؤثر أكثر من خمس ساعات لكنها لاتزال تشعر بنفس إثارة الدقائق الأولى له . تركت فراشها لتتناول بعضاً من الماء ، خرجت من حجرتها وسط الظلام .

يا الله ! لقد كانت فى درجة من الإفاقة والوعى وكأنها قد نامت لساعات طوال! مضت ناحية الثلاجة تتحسس الخطى ، لم تشعر قط بذلك العجز ، صبت كوباً من الماء وحملته إلى فمها ، لكنها لم ترغب فى تناوله ، وضعت الكوب بعصبية فوق المائدة ، ودون أن تكلف نفسها مشقة غلق باب الثلاجة جلست على مقعد فى نور الثلاجة الخافت . كانت كالأطفال الصغار الذين يتذرعون بالحجج كى لا يخلدون إلى النوم ! تملكها الضحك من هذا الوصف .

فى الواقع ، إنها كانت تصر على عدم قبول الحقيقة ، لم تكن تستطيع تقبل فكرة أن السبب فى تغيرها هو لقاء كامران المفاجئ ! أى حادث سيكون على وشك الوقوع ؟! إنها كانت تتأثر حتى من تذكر نظراته ! ومرة أخرى تملكتها حرارة داخلية حينما تجسدت أمامها تلك العيون الجريئة فى ذلك الوجه الأخاذ ، وجعلت تلتقط أنفاسها ، وألصقت كوب الماء على وجهها بيدها المرتجفة ، وكأنه سبيل لإفاقتها ! حاولت أن تفكر فى بابك . كانت ترى أن لا معنى لبعاده عنها فجأة لليلة واحدة ، ضحكت ، فهى من الأساس لم تشعر بالاستياء قط من هذا الأمر ، وكأنه لم يوجد قط فى حياتها !

ارتعدت لحظة فى الخلاء والظلمة لشعورها بالذنب ، حاولت أن تتذكر آخر لقاء بينهما ، هل راوده الشك ؟ إنه لم يودّعها بشوق ! تذكرت مريم وكامران ! كيف كانا يفكران ؟ ارتسمت أمام عينيها نظرة مريم الدافئة ، لا ، لاشك أنها لم تنتبه إلى شىء . وكامران ؟ كانت مترددة بشأنه وظلت ملامح الجرأة والشقاوة فى نظراته تراودها ! على أية حال إنه اعتاد على رؤية مثل هذا التأثير لدى الفتيات تجاهه ، ولعله لم ينتبه إليها من كثرة مشاهدته لذلك ! إذن أى معنى لتلك النظرات ؟ لا ، إنها لا تشبه نظرات القلق ! بالرغم من كونه أول من انتبه لتغير حالها ! ... تصبب العرق من جسدها ! لم تفهم ماذا حدث ؟ لو تحدثت على المكشوف ، فماذا تقول لمريم ؟ تصدع رأسها من تلك الأفكار ، كانت تشعر أنها تدنت إلى حد لا ينبغى التدنى إليه ، كأن شيئًا يفوق الكبرياء قد ملأ كل كيانها ، وشيئًا يفر من كيانها ويشعرها بالمتعة !

أغلقت باب الثلاجة بهدوء وعادت ثانية وسط الظلام إلى حجرتها ، لم يحثها شىء من قبل على السهر حتى الرابعة صباحًا ، إنها لم تسهر فى أى وقت قط ، حتى فى أيام الامتحان !

فكرت : "طالما وقعت أنا تحت هذا التأثير ، فآه على حال مريم "! إنها كانت تحاول ألا تشك مريم فى سلوكها ولو لذرة واحدة . لاشك أن كامران كان رجلاً مؤثرًا وجذابًا ! إنه يفوق جميع من رأتهم أو تعرفت عليهم حتى ذلك اليوم . لم يكن هذا الانطباع لديها بسبب وسامته ، فمن المؤكد أن ثمة شيئًا آخر فيه جعله شديد الأثر على الطرف المقابل له وكأنه قسيس قوى ، رأت بيتا هذه الحقيقة ولمستها فى سلوك معظم الفتيات اللائى حضرن الحفل الموسيقى ونظراتهن . وحينما حلت الساعة الخامسة صباحًا انصرفت بيتا تمامًا عن النوم وذهبت إلى الحمام للخروج من هذه الحالة .

فتحت بيتا عينيها عند سماع صوت أمها ، كانت رأسها ثقيلة ثقل الجبل، وكان بدنها مرهقًا لدرجة أنها لم تستطع تحريكه . قالت نسرين :

– ماشاء الله ، صحى النوم ، نمتِ كتير يا بنتى ، الدنيا ضلمت .

قالت بيتا بصعوبة :

– بالله عليكِ يا أمى سيبينى أنام ، أنا تعبانة .

وضعت نسرين يدها على وسطها ، وقالت :

- اتكسفي من نفسك وقومي ، مريم على الخط ، دي تاني مرة تتصل بكِ فيها.

- مريم ؟!

وقامت وهي بين النوم واليقظة ، وقالت :

- ليه ما صحتنيش ؟!

وضغطت نسرين على مفتاح الكهرباء وأضاءت الحجرة ثم خرجت منها وهي تهمهم :

- إلهي ، إنتِ كنتِ رايحة في النوم لدرجة إنك لم تشعري ببابك اللي طلبك مرتين أو ثلاثة لغاية دلوقتي .

وضعت بيتا سماعة التليفون على أذنها بينما كان النور يؤذي عينيها :

- ألو ؟!

قالت مريم وهي تمزح بنبرة معترضة :

- صح النوم ، إزيك ؟ إنتِ بتستغلي يوم الأجازة كويس !

نظرت بيتا إلى الساعة فإذا بها السابعة بعد الظهر ، فلم يكن لسهر البارحة نتيجة أكثر من هذا ، فسألت بيتا :

- إنتِ اتصلتي قبل كده ؟

فردت مريم :

- نعم ، من ساعة أو ساعتين .

قالت بيتا بصوت منهك :

- معذرة ، لم أعلم ، الغلطة غلطة ماما لأنها ما صحتنيش .

قالت مريم :

- لم أقصد ذلك ، ألم تقولي لأمك أنكِ تعبت ليلة البارحة ؟

- هو حصل حاجة ؟!

- أبداً لما قلت لها سيبيها تنام لأنها تعبانة إتأثرت .

- ما كانش فيه حاجة خطيرة ، محبتش أقلقها .

- وازيك دلوقتى ؟

- كويسة ، شكراً .

- عرفتى كويس ، وعرفتينا احنا كمان يا قردة إنك غالية علينا .

- لا والله ، امبارح روحى انسحبت منى فجأة .

- لما شوفتى كامران تغير حالك ؟!

واندهشت بيتا للحظة إلا أنها التقطت أنفاسها حينما ضحكت مريم ، فقالت :

- عليك اللعنة وعلى كلامك ، ماشاء الله ، كم أنتِ عصبية !

- الموت للعصبية ، لو كنت حساسة فهذا لأننى لا أستطيع أن أعيش معه ، ألم ترى البنات ؟ حقًا ، لم تقولى رأيك فيه !

ووقف شىء ما فى حلق بيتا إلا أنها قالت بصعوبة :

- ورأيى مهم فى إيه ؟ إنتِ الأساس .

- ألم يحدثك بابك بشىء ؟

- لا ، لم يقل شيئًا .

واضطرب قلب بيتا وقالت بصعوبة :

- ماذا قال ؟

قالت مريم وهى جاهلة بحال بيتا :

- عجبه بابك جداً ، شكر فيه كتير .

- وماذا عنى ؟ ألم يقل شيئًا عنى ؟!

كانت نبرتها فضولية إلى حد ما ، جزت على شفتيها بأسنانها لبضع ثوانٍ ، ماتت وصحيت مائة مرة ! حتى قالت مريم :

- لا ، هو سأل عن أحوالك فقط .

والتقطت بيتا أنفاسها وظلت صامتة ، قالت مريم :

- لقد تحدثنا اليوم بالتفصيل في التليفون ،كان المسكين منزعجًا جدًا عليك ، وأنا كذلك ، لم نكن نعلم إن الهانم ممكن تتغير أحوالها كده !

- أنا نمت عند الظهيرة ولم أشعر بشيء بعد ذلك .

- قالت أمك إن بابك اتصل أكثر من مرة !

- لازم أكلمه ، أكيد كان قلقان !

- إنه كقطعة من القمر ، لقد واتاكِ الحظ .

- عرفتي منين ؟

- كان واضح ، وكامران قال ذلك أيضًا عندما رآه للمرة الأولى .

- حقًا ؟ قلما يمتدح الرجال بعضهم .

- إنه يختلف عن الجميع !

وبدأ قلب بيتا يخفق ثانية ، فضحكت مريم ، وقالت :

- حسنًا ، مش هضايقك ، أردت فقط الاطمئنان على أحوالك .

- شكرًا

- حقًا ، أريد أن أسألك عن شئ قبل أن أنسى .

- اتفضلي !

- الأسبوع القادم كامران هيعمل حفلة لأصدقائه ، تيجي معايا؟

وهزت قلب بيتا فكرة لقائه ، فقالت على الفور :

- لا يا مريم ، روحي إنتِ أحسن .

– لقد وجه الدعوة إليكِ أنتِ وبابك .

واضطرب قلب بيتا وصمتت ، فقالت مريم :

– طلب منى اليوم أن أقوم بدعوتكما بدلاً عنه .

قالت بيتا على عكس رغبتها :

– لا يا مريم ، أعتقد أننا لا نستطيع .

– لمَ ؟

– لأنه لا يعرفنا ولا نعرفه !

– علشان كده بس ؟ إيه الكلام ده ! إنتِ حقًا إنسانه غير اجتماعية وفاترة !

– لمَ ؟ لمجرد أننى أرفض دعوة رجل غريب ؟

وكانت نبرتها أحد مما كانت تظن ، فقالت مريم فى عتاب :

– رجل غريب ؟ طب أعمل إيه ؟ إنتِ رفضتى لإنه لم يقم بدعوتكما بنفسه بشكل رسمى؟

– صدقينى الموضوع مش كده .

– طب إيه هو الموضوع ؟ إنتِ عارفة إنى محتاجالِك فبتدللى ؟

– محتاجانى فى إيه ؟!

– إنتِ حمقاء وعارفة أمى وأخويا ، إزاى هخرج يوم الأجازة من البيت ؟

– وكيف خرجت امبارح ؟ افعلى ما فعلته بالأمس !

– عايزة تعرفى عملت إيه ؟ قلت لأمى إنى كنت معاكِ إنتِ وبابك .

– يا مؤذية ، يا مية من تحت تبن ، إنتِ كنتِ بتطمعينى ؟ كويس إنك ارتبطتِ وإلا إيه عرفنا ماذا يحدث فى أيامك ، لقد قلت فى نفسى لم تخلصين لى هذه الأيام ، وقد عرفت الآن ...

– أيوه ، اتكلمى بصوت عال علشان مامتك تفهم !

- وإذا مقدرتش آجى هيحصل إيه ؟

- إنتِ غلطانة ، هى دى حاجة بإيدك ؟

- تعالى وقولى لى ، هى الحفلة إمتى ؟

- يوم الجمعة ، بس مش عارفة الساعة كام ، هقولك بعدين .

كلما فكرت بيتا فى لقائه ارتجفت بسبب شعورها بالذنب ، فقالت وكأنها تلتمس الحجج :

- مريم ، حقًا لا أستطيع الحضور ، كمان بابك ممكن يرفض !

قالت مريم بنبرة معترضة :

- لمَ ؟ ده يوم أجازة !

ردت بيتا :

- الموضوع مش كده ! أصل اليوم ده هو يوم راحته الأسبوعية ، إزاى هقدر أقنعه؟

قالت مريم :

- مش عارفة ، لو إنتِ عايزة هتقدرى .

قالت بيتا فى دهشة :

- بالله عليك كيف تقنعين من أمامك ؟

قالت مريم :

- لو بتفكرى كويس هتلاقى إن الموضوع ده فى مصلحتنا ، فلو اقتربا هيكون أفضل لينا بعدين !

سألتها بيتا وهى تكاد تفقد حواسها :

- كيف ؟

قالت مريم :

- حسنًا ، لو اختلط الرجال وتقاربوا نستطيع أن نتنقل ونتزاور بسهولة أكثر ..

ضحكت بيتا وهى لم تستطع أن تتخيل ما ذكرته مريم ، وقالت :

- أتفكرين حتى في ذلك الوقت ؟

- إنتِ بتهرجى ؟ !

قالت بيتا بشكل جاد :

- انظرى ، بغض النظر عن هذا الكلام ، لا تعتمدى علىّ كثيراً ، هو أنا راس البصلة أم أسفلها ؟

قالت مريم وهى مندهشة :

- هتتكلمى تانى ! تسلم إيدك ! حقًا إنك تعرفين حق الصداقة ! مش محتاجة حاجة ؟

ردت بيتا على الفور :

-إنتِ عملتى زى الأطفال وزعلتى ؟

قالت مريم :

- لا ، أنا معنديش خاطر عندك ، إنتِ مش عايزة تيجى ، والموضوع مش عافية .

ردت بيتا فى عصبية :

- ماشى ، هاجى ، استريحتى ؟!

قالت مريم وهى سعيدة :

- إلهى ، أنا فداؤك ، كنت عارفة إنك هتوافقى .

* * *

مددت بيتا جسدها فوق السرير ، واستيقظت على صوت جرس الباب ، كان بابك وأسرته ، كانت تلك الليلة إحدى الليالى التى لم ترغب فيها فى لقاء شخص ، لكنها كانت تعلم بوجوب مقابلتهم فى كل الأحوال . رتبت من هندامها أمام المرآة ، وخرجت من الحجرة ، كانت فرشته تقبل والدتها وما أن رأتها حتى قالت وهى تمزح :

- ربنا ما يجيب حاجة وحشه ، سمعت إن بعوضة لدغتك !

قبلتها بيتا فى وجهها وقالت :

- نعم ، وأية بعوضة ! أين خالى ؟

قالت نسرين :-

- في حجرة الاستقبال ، صبى الشاى وتعالى .

بعد رحيل نسرين غمزتها فرشته وقالت :

- هو كل اللى عملتيه ده علشان تبقى غالية أكتر عند أخويا ؟

ضحكت بيتا وقالت :-

- لعلنى لست كذلك ؟!

قالت فرشته مقطبة جبينها بتقطيبة مصطنعة :

- مش قليل ! إنتِ مش عارفة عمل إيه من امبارح لحد دلوقتى ، ليه مردتيش على تليفونه ؟

قالت بيتا :

- والله كنت نايمة لحد ساعة أو ساعتين ، فكرت إنى اتصل بيه بعد العشاء فإذا بكم تأتون . أين بابك ؟

قالت فرشتة وهى تخلع الجاكت :

- جاى حالاً . إزيك دلوقتى ؟

قالت بيتا وهى تضحك :

- ما كانش فيه حاجة خطيرة ، أعتقد إن ضغطى انخفض شوية ، بالله عليكِ أرأيتِ كيف نشر أخوك الخبر بين الجميع فى طرفة عين ؟أنا لم أذكر لأمى شئ.

قالت فرشته :

- أين كنتِ كى ترى ؟ إن الذى لم يكن يعلم تصور ماذا حدث ؟ لقد جعل يتحدث كثيراً حتى نفر الجميع منه .

قالت بيتا :

– على كل حال هذا من لطفك ، امضى أنت إليهم وسوف أتى .

قالت فرشته :

– متتعبيش نفسك ، إنتِ لسه مستردتيش حالتك الطبيعية !

سألتها بيتا :

– إزاى ؟

تأملت فرشته وجهها وقالت :

– أرى أنكِ منهكة قليلاً.

– الموضوع مش خطير ، أعتقد إنى نمت كتير بس .

وضعت فرشته يدها حول وسطها ونظرت إليها ثم قالت :–

– قولى الحق ، عملتى إيه فى أخويا المسكين ده لدرجة إنه مش عارف راسه من رجليه؟!

قالت بيتا وهى تبتسم :

– ما سألتهوش ليه ؟

فى تلك اللحظة دخل بابك من الباب ، وارتجف قلب بيتا من شعورها بالذنب ، كان يمسك فى إحدى يديه علبة حلوى وفى اليد الأخرى كيسًا من النايلون أسود اللون غير معلوم محتواه .

– سلام بيتا ، إزيك ؟ كويسة دلوقتى ؟

قالت فرشته مازحة :

– دايمًا تلقى التحية على خطيبتك ، هو أنا السبب فى ضيقك ؟!

ضحكت بيتا وانتظرت حتى ذهبت الى حجرة الاستقبال مع أفراد الأسرة، وبعد أن صارا بمفردهما ، قالت وهى تأخذ علبة الحلوى :

- أخجلتنى ثانية .

وضع بابك الكيس النايلون أمامها وقال :

- هذه وصية الوالد !

سألته بيتا :

- ما هذا ؟

قال وهو ينظر إليها :

- كبدة ! أنت ضعيفة جداً يا بيتا .

طأطأت بيتا برأسها وفكرت : " كم هو جميل ألا يتعرف البشرعلى أفكار بعضهم البعض " . ثم قالت بصعوبة :

- تسلم إيد خالى الحبيب !

قال بابك وهو يخلع معطفه :

- لو تعرفى كم كان غاضباً منذ الصباح !

- ليه ؟!

- يعتقد أننى غير مهتم بك .

واستقر عرق الخجل فوق جبهة بيتا ، إن الشخص الذى لم تفكر فيه طوال اليوم هو بابك !

- إنتِ كويسة النهاردة ؟

- شكراً .

- لكن لسه لونك مخطوف ، اتصلت بيكى الصبح مرة أو مرتين وسألت العمة عنك .

- قالت لى ! سامحنى لأننى لم أستطع الاتصال بك

- منذ نصف ساعة لم أتحمل ، فرأيت أن آتى لزيارتك .

- أشكرك ، لكن لم يكن من الضرورى إزعاج الآخرين مفيش حاجة خطيرة .

- والدى قال لى إنه مش قادر يتحمل تعبك وإنه لازم يأتى بنفسه ، حقًا إننى أرى من الأفضل الذهاب إلى الطبيب .

قالت بيتا وهى تبتسم :

- أنا كويسة جداً ، امض إلى الأسرة ، هصب الشاى واجى .

أخذ بابك علبة الحلوى من يدها وقال :

- أنا هاخدها وندخل مع بعض .

خجلت بيتا من نفسها وهى تصب الشاى بسبب ما جال فى خاطرها ليلة البارحة ، كانت ترى أن ورود تلك الأفكار لا يقل عن كونه دربًا من الجنون ، كيف يمكنها تجاهل ذلك الرجل الذى تتمناه كل فتاة زوجًا لها ، وتفكر فى رجل آخر تعرفت عليه منذ ساعتين فقط ؟! نظرت خلسة إلى بابك الذى كان ينظر إليها فى حب . هذا هو الرجل الذى يجب أن تخلص له حتى آخر لحظة فى عمرها ، فقد أثبت لها مراراً أنه لا يبغى سواها ، وأحيا بداخلها مشاعر الحب التى خمدت ، ضحكت دون وعى على ذلك الشعور الذى تملكها ، لمَ تخشى من مواجهته ؟ وهنا سألها بابك :

- علام تضحكين ؟ !

قالت بيتا :

- على نفسى !

- تقصدى إيه ؟ أهناك شىء لا يجب أن أعرفه ؟ !

نظرت بيتا إليه وقالت :

- لتعلم أن حالة من الجنون تنتابنى بين الحين والآخر .

ضحك بابك وقطب جبينه بشكل مصطنع ، وقال :

- إذن ماذا يجب أن أقول ؟ فقد صرت مجنونًا منذ فترة !

قالت بيتا وفى يدها صينية الشاى :

- كنت أقصد شيئًا آخر .

نظر بابك إليها ووضع يده فى جيب البنطلون وقال :

- أيًا ما كان قصدك فلا فرق لدىّ ، أنا أحبك فى أى وضع تكونين .

في هذه اللحظة دخلت نسرين المطبخ وقالت :

- أرى أن حديثكما لا ينتهى ، إيه أخبار الشاى يا بنت ؟ خالك بيسأل عنك .

قال بابك لنسرين وهو يقبل وجهها :

- يجب أن أقبل يدك كل يوم مائة ألف مرة يا عمتى الحبيبة ، فقد أهديتنى هذه الجوهرة .

قالت نسرين وهى تمزح :

- إنت هتتغزل فيها ؟ !

ثم سألت بيتا :

- ليه ما قولتليش إنك كنتِ تعبانة امبارح ؟ لازم أعرف من برة ؟

قالت بيتا :

- مفيش حاجة خطيرة يا أمى .

قالت نسرين :

- بالله عليكِ ، انظرى إلى لون وجهك ، وقولى لى لمَ نمت منذ الصباح وحتى الآن ؟!

وبينما كان بابك ووالدتها يتحدثان كانت بيتا تفكر فى حيلة لطرح موضوع دعوة الأسبوع القادم ، وكأنها فكرة عارضة تمر على ذهنها ...

(٩)

كانت بيتا تصغى منذ نصف الساعة إلى حديث مريم فى صمت وضيق ، لكن لم يكن لديها أية أسباب منطقية ومقنعة لحضورها ضيافة كامران ، ودخلت مريم - التى كانت فى حيرة من أمرها - إليها كالعادة بأسلوبها وهى متأثرة ، انحنت ناحيتها وقالت فى جدية :

- زى ما أنتِ عايزة يا ست بيتا ، الدور هيجى علىّ فى الآخر !

كانت بيتا تبدى ضيقها وهى تقود السيارة ، وقالت :

- احنا فعلاً أمورنا غريبة ! مش معقول حبيبتى كل ما تحبى تروحى إحدى الضيافات أروح وراكى ! طب هو هيفكر فينا إزاى ؟ مش هيقول دى ناس فاضية ملهاش شغلانة ؟

قالت مريم :

- عندما دعاكما لم يقل هذا الكلام ! لا يجب أن تتذرعى بالحجج .

قالت بيتا فى هدوء :

- لعل سيئ الحظ هذا جاملك ! إن غطاء الإناء مفتوح فأين حياء القط ؟ بالإضافة إلى ذلك أى تراب أنثره على رأسى ؟ أروح لبابك وأقوله تعالى نروح ضيافة فى منزل فلان ؟ !

وأطاحت مريم بكلامها فى الهواء ! وقالت :

- طب سيبينى أنا أقنعه .

- تقنعيه إيه يا مريم ! هو ما بيعترضش على أى حاجة أقولها ! عايزة الحقيقة أنا تعبانة .

- تعبانة ؟ ! ليه ؟ هما بيعملوا فيكي إيه ؟ وبعدين إنتِ مش هتكونى لوحدك !

- مريم ، أنا لما بفكر فى الموضوع ألاقيه مش صح !

- ماشى ! زى ما أنتِ عايزة ! لكن متزعليش لو ما حضرتش حفل جوازك بكرة أو بعد بكرة !

- إنتِ إنسانة غريبة ! هناك فرق بين هذا وذاك !

- إيه الفرق ؟ فى الأول وفى الآخر هنتجوز .

- بس إنتِ لسة !

- طالما عندى صديقة زيك لا أعتقد إننا هنتجوز بالسرعة دى .

- وأنا علاقتى إيه بالموضوع ؟ إنتِ متعبة ، قولى له يتقدم بسرعة ! هو عايز وقت أد إيه علشان يتعرف عليكى ؟

- ده كلامك الأخير ؟

- ماذا حدث ؟ هل قلنا لحصان الشاه يا بغل ؟ (*)

- فى رعاية الله بيتا ، أنا هنزل هنا !

- بابا ، بالله عليكِ فكرى فىّ !

- زمان قالوا إن الصديق هو اللى ياخد بايد صديقه وقت الشدة والضعف، اسمعى حبيبتى ، حمارنا لم يكن له ذيل منذ أن كان جحشاً (كناية عن الإصرار) .

- زعلتى تانى زى الأطفال الصغيرين ، إيه يا مريم التصرفات دى ؟

- اللى قدامك لما يشوف تصرفاتك دى هيندم على تصرفاته معاكى .

- يا رب اذهب للجحيم بسرعة علشان أخلص من اللى أنا فيه ده !

(*) به اسب شاه كفتيم يابو . مثل فارسى للدلالة على احتمالية الخطأ سهواً .

نظرت بيتا إليها فى دهشة ، هذه هى المرة الأولى التى ترى فيها دموع مريم ، سألتها وهى غير مصدقة :

- مريم ، إنتِ بتبكى ؟ !

التفتت مريم نحو النافذة وصمتت ، ومدت بيتا علبة المناديل إليها وضحكت وهى تقول :

- واه ، أى قلب رقيق لديك أيتها الفتاة ! إيه اللى حصل ؟ أنا قلت إيه ؟

غطت مريم وجهها بيديها ، فسألتها بيتا :

- زعلتى منى ؟ يعنى وجودى مهم أوى كده ؟

قالت مريم وهى تمسح وجهها :

- إنتِ تفتكرى إنى مبسوطة من الوضع ده ! تفتكرى إنى بكون مبسوطة لما كل مرة اترجاكى علشان تيجى معايا ؟

بدأت بيتا حديثها :

- مريم ، صدقينى ، أنا .....

- لست أنتِ ما قصدت الحديث عنه ، أفكر أحيانًا أنكِ ستتزوجين ويهدأ بالك ، فهمتى ماذا أقصد ؟ !

- ما هذا الكلام يا مريم ؟ إن رائحة القسوة تفوح من حديثك ، لم نكن هكذا قط!

- لا شخص لدىّ أقرب إلىّ منك .

قالت بيتا وهى تبتسم :

- لكن بينا وبين بعض ، فقد تمكن من تضليلك !

فردت مريم بجدية :

- أقسم بالله يا بيتا إنى قررت عشر مرات حتى الآن أن أبتعد عنه لكننى لم أستطع .

سألتها بيتا :

– ليه تبعدى عنه ؟ إنتِ مش بتحبيه ؟ !

قالت مريم فى عصبية :

– نعم أحبه ! وكل ما أعانيه بسبب هذا القلب الميت صاحبه .

قالت بيتا وهى تواسيها :

– إهدأى ، كل شئ هيبقى كويس ! إنتِ مش زعلانة منى ؟

قالت مريم بابتسامة مصطنعة :

– لا بابا ، إنتِ مالكيش ذنب .

قالت بيتا :

– صدقينى ، لم أستطع أن أخبر بابك حتى الآن .

انتظرت مريم قليلاً ثم قالت :

– تحبى أكلمه أنا ؟

قالت بيتا وهى تفكر :

– مش عارفة ، إنتِ شايفة ده صح ؟

قالت مريم :

– إنتِ شايفة إيه ؟ هل ترين أنه سيطرحنى أرضًا ؟

قالت بيتا :

– استبعد ذلك ! متى تبدأ الضيافة ؟

قالت مريم :

– عند الغروب ، لكن أنبهك مسبقًا أن كل شىء فى هذا الحفل متداخل فلا تستغربيه .

قالت بيتا :

- مفيش فرق عندى لو عايزة آجى ، أعتقد إن بابك هيحس إنه غريب !

سألتها مريم :

- متى تقابلينه ؟

ردت بيتا :

- الليلة على العشاء فى منزلنا ، وغداً سيأتى ظهراً إلى الجامعة ونذهب معًا للتسوق ، فغداً يوم ميلاد فرشته وأنا عايزة أعملها مفاجأة .

سألتها مريم :

- تقدرى ترتبى ميعاد بكرة علشان أقابل بابك ؟

ضحكت بيتا وقالت :

- كأنك عقدت العزم على أن ترسليننى .أية صائدة ماهرة أنتِ ؟ !

قالت مريم :

- والله يا بيتا إننى أعول عليكِ كثيراً للوصول إليه .

قالت بيتا :

- لذلك تحبين هذه الضيافات كثيراً أليس كذلك ؟ بالله عليك ، ما الذى لا يفعله الحب بالإنسان ؟ ! ما هذا ؟ أيحبك بهذا القدر الذى تحبينه ؟ يبدو أنه معجب بنفسه كثيراً !

قالت مريم :

- لا تضعى يدك على جرح قلبى ! إننى لا أريد حقًا أن أفكر فى هذه الأشياء ، لكننى واثقة من حبه لى .

فى الحقيقة لم يكن هذه هو ما يقلق بيتا ، بل أنها كانت تخاف أكثر من نفسها!

* * *

حينما انتهى حديث مريم ، نظر بابك إلى بيتا وسألها فى حيرة :

– ما رأيك حبيبتى بيتا ؟ أتعتقدين أن ذهابنا أمر ضرورى ؟

نظرت بيتا إلى مريم التى كانت تنظر إليها فى توسل وقالت :

– مش عارفة ضرورى أم لا ؟ لكن إذا كان ذهابنا يسعد مريم فلا تعليق لدىّ .

تملك السرور مريم بذلك القدر الذى كاد يجعلها تصرخ من الفرحة لو لم يكن بابك موجودًا ، وهز بابك كتفيه فى تردد وقال :

– لو إنتِ موافقة فلا تعليق لى ، إنتِ دايمًا بتعملى الشىء اللى بتعتقدى إنه صح .

قالت مريم :

– لا شك أن كامران سيتصل بكما ، لكنه طلب منى أن أدعوكما .

وكان بابك لا يزال فى حالة من الحيرة ، فقالت بيتا :

– دى مش ضيافة أسرية يا بابك ، فكل المدعوين من أصدقاء كامران .

قال بابك :

– طالما قررنا الذهاب ، فهل هناك فرق ؟

تأثرت بيتا قليلاً ثم قالت مريم التى بلغت هدفها :

– حسنًا ، أنا مش هضايقكم أكتر من كده .

قال بابك الذى كان يشاهد صمت بيتا :

– اسمحى لى أن نقوم بتوصيلك .

قالت مريم وهى تقبل بيتا :

– لا ، شكرًا ،فيه حاجة لازم أعملها فى الطريق ، موعدنا الجمعة عند الغروب .

قال بابك بابتسامة مصطنعة :

– لن ننسى ، واشكرى عنا السيد كامران ، بيتا حبيبتى ألا تركبى ؟

ركبت بيتا السيارة دون أن تنظر إليه ، وردت على تحية مريم ، وسألها بابك وهو يقود السيارة :

- إيه اللى حصل يا بيتا ؟ زعلانة ليه ؟

ولم تتفوه بكلمة واستغل بابك صمتها واستمر فى حديثه الناعم :

- حبيبتى ، هو أنا كلامى مش مضبوط ؟ تكلمى ! صحيح حقًا أن ....

قالت بيتا فى ضيق :

- كنت تقدر ترفض ، ليه سألتنى عن رأيىَ ؟

ضحك بابك وسأل فى دهشة :

- حصل إيه ؟ فى النهاية إنتِ موافقة ولا لأ ؟ يعنى ما كنش لازم أسألك عن رأيك ؟

قالت بيتا بشكل جاد :

- يجب أن تعلم أن مريم أقرب صديقاتى ، علشان كده ما كنتش عايزة أضايقها.

سألها بابك :

- يعنى كانت هتضايق لو ما روحناش ؟ بيتا حبيبتى ، فكرى شوية ! نحن لا نعرف هذا الرجل ، ولسنا من أصدقائه ، وهو أيضًا لا يعرفنا وليس من أصدقائنا .

- حسنًا ، سوف نتعرف عليه !

- نعم ، لكن ده هيحتاج وقت ، إنتِ مش مضايقة ؟

- ليه ؟ هو أنا ما شوفتش راجل لغاية دلوقتى ؟

- تسلميلى ! يعنى هو أنا لما اتكلم كده يبقى ما شوفتش راجل لغاية دلوقتى ؟ ده كلام؟

- إنت ليه مضايق ؟ أنا كل اللى بفكر فيه أكثر من أى حاجة هو إرضاء مريم .

- إذن هنيئًا لمريم !

- احنا لسة فيها لو مش موافق متجاملنيش !

- إنتِ بتفكرى فى مريم ، وأنا بفكر فيكِ ! ليه أعارضك ؟ أريد فقط أن أكون بجوارك، والمكان ليس مهمًا ، لما بكون معاكى بكون سعيد !

كانت نبرته جادة وصادقة ، ونظرت بيتا خارج السيارة كى تهرب من نظراته ، فسألها :

- لسة زعلانة ؟

ردت دون أن تنظر تجاهه :

- لا !

قال بابك :

- إذن لمَ لا تنظرى إلىّ ؟ أفهمتى نقطة ضعفى إلى هذا الحد ؟ !

التفتت بيتا ناحيته ، كانت نظرتها مملوءة بالشوق والرغبة والانتظار ، ثم قالت:

- منذ متى استغل نقطة ضعفك ؟

- اعملى اللى إنتِ عايزاه ، لكن لا تغضبى ، أنا بتكلم جد .

- صدقنى ، أنا كنت مضطرة .

- إذن لمَ تقومين بلومى ؟ لما أنتِ تحبى تجاملى أعز صديقة لك ، أقول أنا إيه ؟

- المسألة مش مجاملة أو أى شىء تانى ، أنا ما كنتش عايزة أسيبها لوحدها .

- متزعليش لو سألتك إيه العلاقة اللى بينهم دلوقتى ؟

- أعتقد إنى قلت لك قبل كده !

- وهل كل هذه اللقاءات لازمة قبل الزواج ؟ !

- الزمن اتغير !

رفع بابك كتفيه فى دهشة ولم يتفوه بشئ آخر ، إلا أن بيتا كانت أكثر رغبة فى الحديث حتى يصمت . فمن وجهة نظرها أن وجودهما فى تلك الضيافة مهمًا كى تختبر نفسها مرة أخرى .

* * *

فوجئت فرشته مثلما توقعت بيتا من رؤيتها للهدايا ، كانت هدية بابك وبيتا عبارة عن زوج من السوار الجميل ، وهدية نسرين قلادة رقيقة وجميلة أما هدية أبيها وأمها فكانت زوجًا من السوار المشابه لما اشتراه بابك وبيتا .

فى تلك الليلة وبعد فتح الهدايا ، قال الخال وهو يشير إلى بابك وبيتا :

- حسنًا الدور دلوقتى على الاتنين دول .

توقفت بيتا عن تقشير الفاكهة ونظرت الى الخال فى دهشة ، فضحكت زوجة الخال وقالت :

- حصل إيه يا بيتا ؟ ليه مندهشة كده يا ماما ؟

نظرت بيتا فى دهشة إلى بابك ، لكنه كان هادئًا كالعادة ، فقالت فى صعوبة:

- خالى الحبيب ، أنا قلت قبل كده بعد انتهاء الدراسة ...

قطع الخال حديثها وقال :

- عارف حبيبة خالك ، احنا بس عايزين نحتفل ، مش كده ! وكمان لا تنظرى هكذا إلى بابك ، هو أصلاً ما يعرفش حاجة ، أنا قررت الليلة أن أتحدث فى هذا الموضوع ونحن معًا .

نظرت نسرين إلى بيتا وقالت :

- احنا طبعًا يا خويا عارفين اللى علينا كويس ، بس بعد إذنك أنا عايزة مهلة علشان أقدر أجهز مستلزمات ذلك .

انحنى الخال إليها وقال :

- ليه ، هو أنا مُت ؟

قالت نسرين :

- إنت كرمك زايد ، لكن حفل الخطوبة علينا يا خويا .

واستاء الخال وقال :

- مين اللى قال كده ؟

ضحكت نسرين وقالت :

- لا شك أن ما نملكه من خيرك ، لكن لو تسمح ....

- لا ، مش هسمح ، هو أنا عندى كام ولد ؟ لو كنت طرحت هذا الموضوع فعلشان حاجة تانية . (وتأثرت بيتا وانتبهت إلى نظرات بابك ذات الدلالة) .

- ففى النهاية هما شباب ، ربما يختليان معًا لساعتين ، ربما يرغبان فى السفر معًا ليومين ، مش كده ؟ !

وسرت حرارة فى كيان بيتا ، وارتبكت نسرين لصراحة أخيها وقالت :

- إنت تعرف الصالح يا خويا ، وبيتا تحت أمرك ، حقيقى أنا فكرت إن احنا ممكن نكون بنرتكب ذنب كبير .

قال الخال :

- لعل صغيرنا هذا يستسلم للعمل أكثر

قالت زوجة الخال :

- صدقينى يا نسرين إننى لم أر بابك فى هذه المدة للدرجة التى أشبع فيها منه .

قالت فرشته وهى تمزح :

- دى غلطة بيتا .

ابتسمت بيتا ونظرت إلى بابك الذى كان يجلس على الفوتيه واضعًا يده فوق صدره يتأمل الورود المنقوشة على السجادة ، قال الخال :

- بعد إذنكم ، هنحتفل بالخطوبة قبل بداية العام الجديد ، ونعقد عليهم بعد العيد ، وسوف يتم الزواج وقتما تريد بيتا . رأيك إيه ؟

لم يكن هذا بالأمر السيئ بالنسبة لبيتا التى كانت تنظر خلسة إلى بابك وهو صامت ، فسألتها نسرين :

- رأيك إيه يا ماما ؟

فسألت بيتا بابك :

- رأيك إيه يا بابك ؟

فنظر إليها وقال :

- اللى إنتِ توافقى عليه ماليش تعليق عليه .

قالت زوجة الخال وهى سعيدة :

- يا رب تعيشوا مع بعض لآخر العمر .

ثم قالت بصوت عالٍ :

- عفت .... عفت ، اطلقى البخور من أجل عروستنا .

جاءت عفت - الخادمة العجوز - بحفنة من البخور أمامهم ، ووقفت أمام بيتا ، وجعلت تدير المبخرة حول رأسها وتهمس قائلة :

- لتبعد يا إلهى عين الحسود والبخيل والسوء عنها !

وشكرتها بيتا ، ونظرت مرة أخرى إلى بابك ، إنها لم تشاهده قط بذلك القدر من السعادة .

(١٠)

وقفت عدة سيارات أمام منزل كامران ، كان جميعهم من أصدقائه ، نظرت بيتا إلى إحدى السيارات التى لصق على زجاجها قلبًا داميًا وابتسمت فسألها بابك :

- بيتا ، ألا يوجد عيب فى مظهرى ؟

فنظرت إليه من الرأس حتى القدم وهو فى زى السهرة وابتسمت . حقاً، لقد كان أنيقًا ومتألقًا ، قال بابك :

- اعطنى باقة الورود ، أخشى أن تتلعثم قدماك على السلم أثناء الصعود .

أعطته بيتا باقة الورود التى اشتراها لكامران ، وقالت :

- تُرى هل جاءت مريم ؟

قال بابك وهو يساعدها :

- فى الحقيقة يبقى شىء مضحك لو كنا وصلنا قبلها .

كان صوت الضيوف وصيحات ضحكاتهم تملأ أجواء الشارع ، قالت بيتا:

- أرى أن الحفل قد بدأ مبكرًا !

وأرادا الدخول إلى المنزل ، فإذا بشاب ذى مظهر غير طبيعى يخرج من المنزل مترنحًا ، ولو لم يجذب بابك بيتا على الفور ناحيته لكان قد سقط عليها، كانت رابطة عنقه مفكوكة ، وعيناه ككأس الدم ، ووجهه أحمر ومتورم، والأسوأ من هذا كله ابتسامته الوقحة الموجهة إلى بيتا ، همس بابك :

- تعالِ على جنب ، دعيه يرحل يا بيتا .

وبينما كانت بيتا تقف حتى تراجعت خطوتين للوراء ، وقال الشاب بنبرة غير عادية وبشكل ممطوط وهو يتجه نحو سيارته :

- مرحبًا ....نعم ، مرحبًا بكم يا أطفال .

سألت بيتا بابك في نبرة معترضة :

- ما به ؟ إنه يترنح وكأنه ثمل !

قال بابك في ثقة وهو ينظر إلى نظرتها الحائرة :

- كأنه ؟! بيتا ، أيعني هذا أنك لم تفهمي أنه كان ثملاً ؟ إن رائحة فمه تفوح من على بعد كيلو متر وتُنبئ بأنه شرب حتى الثمالة !

نظرت بيتا في دهشة إلى بابك ، إنها لم تره بمثل هذا الضيق وتلك العصبية في أي وقت قط ، فسألها بابك :

- ألا تزالين مُصرة على الدخول ؟

قالت بيتا بنفس العصبية :

- من أين علمت أنه أحد الضيوف ؟ هذا المنزل من ثلاثة طوابق ، أليس كذلك ؟

ابتسم بابك بسخرية ثم قال :

- لا أعلم يا حبيبتي هل يجب أن أضحك أم أبكي على سذاجتك ! لكن على أية حال إنك لم تختاري الأسلوب المناسب للتبرير !

- تقصد إيه ؟ إزاي تقدر تقول بكل الثقة دي إنه واحد من الضيوف ؟

- ليس بتلك الثقة التي تحدثتي أنتِ بها ، لأنني رأيت على مدار حياتي ذلك القدر من الحيوانات القذرة مثل ذلك الرجل بشكل لا تصدقينه ! إنهم إناس بلا هدف يتظاهرون بالسمو إلا أنهم يعيشون في مثل هذه الأجواء ثم يظهرون حقيقتهم من بعد .

- كل شخص مسئول عن تصرفاته !

- نعم ، معك حق ، لكن ألا ترين أن مثل هذا السلوك فى حفل تحضره النساء هو غاية فى عدم التربية والوقاحة ؟! لو يريد أن يقوم بشئ فيجب أن يكون فى حدود لا تخرج عن المألوف ! وليس كما يُرى الآن ......أريد أن تصدقينى ، ولو لم تكونى معى لكان من الممكن أن أتصرف معه .

- يجب أن تعلم أننى لا أحب أن تكون مستعداً للعراك كديوك المصارعة !

- بيتا هيا نعود ، مثل هذه المحافل لا تليق بكِ .

- إننى لا أزال أرى أنك تخطئ فى حكمك ، فضلاً عن هذا هو احنا جينا لغاية هنا علشان نرجع ؟ مريم هتقول إيه ؟

-أستطيع أن أترك كارتاً وسط باقة الورد وأعطيها إلى أى شخص لتوصيلها .

- أنا لا أوافقك قط على ذلك .

- حسناً جداً ، أمل ألا تصدمى لعلمى بأخلاقك !

*   *   *

لم تستطع بيتا تصديق ما رأته ! لقد شاهدت حفلات مختلطة عديدة لكن ما تراه أمامها الآن يختلف عما رأته من قبل . كانت الفتيات تراقص الفتيان فى جو خافت بملابس شبه عارية لدرجة جعلت بيتا تشعر بالخجل بدلاً عنهن . كان معظم الرجال فى حالة غير طبيعية ، وكان مطرب الفرقة يغنى وكأنه سيستمر فى الغناء من تلك الليلة ولأعوام طوال . كانت رائحة غريبة تفوح فى الجو وتصل إلى المشام ، تبدو وكأنها امتزجت بأفضل أنواع العطور ورائحة الكحول النفاذة ! كانت رائحة العرق تصل إلى مشام بيتا كلما مر عليها ثلاثة أو أربعة رجال ، نظرت خلسة إلى بابك ، كان مقطب الجبين لا يتحدث ينظر أمامه فقط ، نظرت حولها فإذا بنظرات البعض تتجه ناحيتها وناحية بابك ، جعلت تنظر وتبحث عن مريم ، فسألتها إحدى الفتيات اللائى كن يجلسن بجوارها :

- أتبحثين عن أحد ؟

ردت بيتا :

- نعم ، أبحث عن صديقتى .

سألتها الفتاة :

- أنتِ من ضيوف كامران ؟

ردت بيتا :

- نعم ، لمَ ؟

قالت الفتاة :

- ونحن كذلك !

وقبل أن تنطق بيتا بشىء ضحكت فتاتان أو ثلاثة بجوارها ، ونظرت بيتا إليهن فى دهشة ، ولفت نظرها تبرجهن الزائد عن الحد ، فهمس بابك :

- دعيهن ، إنهن لسن فى حالة طبيعية .

نظرت بيتا فى دهشة ناحية بابك ولم تصدقه فى أن النساء يحتسين الخمر، والأعجب من هذا أن بابك كان يشير إليها بنفس الهدوء بأن ذلك ليس بالشىء العجيب ، ثم انتبه إلى صوت يعرفه وهو يقول :

- مساء الخير ! أنا سعيد جداً لرؤيتكما ثانية !

إنه كامران ، كان غاية فى الأناقة لدرجة تفوق المرة السابقة ، وقام بابك من مكانه احتراماً له وسلم عليه بينما ظلت بيتا فى مكانها ..... أتمد يدها إليه أم لا ؟ بينما كان هو يمد يده للسلام ، وكرهاً أو طوعاً مدت يدها ، فسألهما كامران :

- تناولتما شيئًا أم لا ؟

قال بابك :

- متتعبش نفسك . احنا لسة جايين .

قال كامران :

- آسف لعدم وجودى لاستقبالكما ، كنت أشرُف على المطبخ .

قال بابك مبتسمًا :

- لا عليك ، لقد استقبلنا أصدقاؤك بحرارة أمام الباب ، أليس كذلك يا حبيبتى؟

نظرت بيتا إليه فى ضيق ، لقد كان يسخر بنظراته ، وقال كامران :

- الحمد لله ، آمل يا بيتا أن تكونى فى حالٍ أفضل ، أنا كنت بطمن عليكى من مريم .

قالت بيتا بصعوبة :

- نعم ، أشكرك ، لم يكن بالشىء الخطير .

قال كامران :

- أرجو فقط ألا يتسبب الزحام والضجيج الليلة هنا فى تعبكما .

وانتبهت بيتا لتغير حال بابك ، ورغم ذلك قالت :

- على الرحب والسعة ، أشكرك على لطفك معنا ، أين مريم ؟

قال كامران :

- هى هنا بالتأكيد ، لقد كانت فى المطبخ منذ دقائق ، ها هى ، كم هى بنت حلال .

نظرت بيتا إلى الناحية التى أشار إليها كامران ، كم هو جميل رؤية وجه برىء وسط هؤلاء البشر المدنثين ، كانت مريم كعادتها تبدو وسط الحضور بمظهرها البسيط، وعلى ما يبدو أن بيتا لم تتعجب من ذلك فقط ، فكم هو جميل أيضًا أن يكون كامران فى حالة طبيعية . وبعد أن استفسرت مريم عن أحوال بابك احتضنت بيتا بشدة ، فسألتها بيتا :

- أنا قلت أنكِ لم تأت بعد .

قالت مريم :

- كنت فى المطبخ .

قالت بيتا فى مزاح :

- لم تكف عن العمل هنا أيضًا ؟

قالت مريم بابتسامة ذات دلالة خاصة :

- أكون أكثر راحة هناك .

قال كامران :

- مريم ، أنتِ مكسوفة ومضطربة شوية ، بالله عليكِ يا بيتا انصحيها .

ثم وضع يده على كتف بابك وهمس فى أذنه قائلاً :

إن مستلزمات الاستقبال داخل الحجرة ، لو تشرف .....

قال بابك على الفور :

- أشكرك ، حقيقى أنا لست ممن يحتسونها .

ورفع كامران حاجبيه وهو فى حالة من عدم التصديق ، ثم قال :

- لو منحتنا هذا الشرف لجعلتنا سعداء .

قال بابك فى صرامة :

- حقيقة لست ممن يحتسونها ، أشكرك .

قال كامران :

- وأنا كذلك ، لكن فى مثل هذه الحفلات عليك أن تجارى طبيعة كل شخص ، فأنا أؤمن بوجوب تمتع الجميع .

قال بابك وهو يلمز لشىء ما :

- أى مبدأ هذا ! إذن ، وبعبارة أخرى ، أنت تهيئ فقط متطلبات هذا الأمر .

ضحك كامران وقال :

- حاجة زى كده ، مريم ، استقبلى ضيوفنا الأعزاء .

ثم وجه حديثه إلى بابك :

- معذرة لو أتركك بمفردك ، معذرة لك أيضًا يا بيتا !

قالت مريم :

- لقد أتعب بابك وبيتا نفسيهما وأحضرا باقة من الورود يا كامران !

قال كامران مبتسمًا :

- همـا نفسهما وردتان ، لم يكن هنـاك ضـرورة للتعب ، اوعـديـنـى يا مـريم فقـط ألا تدعيهما يتضايقان .

سألت مريم :

- هتعزف لنا الليلة على الجيتار ؟

قال كامران بنظرة كانت تجعل قلب بيتا يرتجف :

- حاضر ، هعزف بعد العشاء ، بشرط ألا أكون سببًا فى أذى بيتا !

* * *

سألت بيتا بابك وسط الجو الخافت بينما تعلو أصوات الفرقة الموسيقية :

- إنت كويس ؟

قال بابك فى ضيق :

- أرى أنكِ أفضل حالاً منى !

انحنت بيتا وقالت فى جدية :

- تقصد إيه ؟ وفقا لرغبتك سنغادر المكان بعد العشاء مباشرة فلمَ الاستهزاء بى؟!

قال بابك فى هدوء ممتزج بالضيق :

- إنتِ شايفة بنفسك الجو ! إنهم ليسوا فى حالة جيدة .

قالت بيتا :

- ليس لك من العمر الكثير ، لكنك تتصرف فى بعض الأوقات معى بشكل يجعلنى أعتقد أننى بجوار رجل عجوز متعصب غير منطقى ! ما لنا بالآخرين؟

قال بابك :

- كان علينا أن نرجع ونحن أمام الباب لكنك لم توافقى .

- لم أستطع أن أتسبب فى ضيق مريم .

- قسمًا بالله أن هذا الجو لا يناسب مريم ، ليس هى فقط ، إنه لا يناسب أية إمرأة محترمة . انظرى كيف يترنحون وسط الظلام ! !

في تلك اللحظة اقترب منهما شاب كان يراقص إحدى فتيات الحفل منذ دقائق، وسأل بيتا :

- ألا تمنحينى الشرف ؟

ورد بابك بدلاً عنها بنبرة حادة :

- إنها متعبة ، مع السلامة !

وجعلت بيتا تتبعه بنظراتها وهى مندهشة ، ثم التفتت إلى بابك ، كانت الحمرة على وجهها تبدو وسط الظلام ، فسألها بابك فى هدوء :

- مش هتقومى حبيبتى ؟ أنا مش مرتاح .

وقامت بيتا من مكانها دون أن تلفظ بكلمة ، كانت ترى إنه ليس من العدل أن تؤذيه أكثر من ذلك ، وبينما كانت تقوم بغلق آخر أزرار معطفها حتى فوجئت بصوت كامران :

- إلى أين سيدتى ؟ لقد بدأ حفلنا توًا !

ونظر إلى بابك الذى كان يقف مستعداً للرحيل ، وسأله :

- يعنى هذا أنكما متضايقان إلى هذا الحد الذى ترغبان فيه تركنا بهذه السرعة؟

قال بابك بابتسامة مصطنعة :

- أصلاً الإنصراف ليس سريعًا ، وكأنك لم تنتبه إلى الساعة ، فهى الآن الثانية عشرة والربع .

قال كامران :

- لا يزال الوقت مبكرًا ! احنا عملنا الحفل مخصوص يوم الأجازة علشان يكون المدعوون على راحتهم .

قالت بيتا :

- لقد قضينا وقتًا طيبًا يا سيد كامران !

قال كامران :

- لو كان كده لما رحلتما .

قالت بيتا :

- ثق أن كل شيء كان رائعاً.

قال كامران :

- ستبقى مريم بمفردها بعد رحيلكما !

قالت بيتا :

- مريم قالت أنها ستأتى معنا وقتما نرغب فى الرحيل .

ضحك كامران وقال :

- حسنًا ، ما أسوأ هذا ،أنا كنت عايز أعزف لكما كام مقطوعة على الجيتار .

قال بابك :

- الفرص كثيرة يا سيد كامران ! احنا تعبنا الليلة ، لو تسمح تخبر مريم فقط إننا سوف ننصرف .

فى نفس اللحظة اقتربت مريم مع رؤيتها لاستعداد بيتا للرحيل وسألت بنبرة معترضة :

- إلى أين ؟

قالت بيتا :

- هو أنتِ مش هتيجى معانا ؟

قالت مريم :

- كامران هيعزف على الجيتار !

قال كامران :

- أنا قلت لهم الكلام ده ، مش عارف إيه اللى حصل ؟ ربما قصرنا فى استقبالهما .

قالت بيتا على الفور :

- أبدًا ، الموضوع مش كده .

قالت مريم :

- طب فيه إيه ؟ مشوارك مش بعيد .

قالت بيتا :

- فى الحقيقة بابك تعبان شوية ....

قالت مريم بصوت عالٍ :

- بابك ، لا تتذرع بالحجج ، أنا عرفاك ، اطمئن ، مش هسيبك تمشى بالسرعة دى على الأقل لغاية ما تشوف برنامج كامران .

قال بابك :

- الوقت تأخر يا مريم .

فردت فى صرامة بحيث لم تدع مجالاً لأية كلمة :

- إنتم لسة جايين ، خليكم نص ساعة كمان ، مش هتكون ليلة من ألف ليلة يا سيد بابك .

ضحك كامران وقال :

- اجلس سيد بابك ، جميعنا يعلم أن النساء لو يرغبن فإن إرادتهن تكون أقوى منا نحن الرجال ! فى الحقيقة إنهن يحكمن العالم دون حروب أو إراقة دماء.

* * *

حينما أمسك كامران الجيتار فى يديه أمام تماوج مشاعر الآخرين ، تذكرت بيتا أول ليلة رأته فيها . إنها لم تفهم هى نفسها أية علاقة بين تلاطم المشاعر بداخلها وبين عزف كامران للجيتار . كان الضيوف يطلبون منه المقطوعة التى يفضلونها ويضحك كامران وهو يستعد للعزف ، وهمست مريم فى أذن بيتا قائلة :

- مالكيش رغبة فى سماع مقطوعة معينة ؟

قالت بيتا :

- لا ! أيعزف فى هذه الحفلات دومًا أم هذه هى المرة الأولى ؟ لو كان غير كده فالله فى عونك !

قالت مريم :

- فعلاً أنا أريد التفكير فى هذا الأمر . أنا واثقة إنى هغيره بعد الزواج .

سألتها بيتا :

- إنت واثقة منين إنك تقدرى تغيرى راجل فى الثلاثين من عمره ؟

قالت مريم فى دهاء :

- لا تتجاهلى قوة الحب ، صدقينى هو أصلاً عطوف وبسيط !

قالت بيتا :

- لكن ألا تعتقدى إنه يميل كثيراً لرغبات من حوله مع إقامة مثل هذه الحفلات ؟ على أية حال فهو المضيف الليلة .

ضيقت مريم عينيها ونظرت إليها بدقة ، وقالت :

- قصدك إنه هو نفسه أيضًا .....

قالت بيتا على الفور :

- صدقينى هذا تخمين فقط ! مهو مش معقول إنه يكون بعيد عن هذه الأعمال ! تماماً كمن تظهر من جيبه علبة السجاير ، وعندما تسألينه يقول إننى أضع السجاير فى جيبى فقط لمجاملة الآخرين .

قالت مريم :

- اللعنة عليك وعلى فكرك المتشكك هذا ، لمَ لا تتحدثين بوضوح ؟

أرادت بيتا أن تقول شيئًا ، فقال كامران بصوت عالٍ :

- أيها الأصدقاء ، انتبهوا ، سأعزف الليلة على شرف حضوركم إحدى مقطوعات أحمد رضا نبى زاده باسم " صمت الجدار " ، آمل أن تستمتعوا بها. حقًا ، إن لدى الليلة أشياء أفضل وأجمل ، لكن نظراً ...

ودار بنظره ناحية بابك وبيتا واستمر فى حديثه وهو يبتسم :

- لكن نظراً لأن بعض الأصدقاء فى عجلة سأكتفى بهذه المقطوعة .

نظرت بيتا خلسة إلى بابك . كان يجلس على أحد المقاعد هادئًا يضع يده على صدره وينظر إلى كامران فى صمت ، فتنفست الصعداء وحمدت الله . وكأنه لم يكن منتبهًا مثلما كانت هى . هل يخفى هدفًا خاصًا وراء تلك الحركات ؟ لم تكن واثقة . وكانت دهشتها أكبر من ناحية مريم ، كيف لم تنتبه إلى هذا الأمر ؟

ويبدأ كامران بعد تشجيع الضيوف فى العزف والغناء وسط الصمت البديع :

أنــــا وصـــــمت الجـدار هـــــذا	أنا والليــل المحــرق هــذا
ســاعدنى حتــى بــزوغ الصــباح	وأشـعل مـصـبـاح الليل
فأنــــا غريـــــب رحــــــال	أنا عــاشق ، أنا ضـعـيف
فــى غربتى ووحدتـى وترحـــالى	تســـاعدنى عـيـنـــاى
هــــزمت الليـــل بصوتـــــى	للوصـــول إليـــــك
عقد القلب الأمل على هذا الصباح	يا منقـــذ العـاشـــــق
ابعدنــــى عـــــن القفـــــص	حطـم القـفــل الأصــم

حررنى من نفسى

كانت نظرات كامران موجهة تمامًا ناحية بيتا أثناء الغناء ، لدرجة أن مريم كانت تنظر إليه فى تعجب ، أما بيتا - التى كانت متعبة بشدة - كانت تطأطئ رأسها ، ولعل رد فعلها هذا هو الذى أدى إلى عدم سوء ظن مريم بها ، ووسط هذا كان قلب بيتا يخفق بشدة ويرتجف جسدها ، كانت تريد أن تضحك على ما يراودها من أفكار، لكن تصرف كامران لم يسمح لها بذلك . وشعرت تدريجيًا بالاستياء من نفسها بسبب خيانتها ثقة خطيبها وأعز صديقة لديها ، لكنها سلمت السلاح أمام كامران . كأنه فى تلك الفترة القصيرة قد تمكن من مشاعرها تمامًا .

فى تلك الليلة ، أثناء إلقاء تحية الوداع تصرف كامران بشكل أزال به كل الشكوك من ذهن بيتا . لقد ودع مريم بحرارة وسلم على بابك بحفاوة بينما ودع بيتا دون أن ينظر إلى عينيها ، واندهشت بيتا تمامًا ، أية شخصية لذلك الرجل ؟ ! هل أخطأت بشأنه ؟ كانت لحظة مثل جرعة الخل اللاذعة الساخنة التى بردت فجأة وهدأت . وعلى الرغم من أن تصرفه هذا كان بعيدًا عن توقعاتها ، فعلى العكس منها، لم يكن مستبعدًا عندك بابك ، فحينما ابتعدت مريم عنهما أشار إلى ذلك دون مقدمات . فقد أسندت بيتا رأسها وهى مرهقة ومتعبة على مقعد السيارة ، وسألها بابك دون أن ينظر إليها :

- كيف استطاع أن يكون بمثل هذه الوقاحة وعدم الحياء ؟

واضطرب قلب بيتا إلا أنها سألته بهدوء مصطنع وصوتها يرتجف :

- تقصد إيه ؟

ابتسم بابك فى سخرية وعاد إلى الوراء وقال :

- عايزة تقولى إنك مخدتيش بالك إن كل حواسه كانت معاكى طول الوقت ؟ حقًا كيف تمكن من أن يبدى هذا الكم من عدم الحياء رغم وجود مريم فى الحفل ؟ ألا تعجبه أم أنه يحب مصادقة الفتيات ؟ !

صاحت بيتا بصوت مرتجف قائلة :

- إزاى تقدر تقول الكلام ده ؟ إنت عارف بتقول إيه ؟

قال بابك فى عصبية :

- نعم ، عارف ، كان يوجه نظراته إليك طوال الوقت ، وليس إليك فقط ، بل إلى معظم الفتيات فى الحفل ! لا شك أن هذا الوسط لاحياء فيه ، أرأيت كيف يسىء استغلال شعبيته بهذا القدر !

قالت بيتا فى عصبية :

- توقف .

نظر بابك إليها فى دهشة ، وكررت بيتا :

- أقول توقف ، أريد أن أنزل .

سألها بابك :

- إنتِ اتجننتى ؟ إيه التصرفات دى ؟ الدنيا ليل ، إنتِ عايزة تنزلى فين ؟

كانت بيتا نفسها تعلم أفضل من بابك تلك الحقيقة لكن سماعها على لسان شخص آخر كان أصعب بكثير مما تخيلته ، وكأن بابك قد جرح كبرياءها ، وربما كان رد فعلها هذا نوعًا من الهروب من الحقيقة ، وتوقف بابك بجوار الرصيف ثم سألها:

- ماذا حدث لكِ يا بيتا ؟

فردت بشكل حاد :

- ماذا حدث لى ؟ لقد أفسدت علىّ الحفل منذ بدايته ، والآن تتحدث بكلام غير مفهوم ! لم أكن أعلم قط أنك إنسان سيئ الظن بلا عقل بذلك القدر !

سألها بابك مبتسمًا :

- هل وجهت لكِ أى لوم ؟ إيه العلاقة أصلاً بين تصرفه وبينك ؟ !

- إنه يريد الزواج من مريم .

- ده أيضًا مش سبب تستائى من أجله .

- الموضوع مش زى إنت ما بتقول .

- بيتا ، للأسف أنا لماح جداً ، وإنتِ إيه ذنبك فى كون هذا الرجل لا يستطيع أن يكون ملتزماً؟

- أنت تخطئ بشأنه .

رفع بابك كتفيه ، وقال فى تردد :

- لدى عادة غريبة وهى عدم حكمى على أحد بغير ثقة ، لكن أمل أن أكون كما تقولين ، ولو كنت مكانك لقلت لصديقتى أن تعيد النظر فى اختيارها .

وانتظر قليلاً ثم سألها :

- مش زعلانة منى ؟

لم تنطق بكلمة ، فتحرك بابك وهو يرى صمتها ولم يتحدث بشئ حتى وصولهما إلى المنزل ، عندئذ نزلت بيتا من السيارة فى صمت ، وابتعدت عن بابك بعد توديعه بفتور .

(١١)

وبعد فترة ، عانت بيتا ثانية من الأرق . ففي تلك الليلة ظلت عيناها تتأملان سقف الحجرة رغم مضى ساعتين على منتصف الليل ، وجعلت تفكر فى الأحداث التى وقعت بعد الضهيرة ، وفى ذلك الرجل الذى دخل حياتها مؤخراً، وفى رد فعل بابك الذى اتسم بالعقلانية وكان داعيًا لتألمها ، وفيه هو نفسه حيث كان يحاول أن يمحى تذكر كامران من ذهنها . لقد كانت تتذرع للقائه مع علمها أن هذا كان داعيًا لاستياء بابك ، لكن ثمة قوة كانت تدفعها للقيام بذلك ، كانت تهرب من التفكير فيه ، وكأن شيئًا فى تلك النظرات الدافئة ذات الدلالة تجعلها فى هذه الحالة من الوله والإثارة ، ورغمًا عنها يمر فى ذهنها ثانية بهدوئه وتأنقه . كم كان يتسم فى سلوكه وطريقة حديثه بالهدوء والجاذبية ! تأسفت للحظة ، لمَ لمْ أقابله من قبل ؟ !

لكن تذكر مريم وبابك كان يُرجف عمودها الفقرى ! شكت فى أنه الرجل الذى يرغبه قلبها ، لكنها وفى كل مرة تتخيله محل بابك يفور شيء ما فى داخلها ، شيء أقوى من المنطق والاستدلال ، قوة تطغى على جميع نقاط ضعفها وتجعله فى نظرها أكثر قبولاً .

تقلبت فى ضيق على كتفها الشمال ، وقع نظرها على الساعة ، ومع رؤيتها العقارب تشير إلى الرابعة وعشر دقائق فجراً ضغطت على عينيها وحاولت النوم لكنها لم تستطع بسبب تذكرها تلك النظرات الدافئة ثانية .كم تجادلت مع نفسها كى تنام إلى أن غلبها النوم قبل سطوع الشمس بوقت قليل ، لكنها لم تهنأ بالنوم العميق ، فبعد لحظات قليلة استيقظت على صوت المنبه للذهاب الى الجامعة . كانت رأسها حملاً ثقيلاً على جسدها وكأنها جبل ضخم، عيناها تحرقاها ، وما أن قامت من مكانها حتى لعنت مريم بسبب إصرارها على المشاركة فى حفل ليلة أمس ، وضحكت على نفسها بسبب هذه الحالة التى تنتابها . صارت كمن ضُرب ضرباً مبرحًا ! رقبتها تؤلمها ، جسدها وهن،

قدماها ثقيلة الخطى ، رغبت فى الخروج من الحجرة لتغسل يديها ووجهها إلا أنها تسمرت فى مكانها مندهشة مع سماع صوت الهاتف ، التفتت فى تعجب ناحيته ، نظرت إلى الساعة ، تُرى من يكون فى هذا الوقت من الصباح ؟ ! جلست على حافة السرير ، وأمسكت السماعة ثم قالت فى هدوء :

- نعم ، تفضل .

- سلام بيتا ، ألم تنامى ؟

كان بابك ، ردت عليه التحية فى دهشة وقالت :

- أنت بابك ؟! إنت كويس ؟

- أشكرك ، كيف حالك ؟ هل أيقظتك ؟

- لا ، كنت يقظة ، ما الذى أيقظك من نومك مبكرًا هكذا ؟

- لم يغلبنى النوم !

- كيف حال الخال ومن عندك ؟

- كويسين ، كلهم نائمون هنا .

-وهنا أيضًا ، أنا الوحيدة المستيقظة.

- كنت عارف إنك لازم تصحى بدرى علشان تروحى الجامعة ، لكننى لم أكن أعلم الساعة بدقة .

- لا أستطيع أن أخفى دهشتى بسبب استيقاظك وقت السحر .

- قلت إننى لم أنم ، لم يغلبنى النوم ليلة أمس .

أرادت بيتا أن تقول (وأنا كذلك) لكنها صمتت فسألها :

- ألا تسألى لمَ ؟

فسألت باختصار :

- لمَ ؟

– كنت أفكر فيكِ.

وشعرت بيتا بتأنيب الضمير ، فقالت فى فتور :

– كيف ؟

– بسبب ما حدث البارحة !

– ألا ترى أنك ألقيت بسهامك علىّ بالقدر الكافى أمس ؟

– تلمز ثانية !

وتظاهرت بيتا بالبراءة وقالت :

– ألمز ؟! طب لو كنت أنا أقوم باللمز ، فأى اسم تطلقه على تصرفك ؟

لقد أهنتنى ليلة أمس بشكل مباشر

– الموضوع مش كده أساساً .

– مش كده ؟ ! أمال إيه ؟

– لم تكونى أنت المقصودة ! وإنت عارفة كده .

– أنا مش عارفة حاجة أبدًا ، رأسى لا تستوعب ما تقوله ، ما أعلمه أنه سيتزوج مريم ومعظم كلامك يشبه الإهانة .

– لم يكن هذا هد فى قط لكننى لو كنت قد ارتكبت هذا الخطأ دون وعى فمعذرة . أتعلمين ؟ إننى اتصلت بكِ لأننى لا أتحمل فتورك وقسوتك .

– من كثرة عدم تحملك قمت أمس منذ بداية الليل بالهمهمة غضبًا ؟! يجب أن تعلم أن كامران سيتزوج أعز صديقة لى على الرغم من رأيك فيه ، وعليك احترامه من أجلى !

قال بابك بصوت مستاء :

– معكِ حق . لم يكن من حقى أن أحكم عليه بذلك القدر من الصراحة .

– أتعلمين ؟ أرى أننى زودتها شوية !

- كان أكثر بكثير من شوية !

- حقًا ما تقولين ، ألا تفكرى فى الصفح عنى ؟

- معذرة يا بابك ، لازم أمشى بسرعة ، هتأخر !

- تريدين أن تهربى من الإجابة ؟

وبيتا التى كانت تبحث عن حجة بسبب فتورها معه ، لم تتفوه بشىء ، فسألها:

- أتحبين أن آتى بعد الظهر ونخرج ؟

قالت فى ضيق :

- لا ، شكرًا ، أنا مشغولة .

- إذن فأنتِ لا ترغبين أن نتحدث عنه ؟

- أرى أن ننساهما أفضل !

- مش زعلانة منى ؟ !

- أرى أنه لا ينبغى أن تقول ذلك الآن !

- معكِ حق ، لا أعلم حقًا ما يجب أن أقوله ، أقول إنها كانت أفكار حمقاء لا أستطيع أن أفهم كيف هاجمت ذهنى ، لكن السبب فى ذلك هو شدة حبى لكِ .

كان على بيتا أن تقول شيئًا لكنها آثرت الصمت ، وكأنها كانت تعطى الحق فى قرارة نفسها لبابك فيما جال فى ذهنه ، ولما عجزت عن الاعتراف بذلك شعرت بتأنيب الضمير .

ظلت تفكر فى ذلك اليوم منذ الصباح وحتى وصولها إلى الجامعة فى تلك الأحداث الأخيرة ، ولما لم تصل إلى أسباب منطقية مقنعة ضحكت كعادتها من أفكارها .

* * *

أمام الجامعة سألت بيتا مريم :

- هتيجى معايا ولا زى العادة ؟

قالت مريم وهى متأثرة بشدة :

- لا ، أنا أصلاً ماليش مزاج النهاردة أمشى معاكى خطوة واحدة .

ضحكت بيتا وقالت :

- ماذا حدث ؟ لم يحدث شئ إلى الآن يضايقك ؟

ابتسمت مريم ابتسامة مريرة وقالت :

- اللعنة على هذا القلب العاجز ، أرغب فى التخلى عنه .

وحينما ركبتا السيارة ، سألتها بيتا :

- ماذا حدث يا مريم ؟ لقد كنتِ مرحة وسعيدة ليلة أمس!

تراجعت مريم إلى الوراء وقالت :

- أتعلمين ؟ أرى أننى أخطأت .

نظرت بيتا فى دهشة إلى وجه مريم الذابل الحزين وقالت :

- تقصدى إيه ؟ هو زعلك لا قدر الله ؟

- أشعر تجاهه بإحساس غريب ، إنه يكون هادئًا خياليًا فى يوم كالبحر ، وفى يوم آخر يكون مفترسًا هائجًا كالطوفان .

تشجعت بيتا وسألتها :

- أرى أن الكثيرات تلتف حوله دومًا !

رفعت مريم كتفيها وقالت :

- لا أعلم حقًا ،لكن لو يكون كذلك ، فأنا أموت وأحيا كل يوم مائة مرة .

قالت بيتا :

- إنتِ قلتِ هتغيريه ....

- أرأيتِ هؤلاء الأراذل ؟ لقد ضقت بسببهم .

- هؤلاء الذين يهيئ لهم كامران متطلبات الضيافة من خمور وغيرها .

- إنه لا يتناولها قط .

- أتصدقين ذلك ؟

- تقصدى إيه ؟ هو اللى قال لى بنفسه .

- يقول الشاعر : لو تريد ألا تعاب ، فكن على نمط الجماعة . ولو يكون الوضع غير ذلك فكيف يمكن معاشرة أمثالهم ؟

قالت مريم فى ضيق :

- أقسم بالله يا بيتا إننى لا أعلم ، لعلنى أصبت بالعمى ولا أرى شيئًا !

سألتها بيتا :

- ما عمله ؟ هل تحدث معكِ عن المستقبل ؟

- لقد قال لى إنهم عينوه فى الإذاعة والتليفزيون ، لكنه يريد أن يفتح استوديو بمشاركة صديق أو اتنين لإنتاج شرائط الكاسيت .

- وإنتِ رأيك إيه ؟

- مش موافقة إطلاقًا ، أنا كنت هنفجر ليلة أمس ، أرأيت ماذا فعلوا من أجله ؟

- لكن مظهرك لم يوح بهذا !

- لا أريد التفكير فى تقييده .

- طب زعلانة ليه ؟ !

- لعلك تضحكين ، لكننى لا أعلم لمَ أشعر إننا لم نتمكن حتى الآن من تقليل المسافة بيننا كما ينبغى ، لا شك أننى أحاول ، لكنه .....

- يعني ذلك أنه يفكر في غيرك ؟

- مش واثقة تماماً تعلمين أنه يقضي معظم أوقاته مع أصدقائه ، ولم يقم حتى الآن بخطوة إلى الأمام ! دوماً أنا التي أتصل به وأحدد موعد اللقاء . شيء مضحك ! لكن أحياناً حينما أفكر بيني وبين نفسي أرى أنني أفرض نفسي عليه ، وأن الحب من طرف واحد .

ضحكت بيتا وقالت رغم عدم وثوقها :

- إن هذا لأمر مضحك مع ما يبديه تجاهك من اهتمام .

عبست مريم وقالت :

- لا يكون كذلك دوماً يا بيتا .

فقالت بيتا :

- إذا كان الوضع كده من أولها ، طب بعد كده هيكون إزاى ؟ إنتِ عايزة تعملى إيه دلوقتى ؟

قالت مريم وهى تفكر :

- لا أعلم ، ربما تحدثت معه كي يعلم كل منا ما يجب عليه في أسرع وقت .

قالت بيتا استمراراً لحديثها :

- لا شك أن هذا أيضاً يحتاج إلى وقت .

قالت مريم بابتسامة مصطنعة :

- لقد تحدثت بذلك القدر حتى أنني لم أدع لك الفرصة كي تقولي شيئاً .

- ماذا أقول ؟

- متى تقدمى لنا الحلوى يا خبيثة ؟

- متى يا خبيثة ! كلما كان متأخراً كلما كان أفضل ، لكن لو سألتى عن رأى بابك والخال سيقولان : قبل نهاية العام .

- يا بختك .

- بل إنه من سوء حظى ، فأنا مترددة بشأن بابك .

- الموت لكِ ؟ هو فيه إيه المسكين ؟ ده بيدور حواليكِ زى الفراشة !!

- نعم ، لكننى لا أزال غير مقتنعة .

- سيتم عقد قرانكما ؟

- لا ، العقد بعد العيد ، ستكون قراءة الصيغة فقط ، وسوف نقيم حفلاً صغيراً فى حضور الأصدقاء .

- وأنا بقول مقدماً إنى مش هحضر لوحدى .

- ماشى ، هاتى معاكى ذلك العازف العاشق ، فقد دعانا من قبل ، وذكريه بأن يحضر جيتاره .

- ألم يتم تحديد اليوم ؟

- اطمنى ، بمجرد أن يتم تحديده ستكونى أول من أخبرها .

- سأكون لكِ كالصخر عديم الإحساس ، مثلما جئت أمس كالتمثال وانصرفتى كالتمثال !!

- ألم تخبرى البنات بهذا الشأن ؟! فى رأيك ، ألم ينتقدوا تلك الليلة لتى شاهدتكما فيها معًا ؟

- لقد قالوا قديماً : إن ركوب الجمل لا يتأتى دفعة واحدة ، وأنا أحاول أن أعدهن لتلك الليلة .

(١٢)

تمكنت بيتا بمحاولاتها من إقناع خالها وأمها بتأجيل مراسم العقد إلى ما بعد فصل الربيع ، وحينما رأت والدتها - التى كانت تصر على سرعة الانتهاء من مراسم العقد أكثر من غيرها - معارضةً بيتا خضعت رغمًا عنها ، لكنها كانت تراها فتاة عنيدة مستبدة برأيها لا تستطيع أن تحدد ما فيه مصلحتها أو ضررها . فى حين كان بابك يعارض بيتا فى إقامة حفل بسيط يحضره الأصدقاء فقط ، لكنه حينما رأى إصرارها على هذا خضع لرغبتها . أما نسرين فقد كانت ترى فى إقامة مثل هذا الحفل البسيط ما يشابه حفل عرس الأرملة التى توفى زوجها عنها .

وفى يوم الحفل لم تذهب بيتا إلى الكوافير ، وارتدت زيًا بسيطًا تحت إصرار من حولها واستخدمت السيشوار فقط لتمشيط شعرها الطويل ، وقامت بتزيين نفسها فى شكل بسيط للغاية ، وهذا - بلا شك - كان يزيد من جمالها لدرجة أن فرشته لم تتمكن من منع نفسها عن الثناء عليها بمجرد رؤيتها . أما بابك فقد قبّل يديها حينما اختلا معًا لبضع لحظات وقال لها :

- لا أدرى لماذا كانت أمى تصر هى وغيرها على ذهابك إلى الكوافير وقد وهبك الله كل هذا الجمال ! حبيبتى ، أتعلمين أنك تتلألأين كالقمر ؟

ردت بيتا مازحة :

- لو لم تقل هذا الكلام فماذاتقول ؟ لا يقول بقال قط : إن الزبادى الذى لدينا حامض !

قال بابك وهو يثنى على شعرها الناعم الطويل :

- تعلمين أنت نفسك أننى لا أملك لسانًا للتملق ، صدقينى ، إن ضياءك الآن قد سلبنى القدرة على رؤية أى شىء آخر ، كأنه لا يوجد أمامى شىء قط غيرك !

واحمر وجه بيتا خجلاً من نظراته ، وطأطأت برأسها ، فرفع بابك رأسها بيده وسألها :

- هل تحبينى يا بيتا ؟

اندهشت بيتا من سؤاله ، وقالت بهدوء :

- ألا يجب أن أكون كذلك ؟ ما هذا السؤال الذى طرحته ؟ لو لم يكن كذلك لما ارتبطت بك !

قال بابك وعيناه فى عينيها :

- لكنك لم تصرحى بهذا لى فى أى وقت قط !

كانت نبرته ذات دلالة خاصة ، وابتعدت بيتا عنه بحجة إحضار الفرشاة ، وانحنت تجاه درج الكوميدينو . كان هذ اهو أول لقاء بينهما بعد إتمام مراسم الصيغة ، قال بابك وهو يلعب فى شعرها الطويل من الخلف :

- ماشى يا مغرورة ، لا تصرحى ، لكنك تستطيعين أن تحكمى بسهولة على حبى لكِ.

نظرت بيتا من المرآة على شياكته وأناقته وابتسمت . لقد كان صادقًا تمامًا فيما يقول ، وردت :

- ليس من المفروض أن نحكم على بعضنا البعض ، نريد أن نحيا معًا يا بابك ، وأنت نفسك لم تصرح وقد فهمت بنفسى أنك تحبنى !

- لا ، لا تعلمين حتى الآن كم أحبك ، ليتنى أستطيع أن أصرح بذلك ، فى الحقيقة لا يوجد رجل قط يحب امرأة مثلما أحبك ، وهذا ما يجعلنى أشعر أحيانًا بالخوف !

- لمَ ؟ !

- لا أعلم ، صدقينى إننى أقول الحقيقة ! وكم من مرة فكرت فى سبب ذلك الخوف لكننى لم أستطع العثور على سبب مقنع . هل ترين أن هذا التعلق غير المحدود بك من الصواب ؟ آه يا إلهى ... ماذا أقول ؟ لا شك أنك لا تستطيعين أن تردى . أحيانًا أرى أننى أنانى للغاية ، لمَ تنظرين إلىّ هكذا ؟ !

قالت بيتا وهى تبتسم :

– حقًا إننى .... لا أعلم ماذا أقول . بابك أنت رجل رائع ، والحقيقة إننى لا أملك الجرأة مثلك كى أقر بمكنون قلبى . هل تعلم ؟ أحيانًا أرى أنك أفضل من أن أكون جديرة بك .

– بيتا ، لا تتحدثين هكذا !

– لا ! لو لم أتحدث بهذا لكان ظلمًا . لا أعلم ، لم أفهم قط لمَ اخترتنى للزواج؟ لكننى أتمنى حقًا أن أتمكن من إسعادك . هذا ما أقوله حقًا !

قبّل بابك يديها مرة أخرى ، وفتح الباب للخروج من الغرفة .

* * *

وبينما كانت بيتا منهمكة فى الحديث مع صديقاتها وصل كامران ومريم، ومع رؤيته ثانية ارتسمت على شفتيها ابتسامة رغمًا عنها ، وتتبع بابك مسير نظراتها وهمس إليها وهو يضغط على يدها قائلاً:

– لمْ تقولى أن خطيب مريم سيأتى ! والتفتت بيتا ناحيته كى تلاحظ مقصده إلا أن وجهه كان هادئًا بريئاً ، وكانت ابتسامته معبرة تجذب إليها من أمامه ، فقال مبتسمًا :

– ألا تريدين استقبال صديقتك وخطيبها ؟

كانت نبرته طبيعية لا غرض من ورائها ، وسارت بيتا دون أن تتفوه بكلمة مع بابك تجاه مريم وكامران ، ودون أن تنتبه هى نفسها كانت تضغط على يد بابك حتى أنه قال شبه معترض :

– مهلاً حبيبتى ! هتكسرى إيدى بصوابعك !

كانت بيتا تنظر إليهما وهى تتجه نحوهما ، كانت مريم كعادتها فى زى أنيق بسيط ، وكامران ...اللعنة على هذا الرجل ! كأنهم قد حاكوا ملابس السهرة على

جسده حتى بدا أنيقًا إلى هذا الحد ، وما أن رأت مريم بيتا حتى احتضنتها بسعادة بالغة وقالت لها وهى تقبلها :

- بقيتى زى القمر !

- ثم قالت لبابك :

- مبروك يا بابك ، أهنئك على اختيارك .

فرد وهو يسلم على كامران :

- مرحبًا بك يا مريم ، وأنت كذلك يا كامران .

وبعد أن سلم كامران على بابك مد يده ناحية بيتا ، وقال وهو ينظر إلى عينيها:

- أهنئك يا سيدتى ، أنا سعيد جدًا لدعوتكما لى ، لقد دعانى أحد الأصدقاء ليلة أمس لكن حينما دعتنى مريم إلى حفلكما رحبت على الفور .

فبادرت بيتا بقولها :

- هذا من لطفك ، لكننى أرى أنه يجب أن اعتاد تدريجيًا على حضورك مع مريم بصفتها أقرب صديقة لى .

كانت تريد أن تشير بهذه الجملة إلى ما بينهما ، فمكث كامران قليلاً ، ثم قال :

- أشكرك .

قالت مريم :

- بابا ! قللا من المجاملة ،هيا ندخل إلى أصل الموضوع .

ضحكت بيتا وقالت :

- اتجهى إلى هذه الناحية من الصالون فالبنات هناك ، اتفضل يا كامران .

قال بابك :

- من فضلكما تفضلا لتناول شيء ، ومعذرة لو قصرنا فى الاحتفال بكما .

نظر كامران إليه وقال :

- لا نقد يوجه إليكما قط ، هل تتكرر هذه الليلة فى حياتكما ؟ ! لو قام أحد بنقدكما فى مثل هذه الليلة فقد ارتكب ظلمًا فادحًا فى حقكما .

ثم وجه حديثه إلى مريم :

- ألا تريدين أن تعرفيننى على صديقاتك الأخريات يا حبيبتى ؟

وارتجفت بيتا من نظرته إلى مريم واضطرب قلبها ، وحمدت الله فى هذه اللحظة أن صديقتها لم تلاحظ شيئًا فسألتها مريم :

- حبيبتى بيتا ، أين أستطيع تغيير ملابسى ؟

كانت بيتا تشعر وكأنها فى منام ، وأشارت بإصبعها إلى الغرفة المقابلة وقالت بصوت خافت :

- هناك .

سألتها مريم :

- إنتِ كويسة ؟

وأدى سؤال مريم إلى أن ينظر بابك إلى وجهها بدقة قائلاً :

- حصل إيه ؟

ضحكت مريم وقالت :

- لعلك فكرت فيما أفكر فيه ؟

قال بابك :

- لو كنتِ تعبانة قولى يا بيتا .

فردت وهى تحاول أن تمنع نفسها من النظر إلى كامران :

- أنا كويسة جدًا .

قالت مريم مازحة :

- مثل هذه الحالة طبيعية فى تلك المناسبات .

- كفى عن حديثك هذا .

ضحكت مريم وقالت :

- لا شك أنها الحقيقة ! لازم الواحدة تفقد أعصابها أمام رجل كامل ذى هيبة مثل بابك !

قال بابك :

- هذا من لطفك يا مريم ، لكننى أرى أننى أسعد رجل فى العالم .

قالت مريم مازحة :

- هذا هو الإحساس الأول لدى كل الرجال ، والشاهنامة تنتهى بالسعادة !

قال كامران :

- لا شك أن مريم تمزح !

قالت بيتا :

- الإنسان يعجز على الحكم أحيانًا ، أهى صديقتى أم عدوتى ؟ !

قال كامران :

- بالتأكيد هى صديقة عزيزة ، فمريم تحبك حقًا من قلبها ! إننى احتار لهذا التفاوت بينكما !

قال بابك :

- أليس من الأفضل أن نؤجل هذا البحث النفسى إلى وقت آخر ؟ بيتا ، أرى أن هذا التصرف ليس صحيحًا لتحية الضيوف خاصة وأن هذه هى المرة الأولى التى يشرفنا فيها السيد كامران .

قالت مريم :

- كامران ليس غريباً يا بابك ، كمان هو هيعزف لنا الليلة على الجيتار !

قال بابك بابتسامة فاترة:

- حسنًا جداً أن نستغل هذه الفرصة ، أشكرك .

ووجه كامران أولى ضرباته عن قصد أو عن غير قصد إلى بيتا :

- لكن أرى أن بيتا لا تستحسن عزفى !

اندهشت بيتا ونظرت إليه وقالت :

- من أين خمنت هذا ؟

قال كامران فى خبث ودهاء :

- لا أعلم ، لكننى أشعر بذلك .

قالت بيتا بصوت يرتجف على الرغم من تظاهرها بالتماسك :

- على العكس من ذلك ، فالجيتار أحد الآلات الموسيقية التى أعشقها !

فرد كامران وهو يبتسم :

- إذن هنيئًا للجيتار !

وتصبب العرق من جسد بيتا ، كم هذه جرأة بعيدة عن التصديق ! حتى أن بابك و مريم اندهشا للحظات ، إلا أن كامران كان هادئًا تمامًا وكأنه لم ينتبه إلى معنى الجملة التى ذكرها ، وسعل بابك مرة ، ثم قال مبتسماً :

- أشكرك ، اتفضل يا كامران ، ليس من المفترض أن نظل فى استقبالكما طوال الليل على هذا النحو .

* * *

همست لادن وهى تقشر الخيار مستفسرة من ميترا قائلة :

- كيف تبدو الأمور فى نظرك ؟

قالت ميترا :

- ماذا تقصدين ؟

- أقصد ذلك الرجل ، كامران ! هل هو عادى أم غير عادى من وجهة نظرك ؟

قالت ميترا بحذر لم تستطع مراعاته :

- لا أدرى ماذا أقول ! إن مريم تحبه بشدة، ألا ترين كيف تلتصق به كالقرادة ؟

قالت لادن وهى تنظر إلى بيتا وبابك :

- اللعنة على الشيطان ! لا أدرى لمَ تهاجم تلك الأفكار رأسى ؟ إنه هراء !

نظرت ميترا إليها دهشة وقالت :

- عايزة تقولى إيه ؟ لعلك مثلى أيضًا ......

- لو أقول شيئًا فليبق سرًا بيننا ؟

- قولى ! لكننى أسبقك القول إننى لاحظت أشياءً كثيرة ، لكننى اندهش فقط من عدم ملاحظة مريم لذلك !!

- دعك من مريم الآن ، تحدثى عن بابك ، لا أدرى لمَ أشعر أنه يتظاهر بعدم الفهم !

- يعنى هذا أنه فهم بيتا ؟

- ليس مستبعداً ، لا أعلم لمَ أعتقد أنه يلاحظ شيئًا ما ؟ !

- إنه على علم كذلك بعلاقة بيتا ومريم !

- مريم فقط هى التى يبدو عليها مدى حبها له .

- وأرى فى عين كامران وسلوكه أنه غير مهتم بها !

- إذن إنتِ فهمتى ؟ !

- يعنى إنتِ فاكرة إن أنا عامية ؟! هو لازم الإنسان يكون هيمان علشان يفهم!، انظرى كيف ينظر إلى بيتا .

- ألا تشعرين أن بيتا مضطربة ومرتبكة قليلاً ؟

- لا نحيد عن الحق إذا قلنا أن سلوك بابك كان قاسيًا للغاية مع كامران !

- لعله قد فهم ! لا أدرى ما الذى جذب مريم إليه ؟ !

- ونحن أنفسنا ما الذى جذبنا إليه ؟

- تقولين الحق ! فهو يجذب المخاطب إليه رغمًا عنه .

- ألهذا الحد لا تشعر مريم ؟ !

- نحن لا ندرى حتى الآن ما الذى بينهما ، لا تنسى هذا .

- يعنى هذا أن بيتا تعلم ؟

- لو لم يكن كذلك فدهشتى أكبر ، لكننى ألاحظ أن هذا اللقاء ليس الأول بينهما !

- لكن بابك رجل يتمتع بالوقار والهيبة !

- من وجهة نظرى أرى أنه لطيف كذلك .

- ويعشق بيتا بشدة !

- وبيتا تعلم ذلك جيدًا ، لكن لو يدعها ذلك الرجل !

- حقًا هذا شئ لم يُسمع ولم يُر من قبل !!

* * *

أخذ بابك يد بيتا فى يده بهدوء وقال :

- لا شك أنك تعبتِ ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟

قالت بيتا بابتسامة مفتعلة :

- لا ، ليس كذلك .

سألها بابك :

- تريدين أن أطلب بهدوء من مسئول الفرقة الانتهاء من العزف ؟

قالت :

- لا ، دع الضيوف يُسعدون .

- تريدين أن أقول لكامران أن يعزف لنا على الجيتار ؟

- لا أدرى ، لا فرق لدى !

- ماذا حدث يا بيتا ؟ لم تستاءين إلى هذا الحد ؟

- الموضوع مش كده !

- لو كان كذلك ، لم لا تتحدثين ؟ لو كنتِ متضايقة من حاجة قولى .

- كل حاجة كويسة ! أنا لا أدرى لمَ تلتصق بى كل عدة دقائق ؟

وآثر بابك الصمت وتراجع إلى الوراء ، كان قبول صمت بيتا وهدوئها إلى هذا الحد صعبًا عليه . كان منتبهًا تمامًا إلى تلك الحقيقة وهى أنها تغيرت فى الآونة الأخيرة ولم تعد كما كانت فى السابق ، لكنه كان يعلم أن نتيجة الحديث فى هذا الموضوع هى ألم بيتا وإدانته . والتفت بنظره إلى كامران فإذا به يتحدث مع فرشته بنفس الجرأة المحيرة ، وكان ينظر إلى بيتا مرة كل بضعة دقائق .

لمْ يفهم لمَ ينتابه هذا الاحساس ؟ إنه لم يسترح له منذ اللقاء الأول ، كان من وجهة نظره رجلاً جريئًا وقحًا يعرف الطريق جيداً لاجتذاب قلوب النساء ، وهذا هو الفن الذى يجهله بابك ! تنهد فى صمت ونظر إلى بيتا ، ليتها كانت تفهم ما يمر فى ذهنه وفكره ! ليته لم يكن متزنًا إلى هذا الحد ! وأخرجته فرشته من أفكاره وهى تمزح قائلة :

- بابا ! كفى ، لقد انتهى الأمر ، إلامَ تنظر إليها ؟

والتفت بابك وبيتا إليها ، فضحكت وقالت :

- قضيتما وقتًا طيبًا ؟

قالت بيتا:

- ليس كما قضيت أنتِ !

قطبت فرشته جبهتها تقطيبة مفتعلة ، وقالت :

- لمَ لا ؟ فأنا أخت الزوج .

مسك بابك يدها وقال :

- عقبال يوم عرسك .

قالت :

- ليس لدينا هذه الفرصة ياأخى !

قال :

- بنات دلوقتى همّا بنات زمان ، لقد نحين الحياء جانبًا .

قبلت فرشته وجهه وقالت :

- والإخوة دلوقتى هم الإخوة بتوع زمان ! أنا لا أدرى لمَ لا أستطيع أن أخشاك فى أى عمل أقوم به ؟ لا شك أن الذنب ذنبك ! لأنك لم تعاملنى فى أى وقت قط كأخ ! دومًا كنت لى الصديق ومحرم الأسرار قبل أن تكون أخًا .

- كنت ؟ ودلوقتى لأ ؟ !

- لو لا تكون كذلك ، فأنا لا أشتكى ، فقد تنازلنا عنك لبيتا .

ضحكت بيتا وقالت :

- ليس على هذا النحو الذى تقولينه يا فرشته ، فبابك هو بابك !

فرد مازحًا :

- نعم بابا ، هذه فى مأمن من تلك ! أترين أية فرصة لدىّ يا أختى ؟

أطلقت فرشته قبلة على شعر بيتا وقالت :

- لتعمرا معًا إلى الأبد ، لا تعلمان أى إحساس لدىّ ! كأننى حققت أعظم أمنية فى حياتى .

مسك بابك يدها فى حب وابتسم ، فقالت فرشته :

- حقًا يا بيتا ، ألا يبدو السيد كامران هذا جذابًا وغريبًا ؟ !

نظرت بيتا إليها فى دهشة ، فقالت فرشته التى شعرت أنها لم تنتبه لمقصدها:

- أتحدث عن خطيب صديقتك ، سمعت أنه عازف ، أحقًا هذا ؟

فرد بابك بدلاً عن بيتا :

- نعم ، يعزف على الجيتار ، هو حصل إيه ؟

- لا شيء ، إنه يتسم بشخصيته الجذابة !

- أنتِ كذلك انجذبتى إليه ؟

- أنا كذلك ؟ تقصد إيه ؟

- صديقات بيتا لهن أيضًا نفس الرأى .

- إنه يبدو چنتل مان حقًا ! كأن الشخص قد قضى معه مائة عام !

- على أية حال فهو فنان ! وقد قرر أن يعزف لنا الليلة على الجيتار !

- إذن فهذا جدير بالمشاهدة !

- هذه وجهة نظرك ! وبيتا يعجبها ذلك أيضًا ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟

- ماذا ؟ !

كانت مشاعرها فى مكان آخر ، نظر بابك وفرشته إلى بعضهما فى دهشة .. والآن يرقص كامران مع مريم ، لمَ يجب أن يكون كامران هو حبيب مريم من دون رجال العالم أجمع ؟

دارت رأسها ، شعرت بالوهن ، كم كان قبول تلك المراسم مع وجود مثل هذه المشاعر صعبًا ! كان يبدو كل شيء في نظرها وكأنها تراه في أحد العروض التمثيلية ، كانت هي وبابك كفناني الدور الأول فيه ! فكرت للحظة بينها وبين نفسها ، لو لم تكن خطيبة بابك ،ولولم تكن مريم على علاقة بكامران ، ما الذي كان يحدث ؟ هل كانت تختاره ثانية ؟ ارتجف قلبها . كان كامران ينظر إليها من بين جميع الحضور دون أن يلاحظ أحد .كم كانت ترى نفسها ضعيفة أمامه . كان عجيبًا بالنسبة لها ألا تشعر بنفس هذا الإحساس تجاه بابك ! كانت تريد أن ترفع ذيل فستانها وتطير إلى غرفتها ، لم تشعر بالضيق والعصبية في أي وقت قط مثلما تشعر بهما الآن ، هل يعاقبها الله ؟ فكرت : "ليته يختلف مع مريم لسبب ما ! " ، لكنها لم تكن واثقة من نفسها . في الحقيقة كان هذا نوعًا من الهروب ، ولو تقدم بابك أكثر من هذا ماذا يحدث؟وقف شعر جسدها من هذا التفكير ، كأنها تنظر إلى الموضوع حتى هذه اللحظة على أنه مزاح ! لقد سلمت نفسها إلى يد القدر الذي يدفعها إلى الأمام دون هوادة . وأعلن مسئول الفرقة في الميكروفون أن كامران يريد أن يعزف عدة مقطوعات على شرف الحضور خاصة العريس والعروس ، لم تكن بيتا تعلم أنه سيقول ما قاله لكنها إلى الآن لا تعلم إحساسها تجاهه .صفق الضيوف ترحيبًا به ، وتحكم صمت غريب على الجميع ، عندئذ كان صوته وحركة أصابعه الساحرة مؤثرين ومثيرين كالمرة السابقة:

تعلم أن القلب أسير ... أسير حتى الموت

تعلم أن القلب بدونك ... لا يقر له قرار

تعلم أن قلبك الصغير ... هو لسان حالك

لكنه يبحث عبثًا ... وما أكثر ما سعى عبثًا

صرح لي يا عديم الوفاء ... حبيب مَنْ أنت الآن ؟

لقد حل خريف عمري ... وأنت ربيع مَنْ ؟

أريد الرحيل بعيدًا ... فلا طاقة لقلبي

حيث أصابه غمك ... وصار يعد الأيام

تعلم أن قلبى أسير	أسير حتى الموت
تعلم أن القلب بدونك	لا يقر له قرار
تعلم أن قلبك الصغير	هو لسان حالك
لكنه يبحث عبثًا	وما أكثر ما سعى عبثًا !

وبعد أن توقف عن العزف قام الضيوف بتحيته وتشجيعه ، وشعرت بيتا التى تغير حالها أنه اختار هذا الشعر عمداً لغنائه ، لأنها كانت ترى نظراته موجهة إليها أثناء الغناء ، وكلما أصرت على عدم التفكير فى ذلك لم يسمح لها .

وهمست ميترا - التى كانت أكثر ملاحظة من لادن - فى أذن لادن وهى تصفق:

- كان شعره واضحاً كالصورة المرسومة !

قالت لادن وهى تضحك :

- ونظراته كانت أكثر وضوحاً .

قالت ميترا :

- الآن لا يوجد شىء مهم ! هل دققتى النظر كم غمزنا ولمزنا أنا وأنت على سيئ الحظ هؤلاء بكل سهولة ؟

قالت لادن :

- قالوا قديما : الناس لا تتكلم بشىء طالما لا يوجد ذلك الشىء ! انظرى لدقيقة إلى وجه بيتا ، لقد أحمر لمدة نصف الساعة ! كنت أنظر إليها طوال الفترة التى كان يعزف فيها كامران ، لقد تغير لونها عشر مرات .

رفعت ميترا كتفيها وقالت :

- عديمة الذوق حقًا من تتجاهل رجلاً مثل بابك ويتعلق قلبها برجل مثل كامران! مسكينة مريم ، هل من الجدير بنا أن نحدثها فى هذا الأمر ؟

قالت لادن :

- مع معرفتى بمريم ، أرى أنه لا داعى !

قالت ميترا وهى تنظر إليهما :

- قلما اهتم هذا الرجل بمريم المسكينة ! صدقينى إننى مستاءة من أجلها على عكس الساعات القليلة السابقة .

(١٣)

بعد رحيل آخر ضيف بدقائق توجهت بيتا إلى غرفتها بحجة صداع ألمَّ بها ، وأغلقت الباب عليها ! لا ، إنها لم تكن تتحمل رؤية شخص قط فى تلك اللحظة ! ظلت طوال اليوم كأمواج البحر التى تتلاطم إلى أعلى وإلى أسفل على أثر الرياح الخفيفة والشديدة وتوقف ذهنها المتعب عن التفكير تقريبًا ! «أى هدف لهذا الرجل؟!» كان كيانها كله يرتجف من هذا السؤال . دعت ألا يأتى بابك وراءها لأنه كان يساوره الشك فيها منذ بداية الليلة مع تلك الحالة التى كانت عليها ! مالت على كتفها الأيمن فوق السرير ، جعلت تتذكر سلوك كامران وتصرفاته ويقشعر جسدها كأنها تخلت عن نفسها وعن كل شىء . « هل لاحظ بابك شيئاً؟» واضطربت من تصور ذلك ، «وماذا عن مريم ؟!» لا ! هذا كثير .. نهضت من مكانها وجلست تفكر ، لا يوجد مكان فى ذهنها للتفكير ، « العياذ بالله ، لو لاحظت مريم شيئًا من سلوك كامران ومن ارتباكى ، ماذا يحدث ؟!» . إن تصور ذلك من الصعوبة بمكان لأنها لم تكن تدرى كيف تواجهها بعد ذلك ! كيف لم تلاحظ هذا الأمر طوال الليل ؟ لعل السبب فى ذلك أن مريم أكبر من أن تشك فيها . فكرت بيتا : ليتها لم تكن بحسن النية إلى ذلك الحد ! ليتها لم ترها بتلك الصورة الحسنة إلى هذا الحد ! كانت تعتقد أنها طالما لم تواجه مريم وجهًا لوجه فإنها لم تستطع أن تدرك مكنون قلبها . وارتجفت من إحساس الذنب مع سماع صوت بابك الذى رغب فى توديعها قبل انصرافه ، حاولت أن تفهم من نبرته إن كان مستاءً من شىء أم لا ، لكنه لم يتضايق من شىء . كان بابك من وجهة نظرها يتمتع بهذه الصفة الإيجابية ألا وهى قدرته على أن يبدو متماسكًا حتى فى ذروة الضيق ، وهذه صفة إيجابية فيه، لكنه كان يبدو من وجهة نظرها مؤلمًا على نحو غير قابل للتحمل فى تلك الليلة ، كانت أمها تلح عليه كى يمكث الليلة لديهم ، وأجابها بهدوئه المعتاد:

- لا يا عمتى الحبيبة ! الفرص كتيرة ، روحى نامى وأنا همشى بعد رؤية بيتا ، أطلب منك فقط ألا تقومى بشىء قط وسوف أرسل لك غداً عاملين أو ثلاثة للقيام بتنظيف المنزل .

وما أن نظرت بيتا إلى نفسها أمام المرآة حتى أخذت تبحث عن الحجج لما تم أول الليل ، لكنها عجزت من التفكير ، أخذ صوت بابك يقترب منها شيئًا فشيئًا وها هو الآن خلف الباب مباشرة ، كانت خشيتها من مواجهة بابك إلى هذا الحد من وجهة نظرها شيئًا مثيراً للضحك ، كانت تشك فى نفسها تمامًا كاللص ، فكرت بشكل جاد : ما هو ذنبى ؟ لكن شعورها الباطنى - الذى كان يفوق كبرياءها - كان يتسلط عليها ، طرق الباب عدة مرات ، لا تزال أمها تلح عليه للمكوث ، وبيتا تدعو ألا يقبل ، وحينما طرق الباب عدة مرات ثانية سمحت له بالدخول بصوت يرتجف ، وكأن محاولتها لحفظ تماسكها لم تفلح، دخل بابك غرفتها بهدوء وأغلق الباب خلفه، وقال :

- لم يغلبك النوم ؟

ولكى تهرب من نظراته أدارت نفسها إلى الجهة الأخرى بحجة ترتيب المنضدة المجاورة للسرير، وقالت :

- لمَ لمْ تمكث ؟

- وهل تسمحى لى ؟ !

كانت رائحة السخرية تصل إلى المشام من نبرة صوته ، عادت ناحيته وسألته فى ضيق :

- تقصد إيه ؟ هو أنا ماليش حق أشعر بالصداع كأى شخص ؟

- من وجهة نظرك ، أليس غريبًا أن يحدث ذلك فى مثل هذه الليلة ؟

- من وجهة نظرى ، لا فرق عندى بين الليلة وغيرها !

- أتفكرين هكذا حقًا ؟ !

- أتفكر أنت فى شىء آخر ؟

وبدت عصبية على عكس رغبتها ، وبسبب رعشة يديها وقعت زجاجة طلاء الأظافر الخاصة بها على الأرض وانكسرت ، مالت وجمعت فتات الزجاج ، كان بابك جالسًا أمامها فمسك بيدها ، كم كانت تشعر بالخجل فى ذلك الوقت! لم يظهر على وجهه سوى صورة العشق والحب ، مسك بابك يدها بإحدى يديه وجمع الزجاج باليد الأخرى ، كانت تريد أن تقول شيئًا لكن لسانها قد انعقد ، فقال بابك فى هدوء :

- كويس إنه لم يقع على الفرش !

لم تتفوه بيتا بشئ ، ووضع بابك فتات الزجاج فى صندوق تحت المائدة ، وحمدت بيتا الله أنه لم يشعر بشىء حتى الآن ، وقدمت إليه علبة المناديل وقالت :

- لا أدرى كيف حدث هذا ؟ أشكرك .

أخذ بابك منديلين أو ثلاثة وقال وهو ينظف بلاط الحجرة :

- يقولون إن اضطراب البنات فى مثل هذه المناسبات طبيعى تمامًا !

- إذن فأنت تعطينى الحق !

- فيما يتعلق بغضبك منى ، لا .

والتقت نظراتهما وتأثرت بيتا ، فقال لها :

- لقد طلبت منك ذات مرة أن تصرحى لى لو كنت متضايقة من شىء .

- لمَ تعتقد ذلك ؟

- لو لم يكن كذلك ، فلمَ تبعدين عنى ؟

- الموضوع مش كده .

- بيتا ، لقد تربينا معًا منذ الطفولة ، وكل منا يعرف الآخر جيدًا ، أليس كذلك؟

- لا أدرى كيف تفكر فىّ ، وأيًا ما كان فأنت مخطئ !

- أنتِ متأكدة من صراحتك معى ؟

وعلى الرغم من عدم تأكدها من ذلك ، قالت :

– نعم ، أنا صريحة معك .

نظر بابك إليها نظرة متفحصة دون أن يتفوه بشئ ، ولكى تغير الموضوع سألته:

– ألا تمكث هنا الليلة ؟

قال وهو ينظف يده :

– لا ، يجب أن أنصرف .

سألته على عكس رغبتها :

– مش عايز تستنى شوية ؟

قال :

– لا ، أرى من الأفضل أن أرحل سريعًا كى تتمكنى من أخذ قسط من الراحة ، آمل حينما آتى غداً أن أراكى فى حالٍ أفضل .

– أشكرك على كل شىء .

قبل بابك يدها وقال :

– فى الحقيقة أنا اللى لازم أشكرك .

– هل تعتذر لى إلى الخال والآخرين بسبب تعبى ؟

– ليس مهمًا يا حبيبتى ، لا داعى أن تقيدى نفسك إلى هذا الحد ، عمت مساءً .

– هاجى معاك أوصلك .

– مش لازم ، أنا عارف الطريق .

وقبل أن يفتح باب الغرفة عاد إلى الوراء ثانية ونظر إليها ، كانت شفتاها تريد أن تبوح بشىء إلا أنها لم تفعل ، وتلقائيًا ارتسمت على وجهه ابتسامة ذات دلالة وخرج من الغرفة . ابتسامة استمرت عدة لحظات وأزالت كل شىء من ذهن بيتا .

* * *

ألقى بابك بالأوراق فى ضيق فوق المكتب والتفت تجاه النافذة وهو على مقعده المتحرك ، لم يكن حساسًا بمثل هذه الدرجة من قبل إلا أنه شغل باله منذ فترة ببيتا وسلوكها الفاتر معه . أسند رأسه خلفًا ثم نظر إلى المبنى المرتفع المواجه للنافذة ، إنها شمس شهر اسفند الدافئة ، فكر : هل المرأة التى اختارها لتكون زوجة له تكون بمثل هذا الفتور على الدوام ؟! عاد إلى قلبه . إنه يحبها بذلك القدر الذى يجعله يستطيع أن يتحلى بالصبر حتى اللحظات الأخيرة من عمره للظفر بقلبها .

من وجهة نظره ، على عكس ما كان يدعى ، لا يزال يجهلها ، وتتملكه الدهشة ، كيف تتغير طباع فتاة فى مثل سنها على هذا النحو كتغير الفصول الأربعة؟! وها هو العام الجديد على الأعتاب ، ويرغب بابك فى أن يفاجئ بيتا بهدية لم تتوقعها ، لكن ما من شيء محدد فى ذهنه لها ، فكر مرة فى استشارة فرشته لكنه تراجع عن هذه الفكرة لاحتمال نشرها هذا الخبر لدى الآخرين .لم يود فى أن يشغل باله كثيرًا بهذا الأمر ، لكنه كان يزداد بداخله عندما يتخيل سعادة بيتا . رفع السماعة ، واستدعى السكرتيرة ، لا شك أن عقدة الأمر سوف تحلها إمرأة ، وحينما دخلت السكرتيرة حجرته ، وقع فى الحيرة ، كيف يفاتحها فى الموضوع ؟ قالت السكرتيرة :

- أتريد شيئًا يا باش مهندس ؟

تشجع بابك وسألها :

- أتستطيعين مساعدتى فى شيء خاص ؟

تلألأت عينا الفتاة فى خبث ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة ، ثم قالت:

- معذرة ، ما المساعدة التى تريدها منى ؟

- آمل فقط أن يكون هذا سرًا بيننا !

- بالطبع ، اطمئن لن تندم على ثقتك بى .

وتحرج بابك ، يجب أن يكون صريحًا لأخذ مشورة الفتاة ، لكن ربما تفسد الأمور ، قال :

- تعلمين ..... أنا ، حقيقة ... لا أدرى ماذا أقول ؟

ساعدته السكرتيرة وقالت له :

- أرجو أن تطمئن لى وتمنحنى ثقتك .

مكث بابك قليلاً ثم قال :

- أريد أن استفسر منك ، ما الهدية المناسبة لمن فى مثل سنك ؟

وكأنهم قد صبوا السكر فى قلبها ، فقالت :

- أنا سيدى ؟!

فقال على الفور :

- لا ، يبدو أننى لم أتمكن من توضيح هدفى . أقصد أية هدية مناسبة من وجهة نظرك للفتاة ؟ تعلمين إننى عديم الخبرة فى ذوق الفتيات .

فسألته فى حذر :

- من أجل خطيبتك ؟

تراجع بابك إلى الخلف ، فقد حدث ما لا يجب أن يحدث ، وقال :

- نعم ، هذا صحيح !

فنظرت إليه بنظرة تملؤها الحسرة وتصعدت منها آهة ، فالله وحده يعلم كم تحب مديرها الشاب ! إلا أنها ابتسمت بمرارة وقالت :

- حقًا لا أعلم ماذا أقول عن الذى تحبه أو عن ذوقها !

قال بابك وهو يبتسم :

-آمل ألا أكون مصدر ضيق لك بسبب طرحى لهذا السؤال ، لكننى أريد أن أفاجئها .

همست السكرتيرة :

- هنيئًا لها .

- ماذا قلتى ؟

- أقول إنك تقوم بعمل جيد ، فالنساء لديهن شعور مرهف .

- لكنكِ لم تقولى رأيك .

قالت وهى تفكر :

- البعض منهن يحب الذهب ، والبعض يحب العطور ذات الرائحة الجميلة ، والبعض يميل إلى الأزهار ، والبعض الآخر إلى الملابس والأدوات ..... إلخ .

-يُفهم من حديثك أنه يجب أن أعلم ميولها أولاً ؟ !

- نعم هذا صحيح .

همس بابك :

- إن ذوقها عالى جداً .

- قلت شيئًا سيدى ؟

- لا ، لا ! شكرًا .

- لكننى لم أتمكن من تقديم العون لكِ.

- بالعكس ، أشكرك على نصائحك لى ، لن أعطلك أكثر من ذلك .

وخرجت السكرتيرة مندهشة من حجرة بابك . فمن وجهة نظرها أن هذا اللقاء بينهما لم يسبقه لقـاء مشابـه ، وتنهـدت بسبب إحسـاسهـا بمدير الشركة الجاد! ثم انشغلت فى عملها .

* * *

وبينما كانت بيتا تخرج من الحمام رن جرس الهاتف ، فرفعت السماعة على أذنها دون أن تفكر وقالت :

- أهلاً .

- سلام بيتا .

كم كان هذا الصوت معروفًا لديها وكأنه قد حرك شيئًا ما بداخلها رغمًا عنها، قالت:

- معذرة ؟ !

- أنسيتنى بهذه السرعة ؟ حقًا إننى آسف على نفسى !

ارتبكت بيتا وجلست على الأرض ، وقالت :

- أنت كامران ؟ !

- كيف حالك ؟

كان صوته هادئًا متماسكًا على عكس بيتا. وقال:

- توقعت أننى دخلت فى زمرة أصدقائك المقربين لكن خاب ظنى !

ابتلعت بيتا ريقها بصعوبة ، وقالت :

- على الرحب والسعة . على أية حال يجب أن تعطيني الحق لأن هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوتك خلال التليفون .

ضحك كامران وقال :

- إن شاء الله هتتعرفى عليه بسرعة فى المرات التالية !

فكرت بيتا :لقد قرر أن نتحدث سويًا عدة مرات عبر الهاتف ؟ ومن الأصل ، من أين حصل على رقم تليفونى ؟ هل هو الآن مع مريم ؟ هذا غير مقبول !

ولكى تستكشف الأمر سألته عن مريم :

- كيف حال مريم ؟

- المفروض أنكِ تعلمين أكثر منى ، فأنتما معًا كل يوم .

- أليست معك الآن ؟

- لا، لكن اطمئنى هى لازم تكون كويسه !

- اطمئن ؟! هو أنت متعرفش أخبارها إيه ؟

- نعم ! ولو أن شيئًا قد حدث لتحدثتما معًا .

اضطربت بيتا وكأنها ترغب فى إبعاده عن الموضوع ، فقالت :

- معذرة ، كأننى لم أفهم مقصدك ، ماذا تقصد ؟ !

- لا داعى لحساسيتك بهذا القدر ، الأمر ليس مهمًا.

- لو لم يكن هناك شىء لما اتصلت .

- تضايقتِ من اتصالى بكِ؟

- لا ، لكننى مندهشة فقط ، الحقيقة إننى انتبهت أن مريم كانت على غير عادتها هذه الأيام إلا أننى لم أعلم السبب على وجه الدقة .

- ربما لم تتحدث معكِ لأنها هى المذنبة !

- لا أفهم مقصدك !

مكث قليلاً ثم قال :

- حقًا لقد اتصلت لذلك السبب ، أنا ومريم شبه مختلفين !

اضطربت بيتا وقالت :

- مختلفان ! لمَ ؟

- لأسباب عديدة قد تضايقك لو سمعتيها !

- منذ متى ؟ لمَ لمْ تفصح مريم لى بشىء ؟ !

- لا أعلم شيئًا عنها منذ أربعة أو خمسة أيام ، تصورت أنكِ تعلمين !

- لا ، إننى أسمع منك الآن . لكن لمَ ؟ ماذا حدث ليقع هذا ؟

- أعتقد أننى أخطأت أنا ومريم ، إننا لم نتفاهم ، أيمكنك أن تقولى لها هذا على لسانى ؟

– أنا ؟ ! لا أستطيع القيام بهذا العمل ، لأننى أصلاً لم أكن موجودة بينكما ، فضلاً عن أنكما تحبان بعضكما بشدة .

ضحك كامران ، وقال :

– هذه هى المشكلة ، هذا الحب الشديد هو سبب المتاعب !

قالت بيتا بشكل جاد :

– لو سمحت ، كن جاداً يا كامران ! على الأقل لأننى أعلم مقدار حب مريم لك!

– وأية فائدة من تقييد يدى وقدمى بهذا الحب ؟ هل يفضى عالم العشق إلى الأسر ؟ إنها أصلاً لا ترغب فى قبول ضرورة أن أكون مجاملاً بحكم عملى . آهٍ علىّ لو ابتسمت مرة إلى فتاة . ربما لا تصدقين كم عكرت مريم صفو حياتى فى غد تلك الليلة التى حضرنا فيها حفل خطوبتك ، كلما قلت لها : "حبيبتى ، لا تبدين مثل هذا القدر من الغيرة ، لا تضايقى نفسك هكذا." وما من فائدة ، تماماً كدق المسمار فى الحجر ! وفى النهاية فكرت فى اللجوء إليكِ .....

– ولمَ أنا ؟ ألا تعلم مريم نفسها أن كل شئ انتهى ؟

– لم أقل لها ذلك بشكل مباشر ، لابد أنها تفكر الآن أننا فى هذه المرة أيضًا سنتخاصم ثم نتصالح ، حقًا لقد سئمت من هذا .

– لمَ تفكر فى آخر الحلول ؟ استمع إليها وتحدث معها .

– هذا ما يجلب المتاعب ! ليتها كانت منطقية مثلك ولو لمرة واحدة .

اضطربت بيتا لكنها قالت :

– إن مريم كما أعرفها إنسانة منطقية وصادقة !

– هل تحدثتى معها ؟ انصحيها على الأقل .

– كما قلت لك من قبل ، إن مريم تحبك بشدة .

– لكن ما من دليل منطقى ومقبول يدلل على ذلك . اصدقينى القول ، أتبدين هذا القدر من الغيرة تجاه خطيبك ؟

لم تكن بيتا فى الحقيقة خلال تلك الأيام تبدى الغيرة تجاه بابك فقط بل قلما كانت تهتم به ، ومع هذا قالت :

– ليس ثمة دليل على أن البشر يتشابهون ، وقد يُشاهد التضاد الخلقى والسلوكى لدى التوأم ، فما بالك بالأصدقاء !

– لو ترغبين تحدثى معها فقط ولا تقولى لها أننى اتصلت بكِ !

– وكيف أفسر لها علمى بالموضوع ؟

– لا أدرى ، أنتن أيتها النساء لديكن حل لكل مشكلة ، استدرجيها فى الكلام بشكل غير مباشر .

– صدقنى ، إننى لا أوافق أصلاً على قيامى بهذا الدور ، لدى سؤال فقط ! من أين لك برقم تليفونى ؟

ضحك كامران وقال :

– إن الحصول على رقم تليفون أحد الأصدقاء أمر ليس صعبًا بالنسبة لى .

أدركت بيتا أنه لا يرغب فى التصريح فسألته :

– ماذا أقول لمريم بالضبط ؟ هل تريد مقابلتها ؟

– لا ، لأننى لا أتصور أنها تريد لقائى !

– لو سمحت ، لا تتحدث هكذا ، أحدثت جفوة بينكما !

– أستطيع أن أتصل بكِ لمعرفة الرد ؟

–آمل ألا تصل الأمور إلى ذلك وأن تُحل المشكلة !

– لمَ ؟ ألا تودين سماع صوتى ؟

وتذرعت بيتا بالمعاذير وقالت على عكس رغبتها :

– ما هذا الكلام ؟ ! تستطيع أن تتصل وقتما تحب ، لكننى أقول أنك تزيد من غيرة مريم بقيامك ببعض الأمور .

– فى الحقيقة هنيئًا لبابك أن تكون من نصيبه إنسانة منطقية متفهمة مثلك .

–أرجو ألا تتحدث هكذا ، إن مريم قدوتى من جهات عدة .

– لا أصدق لأنكما لا تقبلان المقارنة معًا على الإطلاق .

قالت بيتا كى تغير الموضوع :

– حسنًا جدًا ، سأتحدث مع مريم ، وعليك أن تفكر خلال تلك الفترة .

– أشكرك ، لن أضايقك أكثر من هذا .

وبعد توديعه ، نظرت أمام المرآة ، وفكرت : كيف تواجه مريم ؟

وكأن اتصال كامران كان من وجهة نظرها أمرًا عجيبًا وذا مغزى من جهات عدة .

* * *

وبعد انتهاء الفصل الدراسى ، وبدون مقدمات ، سألت بيتا مريم التى كانت تبدو عليها ملامح الضيق بوضوح :

– أتأتى معى لنشرب فنجانًا من القهوة ؟

نظرت مريم إليها فى دهشة ، فضحكت بيتا وقالت :

– لمَ تنظرين إلىّ هكذا ؟ ألدى قرون أم ذيل ؟ هيا إلى نفس الكافيتريا ، هل تعلمين منذ متى لم نذهب إليها؟

قالت مريم فى ضيق :

– ليس لى مزاج يا بيتا ، دعى ذلك لوقت آخر .

اعترضت بيتا قائلة :

– لا حاجة لك بالمزاج لكى تأتى ، أنتِ تحتاجين فقط إلى قدمين ، والحمد لله هما لديك ، ماذا حدث ؟ أصبحت كالعجائز ذات السبعين عامًا ، هل غرقت سفنك ؟

رغبت مريم فى أن تقول شيئًا إلا أنها عدلت عن ذلك مع اقتراب كل من ميترا ولادن ، وقالت ميترا بنبرة ذات دلالة خاصة :

- متى تقدمى لنا الحلوى يا خبيثة ؟

قالت مريم بابتسامة مفتعلة:

- كلما تأخر ذلك كان أفضل ، لقد ندم من سبقونا .

قالت لادن :

- ربنا يعلم ما فى قلبك .

قالت مريم :

- لعلنى جننت علشـان أرمـى نفسى فى المتاعب ؟ لازم أمتـع نفسى . لا مسئولية ! ولا عمل إضافى ! ولا راجل على راسى !

غمزت ميترا لادن وقالت:

- وتلك الليلة التى كنتِ ملتصقة فيها به ، قولى الحق ، كيف فعلت ذلك ؟

ضحكت مريم وقالت :

- ليهيلوا التراب على قبرك بحدثيك هذا ، لقد قلت لكِ من قبل إنه صديق أخى!

قالت لادن :

- لا يلزمنى هذا الحديث ، أريد الحلوى .

قالت مريم وهى تنهض من مكانها :

- لو أن الحلوى تداوى ألمك ، فإن حفل زواج أخى سيكون قريبًا ، وسوف أخبرك.

قالت بيتا - التى كانت صامته حتى تلك اللحظة تراقب مريم فقط - فى سعادة:

- حقًا ما تقولين يا مريم ؟ زواج آرش ؟ كيف لا أعلم ؟

قالت مريم :

- والله إن كل شئ تم بسرعة بشكل لم نصدقه .

سألتها بيتا :

- ممن ؟ أهى نفس الفتاة التى كان يريدها؟

قالت مريم :

- نعم ، هى ، وافق أبوها فى النهاية.

قالت بيتا :

- لازم آرش فرحان دلوقتى !

قالت مريم :

- جداً ! من شدة فرحته ظل يرقص لنا ساعة كاملة ذات ليلة !

قالت بيتا :

- يجب أن تكون جميلة ! وآرش نفسه رجل رزين ووقور !

قالت ميترا:

- بقول إيه ، مش هتعزمينى علشان أحضر ؟

قالت مريم فى مزاح :

- تعلمين كم أنتِ عزيزة !

سألت لادن :

- سيأتى كامران أم لا ؟

أحمر وجه مريم وقالت :

- لا أدرى ، لابد من دعوته بصفته صديق آرش !

قالت لادن فى دهاء :

- ولمَ بصفته صديق آرش ؟ بل بصفته زوج المستقبل لسيادتك !

قالت مريم :

- قلت لكم إن موضوعنا لم يتم إعلانه بعد .

قالت بيتا التى لمست ضيق مريم :

- حسنًا يا بنات ، يجب أن نمضى ، وإذا مضينا لا داعى للمهاترات.

قالت لادن :

- لا ، أشكرك ، أريد أن أذهب لأشترى كتابًا ، وأنتِ يا ميترا؟

قالت ميترا:

- سأذهب إلى متجرًا أبى فقد اتفقنا على الذهاب إلى منزل عمتى .

سلمت بيتا عليهما وقالت لمريم :

- لا حجة لكِ يا مريم ، لقد أخذت وعدًا منك ، ولم تتفقى مع أحد على الذهاب إلى منزل عمتك ، ولن تذهبى لشراء شىء ما .

قالت مريم فى ضيق :

- لا تثقلى علىّ يا بيتا ، لا رغبة لى فى ذلك .

مسكت بيتا يدها وقالت :

- أرى أنه لا حجة لكِ ،أريدك فى شىء .

- حقا؟

- لا ، بهرج ! أرأيتنى إلى الآن أبالغ فى شىء ما ؟

ودعت مريم ميترا ولادن وذهبت معها .

* * *

بعد أن طلبت بيتا الكيك والقهوة نظرت إلى مريم - التى كانت تنظر خارج الكافيتريا - لقد كان يبدو عليها الإرهاق وتغير وجهها ونحل جسدها ، وما أن انتبهت مريم إلى نظرات بيتا إليها حتى قالت بابتسامة مفتعلة :

- ماذا حدث ؟ لمَ تنظرين إلىّ وكأنني أليس فى بلاد العجائب ؟ ألا تريدين أن تقولى لى ماذا تبغين منى ؟ وما هى المناسبة لهذه الدعوة الإجبارية ؟

انحنت بيتا وقالت :

- أنتِ متحفظة جدًا يا مريم .

- جميعهن كذلك ، وأنتِ أكثر!

- أنا سعيدة لأنك تعرفين كيف تضعى نفسك فى هذا الطريق .

- فى أى طريق ؟ لا أفهم مقصدك .

- لو أننى لا أعرفك فأستحق أن أكون جردلاً للقمامة ، والذى تعرفينه فقط سحب الكلام منى بخبث قولى لى ، منذ متى ونحن بعيدتان عن بعضنا ؟

- هو حصل حاجة ؟ علامَ تتحدثين ؟

- لمَ لا تكونين صادقة معى يا مريم ؟ ماذا حدث لك فى تلك الفترة ؟

- لا شىء ، ترين أننى بصحة جيدة وعلى ما يرام . لكن يبدو أن لديك شيئًا ما !

مكثت بيتا قليلاً ثم قالت :

- ما أخبار كامران ؟

كان صوتها يرتجف وكأن قلبها قد سقط منها ، نظرت بدقة إلى وجه مريم كى ترى رد فعلها إلا أنها كانت هادئة تمامًا . فكرت بيتا : " لو تعرف أن كامران اتصل بى ماذا تظن ؟" لكن تصرفها ألقى الماء البارد على يديها :

- لا شىء ، كالعادة يستمتع بجيتاره!

- ولمَ بجيتاره؟

ضحكت مريم ، وقالت :

- تتحدثين كالمحققين !

- يجب أن أتحدث معكِ هكذا لأنكِ لا تطلقين لسانك بالحديث !

تنهدت مريم وقالت :

- ماذا أقول ؟ أنا اللى عملت كده فى نفسى ، اللعنة علىَّ!

- عن أى شىء تتحدثين ؟ هل تعكر الصفو بينكما لا قدر الله ؟

- ليته كذلك، ليت كل شىء قد انتهى ، صدقينى لقد تعبت ....

- ماذا يعنى هذا ؟ لمَ أنتِ متعبة ؟ طلعتِ روحى ! ماذا حدث ؟

ملأت مريم الكوب الذى أمامها بالماء وشربت ، وظلت بيتا تنظر إليها فى صمت ، إنها لم تكن تعلم حتى ذلك اليوم كم كانت تحبه ، وتحدثت مريم بابتسامة مريرة :

- حسنًا ! ما أخبارك أنتِ ؟ كيف حال بابك ؟

- لا تغيرى الموضوع وإلا هطلع روحك ، الموت لكِ ، ماذا حدث ؟

- كأنك تتبعين المتاعب !

- لا شأن لكِ بذلك ، تحدثى ، هل قال كامران شيئًا لكِ ؟

- لا !

- إذن ماذا حدث ؟ لمَ أنتِ فى ضيق منه ؟

- أعتقد إنى زودتها شوية .

- فى إيه؟

- تعلمين أننا فى خصام منذ ليلة خطبتك وحتى الآن .

اضطربت بيتا ، "أيعنى هذا أنها انتبهت إلى شىء ؟ !" فسألتها فى صعوبة:

- لمَ ؟ !

- ماذا أقول ! على كل شىء ، وعلى لا شىء . حقيقة إننى لا أحب بعض تصرفاته ، كيف كانت مشاعرك وانطباعاتك فى تلك الليلة ؟

– حول كامران ؟ حقًا لم ألاحظ بدقة.

– الموضوع مش موضوع تلك الليلة فقط ، إنه على ذلك الحال فى كل مجلس !

– إذن ما الذى يضايقك ؟ أنتِ تحبينه بشدة !

– لو كنتِ مكانى ، ألا تتضايقى حينما ينشغل بابك بالفتيات الأخريات أمامك؟

– هل تم ذلك فعلاً ؟ !

– إذن واضح أنك لم تلاحظى بدقة ، لقد شاهد الجميع ذلك فى تلك الليلة !

– ماذا شاهدوا ؟

– إفراطه فى أعماله الصبيانية ، أعتقد أن بابك قد تضايق كذلك .

ارتبكت بيتا إلا أنها قالت فى تماسك مفتعل:

– لم يقل لى شيئًا

– إذن فهو شخص مهذب ومحترم !

– ولمَ كان متضايقًا؟

– امض بابا ، أرى أنك بعدت عن الموضوع ، قولى لى ، إننى كنت أعتقد أنك معذبة أيضًا !

– ألا تعتقدى أن غيرتك ليست فى محلها ؟

– ما هذا ؟ ألا يجب أن أكون كذلك ؟ أنا إمرأة على كل حال .

– ليكن الله فى عونك ! أنتما تفكران الآن هكذا ، فماذا تفعلان بعد ذلك ؟

– حقًا ، لقد فكرت فى ذلك ، ربما أننا لا نستطيع أ ن نفهم بعضنا أصلاً.

– ماذا يعنى هذا ؟ أحقًا ما تقولين أم أنك تمزحين؟

وانهمر الدمع من عين مريم وقالت:

– لا ، إننى أتحدث بشكل جاد.

– إذن ، لمَ تبكين ؟

– لأننى يلعننى الله ، لا أزال أحبه .

– ما هذا ؟ .... أقصد، أيحمل هو كذلك نفس المشاعر تجاهك ؟

– لا أعلم . اللعنة عليه ، إننى لم أره منذ أيام !

ضحكت بيتا وقالت :

– دعك من حبه ومن اللعنة عليه ! ماذا تريدين عمله الآن؟

– لا أعلم .

– هل اتصلت به خلال تلك الأيام ؟

– لا !

– لمَ ؟ ألم يتصل بكِ؟

– جته مصيبة ، لابد أنه وضعنى على الرف.

– ماذا قلتى له ؟ لعلك زودتها كما تحدثت الآن ؟

– ليته كذلك ، فلا يحق له أن يغتر ! أنا أقل منه فى إيه ؟

– نحن نعلم أن غيرتك مفرطة .

– وإنتِ مش كده ؟ أية إمرأة هل تختلف عنى فى سلوكها مع من تحبه ؟

– أنا لست كذلك .

– إنهم يعدون الدجاج فى نهاية الخريف.(*)

– ماذا يحدث فى النهاية ؟ ألم تقولى إن حفل زواج آرش بعد أيام ؟

(*) جوجه را در پائيز مى شمردند . ويعنى فى الفارسية إن فراخ الربيع يتعرض معظمها إلى الهلاك وتلتقطه الطيور الجارحة والحيوانات المفترسة ولا يتبقى منها سوى عدد قليل مع حلول الخريف ، ويستخدم للدلالة على عدم الانخداع والتأنى لبلوغ الحقيقة . (دهخدا ، ص ٥٦) .

- لا أعتقد أنه سيأتى .

- أى عذر يقدمه لبابك أنذاك ؟ أليس من أصدقائه المقربين ؟

- لا تغتمى ، وهو يعلم ما يفعله ، لقد احترق قلبك بسببى .

- لمَ ؟ لمْ ينته العالم ، يجب أن تجلسا وتتحدثا معًا .

- يجب أن أعد الظروف لذلك ، لكننى أعتقد أنه غير منزعج فقط من هذا الأمر بل أنه يستفيد منه لصالحه ! وإلا لمَ لا يتصل حتى بالتليفون ؟

رغبت بيتا أن تقول أنه وسطنى للقيام بذلك لكنها تراجعت ، لقد وعدت كامران ، ملأت الفنجان المقابل لمريم بالقهوة ، وقالت :

- لكننى لا أزال أرى ضرورة حديثكما معًا ، لو افترضنا ولم يتصل كامران ، ماذا تريدين أن تفعلى ؟

- لا شىء ، سأبتعد عنه !

- لكنك تعلمين أن هذا على عكس ما يرغبه قلبك .

- أحيانًا يقوم الإنسان بأشياء كثيرة على عكس رغبته.

قالت بيتا فى حذر وهى تشرب القهوة :

- هل يمكننى تقديم العوْن ؟ تريدين أن ...

ردت مريم على الفور :

- لا ، لا ! إطلاقًا ! قد يعتقد أننى طلبت منك ذلك ففى النهاية ومهما كان الأمر فلدى كبريائى ، ولا أرغب أساسًا أن أتنازل عنه مقابل حبى له .

- ببساطة إنه لا يحب كبرياءك .

- لو عدمت المرأة الكبرياء فعليها أن تشك فى حبها وعشقها ، لا يا بيتا ، لا أرغب فى اختيار الحل الأخير لأننى أعلم إنه لن يحترمنى هكذا .

- متى يكون حفل زواج آرش ؟

- بعد أسبوعين أو ثلاثة ، لمَ؟

- إذن يجب أن نستعد له تدريجيًا ، لا تستاعين سوف تُحل المشكلة !

- إذن فأنتِ لا تعرفينني حتى الآن ! لقد صبرت كثيرًا ، ممكن تبدلى قهوتك معى؟ لقد وضعت فيها كمية كبيرة من السكر .

كانتِ بيتا فى داخلها تثنى عليها وهى تقوم بتبديل الفناجين معها .

(١٤)

صدق توقع مريم ولم يشارك كامران فى حفل زواج أرش ، وكل ما قام به للتهنئة هو إرسال باقة كبيرة من الورود الجميلة إلى أرش عن طريق بائع الزهور، ووضع فى وسطها كارتًا أبيض كتب فيه بخطه متمنيًا السعادة للعروسين ، وكان هذا التصرف بالنسبة لمريم كصب الماء البارد ، لكن بيتا - التى كانت أكثر تفاؤلاً ولم تأخذ الموضوع بمأخذ الجد - دعتها إلى التحلى بالصبر والهدوء . ورغم تظاهر مريم بالتماسك إلا أنها كانت متأثرة إلى حد كبير فى أعماقها . وكم من مرة حاولت بيتا فيها أن يتقابلا لكن مريم كانت ترفض . وفى الحقيقة كانت بيتا تنتظر أن يتصل كامران بها ثانية بعد اتصاله الأخير على الأقل لمعرفة الرد ، لكن طال انتظارها دون جدوى . فحينما تكون فى المنزل تقفز من مكانها فى شوق مع صوت الهاتف على أمل أن يكون كامران ، لكن سهمها كان يصطدم بالحجر فى كل مرة . وكان هذا الانتظار وذلك الشوق أمرًا عجيبًا بالنسبة لها لأسباب عديدة . أحيانًا كانت تشعر أ ن مريم بالنسبة لها مجرد حجة للحفاظ على هذه العلاقة ، فهى الحجة التى تستخدمها لما تقول وتعمل ، وإلا فلمَ كان يجب أن تفكر بعد كل مرة تصاب فيها باليأس أنها كانت سببًا لضيق كامران ؟ ومن الأصل لمَ يجب أن يكون ضيقه مهمًا لها فى حين أنه يتسبب فى ضيق أقرب صديقة لها ؟ كأن مريم كانت الذريعة التى تسحب غطاءً على أفكارها المذنبة وتخفف من ثقل عذاب ضميرها. كم كانت تتمنى أن يعود الزمان إلى الوراء لعدة شهور أو ربما لعام ، وأن تصبح ثانية بيتا التى لا مسئولية عليها ، فعندئذ لا وجود لبابك الذى يحبها ، ولا وجود لمريم التى تزيد من ثقل عذاب ضميرها، بل تكون هى فقط وكامران ! لكن هل كان يختارها ؟! دومًا ما كان ينتابها إحساس غريب حينما تتذكر تلك الأوضاع وتستعيد نفسها ثانية مع تذكر تلك النظرات وذلك الحديث المفعم بالمعانى . لو كان الأمر غير ذلك ، إذن فما هدفه من تلك النظرات والتصرفات؟ لو كان

اتصاله من أجل مريم أفلا يجب أن يتصل ثانية للحصول على الرد ؟ فى الحقيقة ما كان نصيب بيتا هو الرد على اتصالات أحد المعاكسين السمجين ، ففى كل مرة ترفع فيها السماعة بشوق وتواجه بصوته كانت تصاب بالاستياء والإحباط ، وبدا عليها هذا الاستياء لدرجة أ ن بابك تنبه إليه ، خاصة وقد منعها عدة مرات من الرد على الهاتف . لقد كانت مندفعة بعض الشيء ، قليلة الحديث، لا صبر لها ،كانت تدقق فى سلوك بابك لعلها تجد شيئًا تتذرع به إلا أنه - نظرًا لكونه منتبهًا تمامًا لتصرفاتها - لم يتح لها الفرصة فى الغالب ، بل كان يؤثر الصمت والصبر نظرًا لحبه الشديد لها ولم يعترض عليها . ولعل هدوءه هذا هو ما جعل بيتا تغض الطرف عن مراقبة تصرفاته ، إنها حتى لم تبد أى رد فعل تجاه الهدية التى اشتراها لها بمناسبة حلول العيد ، لقد كانت باردة لدرجة جعلت والدتها تنتقدها . ففى تلك الليلة ، توجهت نسرين إلى حجرة بيتا بعد انصراف بابك مباشرة ، وقالت لها ، بينما كانت تمدد جسدها على السرير:

- ماذا فعل بكِ ذلك الولد كى تعامليه بهذه الطريقة الفجة؟

جلست بيتا وقالت بابتسامة مفتعلة:

- أنا عملت إيه ياأمى ؟

قالت نسرين فى غضب :

- إنتِ كنتى عايزة تعملى إيه تانى ؟ إنكِ لم تعطه الفرصة ، فنهض وانصرف .

قالت بيتا وهى تبتسم:

- يجب أن تكونى سعيدة. ألم تعترضى دومًا على زياراته العديدة إلينا ؟

مالت نسرين عليها واقتربت منها وقالت :

- لا أريد أن تلعبى بى ! منذ متى أنتقد تقاربكما ؟ ما ذكرته فقط هو ألا تتعديا الحدود ، وذلك إرضاءً لخالك.

- حسنًا ، وأنا بعمل بنصيحتك.

- دلوقتى ؟! بعد سنة؟! لمَ كنتِ باردة فى سلوكك معه؟

– كان سلوكى عاديًا ياأمى .

– لقد ظن بابك أن الهدية لم تعجبك .

– هذا هراء ، لقد شكرته عليها.

– ألم يكن من الأفضل أن تتصرفى الليلة كإنسانة؟

– معذرة ياأمى ، أنا أساسًا لا طاقة لى على الجدال ، وقد ذكرت لبابك أننى متعبة قليلاً.

– لقد نحيت الحياء جانبًا . كأننى لا أحدثك ؟ !

– لا أعلم لمَ تلومينني كل مرة على أشياء تافهة؟

– لأننى لا أريد أن يتكلم الآخرون عن ابنتى تربية إيدى.

وصمتت كلتاهما بمجرد سماع صوت الهاتف ، وجلست بيتا على السرير ، ونظرت نسرين إلى الساعة وسألت :

– من يكون فى هذا الوقت من الليل ؟

قالت بيتا بصوت يرتجف وهى تفكر فى كامران:

– ربما بابك !

أوصتها نسرين:

– اتكلمى كويس معاه، لما مشى كان قلقان عليكِ.

وضعت بيتا السماعة على أذنها وقالت:

– آلو .....تفضل .

تقدمت نسرين خطوة وقالت:

– مَنْ؟

رفعت بيتا كتفها ، فقالت نسرين:

– اللعنة على أولئك الناس ، ضعى السماعة يا بنت .

أرادت بيتا أن تضع السماعة فوق التليفون إلا أنها تسمرت فى مكانها عند سماع صوت الشخص الذى يعاكس دومًا وهو يقول:

- آلو .....لا تنهى المكالمة.

سألته فى عصبية:

- من أنت؟ لمَ تقوم بالمعاكسة هكذا؟ أنظرت إلى الساعة؟

ضحك ذلك المجهول وقال:

- أيعنى هذا أننى أتسبب فى مضايقتك ؟

- تعلم أن هذا صحيح .

- أريد أن أتحدث معكِ.

- لا كلام لى معك ، لو سمحت،لا تتصل ثانية.

أخذت نسرين السماعة من يدها ووضعتها فوق الهاتف ، فسألتها بيتا:

- ماذا تفعلين ياأمى ؟ دعينى أرى ماذا يقول ؟ لم يقم أحد بمعاكستنا من قبل .

- كلما كان الحديث قليلاً مع هؤلاء كان أفضل ، يجب أن أطلب من بابك أن يجعلهم يراقبون الخط.

- إنتِ بتدورى على المتاعب ياأمى ! إنتِ عايزة تثيرى غيرته؟

- بابك عقلانى وأصيل، لم أذكر له عمن أتحدث ، حقًا ، لمَ لمْ تجعليه يرد على التليفون ؟ فحينما يسمع هذا التافه صوت رجل فى البيت سيحل عنا .

- لا أريد أن أثير مشاعر بابك، واضح أنكِ لم تعرفينه إلى الآن .

جلست نسرين بجوارها فوق السرير وسألتها :

- ألم يتحدث بابك معك ؟

- بخصوص إيه ؟

- بخصوص مراسم العقد.

اضطربت بيتا لكنها ظلت تنظر إلى أمها وهى صامتة ، فقالت الأم:

- ما بكِ؟ لمَ تنظرين إلىّ فى دهشة؟ ألم يقل لكِ شيئاً؟

- لا يا أمى ، هل حدثك؟

- أبدًا ، يقال إن خالك -كما قال من قبل- يريد أن نعقد عليكما فى العيد.

وضعت بيتا يديها على وجهها فى ضيق ، وحاولت أن تبدو متماسكة ، فقالت الأم:

- هذا ليس جيداً .

- لمَ يا أمى ؟ هو فيه مشاكل ؟ سيكون محرمًا لى .

- الموضوع مش موضوع فيه مشاكل ولا لأ ،إننى أثق فيكما، ولا فرق لدىّ إن لم يكن محرماً لكِ ، لكن حبيبة أمك للخطوبة فترة ! وأنتما تعرفان بعضكما وعلى علم بكل شىء ، إذن ما الداعى لطول فترة الخطوبة هكذا؟

- أمى الحبيبة ، لست مستعدة لذلك الآن .

- واه ! هو العقد محتاج استعدادات ، إنتِ عايزة تضايقينى؟

ضحكت بيتا من رؤيتها لحال أمها وقالت:

- إيه اللى بتقوليه ده ياأمى ، هو أنا كده؟

- أنتِ تعلمين جيداً كيف تضايقين ذلك الولد البرئ بدلعك .

- أنتِ تقولين ذلك ، فماذا يقول الآخرون؟ !

- دعك من التهريج ، إن بابك يحبك بشدة ، وهذا ليس خافياً على أحد ، لا تعذبينه إلى هذا الحد.

- هنيئًا لبابك، فالجميع يفكرون فيه بذلك القدر.

ولم تسمع نسرين ما قالته ، وسألتها:

- لمْ تقولى ، ماذا أقول لخالك؟

- لمْ يقل لى أحد شيئًا حتى الآن .

- أنا أقول الآن ، ما ردك؟

- هل ردى مهم؟

- متدلعيش يا بنت ، معلوم إنــه مـهم ، ومن المحتمل أن بابك كان يريد أن يسـألك لكنه لم يجد الفـرصـة المناسبة ولا شك أننى لو كنت مكانه لما طرحت الموضـوع مع تلك المعاملة التى أبديتها تجاهه الليلة.

- على أية حـال ردى هو الذى قلتـه سـابقًـا ، أجلوا الموضـوع شـوية ، أنا بالفـعل لست مستعدة .

- شوية يعنى أد إيه ؟ أيكون مناسباًبعد الأجازة ؟

- لا يا أمى ، بعد انتهاء الفصل الدراسى الثانى .

- وبعد ذلك ، متى ترغبين فى الزواج ؟ لابد أنك تطلبين عدة شـهور أخرى بعد العقد علشان تتعبى قلبى !

- لعلك مستعجلة على رحيلى !

- ألم تستائى من عدم المسئولية تلك ؟

- تستطيعين أن تدرسى وأنتِ فى منزل زوجك.

- أمى ، أرجوكِ ، لا تجادلييننى ، لن أغير رأيىّ قط !

همست نسرين وهى تخرج من الحجرة بعصبية :

- أنا مندهشة ، هى طالعة لمين فى اللجاجة والجدال ! هل تكون البنت بـهذا القدر من التحكم بالرأى ! أنا مشوفتش كده.

* * *

بعد الظهر ، ثانى أيام العيد ، تمدد بابك على مقعد بيتا التى كانت منهمكة بالقراءة إلا أن فكرها كان مشوشًا إلى حد ما لدرجة أنها لم تستطع التركيز فى موضوع الكتاب . نظرت لثوان فى صمت إلى وجهه وهو نائم وفكرت : "ثمة براءة عجيبة تموج فى وجهه" ، لكنها كانت تقع فى الحيرة بسبب ترددها فى اختياره كشريك لحياتها . لو يظل مزاجها على هذه الحال ، فما الذى يحدث؟ أغلقت الكتاب الذى فوق ركبتيها بعصبية وطرحته بعيدًا ، أرادت أن تغمض عينيها للحظات إلا أنها قفزت من مكانها مع سماع صوت الهاتف ، واستيقظ بابك كذلك، فمال ورفع السماعة من فوق الهاتف ، فمنعته بيتا قائلة له :

- سأرد أنا.

أبعد بابك يده فى دهشة وجعل ينظر إليها وهى ترد على الهاتف :

- تفضل.

- سلام بيتا، كيف حالك؟

وارتبكت بيتا، إنه صوت ....صوت نفس الرجل الذى يعاكسها دومًا ، لكن من أين له باسمها شعرت وكأن لسانها قد عُقد ولونها قد خُطف أمام نظرات بابك إليها . أمسك بابك يدها وأجلسها على المقعد وهو ينظر إليها فى دهشة ، سألته بصوت يرتجف ووجه بلله العرق:

- من تريد ؟

فرد المجهول بفتور وجرأة:

- أريدك أنتِ يا بيتا .

كان بابك مقطب الجبين إلا أنه كان ينظر إليها فى صمت ، فبادرت بيتا بقولها:

- لقد أخطأت الرقم.

ووضعت السماعة فوق التليفون ، لعلها كانت تخشى أن يسمع بابك صوته أوحديثه ، أمسك بابك يدها وسألها :

- هل حدث شىء ؟

سحبت بيتا يدها وقالت:

- لا !

- مَنْ كان هذا ؟

- لقد سمعت ، أنه أخطأ الرقم.

- أنتِ واثقة من أنكِ لم تخفى شيئًا عنى ؟ أحدث شىء ضايقك؟

نظرت بيتا إلى عينيه مباشرة وهى مندهشة ، فمسح بابك بيده على شعرها الناعم الطويل وقال بابتسامة أزالت الشك من فكرها :

- لو هناك داعى كى أعلم فلتتكلمى .

طأطأت بيتا برأسها وقالت:

- لا شىء أخفيه عنك ، لمَ تفكر بهذه الطريقة ؟

- لأن هذا ما أراه ، لونك ووجهك قد شحبا ويداكِ باردتان.

قالت فى اضطراب :

- لا أستطيع أن أحسم القول بأنها معاكسة تليفونية ! من الممكن أن تكون صدفة غير متعمدة ، وأساسًا ما الذى يجعلك ثائرًا هكذا؟

- لأنها ليست المرة الأولى ، فكثيرًا ما شاهدت هذه الاتصالات التى لا معنى لها خلال تلك الفترة.

- وما ذنبى ؟

- لم أقل أنكِ مذنبة ! أريد فقط أن تسمحى لى أن أوقفه عند حده .

- طالما أننى لست واثقة فكيف أقول إنها معاكسة ؟ اسمح لى يا بابك ليست لى طاقة أساسًا على النقاش فى هذا الموضوع.

وقامت من مكانها بينما ظل بابك ينظر إليها ، ثم قال :

- ماذا حدث لكِ يا بيتا ؟ هل أصبحت مصدرًا لضيقك ؟

قالت فى فتور:

- لا !

وضع بابك يده تحت كتفها ونظر فى عينيها قائلاً:

- إذن ماذا حدث ؟ لمَ أنتِ عصبية بذلك القدر فى الآونة الأخيرة ؟

- أنت مخطئ ، أنا على ما يرام.

- عيناكِ لا تكذب علىّ قط يا بيتا ، هل تعلمين ذلك؟

اضطربت بيتا وجف ريقها فقال لها:

- أتعلمين أنك كلما تكونين على هذا النحو تشغلين بالى بالساعات؟ بيتا، أنا لا أستطيع تحمل فتورك وصمتك.

- أقولها ثانية ، كل شيء على ما يرام.

صمت بابك للحظات ، ثم قال :

- أتمنى يابيتا ، أتمنى أن يكون الحال كما تقولين.

قامت بيتا من مكانها وسألته :

- دلوقتى ممكن أمشى؟

فرد عليها بينما تبدو عليه ملامح الاستياء :

- فلتبقِ أنتِ ، سأمشى أنا .

- هل تضايقت ؟

- لا ! لدى بعض الأعمال يجب أن أقوم بها ، هل تريدين أن تخرجى لتستنشقى الهواء بهذه الحجة ؟

- لا ، أشكرك ، خليها مرة ثانية.

- زى ما أنتِ عايزة ، ممكن تبلغى سلامى للعمة؟ أخاف أن أقلقها عن راحتها بعد الظهيرة .

- بالتأكيد سوف أقوم بذلك.

وبينما كان يخرج من الغرفة ، ارتفع صوت بيتا:

- بابك ؟

- نعم حبيبتى.

كان وجهها متأثراً وهى تقول :

- ستأتى لرؤيتى ثانية ؟

كان سؤالها يبدو دون معنى ، إلا أن بابك ابتسم واقترب منها قائلاً :

- سواء وافقتى أم أبيتى ، اطمئنى لن أتركك فى أسوأ الظروف إلا إذا طلبتى أنتِ منى ذلك.

وتحرك كتف بيتا وكأنها تريد أن تقول شيئًا لكنها لم تنطق بشئ ،مال بابك ناحيتها وقبل وجنتها الباردة ،كانت تريد أن تنظر إليه من وراء الستار وهو يستقل السيارة ، فإذا بصوت الهاتف يرن ثانية،رفعت السماعة وقالت وهى تقف خلف النافذة:

- تفضل .

- سلام.

وبلغ غضبها أوجه ، إنه نفس الرجل الذى يقوم بمعاكستها ، حمدت الله فى سرها لأن بابك قد تركها ، وقالت :

- يا أستاذ ، يجب أن تخجل من نفسك ، فأنت مصدر إزعاج للناس بداع وبدون داع ، أتعتقد أن الجميع مثلك لا عمل لهم .

فقال ذلك الرجل المجهول:

- إنكِ لم تتمكنى من الحديث منذ دقائق ، مضبوط ؟

- وما دخلك أنت ؟ من أنت أولاً ؟ من أين عرفتنى ؟

- أنا أعرفك جيداً .

– لا أفهم كيف تكون هذه المعرفة من طرف واحد ؟

– لمَ أنتِ عصبية إلى هذا الحد ؟ أليس من الظلم أن وجهك الجميل هذا....

– الزم الحياء ، كأنك أيها الغريب لا أدب لك ولا تربية ، من الذى أعطى لك هذا الرقم؟

– وما أهمية ذلك ؟ افترضى إنه صديق !

– ليس لدى مثل ذلك الصديق ، ولو كنتم هكذا فبالتأكيد أنتم لستم أصدقائى بل أعدائى .

– أحب جرأتك وعصبيتك .

– لو سمحت ، اطلب منك عدم الإزعاج ثانية وإلا فأنا مضطرة للجوء إلى الطريق القانونى .

– اطمئنى ، طالما أننى لم أتحدث بما أريد فلن أكف عن الاتصال بكِ .

– حسنًا جدًا ،لقد تحدثت وسوف أقوم بنزع الفيشة من التليفون .

– لكن على أية حال سوف تضعينها ثانية ، مضبوط ؟ فى الحقيقة ، أليس مهمًا بالنسبة لكِ أن تعلمى ما شأنى بكِ يابيتا ؟ أتريدين أن تعرفى من أين عرفتك؟

– وأية نتيجة لإصرارى وفضولى ؟ فأنت تتحدث ثم تهرب من الإجابة على هذا السؤال ، للأسف لستُ جيمس بوند كى أعلم من أين لك برقم تليفونى ، ولوكان هذا الأمر لا أهمية له عندى فلمَ تقوم بذلك العمل؟ والآن لوكان حديثك قد انتهى فأنا أريد أن أنهى المكالمة.

– لا، لا ! أرجوكِ لا تنهها ، إن نيتى حسنة.

– لو الأمر كذلك فعرف نفسك ، وكف عن لعبة الفأر والقط هذه .

– أريد أن أفعل ذلك لكنك لا تريدين.

– ما الذى يجب أن أفعله ؟ فأنت تطاردنى وتسببت فى أن تفكر الأسرة فى أفكار ليست فى محلها .

- لا أستطيع أن أنفهم لمَ أنتِ عصبية وباردة إلى هذا الحد ؟

- لأنك تسببت فى ضيقى ، لأننى لست من أولئك الفتيات اللائى تستطيع أن تملأ وقت فراغك معهن ، لأننى أستاء من ضياع الوقت فى التليفون .

- وقد أعجبت بك لنفس هذه الصفات .

- حسنًا ، مَنْ أنت؟ وماذا تريد؟

- هل تعلمين ؟ إننى أحبك منذ فترة يا بيتا .

• وابتسمت من قبيل العجب والسخرية ، ثم قالت:

- ماذا ؟ هذا مزاح ، لا شك أنك تتوقع أننى سرعان ما أقع فى غرامك .

- لا ، طالما أنك لم تشاهديننى فهذا التوقع فى غير محله ولا معنى له ، لو أريد...

قالت بيتا فى صرامة:

- سيدى ، معذرة ، لا طاقة لى من الأساس فى الاستمرار فى هذا الحديث ، من الأفضل أن تبحث عن أخرى لا تكون مثلى عديمة الطاقة .

ومع تفوهها لتلك الجملة وضعت السماعة بقوة وجلست فى عصبية فوق المقعد ووضعت رأسها بين يديها . " من يكون هذا الرجل ؟ " سألت نفسها هذا السؤال مائة مرة دون أن تصل إلى نتيجة . أرادت أ ن تنزع فيشة التليفون إلا إنها تراجعت مع تذكرها لكامران . لكن ذلك الرجل الذى يقوم بمعاكستها ذكر لها إنه سيتصل طالما لم يحقق هدفه . وبعد هذا كله ، فيما يفكر بابك ؟ بعد ما جلست رن جرس الهاتف للمرة الثالثة ، مالت بسرعة ناحيته ، ورفعت السماعة مع الرنة الأولى وصاحت دون مقدمات فى عصبية :

- يا عديم الحياء ، الزم حدك ، ربما تريد أن أهينك.

- كل ما يصل من الحبيب جميل.

اضطربت بيتا ، إنه صوت .... صوت كامران الأجش ، إنه سعيد ومسرور!

قالت في ارتباك:

- معذرة يا كامران ، أمل أن تسامحني .

قال كامران وهو يمزح :

- تسبين أولاً ثم تعتذرين ؟

قالت بيتا والعرق يتصبب منها :

- لم تكن أنت المقصود ، في الحقيقة كنت أريد أن أوقف أحد المعاكسين السمجين عند حده فاتصلت أنت .

- لا فرق ، فأنا أيضاً أقوم بمعاكستك

- الموضوع مش كده ، ولو كان كلامك جد أعتقد أنك ستتأذى مني .

- لا ، لا ، الحقيقة أنني لم أشاهدك جادة حتى الآن ، لذا فأنا ألزم حدودي .

- على أية حال فأنا مثل البشر جميعًا ، أغضب ، وأثور وأستاء .

- ما تقولينه ليس له دليل ، أعتقد أنكِ تختلفين عن الآخرين ، ولو أردتي الحق فأنت حالة استثنائية تنحصر في فرد واحد فقط .

تأثرت بيتا وعقد لسانها ، لم تكن تتوقع أن يحكم شخص غريب على شخصيتها ، وقال كامران بنبرة ذات دلالة خاصة :

- لعل الذي يقوم بمعاكستك قد تسبب في ضيقك .

- نعم ، هذا ما حدث .

- إذا ما أردتي أوقفه عند حده .

- لو كنت أعرفه لقمت بذلك بنفسي ، لكن المشكلة أنني لا أعرفه .

- لا شك أن إنسانة مثلك بمثل هذا الجمال والوقار ليس من العجيب أن ...

ردت بيتا على الفور:

- لكنني مخطوبة يا كامران .

وعم صمت ذو دلالة خاصة بينهما لعدة ثوان وكأن إشارة بيتا المباشرة لم تأت على هواه ، وقال :

- كنت متردداً فى الاتصال لكننى تشجعت وقلت لنفسى يجب أن أتصل كى أهنئك بحلول العام الجديد ، كيف حالك؟

تراجعت بيتا إلى الوراء وقالت:

- فى الحقيقة إنك فاجئتنى.

- لمَ؟ لمْ تتوقعى أن أتصل ؟

- كنت أتوقع اتصالك قبل ذلك بكثير.

- لمَ ؟ هل وعدتك بذلك ثم نسيت ؟

- لا ، لا ، فقط .... فى الحقيقة لم أفكر أن تكون مختلفًا بذلك الحد فى ذلك الموضوع .

- أهذا ما أبديته ؟ أى سبب أدى إلى أن تفكرى فىّ هكذا ؟

- إنك حتى لم تتصل كى تستفسر عما حدث ، الحقيقة إننى تشككت فى وجود علاقة حب بينك وبين مريم !

- ألم تلاحظى أنهم أنهوا مشاعر الحب العظيمة ؟

- إن الحب لا نهاية له قط ، خاصة مشاعر الحب العظيمة .

- وأنتِ تحكمين علىّ بالإدانة؟

- لا علاقة لى بالموضوع ، وربما من الأفضل ألا أتدخل فى شئونك ، لكنك تعلم أن النساء أكثر حساسية وأكثر شكًا وترددًا من الرجال .

- لمَ لا تتحدثين بوضوح أكثر يا بيتا ؟

- أعتقد أن مقصدى واضح تمامًا !

- لكن عليك أن تعلمى أننى لم اتصل بكِ من أجل مريم ، يعلم الله أنها المذنب الأساسى ولست أنا ، وأردت فقط أن أراعى الأدب ، هل أخطأت من وجهة نظرك ؟

– إن مريم هى سبب معرفتنا ، فى رأيك لا يجب أن أندهش أنه فى حين أنك لم تتصل بمريم مرة واحدة خلال هذه الفترة تقوم بالاتصال بى لتهنئنى بالعام الجديد؟

– لمَ يجب أن أجعل مريم بيننا ؟

– لكننى اعتقدت أنك اتصلت من أجلها .

– لا تتظاهرى بأنك لا تعلمين ، لقد انتهى كل شىء بيننا منذ فترة طويلة ، لا تتخيلى أننى أقول هذا الكلام من قبيل الكبرياء . لا ! الحقيقة أننا غير مناسبين لبعضنا ، وهذا ليس رأيىّ فقط .

– أنتما الاثنان مخطئان .

– صدقينى لقد حاولت كثيراً وبطرق عديده كى أفهم مريم ، ولم يحدث .

– وكيف حدث هذا مرة واحدة ؟

– هل فكرتِ لمَ لمْ أحضر حفل زواج آرش أقرب أصدقائى ؟ لأننى لم أرغب فى أن يؤثرا على مشاعرى .

– لكن على أية حال يجب أ ن تزن الأمور من جميع الجوانب .

– هل لديك حل أفضل ؟

– تتحدثا معًا .

– لا جدوى من ذلك ، لمَ يجب أن يؤذى كل منا الآخر ؟ لعلنا أخطأنا لبقائنا معًا إلى الآن .

– لكن الحديث ضرورى من وجهة نظرى ، حتى لو أن كل شئ قد انتهى فثمة ضرورة للحديث الأخير بينكما !

– لأننى لا أرغب فى تجاهل رغبتك ، فأنا أوافق

– أشكرك ، إلا أننى أكون أكثر سعادة لو قلت أنك وافقت من أجل مريم

ضحك كامران ضحكة ناعمة ، وقال :

– ليت مريم تحظى بعشر ما لديك من صفات !

- إنها أكثر جدارة مما تظن .

- هل تريد أن ترانى ؟

- سأقنعها .

- أهذا يعنى أنك لم تتحدثى معها ؟

- لا ! لأننى كدت أن أيأس منك .

- كيف تفكر فىّ ؟

- أليس من الأفضل أن تسألها ؟ لابد أن لديكما حديث طويل مع بعضكما بعد هذه المدة .

- هل تعتقدين أننا سنصل إلى نتيجة ؟

- أتمنى .

- ما هو برنامجك؟

- حقًا ، لقد اتفقت أنا ويابك على الذهاب بعد غد إلى ساحة التزحلق على الجليد ، لو تريد نتقابل جميعًا بهذه الحجة .

- أتحسنين وتسألين ؟ نحن لا نشبع من وجودنا معكما .

اضطربت بيتا ، لكنها قالت للحفاظ على الحدود بينهما :

- ويابك أيضًا يكن لك شعورًا خاصًا . حقًا ، هل تعرف مكان ساحة التزحلق ؟

- تقريبًا .

- حسنًا ! إذن اتفقنا ، بعد غد فى السابعة صباحًا .

- البداية من منزلك ؟

- لو مفيش اعتراض ، ماشى !

- ألا تريدين أن تسألين عنها ؟ لو تحبى أرتب الأمور حتى تخرج من البيت فى الموعد تمامًا .

– لا ، لا ! الموضوع مش مستاهل ، لو فهم آرش هيسلخ جلدنا ويصنع منه شنط وجزم!

قالت بيتا وهي تضحك :

– حسنًا جدًا ، كما تحب ، عفوًا ، لست في حالة تسمح لي الآن بالاستمرار في الحديث

– آه ! معذرة لو أنني أطلت في الحديث ، بلغي سلامي إلى بابك وكذلك إلى أسرتك المبجلة .

– أشكرك جدًا ، أتمنى لك عامًا سعيدًا ، وأعتذر ثانية إذا ما تحدثت في البداية دون مراعاة للأدب .

– أبدًا ، مفيش مشكلة ، لتنس ذلك ، أتمنى أن يصل يوم أتمكن فيه من رد جميل محبتك واهتمامك .

– لم أفعل شيئًا مهمًا ، وأشكرك على استرضائي . أشكرك ، تريدني أن أبلغ مريم بأي كلام أو رسالة ؟

– قولي لها إنني آسف على كل شيء ، قولي لها إنني لا أريد أن تفكر أن حالي كان أفضل منها طوال هذه الفترة ! حسنًا ، لن آخذ من وقتك أكثر من ذلك .

جلست بيتا لعدة دقائق بعد انتهاء المكالمة على المقعد صامتة بلا حراك كالتمثال ، جعلت تتذكر الحديث الذي دار بينهما ، كانت تنتاب جسدها رعشة غريبة عند تذكرها بعض الجمل ، هل يكون مكانها هو الوسيط بينهما إلى الأبد؟ إنها لا تزال تشك في اقتراحها ، وتلقائيًا رفعت سماعة التليفون ووضعتها على أذنها وطلبت رقمًا . كم كان الانتظار من وجهة نظرها دون معنى ، وفي النهاية ، وبعد عدة رنات رفع بابك السماعة :

– اتفضل .

– آلو بابك

– سلام حبيبتي .

كان مندهشاً بعض الشيء ، فقالت :

- سلام ، لم أظن أنك بالمنزل !

- وجدت نفسى متعبًا فعدت إلى المنزل .

- إذن فقد قطعت عليك راحتك .

- ما هذا الكلام ؟ لا شئ يريحنى أكثر من رؤيتك وسماع صوتك .

ضحكت بيتا وقالت :

- فى النهاية كِشك الخالة مرغوب فيه مهما كان ، إن لم تقل ذلك ، فماذا تقول؟

- ماذا حدث وجعلك تتذكرين فقير الفقراء ؟

- متدلعش ، لم تمر ساعة على لقائنا .

- هل حدثت مشكلة ؟

- لا ، لا تقلق ، اتصلت لأسألك هل لا تزال عند وعدك بشأن بعد غد ؟

- ماذا حدث ؟ تريدين ألا تذهبى ؟

- لا ! أريد أن أدعو ضيفًا .

- مَنْ ؟

- ليسا غريبين ، إنهما مريم وكامران .

صمت بابك ، فقالت :

- ماذا حدث يا بابك ؟

- نعم !

- اعتقدت أن شيئًا ما قد حدث ، لمَ لا تتحدث ؟ هل تضايقت ؟ لو كان الموضوع كده ممكن أكنسلهم .

- بيتا ، صدقينى ، ليس بيدى ، لا أعلم لمَ يتملكنى إحساس سيئ تجاه هذا الرجل !

خجلت بيتا من ذكر كامران والإشارة إليه وتصببت عرقًا ، وقالت وكأنها على حق :

- لا أعلم أى حطب مبلل باعه لك هذا المسكين يجعلك تصوب على ظله بالسهام ؟

- أليس من الأفضل أن أكون صادقًا معكِ.

- دعك من الحديث عن الصدق ، إنت بتدقق فى كل شىء .

- هل من الخطأ أن أكون بمفردى مع خطيبتى ؟

- حسنًا ، فلتقل صراحة ألا يأتوا .

- لقد اتفقتِ على تفاصيل كل شىء ثم أخبرتنى !

- الوقت ليس متأخرًا ، سأقول لهما أن خطيبى لا يحب الخروج مع أحد !

- بيتا لا تكونى بلا منطــق إلى هــذا الحــد ! لمَ أنتِ عصبيــة ؟ افعلــى ما تريــديــن ولا تضايقى نفسك .

وتصببت بيتا عرقًا وهى خلف الهاتف من سلوك بابك الرزين ، وحمدت الله أنه لم يكن أمامها . إنه كان يتصرف دومًا فى مثل هذه المواقف بشكل يجعل بيتا فى حالة من الخجل . ثم قال بصوت هادئ :

- استريحتى الآن ؟

- أقولها ثانية ، لو أنك ....

- لننس ذلك ، وضمنًا فإن رغبتك هى رغبتى ، لو هذا يرضيك فأنا راضى ، المهم أن نقضى معًا وقتًا ممتعًا !

- ليتنى أعلم سبب كل هذه الغيرة التى تبديها تجاه كامران !

- لست أغار يا بيتا ، أشعر فقط أننى اختلف معه فى تصرفاته الأخلاقية .

- لا يوجد دليل على أن البشر متشابهون .

قال بابك بنبرة قاطعة ذات دلالة:

- معكِ حق ، ليتنى استطعت أن أوضح وجهة نظرى .

- لا أفهم مقصدك !

- ليس مهمًا يا حبيبتى ، هل أخبرتهما بموعد تحركنا ؟

- نعم ، ومن الأفضل أن تنام ليلة الغد فى منزلنا كى لا يغلبك النوم صباحًا .

- على الرحب والسعة .

(١٥)

نظرت مريم فى تردد إلى ساعتها وقالت فى هدوء :

- أرى يا بيتا أننى أخطأت بمجيئى .

ردت بيتا وهى ترتدى الچاكت :

- بابا ، كفى ، قللى شوية من كبريائك ، الراجل تنازل واتصل ، وإنتِ لسه فى شكك؟

قالت مريم :

- لا أزال أشك فى تغييره !

- افترضى أنكِ حضرتى من أجلى !

- لا أستطيع أن أفكر بهذه الطريقة ، لمَ يريد مقابلتى بعد هذه المدة ؟!

- كما تريدين أن تقابلينه .

- هو يعلم أننى لست المذنبة .

- حسنًا ، قولى له اليوم هذا الكلام .

- لكننى لا أستطيع أن أفهم لمَ اتصل بكِ ؟

دققت بيتا النظر إليها وسألتها :

- هل تضايقتِ بسبب ذلك ؟

- لا ، لا ! أريد فقط أن أعرف السبب ، لا يجب عليه مضايقتك .

- غورى ، هو أنا غريبة عنك ؟ لا تتحدثى هكذا أمام بابك ، إنه لا يعرف أنكما على خلاف.

- إذن ماذا قلتِ له ؟

- قلت إننى دعوتكما لتأتيا معنا .

- هنيئًا لكِ ، لقد أصبح من نصيبك رجل متفهم حساس .

- أرى أن كامران رجل مقبول لكن يجب أن تقللى من غيرتك .

- هل تقولين هذا الكلام لتواسيننى؟

- إننى أقول الحقيقة .

- لا تصرحى لأحد ، إننى أخاف .

- تخافى ؟ من ماذا ؟

- من اختيارى.

- أنتِ مجنونة ! ألست تحبينه ؟ !

- لو كان غير ذلك لما كنت هنا الآن .

- إذن ، انهضى لتهيأى من نفسك طالما أن بابك منشغل بالسيارة .

- لا ، كده كويس !

- ردت بيتا وهى تجذبها أمام المرآة :

- هل تريدين لا قدر الله إصابته بالإحباط بعد هذه المدة ؟

ردت مريم بشكل حاسم :

- لقد قلت له من قبل لو يريدنى فليقبلنى كما أنا .

- إذن لمَ تتوقعين التغيير منه ؟ !

- أنا لا أصر على ذلك ، وهذا ما سأقوله اليوم له .

- بس بلاش تزعليه وترجعى توجعى دماغنا .

* * *

منذ اللحظة التى جلست فيها مريم بجوار كامران فى السيارة وحتى منتصف الطريق لم ينطق كلاهما بأية كلمة ، وما كان يكسر الصمت بينهما هو صوت الموسيقى العذبة التى تعشقها مريم . وبنبرة اعتراض تحدث كامران الذى كان مستاءً من هذا الوضع وهو يقود سيارته :

– أعتقد أنكِ جئتِ كى نتحدث معًا !

قالت مريم بنفس الفتور :

– وأنا كذلك .

قال كامران وهو يحاول أن يتظاهر بالتماسك :

– حسنًا جدًا ، أنا أسمعك .

قالت مريم وهى تهرب من النظر إليه :

– إذن كان حدسى صحيحًا ، إنك لم تتغير بل صرت أسوأ من ذى قبل .

– أنتِ تريدين أن أكون أسيرًا ، وهذا ليس فى الإمكان !

– وأنت تريد أن أكون تمثالاً ، وهذا أيضًا ليس فى الإمكان !

– أعتقد أنكِ أخطأت كثيرًا خلال هذه الفترة .

– لم أرتكب أى خطأ يا كامران ، ولا تحاول أن تفهمنى أننى المذنبة .

– يا للعجب ! معنى هذا أننى المذنب !

– أنت تعلم أنك كذلك .

– أعتقد أن مجيئنا هنا كان خطأ ، ويبدو أننا لن نصل إلى أية نتيجة من حوارنا معًا .

أشارت مريم بيدها ردًا على إشارة بيتا إليها ، ثم قالت فى فتور :

– هل تعلم ؟ إننى أعتقد أنك تبحث عن حجة أكثر من ذى قبل !

– أنت سيئة النية وشكاكة !

- لا ، لقد تأكدت الآن أن لديك مشاغل جديدة ! إننى لست طفلة يا كامران ، من الأفضل لو صرحت بنفسك .

- إن عقلك مريض وتأكدى أنكِ لن تحظى بالسعادة قط معى أو مع أى شخص آخر وأنتِ على هذه الحال !

- لا داعى لقلك علىّ ، لقد أخطأت وعلىّ أن أدفع ثمن خطأى .

- لا أفهم كيف تستطيعين أن تكونى عدوة نفسك ؟ !

قالت مريم بصوت تمتزج فيه الرجفة بالغضب :

- لو لم أر بعينى لقلت إنك محق ، ولكن عيناى لا تكذب علىّ ، وسوف أكون عديمة الحمية والإحساس لو ألقيت بنفسى ثانية فى هذا الطريق .

- أتفهمين ماذا تقولين ؟ أنتِ تتهمينني ! كيف تستطيعين اتهامى هكذا بمثل هذه السهولة ؟ كيف كنتِ تعيشين معى طوال هذه الفترة بمثل هذه الفكرة التى لديكِ عنى ؟

ابتسمت مريم بصعوبة أثناء مرور بيتا ، ثم طأطأت رأسها وفكرت " ستكون هى وبابك زوجين سعيدين على العكس منا تمامًا فقد وصلنا إلى طريق مغلق ونحن لا نزال فى البداية " ، وكرر كامران سؤاله :

- ألا تريدين الإجابة على سؤالى ؟

- لقد قلت كل ما عندى .

- هذا كلامك الأخير ؟

- هذا كلامى الأول والأخير .

- إذن ، تنبهى إلى أنكِ أنتِ التى طلبتى !

- نعم ، وأرى أننى أسهل عليك الأمور بهذا الشكل وتسببت فى عدم شعورك بالندم أمام ضميرك .

– هل تعتقدين أننى مقتنع بهذا الوضع ؟

– يجب ألا تتذكر ذلك ، فتذكر الماضى لا يجلب سوى الحسرة !

سأل كامران وهو يشير إلى سيارة بابك :

– لو رغبتى لاستطعنا أن نكون سعداء مثلهما !

وانهمر الدمع من عينيها على وجنتيها ، فسألها :

– تريدين العودة ؟

ردت :

– لا ، لا أريد أن أفسد عليهما سعادتهما ، ليس هناك ما يدعو أن يعلما ما دار بيننا ، ولو كان ذلك ضروريًا سأصرح لبيتا فيما بعد .

– هذه الفتاة عقلانية وواقعية !

– لكننى أستبعد أن تتغاضى عن عيوبك .

ضحك كامران وهمس قائلاً :

– أيًا ما كان ففى النهاية هى صديقتك المقربة !

* * *

وبينما كانت بيتا تلبس النظارة الخاصة بالتزحلق قالت لمريم مرارًا :

– متأكدة من أنكِ لا تريدين أن تجربى ؟ إنه ممتع للغاية !

قالت مريم وهى تحاول أن تخفى حزنها بصعوبة :

– لا ، أفضل ألا أتعرض للخطر ، إننى لا أعرف حتى كيفية مسك العصا فى يدى، جربت ذات مرة ووقعت وتساقط الدم منى .

– حسنًا ، استندى على كامران ، إنه كما أرى متمكن جدًا .

– نعم ، إنه سيدخل بدلاً منى .

- لمْ تقولى لى ، فيمَ كان حديثكما ؟

- سأحكى لكِ بالتفصيل فيما بعد .

- قولى فقط : سبع أم ضبع ؟

- لا ! ابن آوى !

- أصابك المرض ! أليس هناك أفضل من ابن آوى كى تنسبينه إلى نفسك ؟

قالت مريم وهى تضحك :

- لو تريدين الحقيقة لم أحصل على ابن آوى كذلك .

- عليك اللعنة ، إن كامران رجل جيد .

قالت مريم كى تصرف نظرها عن الموضوع وهى تشير إلى بابك :

- وبابك أيضاً رجل جيد ، هيا لأرى ماذا تفعلين ! امض إليه قبل أن يتغير الهواء.

- وتبقين وحيدة !

- لا ، سأنظر إليكما وأتمتع .

- على الأقل لو تحبى تشربى حاجة اطلبيها .

- ماشى ، لا تقلقى ، ممكن تسيبينى لوحدى ؟

- لا ، أخشى أن يأتى ورائى إذا ما مكثت عشرة دقائق أخرى هنا .

نظرت مريم حولها فى حسرة ثم تراجعت إلى الوراء

* * *

وبينما كانت بيتا تقوم بالتزحلق على الجليد لم تنتبه إلى الحائل الذى أمامها وفقدت توازنها ووقعت على الأرض . حاولت أن تقوم فإذا بشخص يمد يديه من الخلف تحت إبطها ويساعدها على النهوض . حاولت الالتفات إلى الوراء بهذا الزى الثقيل

لكنها لم تستطع ، وقفت برهة على قدميها وتوقعت أن يكون بابك ، إلا أنها شاهدت كامران بابتسامته المفعمة بالمعاني ، أرادت أن تقول شيئًا فإذا به يقول بنبرة خبيثة :

– إنك تتقنين التزحلق .

فردت بيتا فى فتور وهى تنظف ثيابها من الجليد :

– أشكرك .

أرادت أن تحفظ توازنها فارتطمت بالأرض ثانية ، ومال كامران على الفور ناحيتها إلا أنها منعته هذه المرة قائلة :

– لا ، لا ، أستطيع أن أقوم بنفسى .

وقف كامران ونظر إليها وهو يلتقط أنفاسه ، قالت بصعوبة وهى تنظر على بابك من بعيد :

– لا يجب عليك أن تقوم بهذا الأمر.

– معذرة ، لم أكن أعلم أننى أضايقك ، أردت مساعدتك فقط.

نظرت بيتا إلى بابك وهو يقترب منهما ، كان مقطب الجبين وحركة عضلات فكه محسوسة تماماً ، قالت فى نفسها " فيمَ تفكر مريم ؟ " ثم قالت بصوت يرتجف :

– أرجوك يا كامران ، لو سمحت ، لا تضعنى فى موقف صعب بعد ذلك .

فرد بابتسامته الجريئة قائلاً :

– لا أفهم ؟ ماذا فعلت ؟ أى شخص من الممكن أن يقوم بهذا الأمر !

– كفى من فضلك ، لمَ تتسبب فى أن يأخذ الغير موقفًا حساسًا تجاهك ؟

أراد كامران أن يقول شيئًا ، فإذا ببابك يقول من الخلف بنبرة فاترة ولوم :

– أعتقد أن هذا كافى ، ألم تتعبى يا حبيبتى ؟ !

نظرت بيتا إلى كامران فى دهشة بينما كان يقف فى برود ، وقال بابك وهو يمسكها من تحت إبطها :

– تفضل يا كامران ، أعتقد أنها تعبت وخطيبتك بمفردها !

وكأنه كان يريد بجملته الأخيرة لفت نظر كامران إلى المكان الذى يجب أن يكون فيه . ونظرت بيتا إلى المكان الذى تجلس فيه مريم ، لم يكن وجهها واضحًا من بعيد ، لكن ما من شك أنها كانت تراهم . وما أن استندت بيتا على بابك حتى نظرت إلى وجهه من الجنب ، كانت تعلم أن تصرفه مع كامران كان تصرفًا حكيمًا ، شعرت بانقباض ساعديها بين يديه لكنها تجاهلت ذلك ، وحينما اقتربا من مريم رأت وجهها وقد أحمر والضيق قد تملكها إلا أنها لم تتفوه بكلمة . والأعجب من هذا أن كامران لم ينطق بكلمة بل كان يجلس بجوارها فى هدوء ويشعل السيجارة ، حتى أنه قدم سيجارة إلى بابك بكل هدوء وكأن شيئًا لم يحدث ، واستطرد فى حديثه عن حالة الجوكى يكسر حالة الصمت الثقيل غير المحتمل . وربما كان على بيتا أن تفتح الحوار مع مريم لكنها لم تستطع ، وكأنها كانت تخشى أن توقع نفسها فى الخطأ برجفة نبرتها . ولم يكن حال بابك أفضل من مريم . لا ! لا شك أن الصمت كان أفضل من الحديث أو التبرير . فكرت أن تبرر ما حدث لمريم حينما تختلى بها ، لكن ماذا تقول لها فى مثل هذه الحالة ؟ فى الواقع ما الذى يجب أن يقال ؟ ما الذى كان يفكر فيه بابك ؟ هل كان يفكر كالآخرين أن الدود من أصل الشجرة(*) ؟ فكرت بيتا " ربما قلت شيئًا لكامران فى حضوره ! العياذ بالله كم كان هذا الرجل باردًا ! كيف يخاطبنى هكذا بكل هذا الهدوء وكأنه لم يقم بعمل غير لائق ... "

تمنت بيتا أن يعودوا فى أسرع وقت ، ولعلها لذلك وافقت على اقتراح مريم ، حينما قالت فى هدوء :

- بيتا حبيبتى ، ممكن نرجع ؟ شكلى كده خدت برد !

كانت نبرتها كالمعتاد ، لكن شيئًا ما يشبه الألم كان يموج فى حديثها ، التقطت بيتا أنفاسها ، وابتلعت ريقها بصعوبة ثم التفتت إلى بابك ، إنه كان يريد العودة هو

(*) كرم درخت از خود درخت است : بمعنى دود الشجرة منها فيها ، ويضرب فى الفارسية للدلالة على أن منبع الفساد من الفاسد ، وأن الإنسان مسئول عن أفعاله وأقواله وما ينتج عنها . ويقابلة فى العربية «دود المش منه فيه ».

أيضًا ، ليته كان يقول شيئًا ، وطالما أنه لم يتفوه بشيء لم تستطع بيتا التعرف على موقفه منها . لم تشعر بالذنب فى أى وقت قط تجاه أى شيء بتلك الدرجة مثلما حدث اليوم ، حتى فى اليوم الذى رأت فيه كامران للمرة الأولى وتغير فيه حالها، حتى فى ذلك اليوم الذى قارنت فيه بينهما فى نفسها ... ربما لم تكن تتوقع مثل هذا الموقف ! اضطرب وانتابتها حالة غريبة ، لكن ما كان وقعه عليها أشد هو ضرورة تظاهرها بالهدوء والتماسك . كانت تسبح فى بحر من الاضطراب إلى أن تقدمت مريم وقبلتها قائلة :

- أشكرك على كل شيء حبيبتى بيتا ، علينا أن نتبادل التحية هنا حتى لا نتوقف أثناء الطريق .

بينما كانت بيتا تقبلها من وجنتها حاولت أن تلاحظ مكنون قلبها لكنها لم تر على وجهها سوى ملامح الحب . وبنفس الهدوء استقلت سيارة كامران وجلست تنتظر .

والآن حل الدور على كامران ." يا الله ، كم أن هذا الرجل يواجه الأمور ببرود!" ، إنه كان يقف وكأنه يرتدى لباس الحق " ! توقعت بيتا أن يصطدم بابك معها لكنه أمسك يده بهدوء وفتح الباب المجاور لمقعده كى تركب، كادت أن تبكى بصوت عالٍ لكنها كانت على يقين من أن البكاء بجوار بابك ليس من الصواب . تراجعت فى صمت إلى الوراء ، وجعلت تنظر إلى الخارج ، تمنت أن يبدأ بابك فى فتح باب الحوار .

* * *

لم تمضِ سوى عشر دقائق حتى بلغت بيتا مقصدها وكسر بابك الصمت بينهما بقوله :

- كيف يفكر هذا الرجل فى نفسه وفينا ؟ هل نسى من هو ؟ أو ربما لا يستطيع أن يكون مخلصًا ؟ لعله صدق أنه رجل مهم ؟ لمَ لا تتحدثين معى ؟

نظرت بيتا إليه ، كانت عروق رقبته بارزة إلى الخارج ، وجلده يميل إلى الإحمرار ، واستطرد فى حديثه :

- يجب أن تعلمى أننى من الآن فصاعداً لا أرغب فى التواجد فى مكان يوجد فيه هذا الرجل .

لم تره بيتا فى أى وقت قط بمثل هذه العصبية ، لكنها لم تظل فى صمتها، فصمتها كان يعد بمثابة قبول هذه الاتهامات ومنح بابك الورقة الرابحة، ردت عليه بقولها:

- تقصد إيه ؟ ده خطيب أقرب صديقة لى !

قال بابك مبتسماً :

- فى الواقع إن هذا ظلم لمريم ، لاشك أنك ستقولين أننى غيور ، أليس صحيحًا ؟ ربما أيضًا تعتقدين أننى سيئ النية ، لكن يا حبيبتى إننى أعرف جيداً الحيوانات أمثال هذا الرجل ، وأنتِ أيضًا لو كنتِ صديقة مخلصة يجب أن تبعدى مريم عنه .

- لا أريد أن تكون مصدر قلق لصديقتى .

-إننى فى دهشة من تلك الحساسية التى لديك تجاه صديقتك وخطيبها !

- كل هذا الخلط وتلك الضجة بسبب أنه ساعدنى فى النهوض من الأرض؟!

- أنتِ تعلمين ماذا أقصد يا بيتا ، لا أدرى ، ربما لم تر كيف وصل إليك من تلك الناحية إلى الناحية التى سقطتى فيها على الأرض !

- لو كنت مستاءً لِمَ لمْ تبادر بالمجئ لمساعدتى ؟

- لأنه كان كالسهم ، وصل إليك أسرع منى ، أنا لا أفهم من الذى يجب أن يُدان؟ أنا أم هو ؟

- لا دخل لى بخطأ عمله أو صوابه ، إننى أتحدث عن غيرتك التى لا محل لها .

- تصل إلى الشام رائحة التحذير من حديثك يا بيتا !

- ليس لك الحق فى أن تكنى بشىء تجاهى !

- كناية ؟ ! بيتا! إن سوء مسلكه واضح وضح النهار ! حتى أن مريم تضايقت .

- لم أرها تقول شيئًا أو تعرب عن غيرتها مثلك .

- إننى أتفهم صمتها على أنه من قبيل الأدب وليس على أساس عدم الاهتمام

- لا أرى ضرورة للاستمرار فى هذا النقاش .

نظر بابك بنظرة ذات مغزى إلى وجهها وصمت . كما لزمت بيتا الصمت حتى وصلت إلى المنزل ، واكتفت فقط أثناء إلقاء تحية الوداع بكلمة " الله يحفظك" إنها حتى لم تنتظر - كعادتها - حتى يتحرك بابك بالسيارة ودخلت المنزل . وظل بابك فى مكانه عدة ثوان ثم تحرك يعصره الألم .

* * *

توقف كامران فى أول الشارع الذى تقيم فيه مريم وانتظر حتى نزلت ، فقالت له فى عصبية واضحة بعد فترة الصمت الممتدة بينهما من منطقة "آب على"حتى هذا المكان :

- لدى كلمة واحدة فقط ، اسحب قدميك من حياة بيتا .

قال كامران فى هدوء :

- أية تحية وداع دافئة جديرة بالتذكر !

فردت عليه فى عصبية :

- أنت غير جدير بها ، عليك أن تتذكر فقط ما قلته لك .

رفع كامران كتفه وقال :

- لا أفهم ، لمَ تسمحين لنفسك أن تحددى لى ما أقوم به فى الوقت الذى نقطع فيه علاقتنا ؟ !

- لأننى أحب بيتا مثلما أحب أختى ، ولا أريد أن تنقلب حياتها رأسًا على عقب بسبب حماقاتك !

- من الأفضل أن تقلقى على نفسك .

- أرى أن هذه هى مسئوليتى ، لأننى كنت السبب فى تعارفكما وعلىّ أن أمنعك.

تحرك كامران وقال :

- لا تتجاهلى لعبة القدر ، ربما كنا نتقابل فى كل الأحوال بدون وجودك.

- أنت خسيس بالفطرة !

- وفضلاً عما بكِ من عيوب ، فأنت إنسانة حســـودة ! ويقولــون على هـــذه الصـــفة يا حبيبتى غيرة النساء .

أرادت أن تقول شيئًا فإذا بكامران يسلك طريقه ، فيتملكها غضب شديد ، وفقدت القدرة على التماسك ، تذكرت بيتا لبرهة وهى تنظر حول سيارة كامران ، همست :

" ليتك تحكمين عقلك يا فتاة " !

(١٦)

جعل بابك يمسك بالسماعة عدة مرات وهو متردد ثم يضعها ثانية على الهاتف ، كان تذكره لأحداث الصباح يثير روحه ويؤلمه . نهض ، ووقف أمام النافذة المطلة على الفناء ، تذكر شجار بيتا معه ، من الأفضل أن ينساه . كان يرى أنه لمن الهراء أن تقوم بيتا بتبرير تصرف ذلك الرجـــل ، لم يكن يرغب فى أن يفكر بهـذا الأســـلوب لكـنه لم يستطع ، فـهو يحب بيتا بصدق ! استقرت ابتسامة بشكل تلقائى على شفتيه ، وفكر "إنها تغيرت منذ فترة ! هل يكون الحب باعثًا لتغيير البشر ؟ ! "

جلس على مقعده دون هدف ، نظر إلى صورة بيتا الموجودة فوق المائدة المجاورة للمقعد ، لا جدوى من الانتظار ، همس قائلاً :

"معلوم أنك لن تتصـــلى ! أنتِ .... مع ذلك الكـبرياء والجمال المرغوب ......! لكن ليتك كنتِ تتسمين بالوداعة بعض الشىء ! "

طارت أفكاره مع سماعه صوت دقات خفيفة على باب الحجرة ، فتح الباب ، فإذا بفرشته تدخل وهى مبتسمة ، ورد بابك على سلامها بمجرد رؤيتها وهو يبتسم ، جلست بجواره ، وقالت فى مزاح :

– ثانية تدخل وتخرج دون أن يشعر بك أحد ! لعل فى نسياننا متعة لك !

رد بابك قائلاً :

– آه ! الأمر ليس سيئًا!

– ليس سيئًا وهذا حالك ! ولوكان كذلك فكيف تكون ؟ كيف حال بيتا؟

– كويسة ، تبلغك السلام .

- هل رأيتها اليوم ؟

- نعم ، كان مكانك خاليًا ، ذهبنا إلى ساحة التزحلق على الجليد .

- الأحباء فى مكانى ، أنت متعب أم متضايق ؟

- متعب قليلاً .

- هل أخذت دوشًا دافئًا ؟

- ليس لى مزاج .

- إذن أنت متضايق ! ماذا حدث ؟

- لا شىء ! كل شىء على ما يرام !

- متأكد ؟ !

التفت بابك اليها ، كان الفضول لمعرفة ما ألم به واضحًا على وجهها ، لا شك أنهما من الأخوة المعدودين ، فهو يسلم سلاحه أمام أخته لأنه يحبها من أعماق قلبه ويشعر معها بالراحة والأمان . كان يدرك أنها فتاة واعية عاقلة ولعله يثق فيها لهذا السبب ، وإزاء صمته مسحت فرشته بيدها الحنونة على رأسه وقالت :

- إنك حتى لا تريد أن تكون معنا رغم أنك فى المنزل ! أيُغير الحب الناس إلى هذا الحد؟ !

- لا تتحدثين هكذا يا فرشته ، إننى استاء من نفسى .

-ألا تعتقد أننى وأبى وأمى نحتاج إليك ؟ ألا تعتقد أن بيتا ترتضى هذا ؟

- لا ، إنها لم تتكلم ، إنها تحبكم للغاية !

-إذن فالمشكلة لديك ! لمَ تحبس نفسك ؟

-قلت إننى متعب .

- لا قدر الله أن يكون ذلك !

- تقصدى إيه ؟ ما دليلك على أننى كاذب ؟ تأكدى أننى لا أقصد أن أخفى شيئًا عنك.

- هل تحدثت مع بيتا فى موضوع مراسم الزواج ؟

- لا ، لم تحن الفرصة لذلك ، لكن عمتى قالت أنها تحدثت معها .

- يجب أن تحدثها بنفسك.

- لمَ ؟ هل تعتقدى أن هناك فرق ؟

- لا ، ولكن ....

- هل تحدث شخص بشىء ؟

- لا ، لكن هل تعلم ؟ فى رأيى أن بيتا حساسة قليلاً ! لا شك أن هذا هو رأيىّ!

نظر بابك فى صمت إلى صورتها ، إذن لم يكن هذا هو ظنه فقط ، فسألها :

- أتفكرين هكذا حقًا ؟

- هذا تخمين فقط ! وقد قلته .

- فى رأيك يجب أن أتحدث معها بنفسى ؟

- مائة فى المائة .

- أتعلمين ؟ إن بيتا إنسانة حساسة وأنا أنتظر الفرصة المناسبة .

- يعنى هذا أنك لم تستطع الحديث معها طوال هذا الوقت الذى كنتما معًا فيه ؟

- ليس فى الظروف التى أعيشها .

- لا أفهم ، ما السبب الذى يجعلك تتعامل بشكل رسمى إلى هذا الحد مع خطيبتك ؟

- صدقينى ، أنا نفسى لا أعلم ، إننى أنسى نفسى حينما أراها .

- هل تدهور حالك إلى هذا الحد دون علمى ؟ !

- أنا لا أهرج يا فرشته .

- وأنا كذلك لا أهرج ، لقد أصبحت طوع امرأة .

ضحك بابك وقال :

- كم تستاءون أنتن النساء من الرجال الذين هم طوع النساء .

- كم تكون سعادتي حينما أظفر بشخص مثلك .

- نعم ، في الواقع لا يقول بقال قط أن الزبادى لدينا حامض .لقد شغلتى رأسى لدرجة أننى نسيت أن أسألك ، هل كنتِ تريدين شيئًا منى ؟

- لا ، لكنك وحشتنى ، كم هو مثير للسخرية أن نكون فى منزل واحد ويشتاق كل منا للآخر !

لف بابك يده حول كتفها وقال هامسًا :

- دعك من التفكير فيما يضايقنى يا فرشته .

فنظرت إلى عينيه وقالت فى حب :

- أريدك فقط أن تكون موفقًا سعيدًا .

قبّل بابك يدها وقال :

- إننى أصبح هكذا لو يرزقنى الله بزوجة مثلك .

قامت فرشته وقالت فى مزاح وهى تخرج من الغرفة :

- لكننى سألوى أذن خطيبتك ذات مرة لأنها جعلتك تائهًا بهذا القدر .

رد بابك وهو يضحك :

- أنا مستعد للقيام بذلك بدلاً منك .

قالت فرشته :

- ربنا يرزقنى ! لازم بيتا تدينى درس مكثف فى الواجبات الزوجية .

فبعث إليها بقبلة ، وقال :

- إننى أتحسر على حال من تكونين من نصيبه .

وردت فرشته إليه القبلة وأغلقت باب الحجرة تاركة أخاها فى وحدته !

* * *

مر يومان أو ثلاثة ولا خبر عن بابك ، كانت بيتا خلال تلك الفترة تنتظر أن يكون بابك وراء كل رنة تليفون ، لكنه لم يتصل . والآن تتملك نسرين حالة من الدهشة على حال بيتا ، وتقوم بمحاصرتها بسيل من الأسئلة .

وفي نهاية اليوم الثالث اتصل كامران ، وتعجبت بيتا بشدة لعدم توقعها هذا الاتصال . كانت الأم تجلس أمامها ولم تتظاهر حتى بعدم السماع ،كانت تراقبها بينما تشعر بيتا بعذاب مرير . أرادت أن تتحدث مع كامران ولما فشلت توجهت من حجرة الاستقبال إلى حجرتها حتى تستطيع أن تتحدث بشكل أكثر راحة . كانت تعلم أنها تزيد من غضب أمها بهذا التصرف ، لكن ما من حيلة أخرى لديها . في ذلك اليوم أحيا كامران بمكالمته ذكريات اليومين السابقين أمام عينيها ، وعلى الرغم أن هدفه الأصلي بدا على أنه من قبيل الاعتذار عما حدث مؤخراً إلا أنه أوصل غضب بيتا إلى الذروة ، فبمجرد توجهها إلى غرفتها ورفعها السماعة حتى قالت في غضب جلي :

– لو سمحت يا كامران أنا لا أستطيع أن أفهم أي معنى لاتصالك ، لمَ تثير أذهان الآخرين بهذا الشكل ؟

فقال كامران في هدوء :

– لقد قلت من قبل ، فقط من أجل الاعتذار ، على الرغم من أنني لا أعد نفسي في الواقع مذنبًا تجاهك .

– ألا تدري قط ما ألحقته على نهاري باستمرارك في إثارة غضب من حولي ؟

– أستطيع فقط أن أقول إنني آسف ، إنني لم أفكر في ذلك قط ، ولكن لو كان ضروريًا فأنا على استعداد بالاتصال بالسيد بابك وتقديم الاعتذار إليه لأنني أكن لكِ احترامًا خاصًا .

–أشكرك ، لكن لو كان هذا هو شعورك حقًا فلا تصعب عليّ الأمور .

– أنا ، لو أنني أفعل ذلك فلن أسامح نفسي أبدًا ، كيف تفكرين فيّ هكذا ؟

– ربما كان تصرفك بلا غرض ، لكن ألا تعلم أن هذه الاتصالات تزيد الأوضاع سوءًا ؟

- أحقًا هذا ؟

- مائة بالمائة ، والآن لا أدرى حقًا ماذا أقول لأمى؟ لا أدرى فى أى شىء تفكر مريم؟ حتمًا أنها لا تعلم أنك اتصلت بى ، أليس كذلك ؟

- نعم ، فلم أر ضرورة لأقول لها ، وضمنًا فثمة شىء يجب أن أقوله بنفسى .

- لقد كنت سببًا فى استياء مريم فى ذلك اليوم.

- لو حدث ذلك فمرده إنها إنسانة غير عقلانية .

- على العكس من ذلك ، فحينما أضع نفسى مكانها للحظة أعطيها كل الحق ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد أعطيت الحق لخطيبى لدرجة أنك أعربت عن استعدادك كما ذكرت لتقديم الاعتذار إليه ، فكيف لا تعطى الحق لمريم ؟

- لأننى أعتقد فى هذه الحالة أنها لا تثق بى وهذا ما لا يمكننى تحمله ، ربما أستطيع تقبل وجهة نظرك أنتِ وخطيبك لعدم معرفتى بكما ، لكن هذا لا ينطبق على مريم، فلا يمكن أن تدعى أنها لم تتعرف علىّ بعد كل هذه الفترة!

- على أية حال ، فأنا أعتقد أن علاقتنا من خلال التليفون أمر غير لائق ، ربما لا يجب أن أقول هذا ، لكن يجب أن تعلم أن خطيبى فى غاية الضيق منذ ذلك اليوم وحتى الآن .

- لو أننى السبب فأنا على استعداد لتقديم الاعتذار إليه بشكل رسمى .

- لا ، لا داعى لذلك ، أتمنى ألا يحدث هذا بيننا ثانية ، إنه لمن المضحك أن نذهب فى ذلك اليوم كى تُحل مشكلتك ثم لا نستطيع ، بل ونتعرض نحن أيضًا للمشاكل .

- ألم تتحدثى مع مريم منذ ذلك الحين وحتى الآن ؟

- لا ، فماذا حدث ؟

- للأسف لم نصل إلى نتيجة فى ذلك اليوم.

- إذن لمَ لمْ تحدثنى مريم فى هذا ؟ !

– ربما رأت أنه ليس من الصالح أن تفسد عليكما سعادتكما !

– معنى هذا أن كل شيء قد انتهى بالفعل ؟

– نعم ، لقد انتهى كل شيء .

– آسفة ، إنني ...لم أعلم .

– لكنني أكثر أسفًا لو أننا كنا سببًا في ضيقك مع أطالة الموضوع .

– لكنكما كنتما تحبان بعضكما بشكل يفوق هذا الكلام .

– لست متأكدًا الآن يا بيتا ، ربما كان تعودًا !

ورق قلب بيتا له للحظة لكنها اضطربت مع تذكرها لمريم فسألته على الفور :

– هل كان لما حدث بيني وبينك أي أثر في هذا الأمر ؟

– مطلقًا ، لقد تحدثنا في ذلك قبل أن نصل إلى تلك النقطة .

– لو كان غير ذلك لما تعجبت ، إن مريم فتاة حساسة ! أثمة مساعدة يمكنني تقديمها

– لا أعتقد ، أشكرك وأعتذر لو أنني أزعجتك ، حقًا لقد تصورت أنك تعلمين ، وكما قلت كان اتصالي لإزالة الغموض وتقديم الاعتذار ، لكنني أقولها ثانية، ليت لمريم ثلث صفاتك .

وخفق قلب بيتا إلا إنها قالت بصوت يرتجف :

– إنك تجاملني .

– لن آخذ من وقتك أكثر من هذا .

وما أن انتهت المكالمة بينهما حتى دخلت نسرين الغرفة ، فقالت بيتا مازحة :

– كأنك كنت تنتظرين انتهاء المكالمة ، أليس كذلك يا ماما ؟

وضعت نسرين يدها على وسطها وقالت في جدية :

– بلا ماما بلا بتاع ، من هذا الرجل ؟

- تقصدى إيه يا ماما ؟

- ذلك الذى كنتِ تتحدثين معه .

فسألتها بيتا فى ضيق :

- هو إيه اللى حصل ؟

فردت نسرين على الفور :

- لا تقومين بمثل هذه الحركات بالعين والحاجب أمامى وإلا أحاسبك ، هل تتخيلين أنكِ كبرتِ ومش هقدر أحاسبك ؟

- أتلحين علىّ ثانية يا أمى؟

- ردى على سؤالى .

- أمى ، بالله عليك لا تبدأى ثانية .

- لمَ لمْ يأت هذا الولد هنا منذ عدة أيام ؟

- لا أعرف ، إن من يسمعك وأنت تقولين ذلك يظن أنكِ تتحدثين عن طفل فى السابعة من عمره .

- ماذا قلتى له وجعله يستاء ؟

- إسأليه ، لمَ تسألييننى أنا ؟

- لأننى أعلم من ينتمين إلى جنسى جيداً .

أرادت بيتا أن تتحدث فإذا بصوت الهاتف أسرعت نسرين صوب الهاتف وقالت :

- هرد بنفسى .

ثم مسكت السماعة ، وقالت :

- تفضل .

ومع سماعها صوت بابك حتى ارتسمت ابتسامة على شفتيها ، وجعلت تستفسر عن أحواله بحب وهى تنظر إلى بيتا :

– كيف حالك حبيب عمتك ؟ عجبًا ، ما الذى جعلك تتذكرنا ؟ كيف حال أبيك وأمك ؟ هل فرشته بحالة جيدة ؟ الحمد لله ...

وتنفست بيتا الصعداء وسُرت ، لم تكن تعلم كيف كانت ترد على استجوابات والدتها لو لم يتصل بابك ؟ وكانت أمها لا تزال ترحب بابن أخيها:

–لم أكن أعلم فلم أرك منذ يومين وكنت قلقة عليك حبيب عمتك ، بيتا ؟ تجلس أمامى فى حالة جيدة وتنتظر أن أعطيها السماعة !

قالت بيتا بصوتٍ عالٍ فى اعتراض :

– لمَ تكذبين ياأمى ؟

غمزتها نسرين وقالت :

– بلغ سلامى حبيب عمتك ، السماعة مع بيتا ، تحدث .

ثم وجهت حديثها إلى بيتا بصوت منخفض :

– تبًا لك إذا ما أغضبته .

لم تصغ بيتا لتهديدها ، ووضعت السماعة على أذنها وهى تكاد تفقد أعصابها من شدة الغضب ، وقالت بصوت خافت وهى تنظر إلى أمها أثناء خروجها من الحجرة :

– آلو ، سلام .

كذلك رد بابك بصوت خافت :

– سلام بيتا ، كيف حالك ؟

– كويسة ، وإنت؟

– أنا أفضل الآن وأنا أستمع إلى صوتك .

لم ترد بيتا بكلمة ، فسألها:

– ألم تقلقى علىّ فى الأيام الماضية ؟

– لا ، لكننى لا أرى سببًا مقنعًا لذلك .

– كنت أريد أن أكون أكثر هدوءًا وأنا أتحدث معك .

– وأنا أرى كما فى السابق أنك كنت فى غاية العصبية .

– لقد كنت أنا وأنتِ فى تلك الحالة .

– وقد أجبت عليك .

– وكانت إجابتك سببًا لألمى .

– هل اتصلت بحثًا عن المذنب ؟ نعم ، فأنا المذنبة ، أهذا ما كنت تريد سماعه ؟ هل ذنبى أنه وصل إلىّ مسرعا كالأجل المعلق وساعدنى على النهوض ؟ هل أنا التى طلبت منه ذلك؟

– ما تقولينه حقًا ، أنتِ لست المذنبة ، أظن أننى زودتها شوية.

– شوية ؟ لقد قلت كل ما تريد وأهنتنى بشكل غير مباشر.

– وأنا مستعد لتعويضك ، هل نخرج معًا لتناول العشاء ؟

– لا ، ماليش مزاج .

– ماذا أكون ؟ لن آتى ثانية .

– كما تحب .

– لا تتحدثى هكذا ، إننى أعتقد أنك فى ضيق منى .

– إنك تتحدث وكأننى أبحث عن حجة.

– أنا لا أفكر بهذا الأسلوب فيك .

– لو كان كذلك ، لمَ تتصرف دومًا وتتحدث من وراء ستار؟

فتشجع بابك وقال :

- معنى هذا أنكِ لن تغضبى لو تحدثت بلا ستار.

- إننى استاء أكثر لو أنك غير صادق ، دوماً تتحدث معى لكن هدفك غير معلوم لدى.

- قبل كل شىء أطلب منك أن توافقى على إتمام العقد ، أعتقد أن عمتى تحدثت معكِ فى هذا الشأن ، فهكذا أكون أكثر راحة ، وهذا لا يعنى أننى غير مرتاح الآن ، بل إننى سأشعر بالارتباط بكِ أكثر ، ربما لو أتممنا هذا الأمر سريعًا لسافرنا معًا خلال الأجازة إلى أى مكان تحبينه ، وربما تقل بذلك غيرتى كما تقولين .

لزمت بيتا الصمت بينما استمر بابك فى حديثه :

- لا تعتقدى أن رأيك ليس مهمًا ، على العكس من ذلك ، لقد قلتها دومًا وأقولها الآن، إن رأيىَّ هو رغبتك ، لكن لمَ نطيل هذه الفترة ؟ ألم تختارينى برغبتك ؟ ألست أحبك بكل كيانى ؟ آلو .....بيتا ، لمَ لا تقولين شيئًا ؟

ردت بيتا بصعوبة :

- إننى أستمع .

قال بابك فى مزاح :

- هل تضايقتى حينما تحدثت معكِ بصراحة للمرة الأولى ؟

- لا ، كنت أفكر لمَ يجب أن نتمم العقد لإظهار حسن النية ؟

- ولمَ لا نقوم بذلك ؟ أنا لا أستطيع أن أفهم سببًا لخوفك ؟ !

- أنا لا أخاف ، إننى مترددة قليلاً .

-إن هذا الشعور طبيعى لدى الفتيات أثناء الزواج !

- لقد قالت أمى ذلك أيضًا !

- إذن ما المشكلة ؟

- لا أعلم ، بابك ، لا أعلم.

- تريدين مهلة للتفكير ثانية ؟

- لا أدرى .

- إلى ما بعد الأجازة ؟ يكفى هذا ؟

قالت بيتا :

- أشكرك لصبرك علىّ .

- ما هذا الكلام يا حبيبتى ؟ أنتِ كل حياتى .

- إذن لا مانع لديك أن نتحدث فى ذلك الشأن بعد الأجازة ؟

- إطلاقًا !

- وماذا عن الخال ؟

- دعى إقناعه علىّ.

- أشكرك ، أنت رجل فاضل يا بابك

- ليس كفضلك ، والآن هل تقبلين دعوتى على العشاء ؟

- حقًا إننى غير مستعدة.

- قولى فقط متى آتى إليك ؟ بعد ساعة ؟

- أليس متأخرًا ؟

- يوجد فى النهاية طعام للطائرين العاشقين .

وشعرت بيتا فجأة أنها تحب بابك من صميم قلبها ، إنها لم ترغبه فى أى وقت قط مثلما ترغبه الآن ، أرادت أن تصراحه بمكالمة كامران لكنها خجلت ، لأنها لم تكن مستعدة لإفساد سعادتهما المشتركة بعد ثلاثة أيام من العذاب والانتظار .

(١٧)

انقطعت أخبار بيتا حول مريم إلى ما بعد الأجازة ، من وجهة نظرها كان اتصالها بها وتقديم التبرير لها كالعذر الذى هو أقبح من الذنب ! من ناحية أخرى ، لقد بدت عادية إلى حد ما فى أول لقاء لها بمريم فى الجامعة وكأن شيئًا لم يحدث ، فقد قبّلت مريم بيتا بكل أدب وحب وأعربت عن سعادتها لرؤيتها ، وهو ما لم تتوقعه بيتا . كانت تتوقع دومًا أن مريم ستشير إلى ذلك اليوم حينما تختلى بها، لكنها لم تشر فقط بل قالت على الفور حينما فتحت بيتا المجال فى هذا الحديث :

– لا أريد منك تبريرًا يا بيتا ، ولو أنكِ فكرتِ فى أنه يحتاج إلى تبرير فقد أهنتنى وأهنت نفسك.

ردت بيتا :

– يجب أن تدعينى أوضح لك ، فى ذلك اليوم...

قالت مريم :

– لمَ تشعرين بالذنب يا بيتا ؟ لقد رأيت كل شىء . كان يجب عليه أن يفهم أن قيامه بهذا العمل فى حضور زوج المستقبل هو غاية عدم التربية والوقاحة ، لكن للأسف ، إن الإحساس ليس شيئًا مكتسبًا ويجب أن يكون من طبيعة البشر !

أرادت بيتا أن تتحدث عن مكالمة كامران ، لكن مريم قاطعتها دون أن تعلم مقصدها :

– ولكن فيما يتعلق بنا ! ففى الحقيقة لقد انتهى كل شىء ، وكان هذا ضروريًا !

– يعنى عايزة تقولى إنك مش زعلانة للسبب ده ؟

- ليه لازم أزعل ؟ لازم أكون سعيدة لإنى فهمته بدرى .

- معنى هذا إنه شخص بالأخلاق دى ؟ !

- وربما أسوأ من كده !

- مش عايزة تفكرى أكثر ؟

- إطلاقًا !

- مش زعلانة منى ؟

- ليه ؟ أنا زعلت عليكِ أكثر من نفسى !

- تأتى معى للتسوق ؟ فغداً يوم ميلاد بابك !

- لا يا بيتا ، اعفنى ، عندى شغل النهاردة فى البيت . أقدم التهانى مقدمًا .

شعرت بيتا أنها تتذرع بما لديها من أشغال حتى لا تأتى معها لذا لم تلح عليها أكثر من ذلك وأنزلتها فى الطريق وفقًا لرغبة مريم .

* * *

الهدية التى اشترتها بيتا لبابك كانت عبارة عن : زجاجة عطر ، وقميص شيك وحزام جميل من الجلد ، وهذا بلا شك أكثر مما كان يتوقعه . كانت تريد أن تفاجئه بعد مدة طويلة وتعوض له فترة البرود والتجاهل السابقة. وبينما كانت تقف خلف إحدى الواجهات الزجاجية تشاهد المعروض فيها من الأزياء النسائية ، فإذا بصوت يفاجئها من الخلف :

- إيه الصدفة دى ؟

التفتت بيتا إلى الوراء وارتبكت بمجرد رؤيتها كامران الذى قال وهو غاية فى الهدوء :

- كيف حالك يا بيتا ؟ لقد أسعدتنى هذه الصدفة بشدة !

قالت بيتا بصعوبة وهى تحاول أن تبدو متماسكة :

- فى الحقيقة لقد فاجأتنى .

قال كامران مبتسمًا :

- ليه ؟ ! هو أنا مبخرجش اشترى حاجة؟

- لا ! أقصد أننى اندهشت من هذه الصدفة.

- إذن فلتفكرى فيما أكون عليه ، واضح أنكِ هنا للشراء.

- أيوه ، تقريبًا !

- ما أجمل أن أراكِ ، حقًا لقد كنت مترددًا فى شراء هدية لإحدى الصديقات ، ممكن تساعدينى بذوقك الجميل ؟

قالت بيتا بصوت يرتجف :

- لكننى انتهيت من الشراء وللأسف الشديد أريد أن أعود بسرعة ، بالإضافة إلى ذلك فإننى ركنت سيارتى فى الممنوع .

نظر كامران إلى عينيها بأدب وقال كى لا يترك لها مجالاً للمقاومة :

- أوعدك ألا آخذ الكثير من وقتك .

تسمرت بيتا فى مكانها وسألته فى تردد:

- إنت عايز شىء معين ؟

قال كامران وهو يشير إلى بعض المحال القريبة :

- لو مش غلطان ، اللى أنا عايزه فى المحل ده .

كانت بيتا تفكر فى تفاؤل وهى تتبعه بأقدام مرتجفة " ربما يريد شراء هدية لمريم ولذا طلب منى المساعدة " ، وحينما بلغت سعادتها الذروة ، وقف كامران أمام محل للأزياء النسائية وقال مشيرًا إلى أحدها :

- ما رأيك فى هذا ؟

كان الزى الذى على مرمى عينيه زيًا أسود اللون للسهرة مرصعًا بالأحجار السوداء البراقة ، فقالت :

- أرى إنه جميل

فقال وهو يشير إلى زى آخر :

- وما رأيك فى هذا ؟

نظرت بيتا جيداً إلى الزى الذى يشير إليه وابتسمت وهى تتخيل مريم فيه، كان عبارة عن جاكت وبنطلون أبيض اللون ، كان رائعًا وهو على المانيكان، قال كامران فى سعادة وهو يرى إعجابها بالزى :

- أشكرك ، سأشتريهما .

قالت بيتا فى دهشة :

- عفواً ، أنا معملتش حاجة .

قال كامران :

- على الرحب والسعة ، لقد ساعدتنى فى إنجاز عمل صعب ، فى الحقيقة أنا جاهل بذوق السيدات .

قالت بيتا :

- مهلاً ، لقد كانا فى الحقيقة من اختيارك ، والآن اسمحلى كى انصرف .

- هتروحى البيت ؟

- أيوه .

- إذن فلتتحملينى للحظات وأوصلك .

- أشكرك ، السيارة معى .

- هل لديك مانع أن تنتظرى للحظات ؟ فليس لدى عمل آخر ويمكن أن نسير معًا .

وبينما كانت بيتا تبحث عن حجة فإذا به يقول :

- حسنًا جداً ، سأعود بعد دقيقتين .

وبعد ذهابه استندت على الحائط فى استياء وهى تفكر " ماذا يحدث لو أن أحد المعارف قد رآهما معًا ؟ " تذكرت بابك وغرقت فى عرقها مع تخيله فى هذا الوضع ، قررت للحظة أن تتركه بسرعة لكنها لم تستطع ، نظرت إليه وهو يتحدث مع البائع ، وارتجف قلبها من إحساس مجهول ، تذكرت ذلك اليوم الذى رأته فيه للمرة الأولى ، فلم يدر بخلدها فى تلك الليلة أن يأتى مثل هذا اليوم ، كانت ترى أنها كانت حمقاء وقتما تمنت أن تحل محل مريم .... وها هى مريم قد تركته الآن ، وفيما يبدو أن كامران ليس وفيًا لأحد .... لم تكن تفهم ، لمَ تكون بذلك القدر من الارتباك والإثارة لو لم تكن ثمة علاقة بينهما ؟ ولمَ لا تستطيع التماسك وتملك زمام نفسها حين تقابله ؟

وخرج كامران كما قال فى أقل من خمس دقائق من المحل يحمل كيسين من النايلون وقال لها:

- أعتذر لو كنت تأخرت .

اكتفت بيتا فى ردها بابتسامة مفتعلة ، وبينما كان يمسك بالكيسين اللذين بهما المشتريات ، سألها قائلاً :

- كيف حال بابك ؟

ردت فى أدب :

- كويس ، أشكرك .

وسمح كامران لنفسه أن يسألها :

- إننى مندهش من عدم رؤيتى له معكِ !

قالت بيتا حتى لا يفكر فى شىء فى غير محله :

- أردت أن أفاجئه .

ضحك كامران وقال مازحًا :

- بهدية مفاجئة !

فردت فى فتور :

- حاجة زى كده .

فقال فى هدوء :

- هنيئًا له ، لازم يكون سعيد بالشكل ده !

ردت بيتا :

- يجب سؤال بابك !

فقال فى وقاحة :

- لو كان غير ذلك فهو إنسان عديم الملاحظة.

ارتبكت بيتا ولم تتفوه بشىء وزادت من سرعة قدميها ، رغبت فى سؤاله عن مريم للخروج من الموضوع ، لكنها عدلت عن ذلك ، وحينما وصلا إلى سيارتها قال لها وهو يضع الأكياس فى الخلف :

- بلغى سلامى الخاص إلى بابك ، وأشكرك ثانية .

قالت بيتا فى أدب :

- وأنا أشكرك أيضًا.

قال كامران :

- لم أقم بشىء مهم سيدتى .

كان سلوكه هادئًا طبيعيًا ، واقتنعت بيتا على الرغم من إحساس قلبها أن لقاءهما كان مجرد صدفة ، وكأن إحساس التعلق به قد تدفق ثانية فى كيانها بعد فترة من الزمان .

* * *

حاولت بيتا أن تصرخ بكل قوتها لكنها لم تستطع ! ليس لأنها لا تريد ، بل لأن جسدها فقد القدرة على القيام بذلك ، كانت تريد أن تتحرك بسرعة إلا أنها كانت تسحب قدميها من ورائها ، ثم بدا أمام عينيها كل من بابك وكامران، كل منهما يعنف الآخر ولم يبدر منها أى تصرف ، لا شخص يسمع صوتها ، لا شخص يمد إليها يد العون ، وكأن ثلاثتهم كانوا فى مكان بعيد عن الزمان والمكان والناس وتركوا لحالهم ...

فتحت عينيها بصعوبة ، أخذت تتفحص سقف حجرتها فى الظلام ، ظنت فى البداية أنها ترى منامًا ، لكنها حينما انتبهت علمت أنه لم يكن أكثر من كابوس ، حركت نفسها بمشقة ، جلست فوق السرير ، إلا أن الحجرة كانت تدور حول رأسها .

كانت تبدو وكأنها قد نقلت جبلاً شاهقًا من مكانه فجعلها بذلك القدر من الإجهاد والإرهاق ، تسير قدماها فى وهن ، ويداها ترتعدان . نظرت إلى الساعة ، لم يتبق سوى القليل على الصباح ، مالت إلى الخلف وهى مرهقة وكأنها تبحث عن سبب لرؤيتها ذلك الكابوس . تذكرت رغمًا عنها آخر لقاء لها مع كامران حينما كانت تتسوق ، " هل ثمة هدف خفى ؟ !" كثيرًا ما جال هذا السؤال فى خاطرها وارتجفت من الإثارة التى وراءه . أرادت أن تقوم فأوقفها صوت الهاتف ، رفعت السماعة مع الرنة الأولى وهى مرتبكة لأنها كانت تخشى أن تنتبه أمها ، حاولت أن يكون صوتها هادئًا لكن لم يكن ذلك فى الإمكان مع خفقان قلبها ، كان صوت المعاكس الدائم فقالت:

- أنت ثانية ؟ متى تكف عنا ؟ من أنت أساسًا ؟

فقال فى هدوء أثار غضبها :

- أية تحية حارة تلك ؟ !

- أتتوقع أن أشكرك وأنت تقوم بمضايقة الناس فى هذا الوقت المبكر ؟

- أضايقك حقًا ؟

- معنى كده إنك مش عارف ؟ طيب تسمى اللى إنت بتعمله ده إيه ؟

- تحب أعرفك عن طريق القانون؟

- ليه إنتِ عصبية كده ؟

- مش عايزنى أكون عصبية ؟ للوقاحة حدود يا سيد .

كان يريد أن يستمر فى حديثه إلا أن بيتا أغلقت السماعة وجلست على حافة السرير تفكر ، كانت تريد أن تخمن من يكون هذا المعاكس ؟ من يعرف جميع خصالها ويعد غريبًا عنها إلى الآن ؟ وامتلأ ذهنها للحظة كالشرارة المفاجئة بأن المعاكس فى نفس فصلها ، لكنها سرعان ما انصرفت عن التفكير فيهم لأنهم يعلمون جميعًا بخطبتها منذ فترة . وأخيرًا وصلت إلى نتيجة مفادها أن المعاكس أيًا من كان هو شخص غريب يضعها تحت نظره من بعيد ، فكثيرًا ما اتصل بها بمجرد وصولها . لم تستطع قط أن تصدق أن هذه المكالمات تمت مصادفة مع وصولها إلى المنزل . وتملك جسدها خوف غريب من هذا التفكير لأنها كانت تسمع فى تلك الأيام عن المعاكسين الذين يفسدون حياة الآخرين ، فكرت جيدًا فى أنه قد يجهل وجود بابك فى حياتها ، فقررت أن تطلب من بابك أن يصحبها إلى الجامعة لفترة .

* * *

جلست بيتا صامتة هادئة حتى أنهى الآخرون أحاديثهم ثم فتحت شفتيها للحديث تحت إلحاح الخال وأنظار الجميع تتجه إليها:

- لقد تحدثت من قبل مع بابك وأعربت عن استعدادى ، وعليه لا أدرى لمَ يقوم الكبار الآن بإدانتى ؟

سألها الخال بنبرة حنونة معاتبة :

- لمَ تصرين حبيبة خالك على تأجيل مراسم العقد ؟

قالت بيتا :

- لا أقصد ذلك أبدًا يا خالى ، وهذا ما قلته لبابك !

فسألتها زوجة الخال :

- ما رأيك ؟ هل توافقين على أن نعقد عليكما بعد أسبوعين ونجعل الزواج فى الصيف؟

نظرت بيتا إلى بابك وأمه ثم قالت له :

- رأيك إيه ؟

أجاب بحب :

- لقد قلت لأبى ولغيره إننى أوافق على الوقت الذى تحددينه ، ما رأيك يا عمة ؟

ردت نسرين :

- أنت تدرى حبيب أمك ، كلاكما عاقل وبالغ .

قالت فرشته بشقاوة وهى ترفع طبق الحلوى :

- مبروك ، تفضلوا حلوا أفواهكم.

أخذت بيتا قطعة حلوى من الطبق وهى تبتسم فى خجل وقالت لفرشته:

- عقبال زواجك

قالت فرشته مازحة :

- إن شاء الله.

قال الخال فى حب :

- فلتخرجا يومًا معًا لشراء بعض الاحتياجات .

فسألته نسرين :

- بمفرديهما ياأخى ؟

فرد الخال مازحًا :

- لا ، نذهب معهما ، ما شاء الله ، كلاهما عاقل ! لقد انقضى ذلك العهد يا أختى .

قالت زوجة الخال وهى تنظر إليهما فى استحسان :

- نعم يا أختى ، لازم يختاروا الحاجة بنفسهم ، ما شأننا فى ذلك ؟

همست بيتا فى إذن بابك بينما كان الجميع منهمكين فى الحديث :

- أريد أن أطلب شيئًا منك.

قال بابك :

- ماذا يا حبيبتى ؟

انتظرت بيتا قليلاً ثم قالت :

- اتوصلنى إلى الجامعة لفترة ؟

لم تر من الصالح أن تتحدث عن موضوع المعاكسة التليفونية ، ورد بابك فى سعادة بينما تتملكه الدهشة بعض الشىء :

- على الرحب والسعة ، لو رأيت من الضرورى أكون معكِ كذلك أثناء العودة ، لكن ... هل حدث شىء !

فردت على الفور :

- لا ، لا ، لا تقلق ، أريد فقط أن نكون معًا لساعات أطول .

فقال بابتسامة ذات مغزى :

- على الرغم من أننى أدرك أن هذا ليس هو السبب ، لكن على عينى .

ولكى تخرجه عن الموضوع ، سألته :

- متى نخرج للتسوق ؟

- وقتما تشاءين ، لو تريدين رأيى ، يجب ألا نجعل جميع مشترواتنا فى يوم واحد .

- أوافق .

- فبهذا الشكل لا نتعب ولا نتسرع فى الشراء .

قالت فرشته مازحة :

- فى أى شىء تتهامسان؟

ردت بيتا :

- بنجيب فى سيرتك .

ضحكت فرشته وقالت :

- اعملى اللى إنتِ عايزاه ، فقط حبى ذلك الأخ الولهان .

قالت بيتا :

- طيب ، ماشى يا أخت الزوج .

غمزت فرشته بعينيها ، وقالت :

- ها أنا أصبحت أخت الزوج !

(١٨)

فى الوقت الذى كان الجميع يقومون فيه بالإعداد لمراسم العقد ولم يتبق على اليوم المحدد سوى أسبوع واحد وقع حادث أعاق تنفيذ هذه المراسم . فقد أصيب بابك فى قدمه اليسرى ويده اليمنى وجبهته على أثر حادث أليم واستسلم للراحة ولزم الفراش رغمًا عنه وفقًا لتوصية الطبيب .

وفى تلك الأثناء كان كل طرف قد قام بشراء مستلزماته ، كما تم حجز القاعة، حتىّ أن بطاقات الدعوة كان قد تم إعدادها لكن تبدد البرنامج مع وقوع هذا الحادث. كان الخال يرى بإصـــرار أن عين الحســـود قد تدخلت فى الأمر لذا ذبح كبشـــين. أما فرشته فبأسلوبها الساحر كانت ترى أن عدم الحيطة من جانب بابك وولهه ببيتا هما السبب وراء هذا الحادث .

وعلى أية حال ، فقد اتفق الجميع على أن بقاء بابك على قيد الحياة رغم شدة الحادث هو نوع من الإعجاز وتقدير العناية الإلهية ، وأدت نسرين صلاة الشكر ، وتصدقت بيتا بالمال بعد أن اهتز كيانها لسماعها هذا الخبر ، وكانت تعتقد من داخلها أن الله أراد أن يحذرها وينبهها بطريقة ما خلال هذا الحادث . وعليه فقد سعت لقضاء معظم أوقاتها مع بابك لتصلح ما أفسدته من قبل . كانت تذهب معظم الأيام من الجامعة إلى منزل خالها مباشرة وتحاول أن تملأ وحدة بابك بوجودها معه . وفى إحدى الليالى التى عادت فيها من هناك وجدت فى حجرتها سلة من الورود الجميلة ، وكانت مفاجأة بالنسبة لها . أرادت أن تذهب إلى أمها لتستفسر منها ، فإذا بالأم تدخل الحجرة دون مقدمات وتسأل وهى تراقب رد فعل بيتا بكل حواسها :

- جميلة ؟ هل أعجبتك ؟

سألتها بيتا :

- لمن هذه الورود؟

ردت نسرين :

- لقد كُتب اسمك عليها!

ثم ألاحت بيديها في الهواء بسخرية وقالت :

- للهانم بيتا سپهرى !

سألتها بيتا فى عصبية :

- من أحضر هذه السلة ؟

ردت نسرين :

- يعنى مش عارفة ؟ أنا كنت هسألك .

نزعت بيتا البطاقة من وسط السلة بعصبية وحاولت أن تتعرف على الراسل من خلال الرسالة المكتوبة بخطه ، فقالت نسرين :

- لقد أحضرها صبى محل الورود منذ ساعتين أو ثلاثة ، اعتقدت أنك عارفة...

قالت بيتا فى ضيق :

- من أين لى أن أعرف ياأمى ؟ لم أكن هنا منذ الصباح .

فسألتها نسرين في هدوء بعد أن شاهدت عصبيتها :

- مش ممكن يكون بابك ؟

جلست بيتا على حافة السرير وقالت وهى تفكر :

- لكن لو كان كذلك لأبلغنى .

قالت نسرين بفضول :

- اللهم اجعله خير ، يعنى هتكون من مين ؟

همست بيتا :

- أىٌّ من يكون فلابد أنه أحد معارفنا .

ثم سألت فجأة وكأن شيئًا قد جال بخاطرها :

- ألم يطلبنى أحد على التليفون ياأمى ؟

ردت نسرين :

- لا ، لمَ؟

قالت بيتا فى يأس :

- لا شىء يا أمى ، لتحملى هذه السلة بدون تكليف وضعى فيها بعض الماء .

سألتها نسرين :

- كيف كان حال بابك ؟

قالت بيتا وهى تبدل ملابسها :

- متوعك قليلاً.

قالت نسرين فى رجاء :

- اقتربى منه أكثر فى الفترة دى .

نظرت بيتا إليها نظرة عتاب وسألتها :

- أكتر من كده ؟ إنك تحبين ابن أخيك بشدة .

قالت نسرين وهى تُخرج سلة الورود من الحجرة :

- كم أن طفلى مظلوم وصبور !

كانت بيتا فى حالة من الضيق لا تسمح لها بالنقاش فى هذا الموضوع ، فضلاً عن ذلك ، فقد كانت الخاسرة دومًا أمام تأييد أمها لبابك والخال وتعلم أنها لن تفوز فى أى وقت قط لأن أمها تحبهما إلى حد العبادة . فى تلك اللحظة كان بالها كالبحر المتلاطم يحاول معرفة من يقوم بإرسال هذه الورود ، وقد شغلها هذا التفكير لدرجة أنها نسيت كل شىء عداه . إنها كانت على يقين من أنها ستصل إلى المرسل مهما كان . توجهت إلى المطبخ وسألت أمها :

- هل صبي المحل الذى فى أول الشارع هو الذى أحضر هذه السلة ؟

قالت نسرين :

- لا ، لا أظن ذلك ، لمَ ؟ من أين لكِ أن تعلمي أنه من أحد المحال القريبة من هنا؟

فكرت بيتا ورأت أن كلامها منطقي، "فمن أين يعلم أصلاً إن كان قريبًا من هنا؟" فضلاً عن ذلك ، "لم أكن فى المنزل وقتها كى أعلم من الذى أحضرها " وعادت مسرعة إلى حجرتها . لم يكن يريحها فى تلك اللحظة شيء قط عدا الوصول إلى حل تلك المعادلة ومعرفة ذلك الشخص المجهول .

* * *

ظل ذهن بيتا منشغلاً في محاولة منها لمعرفة راسل الورود المجهول ، وبعد ثلاثة أيام حينما عادت إلى المنزل وجدت سلة أخرى . والآن تنظر نسرين إليها بنظرة شك تؤرق بيتا . لقد أثيرت لدرجة أنها ألقت بالسلة من حجرة الاستقبال الى وسط الشارع، وبعد ما نالت قسطًا من الراحة فكرت أنه قد يكون شاهدها وهى تقوم بذلك، فشعرت بالارتياح ، لكن لم يمر وقت طويل حتى وجدت سلة ثالثة مع غروب نفس اليوم . وقامت هذه المرة بوضع السلة خلف الباب ومضت وها هى قد انتهت توًا من المناقشة مع أمها ، ومع سماع صوت جرس الباب توجهت ناحية النافذة واندهشت مع رؤيتها سلة من الورود في يد عبدالله . أرادت أن تخرج من الحجرة لكنها لم تجرؤ خوفًا من أمها فوقفت تنصت من مكانها ، سألت الأم عبدالله :

- من أين جئت الباب بها يا عبد الله ؟

أجاب :

- حينما فتحت الباب كانت خلفه يا سيدتى .

قالت نسرين فى غضب واضح:

- اعطنى إياها ، ألم تلق نظرة حولك ؟ ألم يكن أحد على مقربة ؟

أجاب :

- لا يا سيدتى ، فقد فعلت ذلك قبل أن تقوليه لى .

همست نسرين قائلة :

- اللهم اجعله خير ، إما أنه شخص يمزح معنا أو أنه غارق فى الحب .

وسرعان ما جلست بيتا فوق سريرها مع سماع صوت قدميها ، وجعلت تنظر فى كتاب مفتوح أمام عينيها دون تركيز ، وعلى الفور دخلت نسرين الحجرة بسلة الورود وقالت فى استياء :

- حسنًا ، ماذا يحدث ؟ هتقولى تانى إنك مش عارفة هو مين ؟

قالت بيتا معترضة :

- تقصدى إيه يا أمى ؟ هل أكذب عليك ؟

فردت عليها فى عصبية :

- إذن من الذى يفعل ذلك ؟ هذه السلال لا تسقط من السماء !

ردت بيتا فى عصبية :

- قسماً بالله لا أعلم ، أى قسم أحلف لكِ به كى تصدقيننى ؟

فسألتها نسرين :

- هتطلبى منى تانى إنى أخفى ذلك عن بابك ؟ جايز هو اللى بيمزح معاكى ، جايز بيمتحنك يا بنتى !

ردت بيتا بشكل جاد :

- لو الأمر كذلك لما سامحته أبداً .

قالت نسرين وهى تشير إلى السلة :

- من هذا الحبيب ؟ ألا تعلمين ؟

قالت بيتا بكل الثقة :

- من أين لكِ بأنها ليست امرأة ؟

ردت نسرين :

– حبيبتى ، لقد قلتى وأنا أصدقك القول ، لكننى أعلم ماذا تفعل هذه العيون ، وما ألمّ بطفلى بابك الحائر كالسكارى لم يكن بلا سبب .

ضحكت بيتا رغماً عنها وسط غضبها بسبب تشبيه أمها ، فسألتها نسرين :

– هعمل إيه دلوقتى فى الورود دى ؟ فهى معقودة اللسان لا ذنب لها .

قالت بيتا :

– اتركيها أمامه بجوار الباب .

حركت نسرين رأسها وقالت :

– مهما فعلوا معكِ فلن تفهمى .

قالت بيتا :

– إذن ماذا تتوقعين أن أفعل ؟ هل أعقد على رأسى بقطعة من القماش وأحرس هذه الورود لأننى لا أعلم ممن ولمن ؟

ردت نسرين :

– سوف أسحب بابك الليلة فى الكلام .

قالت بيتا :

– لا تقومى يا أمى بمثل هذه التصرفات فلا طاقة لى بها .

سألتها نسرين فى دهشة :

– هو إنتِ مش جاية ؟

– لا ، يا أمى ، ماليش مزاج ، فقد رأيته قريباً .

– مش هتوصلينى ؟

– بدون تكليف ، خدى سيارة أجرة ، أنا هموت من الصداع .

– خليكى هنا وفكرى حتى يمسك الجنون .

– متى تعودين يا أمى ؟

– هرجع بسرعة ، هخلى عبد الله ياخد باله من البيت .

– مش عايزة أوصيكى تانى يا أمى .....

– حسنًا ، هو أنا طفلة هتعرفينى أعمل إيه ؟

نظرت بيتا إليها وهى تُخرج سلة الورود من الحجرة وقالت فى نفسها " لو أعلم فقط من خلف هذه المشاكل لتصرفت معه ".

* * *

كانت بيتا تطالع أحد كتبها الجامعية وانتبهت على صوت جرس الهاتف فكرت على الفور أن أمها لم تستطع إقناع الخال وتريد أن تستفيد منها فى هذا الأمر . رغبت فى البداية ألا ترد على الهاتف ، لكنها فكرت فى المبرر الذى ستقدمه من بعد ، فرفعت السماعة :

– سلام يا ست الهوانم ، ألا تتغيرى أبداً !

فردت فى عصبية مع سماع صوت المعاكس :

– يجب أن تخجل من نفسك يا سيد .

قال المجهول وهو يضحك :

– أنا أم أنتِ يا من ألقيت بورود ذلك الطفل البرئ بعيداً ؟ ! أنتِ تستاءين منى، لكن ما ذنب الورود ؟

صاحت بيتا :

– إذن أنت الذى فعلت ذلك ؟ كيف تسمح لنفسك أن تقوم بهذا العمل ؟ من أنت أصلاً كى تفسد حياة الآخرين ؟ ما الذى فعلته بك كى تضعنى تحت الضغوط بمثل هذه التصرفات وتجعل الجميع يسيئون الظن بى ؟ ألا تعلم ما الذى تفكر فيه أسرتى تجاهى ؟

قال المجهول فى هدوء :

- لمَ ؟ أهذا كله من أجل الورود ؟ هل إرسال الورود أصبح ذنبًا ؟

قالت بيتا فى ضيق :

- بالنسبة لى نعم ، لأننى ملتزمة أمام شخص ، إننى لا أعلم هدفك من وراء هذه التصرفات ، هل هو جد أم مزاح ؟ لتفعل ذلك مع أخرى يحلو لها هذا وتكون من أهله ، ولو كانت أموالك كثيرة فلتنفقها فى وجوه الخير .

قال المجهول بشكل جاد :

- إننى لا أفعل هذا بدافع التسلية ولا لأن جيبى مكتظ بالمال .

فسألته بيتا :

- إذن لمَ؟ لمَ لا تكف يدك عنى ؟

رد المجهول قائلاً :

- لأننى أحبك ولا أرغب فى أية فتاة أخرى مثلما أرغب فيكِ .

ردت بيتا فى عصبية :

- لكن علىّ أن أوضح لك أننى مخطوبة .

- أعلم ذلك

- تعلم وتقوم بهذه التصرفات ؟ حقًا أنك وصلت بالوقاحة إلى أوجها ، كان يجب علىّ أن أخمن من البداية أنك المسئول عن هذا !

- هل أعجبتك الورود ؟

- ألم تر ؟ لقد أعجبتنى لدرجة أننى وضعتها أمام الباب .

- إننى مستعد لإرسالها إليكِ تباعًا حتى يصبح منزلك حديقة غناء .

- ما هذا ؟! ما هدفك من هذه التصرفات ؟ لو تريد أن تقوم بقصة حب معى فأنا مضطرة لأن أذكرك للمرة المائة أننى مخطوبة وأننى وفية لخطيبى .

- وماذا عنى ؟

- هذه ليست مشكلتى يا سيد ، فلتبحث عن أخرى

- إنك لا تستطيعين أن تكونى قاسية إلى هذا الحد ، ومع هذا فسوف استمر فى تصرفاتى حتى تغيرى رأيك فىّ.

- ليس لك الحق فى العبث بسمعتى وباسم العائلة !

- لو ترفضين ذلك الوضع فعلى الأقل اعربى لى عن بعض رضاكِ .

- لتخجل أيها السيد ، إننى أقول لك أننى مخطوبة ، ألم تفهم ؟

- أنا لا أفهم شيئًا ، فالعاشق لا يفهم أصلاً !

- وما عساى أن أفعل مع شخص لا يفهم ؟ فضلاً عن هذا ، أى حب هذا الذى يكون من طرف واحد ؟

- لو تريدين يصبح من طرفين !

- ماذا تقصد ؟ إننى حتى لا أعلم اسمك ، أنت تمزح !

- لو ترغبين فلنتقابل وقتما تريدين .

- هذا يدعو إلى الخجل .

- لمَ ؟ ألا تريدين التعرف علىّ ؟ ربما تغيرين رأيك !

- لتطمئن ، لن يتغير قط ، لو سمحت لا تقوم بمضايقتى ثانية .

ودون أن تعطيه فرصة للحديث أغلقت السماعة وألقت بنفسها فوق السرير ، لم تر نفسها فى أى وقت قط تحت هذا الضغط وفى تلك العصبية . كانت تشعر فى تلك الأيام بالوحدة خاصة بعدما حدث بينها وبين مريم ، فقد تغيرت مريم تمامًا وابتعدت ، ولازم بابك المنزل فجأة ، وصارت أمها تدقق فى كل حركة وسلوك لها وكأنها تبحث عن ذريعة لإدانتها . خفق قلبها بشدة مع سماع صوت الهاتف فى حجرة الاستقبال ، طوت الحجرة فى لحظة وخرجت منها فى عصبية وتوجهت ناحية الهاتف ، والآن ترتعد يداها بوضوح مثلما يرتعد صوتها:

- تفضل .

قال المجهول بنبرة عاشقة :

- إننى أقدم فروض الطاعة فقط ، تفضلى أنتِ .

- أنت .... أنت ....

كانت تبحث فى ذهنها عن كلمة تستطيع أن تتفوه بها وتوجه من خلالها الإهانة إليه ، لكن ما من شيء فى ذهنها ، واستغل المجهول صمتها وقال :

-تحدثى بكل ما تريدين ، أريد أن أسمع صوتك فقط .

قالت بيتا وهى تبكى :

- أيها السيد المحترم ، السيد المبجل ، لو سمحت كف عنى ، أنت تثير أعصابى، ألم تر كيف أصبح نهارى ؟ وأية كوابيس أراها فى منامى من شدة الضغط العصبى ؟ إننى لا أستطيع التركيز فى أفكارى طوال اليوم .

- أنا أيضًا لا أنام ولا أنعم بالراحة ولا أتناول طعامى بسببك .

- وأية فائدة من هذه العلاقة التى من طرف واحد ؟

- كيف تحكمين علىّ دون رؤيتى ؟

وفجأة تنبه ذهن بيتا ، فهى بهذا الشكل تستطيع على الأقل التعرف على الطرف المقابل ، وعندما فكرت فى لقائه وجهًا لوجه تملك كيانها كله خوف غريب ، لكن لو رأته ... فكرت سريعًا " لأحدد له مكانًا مزدحمًا كالحديقة مثلاً، فماذا عساه أن يفعل أمام مئات العيون ؟ " ، " ربما من الأفضل أن أبلغ الشرطة !" ، لا ، ستصبح سيرتها على الألسنة ، فيمَ يفكر بابك وأمها ؟ وتذكرت خبرًا كانت قد قرأته مؤخرًا فى إحدى الصحف ، إنه الحادث الذى ألقى فيه أحد العشاق بمحلول حمضى على وجه الفتاة التى يحبها ، لقد كان حبه لها من طرف واحد ... لا ، لا ، لا يجب أن تملأ ذهنها بمثل هذه الأفكار . على أية حال إنه نوع من الاندفاع ، وقفت تنتظر حتى ينهى المجهول جملته ، إنها لم تفهم كلمة واحدة من جمله الأخيرة ، لا تزال مترددة فى الموافقة على مقابلته ، سألته بصوت يرتجف :

- لنفترض أننى وافقت على مقابلتك ، فأين أراك ؟

كانت راضية تمامًا عن الجملة التى وردت على لسـانها لدرجـة أن المجـهول لم يشك قط فيما تفكر فيه ، فبعد المقاومة التى أبدتها لعدة دقائق كانت هذه أجمل جملة وردت على لسانها ، لم تكن راضية تمامًا ، ولم تكن مبالغة ، فقد كان رغمًا عنها ،

قال المجهول :

- حددى أنتِ المكان ، أى مكان تحبينه ؟

ردت بيتا :

- فى الحديقة ، كويس ؟

- نعم ، لكن فى أية حديقة ؟ وفى أية ساعة ؟

- المكان ليس مهمًا بالنسبة لى .

- اقترح أن يكون فى حديقة " ساعى " على الجانب الشرقى بجوار بحيرة البجع ، لكن متى ؟ أرى أنه من الأفضل لكِ أن يكون بعد الظهر ، غدًا فى السادسة حتى لا يؤثر على مواعيد الجامعة ، ما رأيك ؟

واشتد استياء بيتا ، فكأنه يعلم جيدًا برنامجها اليومى ، ومع ذلك فقد ردت عليه بهدوء مفتعل :

- حسنًا ، ألا تريد أن توضح لى إشارة أعرفك بها ؟

رد قائلاً :

- سآتى أمامك فأنا أعرفك جيدًا .

قالت بيتا :

- نعم ، لقد نسيت أنك تعرفنى تمامًا ، أتريد شيئًا آخر ؟ فلدىّ أعمال متأخرة علىّ القيام بها .

قال :

- أعتقد أننى لا يجب أن أذكرك أن تأتى بمفردك .

قالت بيتا :

- بقدر ما تخاف من معرفة الآخرين لك بقدر ما أخاف أنا أيضًا نظرًا لارتباطى ، وعليه لا محل لقلقك .

ضحك المجهول ، وقال :

- يجب أن أضيف الذكاء إلى صفاتك الحسنة ، إنك تثيرين شغفى بكِ فى كل لحظة .

ردت بيتا :

- آمل ألا يكون هكذا ، فى رعاية الله .

حينما انقطعت المكالمة بينهما تملك بيتا اضطراب شديد لدرجة أنها لم تستطع قراءة الكتاب الذى أمامها . كانت الكلمات تمر أمام عينيها ولم تستطع التركيز فى أفكارها . فكرت أنه من الأفضل لها أن تأخذ قسطًا من الراحة ، واستعدت للنوم مبكرًا عن أى يوم آخر ، أطفأت مصباح حجرتها لكنها لم تتمكن من النوم ، أخذت قرصًا مهدئًا من درج الكوميدينو المجاور لسريرها وتناولته مع قليل من الماء ، أى شخص هذا؟ هل سيأتى فى الموعد المحدد أم أنه يلعب بها ؟ ولو لم يأت فى الموعد المحدد، ماذا يحدث ؟ ....سحبت البطانية فوق رأسها وأغلقت عينيها ، وظلت الأفكار تراودها لدرجة لم تمكنها من الخلود إلى النوم .

(١٩)

وبعد الظهر من غد ذلك اليوم كان يومًا آخر بالنسبة لبيتا ، فقد عادت إلى المنزل مبكرًا عن أى يوم ، وجعلت تعد اللحظات بعد الساعة الخامسة فى قلق واضطراب ، وفى النهاية ارتدت زيًا بسيطًا وتجملت بزينة خفيفة ، وتوجهت إلى المكان المحدد ، لم تكن ترغب أن تأتى فى أول لقاء بكامل زينتها ، كم أرهقت أعصابها حتى تستطيع أن تقدم لنسرين سببًا مقنعًا لخروجها لا يثير الشك لديها ولا يحثها على الاستفسار ، كان أسوأ موقف لها وهى تواجه العراقيل عند إجابتها على أسئلة نسرين المعقدة ، إنها كانت تقرؤها كالكتاب المفتوح وكانت تدقق معها دومًا فى كل استجواب ، كانت تبدو متوترة صامتة فى فترة الظهيرة ، وحينما وصلت إلى الحديقة كانت الساعة السادسة إلا الربع لم تر أحدًا أمام بحيرة البجع سوى إمرأة شابة وزوجها وقفا مع أبنائهما للمشاهدة ، ولقضاء الوقت توجهت ناحية البحيرة وجعلت تنظر حولها كل بضعة دقائق على أمل مشاهدة أحد يتجه إليها ، كم كانت لحظات تدعو إلى الجنون ، كانت تشعر وكأن كل من ينظر إليها هو ذلك الشخص المجهول ، فكرت ثانية " ماذا تفعل لو لم يأت ؟" نظرت إلى ساعتها ، لم يتبق سوى خمس دقائق على الموعد المحدد ، إن أسوأ ما قامت به هو قدومها قبل الموعد المحدد وهذا ما اعترفت هى نفسها به شرعت تتحرك فى عصبية وضيق ، كم تمضى اللحظات بطيئة ! التفتت ناحية البحيرة ، لم يوجد حتى الآن من هو موضع شك ، فكرت أن تسير وتجلس فى المكان المحدد ، طوت المسافة بسرعة ، وجلست بفوق المقعد المواجه للبحيرة فإذا بطفلة صغيرة كانت منهمكة بإلقاء الطعام إلى البجع ، ودون أن تعى جذبت انتباه بيتا لإطعامه . كم كانت رؤية البجع ومتابعة حركاته الانسيابية تبعث على الهدوء . وبينما كانت تنظر إلى اثنين من البجع حتى تسمرت فى مكانها مع وضع شىء بجوارها من الخلف ، وسرعان ما

نظرت إلى الجهة اليمنى وتملكت جسدها كله الحرارة . إنها سلة الورود ثانية ، كان عليها أن تقوم من مكانها بسرعة لكنها لم تستطع ، التفتت إلى الخلف بصعوبة ، كادت أن تصاب بالسكتة ، إنها لم تستطع أصلاً أن تثق في عينيها حينما رأت كامران . هل هذا اللقاء صدفة ؟ وتذكرت للحظة معاكس الهاتف وقرارهما معًا ، لكنها سرعان ما تجاهلت ذلك ، لم يكن ذلك الصوت صوت كامران ، لذا اطمئنت تمامًا ، وأرادت أن تسأل عن شيء ما فقال كامران مبتسمًا:

- صحيح ! إنه أنا يا بيتا .

تفقدته من الرأس إلى القدم ، كان مهندمًا كعادته ، كان يرتدي بدلة زاهية كالربيع وقميصاً رصاصي اللون وعلى عينيه نظارة شمسية جميلة تناسب وجهه تماماً وتزيد من جاذبيته . تحرك بهدوء وتقدم نحوها وسألها وهو يشير إلى المقعد بكل أدب:

- تسمحي لي ؟

شعرت بيتا بدوار شديد في رأسها ولم تقو على التفوه بكلمة ، كيف لم تفكر فيه ؟ وارتسمت أمامها صورة مريم ، وذكرى الأيام الماضية ، وتلك الورود المبهمة ، وكلام أمها ، وبابك و ..... شعرت بضعف رأسها أمام هذا الهجوم المباغت لكل تلك الأفكار ، فكرت دون أن تصدق ، لا ، ربما لم يكن هذا سوى مزحة سخيفة ! لم يكن لديها الحضور الذهني في تلك اللحظة قط كي تتحدث بشيء ، لذا نهضت من مكانها بصعوبة وهي تشعر بدوار وقصدت الرحيل ، فقال كامران بهدوء :

- بيتا !

فصرخت دون اهتمام بالحضور في المكان قائلة :

- اخرس !

كان صوتها أعلى مما كانت تتوقع هي نفسها ، وكأنها كانت ترى كل شيء في منام ، ما الذي يمكن أن يكون ؟ التفت شخصان نحوهما ونظرا بفضول إليها وإلى كامران وإلى سلة الورود ، كما همس أحد الشباب بشيء ما أثناء مروره بجوارهما ، وشعرت بيتا بابتسامة ساخرة على شفتيه ، ثم قال كامران بنفس الهدوء :

- انتظرى حتى تهدأى ثم امضى ، من الخطأ أن تقودى السيارة وأنتِ فى هذه الحالة

كان كل كيانها يرتجف ، ولسانها معقود ، وداوم كامران حديثه :

- لم أفكر أنكِ ستستاءين إلى هذا الحد !

صرخت بيتا دون اهتمام قائلة :

- لم تفكر !

والتفت البعض إليهم ثانية ، وكأن بيتا قد عادت إلى وعيها توًا ، فكررت جملتها بصوت أكثر هدوءًا :

- لم تفكر ؟ !

طأطأ كامران برأسه في هدوء وصمت ، لكن صمته كان يثير ضيق بيتا ، فألقت بسلة الورود على الأرض ثم قالت فى ضيق :

- لقد أفسدت علىّ حياتى أنت وسلة الورود ومثل هذه التصرفات الخارجة عن حدود اللياقة ، قل لى أنه ليس أنت !

نظر كامران إلى وجهها مباشرة وقال وهو يلتقط أنفاسه :

- أعلم أنك تودين سماع ذلك ، لكنه أنا .

سألته بيتا بهدوء وهى فى حالة من عدم التصديق :

- لمَ ؟ لمَ معى ؟ أنت تعلم أننى مخطوبة ! أتبغى المزاح معى ؟ أليس كذلك؟

انتظر كامران لحظة ثم قال :

- لا ، كل ما حدث كان حقيقة ، مكالمات التليفون ، والورود وحبى لكِ .

نظرت بيتا إليه فى دهشة ، كانت تتعجب من تلك الجرأة ، لو كانت تسمع هذا الحديث على لسان شخص آخر لما تعجبت هكذا ، لكن كامران ! الذى يعرف كل شىء عنها ! وفجأة شعرت بالاستياء من نفسها ، شعرت وكأن مرارة السم فى حلقها ، توجهت ناحية الحوض المجاور للمقعد وألقت ببعض الماء على وجهها ، وقبل أن تغلق الصنبور ، وقبل أن تفتح حقيبتها ، امتدت يد ناحيتها بمنديل أبيض ، رفعت رأسها

فرأته أمامها ، أى هدوء غريب فى سلوكه؟! ظل منتظراً حتى تأخذ المنديل من يده أو تردها ، سألته وهى تبحث فى حقيبتها بفتور :

- إن صوت المكالمات لم يكن صوتك ، لذا فأنا لا أفهم .

كانت حركاتها سريعة ويداها ترتجفان بوضوح ، وكأن حقيبتها تخلو من المناديل ، فقال كامران وهو يقف والمنديل فى يده :

- صحيح ، بالتأكيد لو لم أفعل ذلك لتعرفتى علىّ فوراً .

نظرت بيتا إليه فى دهشة ، كانت اعترافاته الصريحة مصحوبة بجرأة خاصة ، خطفت المنديل من يده وسألته فى عصبية :

- كيف يمكنك الاعتراف بتصرفاتك بمثل هذه الوقاحة ؟ !

قال كامران بابتسامة خفيفة :

- لو أكذب سأكون أكثر نفوراً وأكثر وقاحة .

قالت بيتا بشكل جاد :

- لم أفكر قط أن تكون أنت ذلك الشخص .

نظر كامران إليها وهى مشغولة بتجفيف يديها وقال :

- كل هذا بسبب الحب ؟ هل ذنبى كبير بذلك القدر الذى لا يقبل العفو ؟ !

ألقت بيتا بالمنديل بعيداً فى عصبية وقالت :

- من الأفضل أن أمضى قبل أن يصيبنى الجنون .

سار كامران فى إثرها دون الاهتمام بنظرات الآخرين الفضولية وقال :

- أقسم أننى قلت الحقيقة ، ولم يكن هدفى المزاح أو الإيذاء .

قالت بيتا وهى تصعد درجات السلم دون أن تلتفت إلى الوراء :

- لتخجل على الأقل من مريم ومن خطيبى .

قال كامران :

- صحيح ، إن تصرفى يبدو فى الظاهر غير منطقى ، لكن الحب لا يعرف شىء قط ، لا يعرف المنطق ولا الأسباب ولا التعهدات .

وبدأ قلب بيتا يخفق ، كانت تريد أن يكون هذا الخفقان بسبب صعودها السلم، لكنها لم تستطع أن تكذب على نفسها ، لقد هز حديث كامران كل وجدانها:

- أقسم بكل المقدسات على وجه الأرض أن قلبى تعلق بكِ منذ اللقاء الأول وكلما قاومت نفسى لم أستطع نسيانك .

ضاعفت بيتا من سرعتها ، وبدا كامران وكأنه يجرى وراءها ، والآن ينظر إليهما العديد من الناس ، وحينما انتهت درجات السلم وقفت بيتا فجأة وعادت إليه وقالت على الفور :

- إننى على الأقل أثبت لنفسى أننى إنسانة ذات إرادة ، وسوف أنسى لقاءنا هذا وكل ما سمعته منك وكأنه كان حلمًا ، وسوف تكون بالنسبة لى كما كنت فى السابق موضع تقدير واحترام ، هذا لو كنت تريد ، نهارك سعيد .

وركبت سيارتها دون الاهتمام بنظرات الآخرين المتطفلة وغادرت المكان ، ثم وقفت بجوار حديقة بالقرب من المنزل يتملكها الغضب والارتباك الواضح ، لا ، لم تستطع أن تعود إلى المنزل وهى فى هذه الحالة ، لا شك أن نسرين سوف تتقصى منها عن الأمر بفضول . نزلت عاجزة من سيارتها ثم اتكأت عليها ، كأن كل شىء قد حدث فى المنام ، لم تكن لديها الجرأة حتى على تذكر أحداث النصف ساعة الأخيرة ، وإلا فلمَ ترتجف مع تذكره ؟ كأن ثمة شخصًا يشاركها معرفة هذا السر يوجد معها فى ذلك الخلاء وتحاول الهروب منه ، ما الذى يحدث إذا ما علم بابك ومريم ؟ كان ترتجف من تصور ذلك الأمر ، لا شك أننى لو قلت لهما هذا الأمر لـ ...

شعرت بألم شديد فى رأسها ، استقلت السيارة ثانية ، وضعت رأسها فوق عجلة القيادة ، لم تكن منتبهة قط إلى الوقت ، مرت فترة حتى حل الظلام، لم تشعر بمثل هذا الضعف فى أى وقت قط ، ما الذى ينبغى عمله لو لم يكف كامران عنها ؟

سعت كى تجد حلاً حاسماً ، من الحماقة أن تتجاهل نواياه ، إنه كان يقوم بمعاكستها بإصرار لأيام طوال على أنه شخص غريب ، وها هو الآن قد جاء بكل جرأة لمقابلتها ، لقد أرسل الورود إليها أكثر من مرة دون الاهتمام بعواقب ذلك ، والآن يعترف لها بحبه دون التفكير فى بابك ، لقد رأت بيتا نماذج عديدة إلا هذا النموذج لو كان بابك موجوداً لكان قد تعارك معه نظراً لغيرته المفرطة تجاهه . كم تمنت فى تلك اللحظة ألا تكون مرتبطة بأى شخص، عادت إلى الوراء ، نظرت إلى السماء ، يجب أن تذهب لزيارة بابك إلا أنها كانت فى حالة من الاستياء لا تمكنها من السيطرة على نفسها وكأنها قد فقدت كل شىء وضاقت الحياة بها ، لمَ يجب أصلاً أن تواجه كل هذا؟ تأهبت للتحرك وسارت . من المؤكد أنها لم تذهب لزيارة بابك ، فليس لديها الجرأة على مواجهته ، من وجهة نظرها أن مواجهة أمها أسهل بكثير لأسباب عديدة، ورغم ذلك كانت قدماها ترتعدان بشدة عند دخولها المنزل،تمنت للحظة ألا تكون نسرين بالمنزل ، لكنها أدركت أن أمنيتها تلك هراء مع سماع صوت الأم الصادر من المطبخ ، ورغمًا عنها أعلنت عن عودتها بصوت مرتجف :

- ماما ، لقد جئت .

لو لم تفعل هذا لهيأت - لا قدر الله - أسباب شكها ، ولم تكن قد استقرت فى حجرتها حتى سمعت صوت جرس الهاتف فحبست أنفاسها ، ونهضت على الفور ، ووضعت السماعة فوق أذنها :

- تفضل .

إنه هو ، كان صوته متردداً مضطرباً ومصراً على الحديث :

- والله لقد جن جنونى لكننى أحبك يا بيتا .

وضعت بيتا يدها فوق قلبها الذى كان يخفق بشدة وقالت بصعوبة ولكن بهدوء :

- بالله عليك ، بأى شىء تعبده ، كف عنى .

فأجابها ملتمساً :

- ماذا عساى أن أفعل ؟ هو بأيدى ؟ ارحمينى .

ردت بصوت يرتجف :

- أنت تفسد حياتى علىّ !

أجابها :

- وأنتِ كم أفسدتى علىّ حياتى ! لقد انقلب حالى منذ أن رأيتك .

قالت فى ضعف :

- لكننى مخطوبة ، وأنت تعلم ذلك ، استحلفك بالله أن تكف عنى ، ألم تفكر فى نتائج هذا الأمر ؟ لو لم يكن هذا على بالك فعلى الأقل فكر فىّ .

أجابها :

- حتى لو أردت فلن أستطيع أن أفكر فى النتائج ، أقسم لكِ إننى صادق معك .

قالت :

- لكننى فى خلال الأيام القليلة القادمة سأكون ملكًا لبابك وإلى الأبد ، لو سمحت كن عاقلاً! ، كنت أعتقد أنك أكثر عقلانية من ذلك .

قال :

- إننى مثلما قلتِ لكننى أحبك ، ولو يكون ضروريًا سأركع أمام بابك وأطلب منه .

وارتبكت بيتا حينما ذكر حديثه لبابك وقالت فى استياء :

- يا سيد يا محترم ، كأن كل منا لا يفهم الآخر ، إن ذنبى أننى تحدثت بمثل هذه الكلمات معك، والآن سأضع حداً ، لو سمحت لا تقم بمضايقتى بعد الآن وإلا سأضطر للتصرف معك بشكل آخر رغمًا عنى .

وأغلقت بيتا السماعة بقوة ورفعت أسلاك التليفون من كُبس الكهرباء وفكرت أنه قد جُن ، عزمت ألا تحكى الموضوع لبابك فهى لا ترغب أن يتخلل ذهنه حتى مجرد التفكير فى هذا الموضوع ، ولو عرفت أمها ، ماذا سيحدث؟ وفجأة تذكرت هاتف حجرة الاستقبال ، فقد يتصل ثانية ، نهضت مسرعة فإذا بأمها تدخل عليها الحجرة :

- سلام يا ماما.

لقد فوجئت بها وتغير لونها ، فسألتها نسرين بفضول :

- أين كنتِ ؟

- لمَ ؟

- هل تعودتى أن تردى على سؤالى بسؤال ؟

التفتت بيتا ناحية درج الكوميدينو وتظاهرت بالبحث عن شىء ما وقالت:

- لقد ذهبت لمقابلة إحدى صديقاتى .

- لقد اتصل بابك مرتين منذ خروجك .

اضطربت وقالت :

- كان عايز إيه ؟

- لم يقل لى شيئًا ، أنا عايزة أروح أزوره وكنت فى انتظارك .

- لا داعى لأن تزوريه كل يوم ياأمى ، أنتى هتعوديه على كده .

- الحياة بهيجة ، ولا داعى لأن تحددى لى واجباتى .

نظرت بيتا إليها وقالت :

- معنى هذا يا أمى إنك تفكرين فىّ بهذه الصورة ؟ !

قالت الأم فى ضيق :

- انهضى ولا تبدأى الحديث ثانية ، من الذى كان يتحدث على التليفون ؟

- كانت مكالمة خطأ.

- لم تكن كذلك ، لازم أضع الخط تحت المراقبة .

واحتبست أنفاس بيتا مع تخيلها انكشاف الأمر فقالت بهدوء مفتعل :

- وفايدته إيه ياأمى ، المفروض ألا نهتم بذلك .

سألتها الأم :

- هتعملى إيه ؟ هتيجى ولا لأ ؟ إنتِ عارفة بقالك كام يوم لم تذهبى لزيارة بابك ؟

ربما كان يجب علىّ أن أذهب للزيارة ، فبهذه الطريقة لا أثير شكوك من حولى، خاصة بابك الذى اتصل بى أكثر من مرة ، فقالت لنسرين رغمًا عنها :

- هروح معاكى أول ما تجهزى .

* * *

وأمام الجامعة أغلقت بيتا باب سيارتها إلا أنها تسمرت فى مكانها مع سماع صوتًا من الخلف :

- صباح الخير يا بيتا .

وحينما التفتت إلى الوراء ارتبكت لرؤيتها كامران ، وكان أول رد فعل لها بعد رؤيته هو تفحصها للشارع من حولها ، فلو رآهما شخص معًا ماذا يظن ؟ لو وصلت مريم ماذا يحدث ؟ سألته بصعوبة :

- لمَ جئت إلى هنا ؟

قال كامران بلا خجل :

- جئت لرؤيتك .

ردت فى عصبية :

- بالله عليك ، لمَ تفعل هذا معى ؟ ألا تعلم قط أية مشاكل تلحقها بى بمجيئك إلى هنا ؟

يداها كانتا ترتجفان لدرجة أن ميدالية المفاتيح سقطت منها على الأرض ، ومال كامران بهدوء ليأخذها وقال :

- لمَ أكون سببًا فى ضيقك هكذا ؟

قالت بيتا وهى وتأخذ الميدالية :

- إنك سبب عذابى لأنك لا تهتم بالظروف المحيطة بى ، ألم تفكر قط ماذا ستقول لمريم لو رأتنا معًا ؟

- لمَ تستاءين من هذا الموضوع ؟ إن مريم نفسها لا يعنيها ذلك .

- إنك تتحدث وكأنك غريب على ذلك المجتمع ، يا سيد يا محترم نحن هنا فى إيران ولسنا فى وسط أوربا ، أتعلم أى جرم فى معاكسة امرأة مرتبطة ؟

- ما من شيء أكثر قتامة من السواد ، لماذا تقفين أمام إحساس قلبى ؟ أى شيء أسوأ من أن أكذب على نفسى ؟ أرى أنكِ لا تريدين أن تأخذى موضوعى وإحساسى تجاهك مأخذ الجد .

ردت بيتا فى ضيق :

- أنا آسفة ، لازم أمشى ، لقد بدأت المحاضرة .

سألها فى التماس :

- لى مطلب واحد فقط ، متى يمكننى مقابلتك ؟

ردت بشكل جاد :

- ليس فى أى وقت قط .

- لمَ ؟ لازم اتكلم معاكى .

- لا أرى داعيًا لهذا اللقاء

- لكن لازم تسمعينى .

- أعتقد أن ما يجب أن أفهمه قد فهمته وما يجب أن أرد عليه قد قلته ، وعليه أطلب منك ألا تتسبب لى فى مشاكل أكثر من هذا .

- لكن هذا ظلم .

- وما ارتكبته فى حق مريم هو الظلم بعينه !

- من المحتمل ، لكن حبك كان كبيرًا لدرجة أنه أخرج كل شيء من قلبى .

وارتبكت بيتا ومضت وهى على هذه الحال بعد تقديم العذر وبادرت بدخول الجامعة ، لم تكن هذه المسافة بمثل هذا الطول فى أى وقت قط ! كأنها كانت تشعر بنظراته إليها من الخلف ، كم حمدت الله بسبب لزوم بابك المنزل، كانت غريقة فى أفكارها لدرجة أنها لم تنتبه لوجود صديقاتها فى الفناء .

كانت تسير بسرعة وبشكل مستقيم فإذا بلادن تقول لها بصوت عالٍ :

– يعنى احنا كلنا وبالحجم ده ومش شايفانا ! وحياة عمتك إنتِ بتقولى الحق ؟

تسمرت بيتا مكانها مع سماعها صوت لادن ، والآن هاهن البنات يقمن بالدعابة معها ،

قالت ميترا :

– هل الزواج حقًا يغير كيان الإنسان بالشكل ده ؟

وقالت لادن مازحة :

– سلام يا ست ! نظرة شوية تحت أقدامك !

سألتها بيتا بصوت مرتجف :

– هل جاءت مريم ؟

قالت لادن :

– لم تأت حتى الآن ، لمَ ؟

أجابت بيتا :

– لا شىء .

قالت لادن :

– قالوا زمان : الحب أسوأ بلاء ، لو لم أشاهد بعينى لما صدقت .

قالت بيتا وهى تنظر خارج أسوار الجامعة :

– أدعو الله أن يصيبك بهذا البلاء .

ضحكت لادن وقالت :

– ألم يعطوك الفرصة ؟ فأيًا ماكان هو رجل مناسب ولائق .

قالت بيتا :

– آمل أن يكون من نصيبك من بهذه اللياقة . طالما أنك لم تأكلى حلوى التنتنانى فأنت لا تعرفين مذاقها .

قالت لادن :

– هل كنتِ تقولين هذا لكلام لو لم يكن ذلك الرجل الحبوب من نصيبك ؟

ارتبكت بيتا وسألت :

– عمن تتحدثين ؟

– هل لك أكثر من خطيب ؟ أتحدث عن بابك ، هل تم نسيانه بمثل هذه السرعة مع أول حادث ؟

ضحكت ميترا وقالت :

– كيف حاله يا بيتا ؟

– ليس سيئًا ، متوعك قليلاً .

سألتها ميترا:

– متى يحلون الجبس عن يده وقدمه ؟

– الأمر متعلق بالتحام العظام .

قالت ميترا :

– لتقدريه حق قدره ، إنه رجل فاضل وحنون !

كان ذهن بيتا فى مكان آخر ، إلا أنها كانت تحمد الله ، ماذا يحدث لو كانت مريم قد شاهدتها أمام الجامعة ؟ نظرت بسرعة إلى ساعتها ، لم يكن الوقت متأخراً ، كانت فى ضيق شديد وترقب حتى وصلت مريم إلى الجامعة ، حاولت أن تتفهم حالتها من وجهها إلا أنها لم تفهم شيئًا ، كان وجهها حزينًا معتمًا كما كان منذ عدة أيام ، تقدمت بيتا نحوها لتستفسر عن أحوالها ، جعلت تتفقد وجهها وهى تقبلها ، وبدأت لادن حديثها :

– لمَ تأخرت يا مريم ؟ هل جئتِ على خط (١١) ؟

نظرت بيتا إلى وجهها وهى تفكر فى حيرة " هل رأتها ؟!" وردت مريم :

- كنت نايمة ، هو المطر لما ينزل مرة واحدة من الأرض إلى السماء ، ماذا يحدث ؟

تنفست بيتا الصعداء وابتسمت لها ، لم يكن فى استطاعتها مشاهدتها وهى على هذه الحال ، نظرت ثانية خارج الجامعة ، كان الشارع مزدحمًا .

سألتها ميترا :

- هل تبحثين عن أحد يا بيتا ؟

لم تكن هى نفسها تفهم كيف وردت هذه الكذبة على بالها :

- اعتقدت للحظة أن أحد راكبى الموتوسيكلات قد اصطدم بسيارتى !

(٢٠)

انتهت محاولات كامران فى اللقاءات المفاجئة المتطفلة ، وها هو الآن يلاحقها تقريبًا ، كانت بيتا تعانى من الاضطراب والارتباك إلى درجة كبيرة من مثل هذه التصرفات إلى حد أنها اصطدمت بالسيارة التى أمامها فى إحدى المرات التى كانت تقود فيها سيارتها ، وأفضى ذلك الحادث إلى وقوع أضرار جسيمة . نزل سائق السيارة التى أمامهاوقال فى عصبية إلى بيتا التى كانت قد تسمرت فى مكانها وهى فى حالة من الذهول والاضطراب :

- لقد كانت سرعتك منخفضة ! أين كانت حواسك ؟ وماذا كنتى ستفعلين لو كانت سرعتك أكثر من ذلك ؟

تملك بيتا الخجل والارتباك وطأطأت رأسها ، فسألها السائق :

- لا شك أنك لا تمتلكين رخصة ! صح ؟

قالت بيتا وهى تخرج رخصتى القيادة والسيارة :

- لست حديثة عهد بالقيادة يا أستاذ ، إننى أقود منذ وقت مبكر أكثر مما تتخيل أنت نفسك .

قال السائق ساخرًا :

- نعم ، واضح !

قالت بيتا فى استياء :

- تقصد إيه ؟ قد يتسبب المحترفون أنفسهم فى حوادث .

قال السائق :

- لابد أنكِ من هؤلاء ! اتفضلى انزلى وتأملى ماذا فعلتِ بسيارتى !

سألته بيتا :

– ألم تفعل أنت نفسك أى حادث من قبل كى تتكلم معى بهذه الصورة ؟ لم يحدث شىء ، ولننتظر حتى يأتى الضابط ، واطمئن ، سوف أعوضك حتى آخر مليم .

جلس السائق فوق اسطوانة بجوار الشارع وأشعل سيجارة وهو يهمهم ببعض الكلمات . وبينما كانت بيتا تنزل من سيارتها للاتصال بضابط المرور فإذا بشخص يُدخل رأسه من نافذة سيارتها ويقول :

– استريحى ، سأتصل أنا بالتليفون .

التفتت بيتا ناحيته فأصابتها الدهشة من رؤية كامران ، وقالت :

– إنت تانى ؟

فرد عليها دون الاهتمام بحالتها :

– لا تقلقى ، الأمر ليس جسيماً .

سألته فى عصبية :

– ليس لك من عمل سوى مطاردتى ؟ !

فرد عليها بابتسامة ذات مغزى :

– ربما وجب عليكى أن تحمدى الله فوجودى هذه المرة مفيد ، سأبقى معكِ ، فما من شخص تتحدثين معه .

قالت بيتا بشكل جاد :

– لم أطلب منك المساعدة ، تفضل حضرتك ، أنت تعلم أكثر من أى شخص آخر أن الخطأ ليس خطأى .

تقدم السائق مع رؤيته لكامران وقال له :

– هذه السيدة تبعك ؟

قال كامران قبل أن تنطق بيتا بشىء :

– نعم ، والضابط سوف يأتى الآن .

ألقى السائق بالسيجارة التى معه على الأرض ودهسها بقدمه وقال :

- ماشيين فى حالنا وتخبطنا الهانم من ورا ، أنا مش عارف مجانين مين دول اللى بيسلموا الرخصة للى يستاهل واللى ميستاهلش ؟

نزلت بيتا من سيارتها وقالت بشكل حاسم :

- تحدث بأدب .

ابتسم السائق فى سخرية وقال :

- تضايقتى ياأخت ، لكننى أعترض على قيادة النساء للسيارة .

ورغبت بيتا فى الحديث لكن كامران قاطعها قائلاً :

- من الذى أعطاك الحق كى تبدى وجهة نظرك فى قيادة النساء ، يجب أن تعلم أن هذه السيدة كانت تقود السيارة فى الوقت الذى كنت لا تزال لا تعرف فيه يدك اليمنى من يدك اليسرى .

ثم عاد ناحية بيتا وقال لها بأدب :

- تفضلى داخل السيارة ، وسأبقى أنا هنا .

تقدمت بيتا برفق ثم دخلت السيارة ، وقد أدى هذا الصدام إلى سوء حالة المرور فى الطريق حيث كانت السيارات فى الخلف تطلق أبواقها ، وتدريجيًا التف بعض المارة حولهم لإزالة الخلاف . أغلقت بيتا الزجاج فى عصبية بسبب هذه الضجة وسندت رأسها إلى الوراء . فى تلك اللحظة كان تفكيرها فى كامران يؤلمها أكثر من أى شىء أخر ، نظرت إليه وهو يتجه نحو أحد المحال ليتصل بالهاتف وفكرت فى حيرة: "ما نهاية ذلك ؟" وعلى الفور وضعت رأسها فوق عجلة القيادة وحاولت ترتيب أفكارها ، وحينما رفعت رأسها رأته أمامها يستمع إلى السائق ، لكن نظراته كانت موجهة إليها . كانت تتمنى أن يصل الضابط بسرعة ، لكنه على عكس ما تمنت - وصل بعد عشرين دقيقة ، وانشغل فى الرسم الكروكى للحادث ، واضطرها إلى التواجد كل هذه الدقائق بجوار كامران . لم تكن راضية عن هذا التواجد الإجبارى ، لكن ما من فكرة وردت

على خاطرها . ربما كان يجب أن تتصرف معه بوقاحة ، لكن هذا الأمر كان صعبًا بالنسبة لها لأنه كان يتصرف بقدر من الهدوء والحكمة ولم يترك لها مجالاً للاعتراض عليه . وما أن رغبت بيتا فى إبداء الشكر إليه وتوديعه وركوب السيارة بعد رحيل الضابط حتى قال كامران فى جو الغروب الخافت :

- بيتا !

نظرت إليه بسرعة وقالت :

- أرجوك ، لا تقل شيئًا ، ألم نتحدث معًا من قبل ؟

نظر كامران إليها بنظراته التى كانت تتسبب فى أن يخفق قلب بيتا ، وصمت، واستغلت بيتا هذا الصمت وقالت وهى تبحث عن ميدالية المفاتيح :

- أنا ...... أنا آسفة ، لكنك أجبرتنى على الحديث بهذه الصورة ، أنت تعرف ظروفى لو كنت غريبًا عنى لما انتقدتك ، لكننى فى دهشة منك لأنك تلح علىّ كل هذا الإلحاح مع علمك بالموضوع .

قال كامران :

- معكِ حق ، أنا أعلم كل شىء ، لكن عليكِ أن تصدقينى ، إننى أقوم بهذا الإلحاح من منطلق إصرار قلبى ! ماذا أفعل معه ؟ إنه لا يعرف المنطق ولا العهود ، وقتما أرى نفسى منفعلاً أمامه هكذا أفهم أن الذنب ليس ذنبى وأننى أتبعه كالدمية فقط .

شعرت بيتا أن ركبتيها ترتجفان ، ففتحت باب سيارتها وقالت :

- على أية حال هذه ليست أسبابًا تدعو لاقتناعى ، لو سمحت لا تضيق المجال أمامى ، وأشكرك على ما فعلته معى اليوم .

قال كامران :

- لو سمحتِ يا بيتا ، فكرى فى كلامى .

قالت :

- المسألة واضحة ، أنت ترتكب خطأ يا كامران ، خطأ كبير !

قال :

– إن ما فى قلبى لهو أكبر من الخطأ الذى تتحدثين عنه ! لقد تملك وجودى كله، ليتنى أستطيع أن أثبته لكِ.

قالت :

– لا اعتراض على ذلك ، لكن الظروف تجعل هذا الأمر فى حكـم المسـتحيل حتى ولو كنت غير مخطوبة ، أنت تعلم ما هو قصدى ، لكننى لا أعلم لمَ تلح هكذا ؟

قال كامران :

– لأن ثمة شيء بداخلى هو الذى يدفعنى ، فكل ما لدى من أحاسيس تجاهك أكتمها بداخلى ، وثقى أننى سأصبر مهما كان الأمر حتى أفتح أبواب قلبك.

كان هذا النوع من التهديد المؤدب . لكن من العجيب أنه لم يفزع بيـتا فقـط بل ارتجف له قلبها .

* * *

حاولت بيتا أن تقابل بابك – الذى كان متعبًا خلال تلك الفترة – بشىء من التماسك والهدوء لكنها لم تستطع . فى تلك الأيام كان كامران يلح عليها أكثر من أى وقت آخر ، ولم يفلح معه من الأساس سلاح عدم المبالاة الذى استخدمته بيتا . كان يطاردها كل يوم منذ خروجها من المنزل حتى وصولها إلى الجامعة والعكس ، كان يتعمد القيام بذلك على الدوام لدرجة تضايقت معها بيتا . إنه لم يكف عن مطاردتها حتى فى الأيام التى كانت مريم موجودة فيها معها ، كانت بيتا تخشى من نتائج ذلك، لم يكن لديها الجرأة حتى للنظر إليه من خلال مرآة السيارة . كان يبدو لها وكأنه قد نفض يديه عن كل شىء فى سبيل خطب ودها . وفى الوقت الذى كانت تتذكر فيه آخر حديث بينما كان يتملك جسدها كله إحساس من الخشية والاضطراب الغريب . وفى إحدى المرات التى استاءت فيها من مطاردته لها والهروب منه وقفت بجوار الرصيف وتوجهت ناحية سيارته التى كانت تقف على بعد عدة أمتار منها وقالت فى عصبية دون مقدمات :

- أتريد شيئًا منى ؟

كان صوتها يرتجف أكثر مما توقعت ، ورد كامران بلطف :

- إزيك يا بيتا ، أخبارك إيه ؟

فردت فى جدية :

- ألا تترك للإنسان فرصة ؟ أتريد لا قدر الله أن اصطدم معك عن طريق القانون؟ لمَ تسبب لى المتاعب ؟ لقد تحدثنا فى ذلك من قبل !

رد كامران :

- لا داعى لأن تكونى عصبية بهذا الشكل يا بيتا .

- عصبية ؟ ! أنت تثير أعصابى ، ألم تفكر قط ماذا يحدث لو لاحظ شخص هذا الأمر.

- فى الحقيقة إننى لا أستطيع التفكير فى شىء قط سواكِ ، لقد نسيت حتى نفسى منذ فترة .

- شىء عجيب ، أتتوقع أننى أصدق أن من لم يستطع أن يكون مخلصًا للفتاة التى ارتبط بها ، يستطيع أن يكون مخلصًا لى ؟ !

- لو تقصدين مريم فيجب أن أقول لكِ إننى لو أكن لها مقدار خردلة من الإحساس الذى أشعر به تجاهك لكان من المحال الابتعاد عنها . الآن وأنا أفكر بشكل أفضل أرى أننا كنا قد اعتدنا على تواجدنا معًا لكن لم يستطع أى منا فهم الآخر .

- هذا رأيك .

- تأكدى أن لها نفس الرأى ، لكنك أنتِ التى تضعين هذا الفرق ، لقد أحببتك منذ اللقاء الأول بيننا وشغفت بكِ ، وأنا الآن كالسمكة التى سقطت على الأرض وابتعدت عن الماء ، بيتا أخشى أن يكون دمى فى رقبتك .

- هل تهددنى ، إن هذا يدعو إلى الخجل حقًا !

- هذه هى الحقيقة وليس تهديدًا ، صدقينى ، إن مطاردتى لكِ كانت حجة فقط لرؤيتك على الرغم من أننى أرى أن ذلك يسيئك بشدة وهذا ما لا أريده ، لكن الأمر ليس بيدى . أقسم لكِ !

واغرورقت عينا بيتا بالدمع وقالت بصوت يكتمه البكاء :

- أستحلفك بالله أن تكف عنى ، رغبتك هذه ليست عملية ، لمَ تريد أن تجعلنى فى مثل هذا الموقف ؟

قال كامران فى استياء واضح :

- أرجوكِ لا تبكى ، ليست لدى القدرة على رؤية دموعك ، ماشى ! سأحاول من الآن ألا أتسبب فى ألمك ، فقط لا تبكى ، أرجوكِ .

توجهت بيتا ناحية سيارتها مسرعة دون أن تتفوه بكلمة أخرى وتحركت بسيارتها بينما ظل كامران عدة دقائق فى مكانه ينظر إليها وهى تبتعد ثم سلك طريقه .

* * *

كانت بيتا تطوى الشارع تلو الآخر بسرعة وهى تحاول أن تجعل ذهنها مشغولاً بالتفكير فى أى شىء ، لكنها لم تستطع . الحقيقة أن كامران قد شغل بالها منذ فترة ، لم تمر ليلة دون التفكير بالساعات فيه وفى نهاية هذا الموضوع، لم تمر لحظة إلا وتقع فيها فى الاضطراب خشية من وقوع حادث آخر ، كأنها كانت تتوقع حادثًا جديدًا كل لحظة ، كانت فى دهشة من أمرها : لمَ ترتجف كل ذرات وجودها من تذكر حديثه ؟ !

فى ذلك اليوم ، حينما وصلت إلى المنزل توجهت مباشرة إلى الحمام ، وقفت لعدة دقائق تحت الدوش وكأنها تريد بالاستحمام أن تغسل كل ما يعلق فى ذهنها وأن تزيل من رأسها كل هذه الأفكار . كم كان عجيبًا أن تشعر بإحساس القرب تجاهه بمثل هذا القدر ، وكأن سلوكه لم يسبب الأذى لخاطرها فقط بل أوجد إحساسًا عجيبًا بداخلها ، ويصاحب كل هذا إحساس شديد بتأنيب الضمير تجاه بابك .

فى ذلك اليوم ، حينما خرجت من الحمام ، اتصل بابك بها ، وبعد الاستفسار عن الأحوال سألها :

- كأن رأسك قد امتلأت لدرجة أنكِ نسيتنا !

لم يكن يلمح إلى شيء ، لكن بيتا ارتبكت وقالت :

- تقصد إيه ؟ معلوم أن رأسي مملوءة ، لعلك نسيت أنني طالبة ؟

قال بابك الذي لمس ضيقها بلطف :

- اعذريني ، كأنني ضايقتك ! صدقيني ، أنا متعب جداً .

جلست بيتا فوق السرير وقالت :

- حسناً ، لا شك أنه يجب عليّ أن أزورك أكثر لكنني مشغولة بالدراسة .

سألها :

- كل شيء ماشي كويس ؟

أجابته :

- ليس سيئًا ! كيف حال قدمك ؟ ألم يفكوا الجبس منها ؟

- بهذه السرعة لا ! أظن أنني سأبقى في المنزل بعض الوقت .

- إنهم أمروك براحة إجبارية .

- كنت أتمنى بشدة أن أقضي هذه الراحة الإجبارية معكِ وليس في الفراش .

صمتت بيتا وشعرت ثانية بتأنيب الضمير ، فسألها:

- هتيجي الليلة ؟

ردت في هدوء مفتعل :

- لا أعتقد ، ربما غداً .

- لقد تعبتك وأثقلت عليكِ بهذا الحادث .

- أنا لم أفعل شيئًا ، لقد كنت تأتي في السابق لرؤيتي ، والآن يحل الدور عليّ !

لا تضايق نفسك ، ستعوض ذلك فيما بعد .

ضحك بابك وقال :

- خلي بالك من نفسك الأيام دي ، أنا حسيت إنك خسيتي شوية اليومين اللي فاتوا .

- إزاى حسيت بكده ؟

- من الهالة السودا العميقة اللى تحت عينك ، كما أن عظام وجنتيك بدت واضحة .

- ده بسبب عدم النوم بالقدر الكافى قبل الامتحان .

- حاولى ألا ترهقى نفسك .

- وانت كمان ، علشان تقوم بعد فترة قصيرة .

- أتمنى أن يتم ذلك سريعًا ، انتظرك بكرة ، بلغى عمتى السلام ، أقبلك من بعيد .

عندما وضعت بيتا السماعة على الهاتف سُرت من نفسها لحديثها الجاد مع كامران.

مرت ثلاثة أيام وما من خبر عن كامران ، لم تكن بيتا تراه أمام الجامعة ولا بالقرب من المنزل ، لم يعد يلاحقها ، وكأنه نفذ كلامها ولم يصبح مصدر استياء لها ! والآن تكمن مشكلتها مع نفسها ، كأنها قد اعتادت على وجوده فأصبحت تنظر حولها بحثًا عنه . كانت بيتا - التى كانت فى دهشة هى نفسها من هذا الأمر - تفكر: " إنه لشيء يدعو إلى السخرية ، ربما كنت أشعر بخلو مكانه ! لم أفكر فيه قط، هل اعتدت على وجوده إلى هذا الحد ؟" .

ما من أثر له ، ولا من مكالمة تليفون ، رغم كل هذا كانت بيتا فى حيرة ودهشة، لكن حيرتها لم تستمر طويلاً ، فلم يكن قد مر أربعة أيام على غيابه حتى اتصل فجأة ، كانت بيتا تجلس فى تلك الليلة فى حجرتها تطالع أحد الكتب، بينما كانت نسرين مشغولة فى المطبخ ، وإذا بصوت جرس الهاتف يبدد صمت المنزل ، وضعت بيتا السماعة فوق أذنها دون تفكير وتسمرت فى مكانها مع سماع صوته :

- سلام بيتا .

التقطت أنفاسها بصعوبة وقالت :

- إنت تانى ؟!

قال بصوت مخنوق :

- لم أستطع أن أفى بوعدى ، اعذرينى ، ذكرت لكِ من قبل أنكِ غذاء روحى .

ردت بيتا على الفور بعد أن تملكها الاضطراب من سماع صوته :

- فى الحقيقة لا أعلم ماذا أقول لك ثانية ؟ !

فأجابها وهو يلتمس :

- قولى ما تريدين ، دعينى فقط أسمع صوتك حتى لو أردتى أن تهينينى ، اطلبى لى الشرطة ، لكن لتعلمى أننى لا أستطيع أن أكف عنكِ . منذ اليوم الذى انقطعت فيه عنكِ لم أستطع النوم ولا الأكل ، أصبحت كمن فقدوا عزيزًا لهم ولا يزالون لا يصدقون بعده عنهم . تعلمى لمَ ؟ لأننى لا أستطيع أن أحيا بدونك ثانية ، لأننى صرت مجنونك ، أقسم لكِ بالله يا بيتا أننى أحببتك ، وأنا الآن على يقين من ذلك .

قالت بيتا بجفاء :

- أنت مجنون

فرد بصوت يرتجف :

- إنتِ السبب ، إنتِ اللى تسببتى فى جنانى ، لم أفكر قط أن أُغرم بامرأة إلى هذا الحد .

ردت بيتا بشكل جاد :

- ليس لديك الحق فى اللعب بحياتى .

فأجابها :

- كيف يتسنى لى أن أفعل مثل هذا الأمر وحياتى كلها رهن يديكِ؟ !

- لكنك وعدتنى ، ألا تذكر ذلك ؟ !

صاح :

- لا أستطيع أن أفى بهذا الوعد الملعون ثانية ، لقد استسلمت ، فهمتى ؟ !

اندهشت بيتا من صياحه وانعقد لسانها ، فكأن كامران هذا ليس كامران الذى تعرفه، حتى أنها فقدت القدرة على غلق السماعة وجلست ساكنة فى حالة من الدهشة ، قال كامران بعد ثوانٍ بصوت منخفض ضعيف :

- سامحينى ، لا يجب أن أتحدث هكذا ، لا أعلم كيف ....كيف حدث ...

واستردت بيتا جرأتها وقالت بقدر من الثبات :

- لا داعى للتوضيح ، ليس مهمًا ، كف يدك فقط عنى ، حقًا قد نخطئ التعرف على البشر .

- يجب أن أراكِ ثانية ، أرجوكِ.

- قلت لك ذات مرة : من المحال.

- لكن يجب أن تسمعيننى .

فردت فى عصبية :

- يجب ألا يكون هناك موضوع ، لو سمحت لا تضايقنى وإلا سأشتكيك .

رغب كامران فى الحديث إلا أنها أغلقت السماعة . والآن تبدلت تدريجيًا حالة الاضطراب لديها إلى خوف ، ماذا يحدث لو عاود الاتصال ؟ ارتجف جسدها من التفكير فى ذلك ، ألقت بالكتاب بعيداً ، وضعت رأسها بين يديها وكأن الموضوع قد اتخذ شكلاً جاداً . وهنا نادت أمها عليها لتتناول الشاى معها، كانت تود أن تبقى بمفردها إلا أنها خشيت من أن توفر أسباب الشك لديها ، واتجهت إلى أمها - على عكس رغبتها - فى حجرة الاستقبال وجلست أمامها ، لكنها كانت مضطربة أكثر مما تخيلت ، كانت قدماها ترتجفان وأخفقت محاولتها فى تهدئتهما ، قال نسرين :

- لا تهزّى قدميكِ يا بيتا ، فهذا يوترنى .

فردت عليها بابتسامة مفتعلة :

- إنه اضطراب ليالى الامتحان ، ألا تذكرين يا أمى ؟ أننى أكون هكذا دومًا أيام الامتحانات .

قالت نسرين :

- من الأفضل أن تشربى كوبًا من الأعشاب المهدئة بدلاً من الشاى .

- لا داعى يا أمى ، سأكون بخير .

- هل بابك هو الذى كان يتصل ؟

لقد سألتها سؤالاً ما كان ينبغى لها أن تسأله ، فكذبت بيتا فى ردها عليها قائلة :

- لا يا أمى ، كانت إحدى صديقاتى .

فردت نسرين بإحساس الأمومة :

- لم أر ابنى منذ يومين .

قالت بيتا فى اعتراض :

- لقد رأيتِ بابك قريبًا يا أمى .

قالت نسرين وهى تضع السكر فى الشاى :

- أدعو الله أن يحلو الجبس عن قدمه ، عين وصابت الولد .

ضحكت بيتا وقالت :

- ما الذى تقولينه يا أمى ؟ أهو طفل ؟

قالت نسرين بشكل جاد :

- أنتِ لا تعرفين شيئًا عن العين المريضة ، كم من حياة انهارت بسببها !

ومع سماع صوت الموسيقى الصادرة من الشارع سألتها بيتا :

- من أين يأتى هذا الصوت ؟

ردت نسرين :

- لابد أنه أحد المتسكعين ليلاً . لا أعلم ماذا يستفيدون من إعلاء صوت كاسيت سياراتهم بهذا الشكل ؟ إنهم لا يجنون سوى السب لوالديهم !

ثم قالت وهى تتجه ناحية الشرفة :

- انهضى يا بنت وخذى كوبًا من الأعشاب المهدئة ، هو أفضل لكِ !

ظلت بيتا فى مكانها وهى تشرب الشاى بينما يجتذبها صوت الموسيقى وكأنها تساعدها على تداعى بعض الذكريات إلى خاطرها :

يا خالق قصتى كلها ، هذا أنا وهذا أنت

أعزف على أوتار قلبى ، هذا أنا وهذا أنت

كل لحظة فى فراقك هى شهر أو عام

مع كل نفس صار مكانك خاليًا

أنا عاشق دلالك ،

انقطعت عن الجميع من أجلك

أريد رؤيتك أنت فقط !

أنا عاشق الانتظار ،

عاشق سماع صوت أقدامك فى الزقاق ،

أريد رؤيتك أنت فقط !

أنت تلك السحابة العالية فوق الليالى المضطربة

أنت ذلك الساحل البعيد تسجد له كل موجة

أنت فصل العشق الأخضر تُستمَد كل ورود الربيع منك

لو لا يكون دلالك تمتلئ الأزهار فى الرياض بالأشواك

أنا عاشق دلالك ،

انقطعت عن الجميع من أجلك ،

أريد رؤيتك أنت فقط !

أنا عاشق الانتظار ،

عاشق سماع صوت أقدامك فى الزقاق ،

أريد رؤيتك أنت فقط !

أنت آخر بيت ينظمه الشاعر ، بل أنت كل أشعاره

إن يحرمه الله منك ، فلا أشعار ولا غزليات ينشدها بعد

فلتبق حتى تبقى عظمة العشق ، فأنت راوى العشق

لا تقل انكسرت حرمة العشق ، فأنت حرمة العشق

أنا عاشق دلالك . . .

قالت نسرين :

- إنه مجنون يقف تحت الشرفة مباشرة بسيارته وكأنه يجهل أن الناس يستريحون فى ساعات الليل هذه ! !

قفزت بيتا من مكانها كالسوسته وتوجهت ناحية النافذة وهى تدعو أن يكون تخمينها غير صائب ، وحبست أنفاسها لثوان مع رؤيتها سيارة كامران ، فقالت نسرين :

- إلامَ يتخيل أن يبقى هنا يستمع إلى صوت الشريط العالى ؟.لو يبقى قليلاً قد يتصل أحد الجيران بقسم الشرطة .

قالت بيتا على الفور :

- لا ، بالله عليكِ لا .

نظرت نسرين إليها وقالت وهى تتأمل وجهها :

- ماذا حدث ؟ لمَ تغير لونك ؟ كأن شيئًا قد أصابك .

مسحت بيتا قطرات العرق من فوق جبهتها وقالت بصوت يرتجف :

- أنا كويسة يا أمى ، لا تقلقى ، تعالى لنجلس ، إنه أحد المتسكعين كما ذكرتى.

وأبعدت بيتا نسرين عن النافذة وأسدلت الستار خشية أن تتذكره أمها، ماذا يحدث لو نزل من السيارة ؟ لم ترغب بيتا مجرد التفكير فى هذا . وقع نظرها على المنازل المقابلة فرأت أن البعض قد توجه إلى النافذة على أثر صوت الكاسيت العالى وجعلوا ينظرون فى فضول . لو أخذوه إلى قسم الشرطة ، أى مبرر سيقدمه على تصرفه هذا ؟ ربما جاء ذكرها فى الموضوع ! نظرت نسرين إليها بفضول وقالت :

- متأكدة إنك كويسة ؟

ردت بيتا :

- أعتقد إنى هكون أفضل بعد تناول الأعشاب المهدئة يا أمى.

قالت نسرين وهى تنهض من مكانها :

- كان لازم تشربيه من نص ساعة ...

وما أن خرجت نسرين من حجرة الاستقبال حتى توجهت بيتا إلى الشرفة ونظرت من خلف الستار إلى الخارج ، نزل كامران من سيارته وسار أمام النافذة ثم توقف وجعل ينظر إليها راجيًا ، ابتعدت بيتا على الفور واستندت على الحائط ووضعت يدها فوق قلبها الذى كان يخفق بشدة تمامًا كمن يواجه خطراً ، وانشغلت وهى فى هذه الحال بالدعاء .

(٢١)

وكأن دعاء بيتا قد استجاب ، فما من خبر ثانية عنه أو عن سيارته ، وغاص الشارع فى ظلام وسكون غريب ، لكن لا يزال أثر الاضطراب بداخلها حتى الآن ، كان قلبها يرتجف والتوتر يقلب معدتها .كان كامران من وجهة نظرها مجنونًا حقًا عليها أن تخشاه .

ماذا يحدث لو كرر تصرفه هذا ثانية ؟ فى الحقيقة ، عندما كانت تفكر جيداً كانت تشعر ببعض الضيق بسببه ، فربما لا يستطيع السيطرة على نفسه ، وعندها فيمَ يفكر الجيران ؟

هل فهموا ما هو هدف كامران ؟ تذكرت نظرته ، اضطرب قلبها ! تمنت لو كان لديها رقم هاتفه . لم تكن تعلم ماذا كان يحدث ؟ ربما اتصلت ولامته ! ربما قامت بتهديده ! على أية حال سيكون الوضع أفضل من هذا الاضطراب والعذاب الذى تعانيه الآن .

تذرعت نسرين بالتعب ، وتوجهت إلى الفراش مبكرًا عن أية ليلة وكأن الأعشاب المهدئة قد أثرت عليها أكثر مما أثرت على بيتا ! وبعد عشر دقائق من انصراف نسرين أغلقت بيتا التليفزيون وتوجهت إلى حجرتها ، لكن جرس الهاتف رن وهى لم تكن قد تهيأت بعد للنوم . ما من شىء كان يتسبب فى ارتجافها فى الآونة الأخيرة بمقدار ما كان يتسبب فيه صوت الهاتف . توجهت مسرعة قبل أن تستيقظ أمها ورفعت السماعة ، لكنها فقدت القدرة على الكلام وكأن روحها قد فارقت كيانها ، لقد كانت تخاف فى الآونة الأخيرة حتى من ظلها ، لم تكن ترغب فى مواجهته بمثل هذا الاضطراب لكن صوتها كان يرتجف بوضوح ، وهى تقول :

- تفضل .

- سلام .

قالت بعصبية لكن بشيء من الهدوء :

- أى سلام ؟ لمَ لا تكف يدك عنى ؟ ألم تفكر فيمَ يفكر فيه الجيران ؟ هل جننت حقًا؟

قال كامران بنبرة مضطربة :

- ولمَ لا تخافين من هذا المجنون ؟

- ليس لك الحق فى تهديدى !

- لا ! إننى فقط أؤكد على كلامك ، نعم أنا مجنون ، لكن ماذا عنك ؟ متحجرة القلب !

- لمَ فعلت هذا التصرف ؟

- لقد جئت كى أحدثك عما فى قلبى .

- هكذا ؟ بهذا الشكل !!

- أنتِ السبب لأنكِ لا ترغبى فى الاستماع إلىّ .

- يا أستاذ يا محترم ، لم لا تنتبه ؟ أنا مرتبطة .

- و أنتِ أيضًا تعلمين أنكِ لو رغبتى تستطيعين أن تأتى فى الموعد الذى نحدده.

- ليس ممكنًا ، لا تفكر فى ذلك أصلاً.

- و عندئذ كيف تتوقعين منى ألا أكرر ما فعلته بالأمس ؟

- تريد أن تضعنى تحت ضغط ؟

- أنا أسمى ذلك دلالاً ، و لا أدرى ماذا تسمينه ؟

- أنا أسميه وقاحة و عدم أدب .

- فلتستمعى لكلام هذا الوقح عديم الأدب مرة واحدة على الأقل .

- قل ، أنا أسمعك .

- لا أستطيع الحديث فى التليفون ، يجب أن أراكِ .

- لا تفكر فى ذلك .

- إذن سآتى ثانية وأظل تحت الشباك حتى تردين علىّ بالإيجاب .

صاحت بيتا :

- ليس لك الحق فى مثل هذا التصرف .

قال :

- أنا بالقرب من شارعك ، و لا مانع لدىّ قط لأن أجعل المدينة كلها تنتبه إلىّ ، لأننى أعتقد أن هدفى أسمى و أكبر من أشياء أخرى أفكر فيها حتى كرامتى.

- و ما هو هدفك ؟

- امتلاك قلبك ، يكون ملكى !

وارتجف قلب بيتا و اضطربت بشكل ملحوظ . إن بابك نفسه لم يتحدث معها بمثل هذه الجرأة ، ضحكت وسألته :

- يعنى هذا أن حل القضية هو المقابلة ؟ لا أستطيع حقًا أن أثق فى وعدك .

قال كامران و هو سعيد :

- يعنى هذا أننى أستطيع رؤيتك ؟

قالت بيتا فى حيرة :

- هل يوجد لدىّ حل سوى هذا ؟ فى الحقيقة لقد أجبرتنى .

- متى ؟ و فى أية ساعة ؟

- ليس مهمًا بالنسبة لى ، كلما كان أسرع كان أفضل ، فلن تعد لى القدرة على تحمل هذا الاضطراب.

- غداً عصراً ؟

- أظن أنك عجول !

- أعتقد أنكِ عجولة كذلك ، فهذا ما شعرت به .

– فى أية ساعة ؟

– فى السادسة ، فى الكافتريا الموجودة داخل حديقة "ملت".

– ماشي ، أطلب منك فقط ألا تدخلنى فى حياتك أكثر من هذا .

رد فى سعادة :

– أردت فقط أن أثبت لنفسى أننى إذا ما قررت أصل إلى ما أريد .

قالت بيتا و هى تبتسم:

– لا تتفائل كثيراً يا كامران ، فأنا لست سهلة المنال كما تتخيل .

عندما نزلت بيتا من سيارتها أمام حديقة "ملت" كانت لا تزال تشك فى أمره ، لعلها كانت مدانة فى هذا الشأن إلى وجدانها ، اعتقدت أنها ستنتظره كما حدث فى المرة السابقة ، لكن حينما وصلت إلى الكافتريا رأته فى انتظارها، و مع رؤيته تملكها الضحك من فرط دهشتها ، لا شك أنه أكثر رجل متطفل رأته فى حياتها حتى ذلك الوقت ، و مع رؤيتها قام كامران من مكانه وظل واقفاً حتى جلست فى المقعد المقابل له .

ردت بيتا على سلامه بفتور وقالت فى هدوء:

– حقًا ، لم أر إنسانًا بمثل وقاحتك .

قال كامران مبتسماً :

– حسنًا ، بالتأكيد ليس سيئًا أن يكون الإنسان هو الشخص الأول فى كل أمر .

نظرت بيتا إلى وجهه الهادئ وقالت بشكل جاد :

– أى هدف لك من قيامك بمثل هذه التصرفات ؟

وضع كامران يده تحت ذقنه و نظر إلى عينيها و قال :

– أيجب أن نتجه بهذه السرعة إلى أصل الموضوع ؟

ردت بيتا بفتور و هى تشعر بعذاب الضمير :

– يجب أن تعلم أننى لم آت بعد الظهر كى أتناول معك النس كافيه أو الحلوى ! أنا مشغولة الآن تماماً و يجب أن أنصرف لإتمام هذه المشاغل .

قال كامران مازحًا:

- لن أتناول الحلوى ولا النسكافيه ، سنشرب الشاى .

رجعت بيتا إلى الوراء فى حيرة و نظرت إلى الزهور التى فوق المائدة ، واستدعى كامران الجرسون بإشارة من يده و طلب الشاى و الكيك ثم عاد يتأمل وجه بيتا ، فسألته و هى تحاول أن تبدو متماسكة :

- ما شأنك بى ؟

سحب كامران علبة السجائر ناحيته ، وقال :

- لم أر سيجارة فى يدك حتى الآن ، لو تدخنى واحدة لأعجبتك .

ردت بيتا :

- أشكرك ، أنا لا أدخن .

سألها :

- هل يضايقك أن أدخن ؟

ردت فى فتور :

- كن على راحتك ، و الأفضل أن ندخل فورًا فى صلب الموضوع .

قاطعها كامران قائلاً :

- حسنًا جدًا ، لتذكرى فقط أنك أردتى هذا دون مقدمات .

نظرت بيتا إليه و ظلت تنتظر ، كان قلبها يخفق كقلب عصفور أسير ، جف ريقها ، فقال كامران بكل جرأة و بلا حياء :

- أقسم بالله أننى أحبك .

خجلت بيتا و نظرت حولها فى ضيق ، فكان صوت كامران أعلى مما توقعت ، أرادت أن تقول شيئًا فقاطعها قائلاً:

- هتقولى إنك مخطوبة ، هذا ليس مهمًا بالنسبة لى ، ولو استدعى الأمر سأذهب إلى خطيبك و أركع أمامه و التمس منه أن يتركك لى ، ولو حتى يقتلنى فأنا على استعداد للموت من أجلك لأن قلبى يمتلئ بأكثر مما تتخيلين .

و نظر الفتيان و الفتيات - الذين كانوا يجلسون بالقرب منهما - إليهما، وشعرت بيتا بإحدى الفتيات و هى تهمس مشجعة لها :

- هل جننتى ؟ لقد جعلت الجميع ينتبهون إليكما!

قال كامران ثائرًا و بصوت مرتفع قليلاً :

- اتركى العالم كله يعلم حتى تصدقى ، بأية لغة أتحدث ، لقد تسببتى فى جنانى، أننى لا أرى شيئًا سواكى منذ فترة ، لا أرى سوى هذه العيون الساحرة الجذابة التى جعلتنى على استعداد كى أخسر العالم كله من أجلها ، أتظنين أن هذه العيون تتركنى لحالى للحظة واحدة ؟ حبيبتى ، إن الحب لا يعرفِ المنطق ، ولا المسئولية ، ولا الحدود ، ولا أشياء كثيرة أخرى تريدين أن تذكرينى بها ، أريدك أن تعلمى إننى متحمل مسئولية كل شىء .

لا شك أن الشباب بجوارهما كانوا يتهامسون بشأنهما ، و عندما سمعت بيتا إحدى الفتيات تقول لرفيقها :

- يقولون إن هذا هو الحب الحقيقى .

رغبت فى النهوض ، لكن قدميها فقدت القدرة على ذلك ، كانت تشعر أن العيون كلها تلاحظهما ، تملكتها الدهشة ، كيف يستطيع كامران الإفصاح عن أسرار قلبه بين كل هذه العيون ؟ كأنه لم ير و لم يشعر حقًا بأى شخص سواها ، و استمر فى الحديث بنفس الجرأة :

- بيتا ، أعلم أن قلبك لا يخلو من الرحمة ، لكن إذا تألم قلبك ذات يوم ممطر وأنتِ خلف النافذة على حال طائر كسير الجناح فاعلمى أنه أنا ، وأننى محتاج إلى قلبك وحبك .

همست بيتا التى كانت ينتابها التوتر بوضوح :

- يجب أن تخجل من نفسك .

قال كامران - الذى كان يبدو و كأنه فقد السيطرة على تصرفاته - إلى الجرسون الذى أحضر الشاى :

- قل لتلك السيدة متى كان الحب إثمًا ؟

نظر الجرسون إليه فى دهشة و قال :

- ماذا أقول يا سيدى ؟!

قال كامران بشكل جاد:

- قل لها فقط إننى أعلم أن حبى لها بلا حدود ، و لا أظن أن شخصًا يحب شخصًا آخر مثلما أحبها !

نظر الجرسون إليهما فى دهشة و قال :

- اسمح لى يا سيدى أن أنصرف لو لم تكن لديك أوامر أخرى .

وخلال ثوان حملت بيتا حقيبتها الصغيرة و هى تتصبب عرقًا ، وغادرت الكافتريا بسرعة فى حالة من الخجل ، و وضع كامران بعض النقود فوق المائدة وسار فى إثرها دون أن يلاحظ ما فعله بعض الشباب من حوله و هم يضعون كفًا على كف فى دهشة ، وقد قالت إحدى الفتيات :

- اعمل حساب الناس الموجودة !

وقالت أخرى :

- كم أنها مغرورة ، إنها حتى لم تقل جملة حب واحدة !

و قالت ثالثة :

- ربنا يوعدنا ، لمَ تكون التفاحة الحمراء فى يد المشلول !

وحينما وصل كامران إلى بيتا على بعد مسافة قدمين نسق خطواته معها وقال :

- لن أكف يدى عنك .

فقالت فى عصبية :

- إنك تقوم بتصرفات غريبة !

فرد قائلاً:

- سـأتى كل ليلة تحت شـبـاك منزلك إلى أن يحنو قلبـك على ، فكرى أصـلاً إننى حارسك .

هددته بيتا قائلة :

- سأطلب لك الشرطة ، إن قدومى اليوم أيضًا من الخطأ ، كنت أظن أن لديك كلمتين تود الحديث بهما .

قال كامران و هو يضحك :

- يا إلهى ، تشعرين بعذاب الضمير !

قالت بيتا بنفس السرعة التى كانت تسير بها :

- كيف تتحدث عن الضمير ؟ ألم تشعر بعذاب الضمير و أنت تلاحق إمرأة مخطوبة؟

رد قائلاً:

- لو أتخلى عن قلبى أشعر بعذاب الضمير بشكل أكثر .

قالت :

- استحلفك بالله ألا تتبعنى بهذا الشكل ، لقد جعلت المدينة كلها تلاحظنى .

قال شاب إلى كامران و هو يمر بجوارهما :

- إنت ملكش أخت أو أم ؟!

- مر كامران دون مبالاة بجواره فتقدم أحد مسئولى الدورية ، وقال :

- انتظر أيها السيد ، أنا أريدك .

وقف كلاهما حيث حدث ما لا ينبغى أن يحدث ، سأل المسئول كامران :

- ما شأنك بهذه السيدة ؟

رد كامران على الفور :

- نحن معًا يا سيدى .

فقال المسئول :

- عجبًا ! ولمَ تجرى وراءها ؟

أرادت بيتا أن تنصرف ، فسألها المسئول :

- أيمت لك هذا السيد بصلة ؟

نظرت بيتا إلى كامران فى صمت ، فلو أيدت حديثه فكأنها قد صدقت على تصرفاته ، فقالت على عكس رغبتها أملاً فى أن يكف عنها :

- لا ، لا صلة لى به .

فسألها المسئول بشىء من الشك :

- يعنى هذا أنكما لا تعرفان بعضكما من الأساس ؟

قالت :

- لا يا سيدى ، لا يعرف أحد منا الآخر .

فسأل المسئول ثانية :

- يعنى هذا أنه يتعرض لكِ ؟

قالت بيتا بكل قسوة :

- نعم ، أظن ذلك .

قال كامران :

- هذا ليس صحيحًا ، بيتا ، تكلمى .

قال المسئول إلى بيتا :

- تفضلى أنت و تجنبى المجئ بمفردك ثانية إلى الحديقة فى مثل هذه الساعة .

سألته بيتا فى تردد :

- وماذا عنه ؟

قال :

- يجب أن يأتى إلى قسم الشرطة لإنهاء بعض الإجراءات .

فتحت بيتا طريقًا لها بين الذين التفوا حولها و غادرت المكان بسرعة وهى غير راضية عما آل إليه الأمر .

* * *

كانت بيتا تجول فى حجرتها منذ عودتها إلى المنزل كالطائر الذبيح ، من الطبيعى ألا تستاء بسبب تخلصها من كامران ، لكن ثمة إحساساً كان يتملكها! كأنها كانت غير راضية إلى حد ما عن انتهاء أمره ! و إلا لما لفت انتباهها صوت جرس الهاتف ؟ إنها كانت تخشى فى الحقيقة أن يتمادى فى تصرفاته ، فربما ييأس منها بسبب تصرفها هذا و يكف عن ملاحقتها !

ظلت بيتا تروح و تجئ حتى ألم بها التعب فجلست على حافة السرير ، تذكرت بابك ، ارتجفت من تذكره و من تصرفاتها تجاهه ، لا ! لم تكن لديها القدرة فى تلك الليلة أيضًا على مواجهته ، رفعت السماعة بسرعة ، اتصلت ، كانت و كأنها تريد أن تعاقب نفسها ، تمنت أن يرفع بابك السماعة حيث لم تكن لديها الطاقة لسماع مهاترات الآخرين . إنه أكثر صبراً و هدوءًا من الآخرين، لكن أمنيتها لم تتحقق حيث رفعت فرشته السماعة بدلاً من بابك ، وما أن سمعت صوتها حتى قالت:

- لا أدرى ماذا أسمى ذلك ؟ كنت أقول لأخى قليل التحمل المتسرع هذا ألا يقلق عليكِ ، فأينما تكونين ستعودين إلى هنا !

قالت بيتا :

- لا تتطوعى بالحديث من عندك دون وعى .

سألتها فرشته فى دهشة :

– يعنى مش هتيجى النهاردة ؟ إزاى قلبك طاوعك ؟ أتعلمين أنكِ لم تأت لزيارة بابك منذ أيام ؟

قالت بيتا مازحة :

– قللى شوية من شغل أخت الزوج ده ، بالتأكيد أنا مشغولة .

– و متى ستنتهى مشاغلك تلك ؟ هل تتدللين علينا ؟ يجب أن أقول لكِ إنك عزيزة علينا بالقدر الكافى ، سوف يغمى على بابك الآن لو سمع هذا الكلام.

ضحكت بيتا و قالت :

– ممكن تديلو السماعة ؟

و دعتها فرشته و هى متأثرة بعض الشىء و تركت السماعة لبابك ، وقالت بيتا بعد أن سمعت صوته و بعد الاستفسار عن أحواله بشكل مقتضب :

– إنت كويس يا بابك ؟ أتمنى ألا تتضايق منى ، أنا مشغولة فعلاً .

سألها :

– ماذا حدث ؟ أهناك ما تخفينه عنى ؟

أجابته :

– الموضوع مش كده .

– إذن ماذا حدث ؟ ربما رؤيتى تؤذيكِ وأنا فى هذه الحالة !

– ما هذا الكلام يا بابك ؟ هل من الممكن أن يحدث هذا لى ؟ لا تفكر فىّ بهذه الصورة .

– اعذرينى ، لا يجب أن أكون أنانيًا بهذا الحد ! معك حق ، هل تعلمين حبيبتى؟ حينما يمرض الإنسان يكون حساس للغاية ، لا أدرى ربما أصبحت ألتمس الحجج! هل تضايقتى منى ؟

- بالتأكيد لا ، أنت على حق ، لكن يجب أن تعطينى أيضاً الحق .

- على هذا لن تأتى الليلة ، صح ؟

- نعم لو لا يضايقك .

- ماشى ، لا أريد أن أضغط عليكِ ، لكن لتعلمى أنكِ وحشتينى جداً .

- و أنا كذلك ، و ثق أننى سوف آتى لزيارتك فى أقرب فرصة .

ظلت بيتا تلوم نفسها بعد انتهاء المكالمة لعدة دقائق، لم تكن تفهم ماذا يحدث، رغبت فى الخروج من حجرتها إلا أنها ظلت بها مع سماع صوت الهاتف ، رفعت السماعة ، وضعتها على أذنها دون أن تنطق بحرف ، وانتظرت، قال كامران بعد انتظار للحظات :

- لمَ فعلتِ ذلك يا بيتا ؟ هل أردتى أن تثبتى أن الحب إثم ؟

اضطربت بيتا إلا أنها ظلت فى صمتها ، و استطرد قائلاً :

- ألم تفكرى أن حبى ذو أساس متين لا يموت بمثل هذه الأمور ، لا ضير فى ذلك ، فكل ما يصل من الحبيب مستحسن ، لقد اتصلت كى أقول لكِ إن كلامى ليس كلاماً فقط، و أنا قريب منك ، و خلال عشر دقائق ستشاهديننى أمام النافذة.

قالت بيتا فى رجاء :

- لو سمحت ، لا تفعل ذلك ، أرجوك ، بالتأكيد إنك مستاء لما حدث بعد الظهر، لكنك أنت السبب .

قال كامران :

- إن ما أفعله لا علاقة له بما حدث بعد الظهر ، فى الواقع أنا أحبك ، و ما فعلته اليوم، أو ما تفعلينه فى أى وقت لن يؤثر على حبى لك ، أريد أن أكون أمام عينيك وعليك أن تكفى عن هذه القسوة ، و أعدك ألا أكون سبباً فى ضيقك.

- ضيق ؟ إننى لا أزال أرتجف مع تذكر تلك الليلة . لا أدرى ، أتسمى ما قمت به ضيقاً أو أذً ؟

- أعتذر لكِ عما حدث فى تلك الليلة، لم يكن بيدى ، إننى لم أرك منذ فترة وجن جنونى لذلك ، لكننى سآتى الآن دون مخاطر ، أريد فقط أن أكون بجوارك . أريد أن تنظرى لضوء القمر وقتما تأتى بجوار النافذة ، لتلقى نظرة علىّ و أنا أعد النجوم شوقًا لرؤياكى ، أريد أن أكون فى استقبال النسيم، فرائحته تختلط برائحتك ، أريد أن أفهمك يا بيتا ، لتقولى لى أين مفتاح قلبك ؟ لتقولى لى كيف أدخل إلى قلبك؟

ونجح فى أن يقلل من ضيق بيتا ، لقد كان بارعًا فى انتقاء الكلمات والسيطرة على المشاعر ، قام بهذا الأمر بجدارة سحرت مخاطبه ، أرادت بيتا أن تتحدث و لكنها لم تستطع ، وضعت السماعة برفق فوق الهاتف ، وجلست فى مكانها . إنها لم تكن تفهم هى نفسها لم تبكى ؟ كانت دموعها تنهمر دون توقف و الصور مبهمة أمام عينيها . كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تواجه نسرين بذلك الوضع ، مسحت وجهها و خرجت من غرفتها ، كانت أمها قد خرجت توًا من الحمام ، و ما أن توجهت ناحية النافذة حتى قالت :

- ماما ، لو تريدين الذهاب إلى منزل خالى فلا تنتظرين . فقد اتصلت ببابك .

اعترضت نسرين قائلة :

- يعنى إيه ؟ إيه التصرفات دى ؟

أزاحت بيتا الستار و قالت :

- لقد وضحت له الأمر يا أمى ، بالله عليكِ لا داعى للصوت العالى .

و اضطرب قلب بيتا مع رؤيتها سيارة كامران ، أسدلت الستار وعادت إلى نسرين ، كانت لا تزال تنظر إليها فى تأثر ، فسألتها بيتا:

- ماذا حدث يا أمى ؟ هل ارتكبت ذنبًا كبيرًا ؟ لست مستعدة اليوم ، ما من سبب يجعلنى أذهب هناك كل ليلة!

قالت نسرين فى أسف :

- مسكين يابن أخويا ، لازم تستحمل التصرفات دى العمر كله !

غضبت بيتا وقالت :

- هو لا يعترض و أنت تعترضين ؟! حسنًا يا أمي ، لا طاقة لي على إدانتكم لي حتى يوم القيامة ، استعدي ، أنا جاية معاكي .

وفي الحقيقة كان قرار بيتا المفاجئ بزيــارة بابك ذريعة للابتعاد عن كامران، من وجهة نظرها كان يجب عليها أن تبدي معارضتها بشكل ما ، وأصعب شيء هو مرورها من أمامه والانصراف من المكان لكنها فكرت في خشية: " ليت أمي لا تنتبه إلى وجوده ".

(٢٢)

نظرت نسرين أكثر من مرة من الشرفة تجاه الشارع وهمست بشيء ما ، وحاولت بيتا أن تبدو متماسكة رغم حالة التوتر التى كانت تنتابها ، كانت نسرين فى الحقيقة تشك فى حضور كامران منذ يومين أو ثلاثة ، إلا أنها كانت تضغط على أعصابها بقدر المستطاع . لم تستطع تذكر المكان الذى رأته فيه ، سألتها بيتا بصوت يكاد يرتجف :

- ما بكِ يا أمى ؟ هل فقدتى شيئًا فى الشارع أم تنتظرين أحدًا ؟ فى الحقيقة كانت تريد أن تعلم ما الذى كانت تفكر فيه بطرحها هذا السؤال عليها ، جلست نسرين على المقعد المجاور للمدفأة وقالت وهى تفكر :

- لا أعلم أين رأيت ذلك الرجل ؟ شكله مألوف بالنسبة لى .

تجرأت بيتا وقالت :

- عمن تتحدثين يا أمى ؟

ردت عليها قائلة :

- عن ذلك الذى يأتى هنا فى أوقات الغروب ، إننى أشك فيه .

اضطربت بيتا لكنها قالت بابتسامة مفتعلة :

- ماذا يعنى هذا يا أمى؟ لمْ تكونى فضولية تجاه الناس بذلك القدر ، ربما إنه يريد أحدًا من الجيران ، ما دخله بنا ؟

قالت نسرين :

- وا؟ من منا الفضولى ؟ يأتى ويسرقنا ، لو كان يراقبنا ماذا نفعل ؟ ألسنا امرأتين وحيدتين ؟

ضحكت بيتا من أعماقها وهى تتخيل كامران فى زى اللصوص ثم قالت :

- تتحدثين كالسيدة ماربيل يا أمى ، أين هذا اللص ؟ أى لص هذا الذى يأتى قبل قيامه بالسرقة ويقف فى المكان ويُظهر نفسه هكذا ؟ !

قالت نسرين بشكل جاد :

- لا تضحكى ، إذن كيف تتخيلين حدوث كل هذه السرقات وجرائم القتل ؟ إننى أشك فى هذا الرجل ، ربما يأتى أيضًا ويتشمم أخبارنا .

اضطربت بيتا ، فأسوأ حالة هى أن تقابل أمها كامران وجهًا لوجه ، ماذا يحدث عندئذ ؟ ربما يكرر كامران مطلبه بتلك الجرأة التى لمستها فيه بيتا ! تذكرت آخر حديث له ، لقد تعدى كل الحدود ، ولا شك أنه أكثر راغبى بيتا تطفلاً . نظرت إلى وجه أمها ، لم تكن قلقة ، من الضرورى أن فكرها اتجه اتجاهًا آخر بعيدًا عنه وإلا فالأحداث التالية لم تكن من الأساس قابلة للتوقع . نهضت من مكانها وقالت :

- إنتِ فاضية يا أمى ؟ ليه شاغلة نفسك بالتفكير فى حاجات مالهاش لازمة ؟ تشربى شاى ؟

ردت نسرين :

- ماشى ، رأيك ألا نتصل بقسم الشرطة ؟

ارتجفت بيتا وتصببت عرقًا ثم قالت :

- قسم الشرطة ؟ لمَ ؟ ! ما علاقته بنا ؟ ! هو مفيش غيرنا فى الحى ؟

قالت نسرين فى قلق :

- لازم ناخد احتياطنا ، كل البيوت فيها رجالة ، لكن إحنا إمرأتان وحيدتان .

قالت بيتا :

- وعلشان احنا إمرأتان وحيدتان لازم يسرقنا ؟ انهضى يا أمى كفاية كده الليلة، أعتقد إننا لو جلسنا أكتر من كده هتشكى فىّ ، هيا بنا وسوف أغلق الأبواب بالقفل ، مش كنتى عايزة شاى ؟

همست نسرين وهى تخرج من غرفة الاستقبال :

- لكن يا بيتا شكله مألوف جداً عندى ، مش عارفة شوفته فين ؟ ده من أثر الشيخوخة وآلام الأمراض الأخرى .

وحينما خرجت نســـرين من الغرفة تنفســـت بيتا الصعداء وفكرت وهى تنظر من خلف الستارة على سيارة كامران " إلام تستطيع الاستمرار فى لعبة القط والفأر هذه "؟

* * *

وقبل الظهر من يوم الجمعة طلب الخال بإلحاح أن تتناول نسرين وبيتا الغذاء معه ، ولم ترغب بيتا فى ذلك ، ولكن مع إصرار الخال وافقت رغماً عنها. إنها لم تكن تفهم هى نفسها لمَ كانت فى تلك الأيام تميل إلى العزلة ؟ كانت تريد أن تكون فى مكان بعيد عن الضجة والناس والمسئولية كى تفكر فقط ، لقد كان عجيباً من وجهة نظرها كذلك عدم رغبتها فى رؤية بابك .

فى ظهر ذلك اليوم ، حينما كانت تنظر فى مرآة سيارتها رأت كامران يلاحقها فكرت فى حيرة وحمدت الله أنه راعى وجود مسافة بينه وبينها وإلا ما كان قد عُلم ماذا حدث مع وجود ذلك الإحساس الذى لدى أمها عنه !

وقفت بيتا أمام منزل الخال كى تدخل أمها وتستطيع هى أن تتفقد من حولها بشكل أيسر . كان عجيباً من وجهة نظرها ألا يكون هناك خبر عنه ، ربما كان فى نفس المكان يراقبها ، لكن أياً ما كان الحال فقد هدأ بالها .

حينما دخلت الفناء رأت بابك خلف نافذة حجرته وهو على المقعد يشير إليها بيده ، كان جسده ضعيفاً بعض الشيء ويبدو أكثر نحافة ، مال قلبها إليه للحظة ، وحينما رغبت فى الصعود السلم علا صوت الخال من ناحية الفناء الكبير ، حيث كان متجهاً ناحية الموقد ، وقال لها :

- كيف حالك يا عروستى ؟ عجباً ! تعالى وانظرى ماذا يفعل خالك !

ألقت بيتا السلام عليه واتجهت ناحيته ، فقال لها وهو يقبل وجهها :

- لقد كنت متأثراً بعض الشيء لكن قلبي لم يطاوعني أن آكل بدونك ، قلت للأولاد هتصل علشان تيجي إنتِ وأختي .

قالت بيتا وهي تبتسم :

- أشكرك يا خالي الحبيب ، دايماً تفكر فينا .

قطب الخال جبينه بشكل مفتعل وقال :

- جيتي متأخرة تاني ، هو أنتِ غريبة عنا ؟ لماذا تتكلفين في الحديث حبيبة خالك؟

ضحكت بيتا وعادت إلى بابك ، فقال الخال مازحاً :

- خلي بالك منه ، ده في حالة وكأنهم خطفوكي منه !

تأثرت بيتا ، فقال الخال وهو ينقل الفحم :

- ده بيحبك جداً ، إنتِ عارفة كده ؟

شعرت بيتا بعذاب الضمير ، إنها كانت تخصه بأوقات قليلة في تلك الفترة ، قال الخال :

- روحي إنتِ حبيبة خالك ، حاولي تخففي عنه ، فمكوثه في المنزل جعله في حالة من الضيق !

سألته بيتا :

- كيف ذلك ؟

قال الخال :

- كان من يومين عايز يفك الجبس ومنعناه .

سألته بيتا :

- وما رأي الطبيب ؟

انتظر الخال قليلاً ثم قال :

– بيقول لازم يصبر أسبوعين كمان ، وابنى انتهزها فرصة وكأنه طفل صغير رزقنى الله به من جديد !

التفتت بيتا إلى الخال فى دهشة ، إنها لم تشاهده يتحدث عن بابك بهذه الصورة حتى ذلك اليوم ، فضحكت وقالت :

– لا تقلق ياخالى الحبيب ، لقد فات الكثير ولم يبق إلا القليل(*) ، وبابك ولد عاقل.

نظر الخال فى عينيها وقال بحب واضح :

– أمله فيكى الآن .

أرادت بيتا أن تقول شيئًا فإذا بفرشته تقول بصوت عالٍ :

– فيمَ تتحدث العروس وحماها ؟

ضحكت بيتا وقال الخال :

– قولى لأمك إن الموقد جاهز.

قالت فرشته وهى فى مكانها :

– كيف حالك يا بيتا ؟ منذ فترة لم تأتِ وعندما أتيتِ تبقين فى الفناء ؟!

قالت بيتا وهى تمضى نحوها :

– أردت أن أعرف مقدارى .

تقدمت فرشته عدة خطوات وقالت وهى تقبلها :

– بابا ، لقد خرج قلب بابك من حلقه .

وضعت بيتا يدها حول وسطها وقالت :

– لقد رأيته خلف النافذة ، دعينى أسلم على زوجة خالى ثم أذهب لرؤيته .

قالت فرشته :

– عجبًا ! أخيرًا خرجتِ من البيت ياست الهوانم !

(*) پرش رفته كمش مونده : مثل فارسى يعنى إن الكثير قد فات ولم يتبق إلا القليل ، ويستخدم للدلالة على اقتراب بلوغ الهدف ، ويوجد نظيره فى العربية «فات الكثير ومابقى إلا القليل».

قالت بيتا :

- أنا أسأل عنكم دومًا ، لمَ كل هذا اللوم ؟

فتحت فرشته باب المنزل وقالت :

- أنا مبسوطة لإنك عرفتى تخلى نفسك عزيزة .

وضعت بيتا يدها حول وسطها ودخلتا معًا إلى المنزل ، وقالت زوجة الخال وهى تستقبلها بالبخور :

- حسنًا ، حسنًا ، ماشاء الله على وردتنا العروسة ، كيف حالك يا ماما ؟ عجبًا!

قالت بيتا وهى تقبلها :

- كيف حالك يا زوجة خالى ؟ أنا دايمًا تعباكى .

قالت زوجة الخال فى سعادة بالغة :

- مكانك يا ماما فى عينى ، ما هذا الكلام ؟ كنت أقول لأمك الآن إن قدومك شىء محبب بالنسبة لى وكأن الله قد منحنى كل شىء دفعة واحدة .

طأطأت بيتا رأسها وقالت :

- هذا من لطفك يا زوجة خالى ، أتمنى أن أكون جديرة بهذه المحبة .

قالت زوجة الخال :

- اذهبى إلى بابك وسأناديك عند تناول الغذاء

ثم أضافت بعد ذلك بصوت منخفض :

- انصحيه شوية حبيبة أمك ، لقد وضع قدمه فى الحذاء منذ يومين وقال أريد أن أحل الجبس من يدى وقدمى .

قالت بيتا :

- لقد قال لى خالى ! لا يجب أن يفعل ذلك ، إنه يضيع ما قام به الطبيب هباء .

قالت زوجة الخال :

- لقد قلنا له هذا الكلام لكننى أعلم أن حديثك معه شىء أخر .

نظرت بيتا إلى أمها ، كانت صامتة ، فسألتها :

- كنتِ عارفة يا أمي ؟

ردت :

- لقد أبلغنى خالك .

فسألتها بيتا فى اعتراض :

- طيب ليه ما عرفتنيش ؟

قالت نسرين على الفور :

- اعتقدت إنك عارفة ، كما أنكِ كنتِ فى حالة لم تسمح كى نتحدث معًا .

قالت فرشته :

- لم يحدث شىء حتى الآن ، لقد منعناه ، وحان الوقت لدورك يا بيتا .

قالت بيتا وهى تعتذر إلى الجميع وتتجه ناحية حجرة بابك :

- اسمحى لى يا زوجة خالى ، سأعود إليكِ بعد ذلك .

قالت زوجة الخال بكل الحب :

- أنا لا أريدك فى شىء يا حبيبتى ، روحى وخدى راحتك .

* * *

دخلت بيتا غرفة بابك وأغلقت الباب خلفها ، ومد بابك يده اليسرى إليها بمجرد رؤيتها وسلم عليها ، واستلت بيتا يدها من بين يديه وجلست على حافة السرير ، وقالت :

- كيف حالك يا بابك؟

كانت نبرتها تتسم بالعطف ، ربما كان ذلك تأثرًا بحديث الآخرين لها ، ربما كانت الحالة التى رأت فيها بابك هى التى غيرتها ، قبّل بابك يدها وقال :

- لقد تأخرتى كثيراً .

قالت :

- لقد جئنا بمجرد أن اتصل خالي بنا ، لمَ ضعفت إلى هذا الحد ؟

لم يتفوه بابك بكلمة ونظر إلى وجهها صامتًا فسألته :

- ما قالوه كان صحيحًا ؟ لم أكن أعلم ، واندهشت لأن أمي لم تخبرني بشيء !

قال بابك مبتسمًا :

- أوصى عمتى دومًا ألا تزعجك بمثل هذه الأمور لأن امتحاناتك على وشك .

شعرت بيتا بالخجل وقالت :

- لا أريد أن تفكرفيّ بل فكر في نفسك ، ما هذه التصرفات الطفولية ؟ أتريد لا قدر الله أن تضيع تعبك وتعب الآخرين هباء ؟ ومن الأساس كم بقي على وضعك هذا؟ أتريد أن تتعذب عمرًا بأكمله بسبب بضعة أيام ؟ أتعتقد أن كسر العظام شيء سهل؟

قال بابك :

- صدقيني لقد تضايقت من نفسي .

قالت بيتا بشكل جاد :

- دومًا تكون الأيام الأخيرة أكثر تعبًا لكن ما من حيلة يجب أن تتحمل ، أتظن أنني سعيدة وأنا أراك في هذه الحالة ؟

طأطأ بابك رأسه وقال :

- أعلم أن هذه الظروف تمر عليكِ أشد مما تمر عليّ . فلا خروج ولا ترويح عن النفس ونحن خطيبان !

قالت بيتا :

- هذا ليس مهمًا بالنسبة لي من الأساس ، أريد فقط أن تتحسن في أسرع وقت ، وأريد أن تعلم إذا ما تصرفت بدون عقل فسوف تتسبب في ألمي !

قبّل بابك يدها ثانية ونظر إليها ، كم كان مظلومًا وبريئًا فى نظر بيتا وهو فى تلك الحالة وبذلك الشكل غير المهندم ، وقال :

- مهما قلتِ فأنتِ حبيبتى ، قولى لى فقط أنكِ غير مستاءة منى بسبب هذه الظروف!

- لمَ يجب أن أكون مستاءة ؟ هل كان الذنب ذنبك أم أنك متعمد هذا الحادث ؟

- أنتِ أحلى مخلوقة رأيتها فى حياتى .

- احذر فقط أن تتعب هذه الحلوى قلبك .

وضحكا ثم قال بابك :

- كان قلبى مقبوضًا اليوم منذ الصباح .

- لمَ ؟

- واضح أننى أتحسن بمجرد رؤيتك !

- يجب أن تسامحنى ، كنت مشغولة جدًا هذه الأيام .

- معكِ حق ، فقط لا تضغطى على نفسك .

- لا تخف ! كل ما كان الشئ قويًا تأخر فساده ، ألا ترى كم امتلأت على العكس منك!

- الحمد لله ، ففى هذه الظروف أكون أكثر قلقًا لأننى أفكر فيكِ أكثر . حقًا ، ماذا حدث لسيارتك ؟ لقد رأيتها من خلف النافذة .

وأحيا سؤال بابك تلقائيًا ذكرى كامران فى ذهنها ، فقالت فى ارتباك :

- عملت حادثة ، لا أعلم كيف حدث هذا ؟

ضحك بابك وقال :

- ليس مهمًا ، سأجعلهم يصلحونها لكِ ، هل حدث شىء لكِ ؟

ضحكت بيتا وقالت :

- لا ، لم أكن أسير بسرعة .

فقال :

- عجبًا ، لم تقل عمتى شيئًا لى .

رفعت بيتا كتفها وقالت :

- ربما لم ترد ذلك حتى لا تقلق !

- بالله عليكِ خلى بالك من نفسك أكثر من كده .

- من يعطى النصيحة لمن ؟ أنسيت أن ما ألم بك كان بسبب قيادتك ؟!

- كنت أسير بسرعة كى أصل إليكِ .

كانت بيتا تنظر إليه فى دهشة ، وطأطأ بابك رأسه وقال مؤيدًا حديثها :

- أنا بتكلم جد .

قالت بيتا فى دهشة :

- هو أنا كنت ههرب علشان تسوق بالسرعة دى ؟ وعلى كلامك ده أنا السبب فى هذا الحادث ؟

نظر بابك إلى عينيها وقال :

- إن سبب هذا الحادث هو عشق بيتا .

تأثرت بيتا ورغبت فى النهوض ، فأمسك بابك يدها بإحكام وهمس :

- بحبك .

ابتسمت بيتا دون أن تنظر إليه وقالت :

- سأذهب إلى زوجة خالى لأساعدها .

قال بابك مازحًا :

- أنا أكثر احتياجًا لكِ

ضحكت بيتا ورفع بابك كتفها بيده وحثها على النظر إلى عينيه ، كم كان وميض الشوق يتراقص فى عينيه ، أرادت بيتا أن تقول شيئًا فجذبها نحوه...

(٢٣)

في يوم الأربعاء من الأسبوع التالى وبينما نفذ الوقود من بيتا نظرًا لعدم تنبهها ووقفت بجوار الرصيف فاجأها كامران . كان مهندمًا تمامًا ويحتفظ على شفتيه بابتسامة ذات مغزى وما أن رأته بيتا حتى تذكرت المتاعب التى تسبب فيها مؤخراً بسبب تواجده ليلاً فى محل سكنها وغلا الدم فى عروقها ! فكرت " كيف يتمكن من مواجهتى بذلك الفتور والهدوء ؟" ، قال كامران - الذى كان يتجاهل رد فعلها - وهو يفتح باب الصندوق الخلفى :

- كيف حالك يا بيتا ؟

من وجهة نظر بيتا كان هذا السؤال من أكثر الأسئلة عديمة المعنى حيث يطرحه بعد تسببه فى شكوك نسرين وقيامه بحرب الأعصاب من خلال الهاتف وإيجاد الاضطراب والخشية بسبب ملاحقته لها فى ضواحى المدينة وشوارعها وقالت فى عصبية :

- كيف تستطيع مواجهتى بعد كل هذه المتاعب التى سببتها لى ؟

قال كامران مازحًا بينما كانت الرياح تداعب شعره الطويل :

- لا شك أن هذا المكان ليس مكانًا مناسبًا للاستجواب ، لكن إذا ما كنتِ مصرة فلا كلام لدى ، ترين إن الرياح ستطير شعرى معها !

صاحت بيتا فى عصبية :

- من الأفضل أن تطيرك أنت وإلا لفعلت أنا ذلك ، حقًا ، ماذا يدور فى رأسك ؟ ألم تتعب ؟

قال كامران وهو يُخرج خرطوم الوقود :

- لقد تزودت بالوقود توًا وأعتقد أننا نستطيع أن نصل معًا إلى ما نريد .

قالت بيتا بعصبية أكثر من ذى قبل :

- لا حاجة لى بوقودك يا سيد ، لو سمحت دعنى لوحدى .

وقف كامران وقال :

- لمَ تعذبين نفسك هكذا ؟ ثقى أن أحداً لا يستطيع أن يساعدك هنا فى مثل هذه الساعة من النهار.

- لتذهب إلى الجحيم ! فى نهاية هذا المكان الخرب محطة وقود ، سأذهب وأتزود منها.

- نعم ، لكن إلى أن تعودى ستكون سيارتك إما إنها اختفت ولو كانت موجودة فلن تكون صالحة للاستخدام ، فضلاً عن هذا من ذا الذى تثقين فى الركوب معه ؟

- لا دخل لك بهذا ! أفضل أن يحدث لى أى شىء على أن أكون مدينة لك!

- على الأقل فلتأت حتى أوصلك .

صاحت بيتا :

- ألم تفهم ما قلت ؟ دعنى وشأنى !

قال كامران بشكل جاد :

- لم أفعل ذلك ، لا أستطيع أن أتركك فى مثل هذا الموقف .

وفجأة انفجر غضب بيتا وصاحت وهى تبكى وتدق بقدمها على الأرض :

- لتذهب إلى الدرك الأسفل ، دعنى وحدى ، يكفى كل ما سببته لى من متاعب! أذهب ودعنى أموت فى ألمى ، أتتوهم أن ما تقدمه لى هو حب ؟ ألا تعلم قط كم تسببت لى خلال هذه المدة فى المتاعب وحرب الأعصاب ؟ ألا تعلم قط أنه منذ الوقت الذى دخلت فيه حياتى قد سلبتنى الراحة والهدوء ؟ لا ! أنت لا تعلم شيئًا قط ! لأنك غريق فى لعنة الأنانية ، الأنانية ، الأنانية !

طأطأ كامران برأسه ولم ينطق بكلمة وسندت بيتا رأسها على السيارة وبكت بصوت عالٍ ، لم يكن سبب بكائها مفهوماً حتى لديها ، كانت تعلم أنها لن تهدأ طالما لا تبكى ، أخرج كامران علبة المناديل الورقية من سيارته واتجه ناحيتها، لكن بيتا تجاهلته واستقلت سيارتها ، وأخذ كامران ينظر لعدة ثوانٍ على السيارات التى كانت تمر بهدوء بجوارهما ثم قرر فجأة أن يركب سيارتها ويجلس بجوارها . وضعت بيتا رأسها على عجلة القيادة هربًا من نظراته الحائرة إليها وأغلقت عينيها ، فقال كامران فى هدوء :

- أرجوكِ ، اسمحى لى أن أملأ لك الوقود ثم انصرف إذا ما شئتِ ، أرجوكِ!

ردت بيتا فى عصبية :

- لو أنك حساس وقلق بهذه الدرجة علىّ فمن الأفضل أن تكف يدك عنى ولتمض إلى حال سبيلك ! فربما لا تعلم أنك تتسبب لى فى المتاعب !

- لمَ؟

اتجهت ناحيته وصاحت :

- لمَ ؟ ! من المدهش حقًا أنك لا تعلم ! هل تتوقع أننى أصدقك ؟

- لا ! لا أتوقع ذلك !

- إذن ماذا ؟ تريد أن تثبت عشقك وحبك ؟ بابا ، أتحدث أنا بأية لغة ؟ أنا مخطوبة وسوف أتزوج قريبًا !

- أعلم !

-إذن لماذا كلامك هذا ؟

- لأطمئن فقط أن قلبى لا يكذب علىّ قط !

- لا شك أنك تقصد أننى أكذب ، صح ؟

- لا ! لكن أنا واثق أننى لا أخطئ بشأنك ، بيتا ، إنك لم تُخلقى من أجل بابك، وأنتِ تعلمين ذلك !

واضطرب قلب بيتا من نظرته وجرأته فى الحديث ، كانت تريد أن تبدو متماسكة تمامًا ، لكنها كانت تعلم أنها لا تستطيع بذلك الوجه واللون المتغير أن تخفى حيرتها ، ومع هذا قالت كمن معه الحق :

– لا يحق لك أن تحكم علىّ هكذا !

قال كامران بابتسامة ذات مغزى :

– من الأفضل أن ترتدى هذا الرداء أمام الآخرين ، فأنا على يقين من أنه ليس رداءك كيقينى بضوء النهار ! لقد حاكوه على جسدك .

قالت بيتا بصوت يرتجف وبعصبية بسبب علمه بأفكارها :

– انزل من سيارتى بسرعة ، لا أريد أن أراك ثانية .

– أهذا من أجل سماع الحقيقة ؟!

– إن للجرأة والوقاحة أيضًا حدود ، كان علىّ أن أوقفك عند حدك من البداية ، انزل من سيارتى .

– ليس لتصرفك هذا أى تأثير على مقدار حبى لكِ .

وتقدم برأسه وأضاف بكل هدوء وبشكل جاد :

– لأننى أحبك بلا حدود أيتها الفتاة العنيدة !

وأصاب بيتا الذهول لعدة ثوان وتسمرت فى مكانها ، ثم قال وهو ينزل من السيارة :

– حسنًا جدًا ، سأمضى ، لكن لتعلمى أن الذى تحتاجينه هو زوج من الآذان الصاغية!

وفى اللحظة الأخيرة أمسك برسغ يدها اليمنى بإحكام ، وتسمرت بيتا فى مكانها وهى فى حالة من الذهول . فى الحقيقة كانت هذه هى المرة الأولى التى حدث فيها تلامس جسدى بينهما خلال تلك الفترة . قال كامران بهدوء :

– لن أدعك تهربى من يدى ثانية أيتها الغزال ، على الأقل ليس قبل أن تسمعى كلامى كله !

قالت بيتا بصعوبة وكأن لسانها قد عقد وكل كيانها يرتجف :

- أى كلام ؟ ليس لدينا كلام للحديث !

وضع كامران يده الأخرى بجوارها وابتسم قائلاً :

- لا تخافى ، لست مخيفًا لهذه الدرجة التى تعتقدينها ، فى المرة السابقة لم تمنحينى الفرصة كى أتحدث بكل ما لدى ، لكن بعد إذنك أريد أن أكمله هذه المرة .

انتظرت بيتا وهى جالسة تتملكها حالة من الدهشة ، وأخذ كامران يتحدث بعد انتظار طويل :

- الحقيقة إننى .... إننى ، ماذا أقول ؟

كان مرتبكًا بعض الشىء لكنه لم يكن مستعدًا للتراجع :

- الحقيقة إننى لم أفكر فى أى وقت قط أن اضطر للحديث معكِ فى مثل هذه الظروف، الحقيقة إننى لم أرغب فى أى وقت قط فى أية فتاة مثلما أرغب فيكِ ، ومنذ أن تعرفت عليكِ أتجول هنا وهناك وتغير نمط حياتى ، نعم ! لو تودين معرفة الحقيقة فإن كل هذه اللقاءات التى كانت مع مريم كانت حجة فقط للوصول إليكِ، لأننى لم أكن أستطيع أن أكذب على نفسى فأحبك من أعماق قلبى وأتظاهر بحبى لمريم ، لم أكن أستطيع الحديث معها وأنا أفكر فيكِ ، وكان هذا فقط لأننى أريد التقرب منكِ !

لم تكن بيتا تثق فى أذنيها وهى تسمع هذا الحديث ، جعلت تنظر إليه فى ذهول وهو يقول :

- كنت أشعر بالاختناق ليلة خطوبتك من فرط الضيق إلا أننى حاولت أن أكون متماسكًا لأننى لم أكن واثقًا من رد فعلك ! إنه لمن الحماقة ، لكن هكذا كان إحساسى حيث كنت أريد قتل بابك . لا! لا تنظرى إلىّ بمثل هذه القسوة ! إننى أفعل كل شىء إلا القتل ! جعلت أتجول فى تلك الليلة فى الشوارع وأدخن السجائر حتى الصباح كى أحاول نسيانك لكن دون جدوى ، فى الحقيقة أنتِ وعشقك قد سلبتمانى قوتى ، ثم كانت تلك المكالمات .. أعلم أننى ضايقتك كثيراً بها لكن لم يكن لدى من حيلة ، كان يجب أن أصل إليك بأية طريقة . الحقيقة إننى لم أكن واثقًا فيكِ لكننى كنت أعلم أننى لو لم أتصرف هكذا فسيجن جنونى من الغيرة .

فقدت بيتا حواسها واستسلمت تماماً أمامه وكأنه أرضى غرورها بسماعها هذا الحديث وكان داعيًا لتباهيها بنفسها .

- ومن الآن فصاعداً لو كنتِ تضايقتى فـأنتِ المذنبة ، لأنك لم ترغبى فى أى وقت قط فى سماع حديثى ، لقد جعلتنى شريد الشوارع والأزقة فى حين أنكِ كنتِ مشغولة بنفسك.

قالت بيتا فى ضيق :

- لكن يجب أن تكون واقعيًا .

مسك كامران رأسه بيده وقال :

- لا أستطيع ، لا أرى شيئًا قط سوى أننى إذا ما التزمت الصمت سأفقدك من يدى إلى الأبد . قسمًا بالله إننى على استعداد حتى للحديث مع بابك ، يكفى فقط أن تبدى رغبتك ، فعندئذ لن أضن بالقيام بأى عمل .

قالت بيتا فى خشية :

- أرجوك لا تفعل ذلك !

- إذن ماذا أفعل ؟ هل لديكِ اقتراح آخر ؟

- الدنيا لم تنته بعد ، تستطيع أن تجد سعادتك مع أية إنسانة تريدها .

- لكننى أريدك أنتِ فقط .

- وأنت تعلم أن هذا ليس فى الإمكان ، صـدقنى إننى لا أنتـقـدك فى شىء ، على العكس، إنك تستطيع بهذا الحب أن تسعد أية فتاة تختارها ...

- لا داعى لأن تطرقى رأسى فى الحائط بهذا الحديث ، أنا أعلم أنكِ إن ترغبى سيكون كل شىء فى الإمكان !

- ألا تعلم ماذا تطلب منى ؟ كيف أفك خطبتى من بابك ؟ إنه رجل فاضل !

-إنه قديس ولا نظير له ، لكن كونى على ثقة من أنه لا يحبك كما أحبك ! وأنا على استعداد للقيام بأى عمل يثبت لكِ هذا .

سندت بيتا رأسها على عجلة القيادة فى ضيق وأغمضت عينيها لعدة لحظات ، واستمر كامران فى حديثه الناعم :

– أستحلفك بالله خذى كلامى مأخذ الجد ، فكرى فيه ، وأوعدك أننى سأسعدك.

سألته بيتا :

– وإذا رفضت ؟

انتظر كامران قليلاً ، ثم قال :

– لا أستطيع أن أتخيل أية حالة أكون عليها ، لكن من المؤكد أننى لن أكون أفضل من الآن .

نظرت بيتا إلى وجهه وفهمت أن ما يقوله ليس تهديداً ، فى الحقيقة لم يكن كامران جاداً بذلك القدر فى الإعراب عن مشاعره فى أى وقت قط مثلما يكون الآن ، قالت فى هدوء :

– ممكن تسيبنى لوحدى دلوقتى ؟

قال كامران وهو ينزل من السيارة :

– ماشى ، لكننى سأملأ صندوق سيارتك بالوقود قبل ذلك .

* * *

حينما وصلت بيتا إلى المنزل كانت الساعة تقترب من التاسعة مساءً ، كان الظلام قد حل تمامًا ويغوص الشارع فى الهدوء والسكون . نظرت فى حذر إلى المنطقة المحيطة بالمنزل وكأنها لم تصدق أن كامران كف عن ملاحقتها . كانت تعلم أنه قد وعدها رغمًا عنه ، لكنه لم يتمكن من تنفيذ هذا الوعد .

لقد وعدها بالكف عن مطاردتها وملاحقتها وهى تفكر فى كلامه بشكل جاد ! ! لكن كيف يكون ذلك ممكنًا ؟! أية حجج سيتذرع بها من بعد ؟ كانت تفكر وهى تفتح باب الفناء لإدخال سيارتها " إننى على أية حال مضطرة للتفكير فى هذا الموضوع بشكل جاد ".

رفعت رأسها لتفتح قفل الباب العالى إلا أنها طأطأت برأسها ثانية من شدة الدوار واستندت على الباب . لا تزال متأثرة بلقاء الغروب ، ويشتعل موضع ملامسة كامران يدها ، إنها فى ذهول ، كيف سمحت له بذلك ؟ ربما كان يجب أن تقابل ذلك الموقف بحسم أو حتى بتوجيه الإهانة إليه ، ولكن .... على أية حال فقد انتهى الموقف .

إنه لشيء يدعو إلى الحيرة ! لكنها كانت تهرب من التفكير فى كامران وحديثه وكأنها كانت تخشى أن يتأثر قلبها . لا ! بالتأكيد لم تكن تصدق قلبها، وإلا فلماذا أصبحت أسيرة هذا التوتر والاضطراب على الرغم من حديثها أمامه ؟ لمَ لمْ تغضب من أعماقها حتى الآن رغم كل هذه المتاعب التى تسبب فيها لها بسبب سماجته ؟

جعلت تهمهم فى ضيق باللعنة من عدم فتح الباب ! أرادت أن تصعد فإذا بصوت الخال يوقفها من الخلف :

- ابعدى أنتِ ، سأفتحه أنا ، اذهبى واحضرى سيارتك .

ألقت بيتا السلام عليه فى دهشة وقالت وهى تدلك يدها:

- لقد أتعبتك يا خالى الحبيب.

قال الخال فى فتور بينما لم يكن يرى وجهها فى الظلام :

- لا يا حبيبة خالك ، هيا ادخلى السيارة !

كانت نبرته باردة إلى حد ما حتى إن بيتا انتبهت لذلك رغم اضطرابها لكنها أحضرت سيارتها داخل الفناء دون أن توجه أى سؤال ، وحينما نزلت لتغلق الباب وجدت الخال مشغولاً بإغلاقه فقالت :

- أشكرك يا خالى .

كان صوتها هى كذلك مختلفًا عن أية مرة ، ربما كان من الأفضل ألا تتحدث بشيء ، والآن انشغل بالها فى حضور الخال فى هذا الوقت ، هل حدث شيء ؟ وما أن رغبت فى الاستفسار حتى قال لها بنفس الفتور :

- ادخلى يا بنت ، أمك قلقة عليكِ !

ولِمَ لا ؟ فالساعة الآن التاسعة مساءً ! ألم يكن الخال مستاءً لنفس السبب؟ نظرت بيتا إليه بطرف عينيها ، إنها لم تره بذلك القدر من الفتور والجدية منذ أن تمت خطبتها على بابك ، طلبت من الله فى نفس اللحظة أن يكون الباقون معه لكن المنزل كان هادئًا جدًا ولا يدل على وجود ضيف فيه . سألتها نسرين بمجرد رؤيتها بنبرة مستاءة :

– أين كنتِ؟ أنا فكرى راح فى ألف حاجة !

نظرت بيتا لثوان إلى أمها فى عصبية ثم توجهت إلى حجرتها ، كانت ترى أن أمها لو لم تقم بهذه الجلبة لما كان الخال بهذا القدر من العصبية ، وبينما كانت تفتح باب حجرتها حتى قال الخال لها :

– هى أمك مش بتكلمك ؟

التفتت بيتا إليه وهى مندهشة ، كانت أمها تبكى وخالها ينظر إليها فى غضب وكأن الدماء قد تجمدت فى عروقه ، قالت وهى تحاول ألا يرتجف صوتها :

– سأذهب لأغير ملابسى ، أنا متعبة يا خالى !

قال الخال بشكل جاد :

– ما هذه المعاملة التى تعاملين بها أمك ؟

ردت وهى تنظر على الأزهار المرسومة على السجادة :

– أمى قلقة علىَّ دومًا دون داع ، أنا لست طفلة !

قال الخال فى استياء من عدم مبالاتها وهو يشير بأصابعه فى الهواء :

– تذكرى إنكِ طفلة فى نظر أمك مهما بلغ سنك ! لابد أنكِ ترين أنكِ كبرتى بذلك القدر الذى يجعلك تطأطئى رأسك وتذهبى إلى حجرتك بلا سلام ولاتوضيح ، صح ؟ ألم تفكرى ماذا حدث لأمك تعيسة الحظ تلك ؟ ألم تفكرى فى أن عينيها قد ذبلت وهى تراقب الباب حتى تعودى ؟

– لقد تأخرت ساعة ونصف فقط ، لم أكن فى نزهة ، لقد نفذ وقود سيارتى .

– ألا تعلمي أنه يجب عليكِ أن تخبرى من في البيت في مثل هذه المواقف ؟

– وماذا عسانى أن أفعل ؟ لقد وقفت وسط الطريق !

– حمداً لله أنني أتيت صدفة لرؤيتها وإلا كانت قد ماتت حزنًا وكمدًا .

قالت بيتا– وهى مستاءة من تصرف الخال معها – إلى نسرين :

– لم يكن هناك داعي يا أمي لكل هذه الجلبة ، فأنت تشاهدينني الآن سليمة وبصحة جيدة .

صاح الخال :

– سليمة ؟! ألا تدرين ما الذى يحدث تحت سقف هذه المدينة ، لا تعلمين ...

صاحت بيتا في عصبية :

– هو كان ذنبي أنا إن الوقود نفذ ؟ إنك تتحدث وكأنني تعمدت ذلك !

قال الخال بشكل جاد :

– لا تتحدثي معي هكذا يا بنت ، أنا لست أمك .

ازداد استياء بيتا إلا أنها لم تتفوه بكلمة لأنها لم تكن ترغب في البكاء أمام خالها ، فطأطأت رأسها وأصغت للوم الخال :

– يجب عليكِ أن تتحملي المسئولية أكثر من ذلك ، من المفترض أن تكوني مسئولة عن حياة في الغد ، يجب أن تتذكرى أن عليكِ احترام من تعيشين معهم ومراعاة مشاعرهم ! لا أن تفعلي ما تريدين من تلقاء نفسك ثم تبعدى نفسك عنهم بعدم مبالاتك !

وقل استياء بيتا بمجرد أن تحدث الخال ، وانهمرت دموعها بينما استمر الخال في حديثه :

– فيمَ يفكر الناس عندما تأتى فتاة مثلك إلى المنزل في هذه الساعة من الليل وقد قلت لكِ لا داعى لأن تضغطي على نفسك هكذا في الدراسة ، فلستِ في حاجة إلى العمل بعد ذلك !

قالت بيتا وسط دموعها :

- هل يدرس الجميع من أجل العمل يا خالى ؟

قال الخال بشكل حاسم :

- لا شأن لى بالغير ، إننى أتحدث عنكِ ، كما أننى لا أحب أن تتحدثى هكذا وتبكين حينما أتحدث معكِ ، أنتِ لست طفلة ! أحياناً أعتقد أن أختى قد دللتك كثيراً !

قالت نسرين التى شعرت بتعكر الجو بين ابنتها وأخيها :

- بيتا ، إن خالك لم يكن لكِ أقل من أب ، لا تستائى منه حينما يتحدث معكِ هكذا.

قطب الخال جبينه وقال :

- هو لازم أتكلم بالشكل اللى هى تحبه ؟ الله وحده يعلم أنه لا فرق عندى بينها وبين فرشته ، أريد فقط أن تكون أعقل من ذلك وعلى قدر المسئولية .

أصيبت بيتا بالإحباط من سلوك خالها بحيث لم تستطع أ ن تنظر إليه ، كانت الدموع تنهمر من عينيها دون توقف وتضغط بأسنانها على شفتيها ، ربما كانت تبحث عن ذريعة لتحل بها المشكلة ! ماذا كان يحدث لو أن الخال علم حقًا موضوعها مع كامران ؟ وقف الشعر على جسدها من تذكر ذلك ! لكنها فكرت أن الخال لا يجب أن يتعامل معها بهذا الشكل فى أى الأحوال ، والأسوأ من هذا كله أنه كان يحدد لها ما تقوم به .

كانت نسرين من وجهة نظرها هى المذنب الأساسى ، فهى التى تسببت فى هذاكله بسبب قلقها الذى فى غير محله ، لم تكن ترغب حتى فى النظر إلى أمها من شدة غضبها ، وظلت تقف مطأطأة الرأس وهى تبكى حتى انصرف الخال ثم توجهت إلى حجرتها وأغلقت الباب بالمفتاح . كانت فى تلك اللحظة فى غاية الضيق لدرجة أنها كانت تريد لعن الزمان والمكان لكنها صمتت وهى تفكر باكية ، لقد اختلف رأيها فى الخال مائة وثمانين درجة ، لم يعد فقط الأب القاسى من وجهة نظرها ، بل صار الجلاد الذى يجب من الآن فصاعداً أن تبرر له تصرفاتها من أصغرها إلى أكبرها ، لم يكن قابلاً للتصديق ، لكن الجرح القديم انفتح ثانية وعادت المشاعر السابقة إليها ! ردت وسط بكائها على نسرين التى كانت تطرق باب حجرتها :

- اذهبى يا أمى ودعينى بمفردى ، ماذا تريدين ؟ مش كنتى عايزة تأدبينى ؟

قالت نسرين فى هدوء :

- إنتِ غلطانة حبيبة أمك ، أنا كنت قلقانة عليكِ ! وخالك جه هنا بالصدفة لم أخبره بشىء .

صاحت بيتا :

- ليس مهمًا بالنسبة لى ماذا فعلتى ، أريد فقط أن أعلم إلامَ يريد أن يلعب معى دور الوصى ؟!

قالت نسرين وهى توبخها :

- ده خالك ، لا يريد الشرلكِ يا ماما ، افتحى الباب حتى أدخل ، أنتِ الآن عصبية .

- كفى عنى ياأمى ، لقد سئمت هذه الجلبة وتلك الحساسية ، لمَ تضعيننى هكذا تحت المجهر ؟ أتظنين أننى طفلة ؟ وما دخل خالى أساسًا فى تصرفاتى معكِ ؟

- تصرفك لم يكن سليمًا يا حبيبتى ، أنتِ نفسك تعلمين مقدار حساسية خالك تجاهى ! اتصلى ببابك الآن لأننا تخيلنا أنكِ هناك ، أخشى أن يكون قلقًا عليكِ .

- اللعنة ! اتصلى أنتِ .

- حبيبة أمك ، اهدأى قليلاً ، لم يحدث شىء ! أقسم بالله أن خالك كان قلقًا عليكِ

- لا داعى لأن تقلقا علىّ ، ما من شخص آخر أخبرتموه بتأخرى هذه الساعة ؟

- حبيبة أمك ، أخرجى ، سأسخن لكِ العشاء ، أنتِ متعبة وجائعة !

- لا أريد شيئًا ، أريد فقط أن أكون بمفردى .

- على الأقل اتصلى ببابك ، إنه لم يفعل شيئًا ، إنه متوتر وقلق من أجلك .

كانت بيتا عصبية بذلك القدر الذى جعلها تلقى بصورة بابك على الأرض وتكسرها ردًا على أمها لا ، لم يكن لديها القدرة على التحمل ! ماذا يكون حالها لو كانت مضطرة إلى تقديم كشف حساب إلى الخال بعد زواجها من بابك؟ تذكرت بابك ، كانت ترى أنه منفعل كذلك ، وفجأة وكأن يدًا قد قامت بوضع صورة كامران أمام

عينيها بدلاً من صورة بابك وأحيت ذكرى ذلك الحـــديث فى خـاطرها ، " بيتا ، إنكِ لم تخلقى لبابك وأنتِ أيضًا تعلمين !" .

لم تتذكر أنها سمعت مثل هذا الكلام من شخص قبل كامران ، ربما كان هو حديث قلبه لذا دخل قلبها ، لم تر فى نفسـها القدرة على التحمل ، تملكها إحساس غريب رغمًا عنها مع تذكر حديث كامران فى مثل هذا الجو ، والآن كانت العبارة قريبة من قلبها للغاية ، كم كان هدوءًا محببًا إلى قلبها وكأنها قد تناولت عشرة أقراص مهدئة جعلتها هادئة بهذه الدرجة .

اتجهت إلى الأرض وجمعت فتات الزجاج وكأن شيئًا لم يحدث ، سـألتها نسرين من خلف الباب :

- فيه حاجة انكسرت ؟

ولما لم تسمع ردًا قالت :

- خلى بالك على إيدك .

رفعت بيتا صورة بابك من على الأرض بحذر وحيطة ووضعتها على السرير وجعلت تنظر فى وجهه ، ظلت مدة على هذا النحو ، والآن يختلف حالها عما كانت عليه بعد الظهر اختلاف الأرض والسماء . إنها الآن حائرة بين رجلين ، أحدهما تمكن فى فترة قليلة أن يدخل قلبها ويتملك عواطفها بما قام به من أعمال غير متوقعة. والآخر كان صادقًا وصبورًا وجادًا ، ولم يترك مجالاً لنقده ! وضعت رأسها على السرير وهى جالسة على الأرض وأغلقت عينيها ، كم كان ممتعًا الغوص فى الأفكار المختلفة ! كأنها كانت تتعارك مع نفسها حتى تلك الليلة بسبب ما يرد فى خاطرها من أفكار !

كم هو جميل أن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه ! كم كان جميلاً أن تفـكر فيما تريد !

وكأن خاطرها المتعب بدأ يهدأ تدريجيًا مع تذكرها لكامران فى تلك الليلة مع أنها كانت تشعر بالذنب من قبل حينما كانت تتذكره. ألم تلق بنفسـها سريعًا فى المتاعب؟!

وقطع صوت الهاتف حبل أفكارها لكنها لم تكن ترغب فى الرد ، وصلت إلى الهاتف بصعوبة ورفعت السماعة :

– نعم ، تفضل !

–آلو بيتا ، وصلتى البيت ؟

كان صوت بابك ، قلقًا ، متألمًا ومعاتبًا !

– أين كنتِ ؟ لقد قلق الجميع عليكِ !

وثارت بيتا مع تذكرها للخال وتصرفه معها ، وقالت :

– ذهبت إلى قبر والدى .

– ما هذا الأسلوب يا بيتا ؟

– أنا هكذا كما ترانى !

– أيكون جوابك علىّ هكذا بعد أيام من عدم رؤياكِ وقلقى عليكِ ؟

صاحت بيتا :

– لست مجبورا للقلق علىّ ، كما أننى أستاء من تقديم كشف حساب إليك !

قال بابك متألما ومندهشاً :

– لمَ تكونين بهذا القدر من العصبية يا بيتا ؟ من طلب منك أن تقدمى كشف حساب؟ أنا قلق فقط عليكِ .

وبكت بيتا ثانية بصوت عالٍ ، فسألها بابك مندهشًا فى رجاء :

– ماذا حدث يا بيتا ؟ لماذا أنتِ بهذه الحالة يا حبيبتى ؟ ! هل تحدثت بطريقة تضايقك؟ لمَ تغيرتى ؟ اتكلمى ! أنا هتجنن ، ألا يجب أن أقلق عليكِ ؟

صاحت بيتا وسط بكائها :

– لا أريد أن تقلق علىّ ! أنت أيضًا مثل والدك تريد أن تجعل منى أسيرة لا حول لها ولا قوة ، أنت أيضًا تريد أن تقيدنى يا بابك ، لمَ لا تفهم ؟ لمَ تتصورون جميعكم أننى طفلة عليكم أن تراقبوننى دومًا ؟

تغير بابك من سماع صوتهاوسألها بصوت مرتجف :

- والدى ؟ هو الذى قال لكِ هذا ؟ إلهى ، أنا فداؤك ، لمَ لا تتحدثين ؟ من كسر قلبك الجميل ؟ لمَ تكونى تلك الإنسانة التى تتحدث وهى تبكى بهذا الشكل ؟

ردت عليه وهى تبكى :

- إذن انظر كم أكون تحت ضغط لأننى تكلمت ، بابك ، قل لوالدك إننى لست أسيرة ، أنا إنسانة لدى عقل وشعور وإدراك !

سألها بابك :

- ماذا قال لكِ والدى وجعلك فى هذا الضيق ؟ صدقينى ، ما من هدف فيما قاله، إنه يحبك أكثر من فرشته !

ردت بيتا فى عصبية :

- بابك ، إننى لا أريد هذا الحب الذى يؤدى إلى أسرى ، لا أستطيع أن أجعل من نفسى إنسانًا منقاداً بزواجى منك ، هل تفهم ؟ !

قال بابك فى خشية وقلق :

- ما هذا الكلام يا بيتا ؟ تعالى هنا حتى نتحدث معًا ... تريدين أن آتى أنا ؟

ردت وسط بكائها:

- دعنى فقط بمفردى ، أريد أن أختلى مع نفسى فترة .

- على الأقل قولى لى ماذا حدث ؟ عمتى عندك ؟ أين أنتِ الآن ؟

- أنا فى غرفتى ! ولو تحب تعرف اللى قاله أبوك اسأله بنفسه .

- بيتا ، حبيبتى ، إن أسلوب حديثك عن والدى ليس صحيحًا . إن والدى هو خالك ، وأنا لا أعلم ماذا قال لكِ ، لكننى متأكد أن ما من شىء فى قلبه تجاهك ، لعلك لا تصدقين ، لكنه كان قلقًا عليكِ لدرجة لم يشعر فيها بنفسه ، انتِ الآن متعبة وفى حالة من الضيق ...

- أنا لست متعبة ولا فى حالة من الضيق يا بابك ، وأحب أن تعلم أنك طالما تحت حكم الخال لا تستطيع أن تفكر لحظة فى الزواج منى !

- ما هذا الكلام يا بيتا ؟ أنا أستاء من حديثك هكذا ، لستِ تلك الإنسانة التى تتكلم هكذا !

- إن تأخذ كلامى مأخذ الجد أو لا تأخذه فهذا يتعلق بك ، لكن عليك أن تعلم أننى لا أستطيع الزواج من شخص يجب أن يستأذن أباه حتى عند تناوله شربة ماء .

- هذا آخر كلام لديكِ ؟

- هذا أول كلامى وآخره ! ربما كان يجب علىّ أن أقوله مبكرًا .

- حبيبتى ، إننى لا أعلم حتى الآن ماذا حدث ؟

- هل كان مقررًا أن يحدث هذا ؟ إنه من نفس الأحداث التى تقع دومًا ، فالخال يتصور إننى دمية يجب أن يحركنى ، يتصور إننى عديمة الإحساس لا أستطيع أن أفرق بين الصواب والخطأ .

- نامى يا بيتا الليلة لتستريحى ودعى ذلك الحديث للغد ، إنك لا تعلمين حتى الآن أية نعمة فى حياتنا نحن الشباب فى وجود هؤلاء !

- لا داعى لأن تتحدث معى مثلما يتحدث الأجداد ، فشرط زواجنا هو ما قلته، وأخيراً يجب أن أعبر عن نفسى ولو لمرة واحدة .

- بيتا ، حبيبتى ، علشان خاطرى إنس ما قاله والدى ، أما عنى فأنا أريدك أن تكونى امرأة مستقلة تعتمد على نفسها !

- إنت نفسك تأتمر بأمر خالى !

كانت نبرتها تميل إلى السخرية دون أن تعى ، فانتظر بابك قليلاً ثم قال :

- إذن فالموضوع أكبر مما أتخيل ، لا يا بيتا ، هذا الكلام ليس كلامك !

- ولنفرض أنه ليس كلامى !

- لا يا حبيبتى ، أنا لا أفترض ، أنا متأكد ! فهذا الكلام يختلف عما كنا نتبادله معًا قبل الخطوبة !

- قسمًا بالقرآن لم يحدث خطأ ! يجب أن تقوم بالعمل فى أوانه كى تتأتى الفائدة ، فضلاً عن ذلك لو كنت تحبنى فعلاً لكنت استقليت واعتمدت على نفسك !

أنا مستقل الآن .

- لا لست كذلك طالما تعمل مع خالى !

- لو لم تكونى عصبية بذلك القدر لما سامحتك أبدًا على الإهانة التى وجهتها لى .

- كن على ثقة أن ما من شيء يؤثر على القرار الذى اتخذته ، وأنت تعلم أن مطلبى فى محله ، إننى ككثيرات من النساء ، أحب أن يكون زوجى مستقلاً !

- لا يا بيتا ، هذه حجج ! لا شك أننى لا أدعى أنكِ لست على حق ، بل على العكس معكِ الحق فى أن تستائى من أبى ، لكنك تعلمين جيدًا أن طلبك هذا يأتى فى ظروف غير معقولة ! هل لوالدى أحد غيرى ؟! هل يبدو من الصواب من وجهة نظرك أن أتركه الآن بمفرده ؟

- هذه ليست مشكلتى ، ففى النهاية يجب أن أخطط لحياتى .

- وهل هذا التخطيط منطقى من وجهة نظرك ؟

صمتت بيتا وكأن الخوف قد تملك كل كيانها مرة واحدة ، قال بابك فى هدوء:

- بيتا ، كونى عقلانية قليلاً ، لمَ نلقى بالأحجار فى طريقنا ؟ لمَ يجب علينا أن نترك الطريق المستقيم ونسير فى المعوج ؟ إننى أتفق معكِ فى أن والدى قد يزودها بعض الشيء أحيانًا ، لكن قسمًا بالله إن قلبه حنون ولا ينافق ! حبيبتى ، ثقى بى ! وأعدك بأنكِ لن تندمى !

قالت بيتا فى تأثر :

- ما تقوله لا فائدة له يا بابك ، لقد قلت ربما أكون أنا المذنبة ، كان يجب علىَّ أن أشير إلى رغباتى فى وقت مبكر . بالتأكيد إن سلوك خالى قد ساءنى، لكنه كان

حجة جيدة كى أتحدث بصراحة ، أقسم لك إننى أقول الحقيقة !

- أتتوقعين أن أوافق على كلامك وأنا مغمض العينين ؟

- لا ، لأننى أطلب لك نفس الحقوق التى أطالب بها لنفسى ، على أية حال يجب عليك أنت أيضًا أن تقدر السيئ والحسن فى حياتك وترد علىّ فى ذلك، حسنًا يا بابك .

ظل بابك صامتًا واستمرت بيتا فى حديثها :

- أطالبك بألا تنساق وراء المشاعر فى هذا القرار ، وثق إنك لو اتخذت قرارًا على عكس رغبتى لن تضايقنى ! لأننى أؤمن بصدقك ، والآن أعذرنى ، أنا مضطرة لإنهاء المكالمة لأننى فى حالة سيئة .

وودعا بعضهما فى هدوء تام ، ووضعت بيتا رأسها ثانية فوق السرير بسبب هجوم تلك الأفكار ، فى حين أنها كانت لا تزال تشك فى صحة ما فعلته !

(٢٤)

في ظهر يوم الجمعة كانت بيتا تجلس فى حجرتها وقتما جاء بابك وفرشته لزيارتها ، واندهشت إلى حد ما من رؤيتها لبابك وقد حل الجبس عن قدمه ويده، ولم تستطع إخفاء دهشتها ، كان يبدو كعادته أنيقًا فى زيه يخطو فى رفق متكئًا على فرشته ، ربما لو كانت بيتا تتحدث مع أمها لكانت أطلعتها على الأخبار الأخيرة ، لكنهما لم يتحدثا معًا منذ يوم الأربعاء إلا فى حدود إلقاء تحية السلام أو تحية الوداع . فحينما تأتى بيتا تدخل حجرتها على الفور بينما تتظاهر نسرين بانشغالها بأعمال التطريز ، وما أن رأت فرشته بيتا حتى تقدمت لتقبّلها ، وقالت وهى تمزح :

– وجدناكِ لم تأتِ لزيارة خطيبك فأحضرناه لزيارتك !

ومد بابك يده إليها وهى تقف فى نفس حالة الدهشة التى ألمت بها وقال برفق:

– كيف حالك يا بيتا ؟

ردت فى ارتباك وهى تمد يدها إليه :

– أنا ..... أنا .....لا أعلم ماذا أقول ؟ لقد فاجئتنى حقًا ! ألم يكن من المقرر أن تحل الجبس عن قدمك فى الأسبوع القادم ؟

قال مبتسمًا :

– لقد ضقت ذرعًا.

ثم قالت فرشته بابتسامة ذات مغزى :

– لقد جربنا معه كل الطرق ولم تفلح فى منعه ، رد علينا قائلاً : " لقد وعدت شخصًا ليس بيننا الآن ! "

تأثرت بيتا لكنها لم تقل شيئًا ، فقالت نسرين :

- ادخلوا يا ولاد حجرة الاستقبال .

قالت فرشته وهى تداعب بيتا :

- احنا فى المكان اللى فيه بيتا .

قالت نسرين وهى تنظر إلى بيتا نظرة لوم :

- إذن فلتجلسوا وسأذهب لأحضر لكم الشاى .

جلس بابك على حافة السرير وهو ينظر حوله وجلست فرشته بجواره ووضعت بيتا دون أن تنطق بكلمة مائدة أمامهما وجلست على مقعد فى مواجهتهما .

قالت فرشته برفق :

- إنتِ كويسة يا بيتا ؟

نظرت بيتا على استحياء إلى بابك وقالت :

- كويسة .

سألها بابك :

- ألم تنته محاضراتك حتى الآن ؟

ردت :

- لا ، لم يبق الكثير ، كيف حال قدمك ؟ ويدك ، ألم تؤلمك ؟

ضحكت فرشته وقالت :

- كيف حالك ؟ لمَ حبستِ نفسك هكذا ؟

قالت بيتا بشكل مقتضب :

- كنت مشغولة .

قالت فرشته :

- ومتى تنتهى مشغولياتك تلك ؟

ابتسمت بيتا ابتسامة مفتعلة ولم تتفوه بكلمة ، فى نفس اللحظة أحضرت نسرين الشاى ووضعته فوق المنضدة وقامت فرشته عمداً وقالت :

– عمتى الحبيبة ، أليس من الأفضل أن نخرج ونتجول معًا فى الحديقة ، حينما أتيت جذبتنى رائحة الورود .

قالت نسرين وهى تنتبه لما تريده فرشته :

– ماشى يا حبيبتى ، اذهبى أنتِ واجلسى تحت المظلة حتى آتى .

قالت فرشته :

– أين تذهبين ؟

قالت نسرين :

– سأذهب لأحضر الفاكهة لهما يا حبيبة عمتك .

ضحكت فرشته وقالت :

– لا تتعبى نفسك يا عمتى ، إن لديها كلام للتحدث به بعد هذه الفترة الطــويلة بحيث لا يكون لديهما الوقت لشربة ماء فما بالك بالفاكهة !

ثم وجهت حديثها إلى بابك وبيتا قائلة :

– لا تذهبا إلى مكان غير معلوم فتضيعان لا قدر الله .

وبعد رحيلهما قالت بيتا وهى تبتسم :

– إن فرشته فتاة طيبة ، كم أنك سعيد الحظ لأن لك مثل هذه الأخت !

رد بابك :

– إنها تحبك كثيراً .

طأطأت بيتا رأسها وقالت :

– وأنا كذلك .

قال بابك بوضوح :

– لمَ تبتعدين عنى يا بيتا ؟ لسنا غرباء عن بعضنا .

ردت فى ارتباك :

- أراك من هنا بشكل أفضل .

فضحك وقال :

- لكنك لم تنظرى إلىّ أساسًا ، وكأننى خلال تلك المدة كنت أمام عينيك !

نظرت بيتا إليه على الفور وقالت :

- لا تقل هذا الكلام ! حقًا ....حقًا إننى لا أزال فى دهشة ، لم قمت بحل الجبس عن يدك وقدمك بهذه السرعة ؟!

- وهل هذا مهم بالنسبة لكِ ؟

نظرت إليه فى دهشة فابتسم مجاملة لها وقال :

- إنكِ حتى لم تسألى عن يدى وقدمى يوم الأربعاء حينما اتصلت بكِ بعد فترة!

- لا تغضب منى ، إننى فى حالة سيئة .

- أعلم ولذلك أتيت إلى هنا .

لم تنطق بيتا بكلمة واستمر بابك فى حديثه :

- حقًا إننى لم أتضايق من حديثك قط !

نظرت بيتا فى تأمل إلى وجهه ، كانت عيناه قد غاصتا قليلاً فى الحدقة ووجهه قد نحف ، وضع بابك يده على صدره وقال فى هدوء :

- لكننى الآن أصغى إليكِ بكل شغف ، لعلك تكونى قد تغيرتى خلال المدة التى لم نر فيها بعضنا .

قالت بيتا فى هدوء :

- لم يتغير شىء فىّ يا بابك .

- وأنتِ أيضًا تعلمين أننى أتحدث بصدق ويجب أن تعلمى أننى آثرت أن أتناسى حديث تلك الليلة ، فلا تفكرى فيه ثانية !

- هذا لطف منك ، لكننى كنت أتحدث بشكل جاد .

نظر بابك في حيرة إلى وجهها ولم يتفوه بكلمة ، واستغلت بيتا صمته وقالت:

- أعلم أن طلبي لا يحلو لك ، لكن الحقيقة هي أنني قد اتخذت قراري .

قال بابك بشكل جاد :

- ألا تدرين ماذا تقولين ؟ هل فكرتِ في نتيجة ذلك ؟ ألا تعلمين أن الكبار يفهمون ما يقولون ؟

- لا تخيفني من النتيجة يا بابك ، فهذا ما أريده ، ولم يجبرني أحد عليه ! فضلاً عن ذلك ألم نتفق على أن نتحدث مع خالي في هذا الأمر ؟

- إنني حتى لم أفكر في هذا الموضوع فما بالك في الحديث عنه !

- إذن لو سمحت لا تعترض بعد ذلك لأنني اتخذت قراري .

- هل جننت يا بيتا ؟ نحن متفقون على عقد القران بعد أيام .

- كان هذا في الماضي .

- أي ماضي ؟ لو لم يحدث لقدمي ما حدث لكنا أنا وأنتِ الآن زوجين بشكل رسمي .

- إذن كان من المصلحة أن تؤجل ذلك الأمر .

- أية مصلحة ؟ من أين لكِ أن تعلمي أن هذا في مصلحتنا ؟ إن معظم الشباب يتمنون ما نحن فيه في بداية حياتهم ، أين ذهب عقلك ؟ بيتا ، بالله عليكِ كوني منطقية ! إنكِ تتحدثين بشكل وكأنه لا علم لكِ بالمصالح المشتركة بين أبي وأمك !

- مصالحهما لا علاقة لها بي .

- إذن بمن تتعلق ؟ أتعتقدين أنني إذا ما خرجت عن طوع والدي سيترك لي إدارة الشركة والمنزل بمفردي ؟

- أنا أساسًا لست قلقة لأنني أعتقد أن خالي يتولى بنفسه كل شيء .

- بيتا ، لو سمحتي لا تلمحي إلى شيء بهذا الحديث ! أينزل المطر من الأرض إلى السماء ؟ لقد قلت إن معكِ الحق فتضايقتي ،لكن لا يجب أن تكوني متسرعة هكذا !

- لقد قلت لك إن حديث خالى كان الحجة لطرح ما بقلبى .

- تريدين أن تقولى إن تصرف والدى لم يكن الباعث الوحيد لهذا القرار ؟

- نعم !

- تريدين أن أصدق كلامك ؟

- لا ، لا أصر على ذلك ، لأنك بطبيعة الحال سوف تأخذ جانب الخال !

- لا تكونى بلا منطق إلى هذا الحد ! العالم كله يعلم كم أحبك ، وكنت أعتقد حتى اليوم أنك تعلمين أيضًا ، لكنكِ اشترطى فترة لإثباته ، لكننى يئست وتوصلت إلى هذه النتيجة وهى أنكِ تغيرتى !

قامت بيتا من مكانها وقالت :

- إن الحديث فى هذا الكلام لا طائل من ورائه لأننى قد اتخذت قرارى .

قال بابك :

- انظرى إلىّ يا بيتا .

التفتت إليه ، فقال :

- لو أننى لا أستطيع حقًا أن أفعل ذلك الأمر ألا تتزوجى بى ؟

- لا يا بابك ، لن أتزوجك !

كانت نبرتها حاسمة أكثر مما توقعت ، ورغبت فى الخروج من الغرفة فإذا بفرشته تطرق الباب وتدخل ، فسألت بيتا بابك :

- فرشته على علم بالموضوع ، صح ؟

ردت فرشته بدلاً عن بابك :

- لقد ذكر لى حديثك السابق ، لكن لو تريدين الحق لم أصدقه .

ردت بيتا بشكل قاطع :

- للأسف ، يجب أن تصدقى ، وأنا قلت ذلك لبابك .

سألتها فرشته بابتسامة :

– وما هذا الشرط الذى وضعته مؤخراً يا بيتا الحبيبة ؟ إنكما لم تتزوجا بعد ، لو لم تكونى منا لكان من الممكن أن أتصـور مـبـرراً لذلك وهو عـدم المعـرفـة أو النظرة المستقبلية ، لكنك تعلمين أكثر من أى شخص آخر ما هى ظروف بابك ، فضلاً عن ذلك هل لأبى أولاد آخـرون ؟ هـل طاوعك قلبك كى تضـعـى بابك فى هـذا الموقف بمفرده ؟

ردت بيتا :

–أنا لا أجبره أصلاً يا فرشته وقد قلت له ذلك !

– معنى هذا إنكِ تتوقعين أن بابك يستطيع تجاهلك ؟ أنتِ نفسك هل تستطيعين أن تتجاهلى بابك بعد كل هذا ؟

– لو سمحتى يا فرشته ، لا تحاولى أن تدخلى إلىّ من باب المشاعر ، ربما كان ذلك لمصلحتنا !

قام بابك من مكانه وهو فى حالة من عدم التصديق ثم قال :

– لا أصدق ما تقولينه يا بيتا !

قالت فرشته وهى تتجه نحوه :

– ماذا تفعل يا بابك ؟ لا يجب أن تقف على قدميك !

دفع بابك يدها وقال :

– ما جدوى ألمى وحياتى تنهار يا فرشته ؟ !

فردت عليه قائلة :

– ألم تسمع ماذا قالت بيتا ؟ أنت لا تستطيع أن تجبرها ! هل تستطيع ؟

ردت بيتا وهى من داخلها تستحسن شعور فرشته :

– صدقونى ، هذا القرار ليس هراءً أو ما شابه .

سألتها فرشته :

- ألا تريدين حتى مهلة للتفكير ؟

ردت عليها قائلة :

- فكرت بما فيه الكفاية يا فرشته .

سألها بابك :

- هل تحدثتِ مع عمتى ؟

ردت :

- حتى الآن ، لا ، ربما أحدثها اليوم .

فقال لها :

- سأتحدث معها بنفسى .

أرادت بيتا أن تقول شيئًا فقالت فرشته :

- بابك ، بيتا أدرى كيف تتحدث مع عمتى .

فرد قائلاً:

- لكنها تخطئ !

ردت فرشته عليه:

- هذا ما نفكر فيه أنا وأنت يا بابك .

ثم قالت وهى تقبل بيتا :

- اسمحى لى يا بيتا ، يجب أن أنصرف ، لابد أن يأخذ بابك حقنتين الآن ، هل تعلمى؟ لقد جئنا من المستشفى إلى هنا مباشرة بعد أن حل الجبس عن قدمه.

قالت بيتا :

- آمل أن أراك كالسابق فى أسرع وقت !

كاد بابك أن يتحدث إلا أنه التزم الصمت ولم ينطق بكلمة ، فقالت فرشته :

- أما أنا فكل أملى أن تغيرى رأيك بقليل من التفكير .

احتضنتها بيتا وقالت :

- أشكرك على تفكيرك العقلانى هذا .

ثم همست لها فى أذنها:

- خلى بالك من بابك ، إننى لا أريد حقًا أن يستاء منى بذلك القدر !

قبلتها فرشته ثانية وقالت :

- خلى بالك إنتِ كمان من نفسك وفكرى تانى !

وسارت بيتا مع والدتها حتى خارج المنزل لتوديعهما ويرتجف كل كيانها على أثر نظرة بابك الحزينة .

* * *

وبعد يومين ، وبينما كانت بيتا تفكر فى كيفية فتح الموضوع مع نسرين، سهل الخال بمجيئه الأمر عليها . كانت نسرين تقوم بالتطريز داخل حجرة الاستقبال ، أما بيتا فكانت قد عادت توًا من الجامعة إلى المنزل وتقوم بتغيير ملابسها وبادر الخال بالمجىء إليهما . كانت الحمرة تكسو وجهه ونبرته حادة للغاية . اضطربت بيتا لمجرد رؤيته من خلف النافذة لدرجة كاد أن يتوقف فيها قلبها عن النبض .

توجهت نسرين المسكينة التى كانت تجهل كل شىء لاستقبال أخيها ، إلا أنها تسمرت فى مكانها مع رؤيتها له فى هذه الحالة . قال الخال فى عصبية ردًا على سلام أخته واستفسارها عن أحواله :

- حقًا ، تسلم إيدك يا ختى ! لقد ربيت ابنتك حقًا ! هذا هو جزاء حبى ؟

- هذا هو رد وقوفى بجواركما ورعايتى لكما ؟ أين هى ؟ أين هذه البنت عديمة الحياء؟ لو لم تقدرى عليها فأنا موجود لم أمت !

أرادت بيتا أن تغلق باب حجرتها عليها لكنها أبت لأن ذلك التصرف من وجهة نظرها كان يمثل ضعفًا وعدم كفاءة . قبلّت نسرين وجه أخيها ثم قالت فى رجاء :

– إلهى ، أنا فداؤك يا أخى ! ماذ حدث ؟ ما الخطأ الذى بدر منها ؟ اغفر لها ، تصرف بعقل ، إنهما شباب لا يعلمان وعلينا أن نوجههما ، ينخرس لسانى ، لا تضغط على نفسك حتى لاتصاب بأذى .

قال الخال فى عصبية :

– أصاب بأذى ؟ أنا هصاب بالسكته ! بالتأكيد إنتِ عارفة بنتك عملت إيه ؟

قالت نسرين فى خوف وهى تدفع به إلى حجرة الاستقبال :

– هى عملت إيه ياخويا ؟ قل لى ! وحياة تراب أبويا معرفش حاجة ؟

جلس الخال فوق أقرب مقعد وقال :

– لما سيبتى بنتك على حريتها كانت بتخطط لى !

ثم قام فى عصبية وقال صائحًا :

– قولى لها إنى مش عايز أشوفها ! قولى لها إنى هخرج لسانها من حلقومه .

أجلسته نسرين ثانية فوق المقعد وقالت وجسدها يرتجف :

– إلهى ، أنا فداؤك ياأخى ، ماذا حدث ؟ إننى لا أتحدث معها منذ تلك الليلة اللى كنتم فيها هنا ، قلت فى نفسى لسة صغيرة وتركتها لحالها لعلها تنصلح.

نظر الخال إليها فى دهشة وقال :

– كله منك إنتِ !

قالت نسرين وهى تلاطفه بيديها :

– كل اللى تقوله صح !

دفع الخال يديها وقال بقوة :

- اللى سبقونا كانوا عارفين وقالوا ، لكم قلت لكِ لا يجب أن تتركى لها الحبل على الغارب ، قلتى قلبى لا يطاوعنى ، فهى طفلة يتيمة الأب ، وطالما قلنا لكِ ، وطالما ضربتى بكلامنا عرض الحائط ! أين أنتِ الآن كى ترى كيف كبرت بنتك علينا ! لقد وضعت شرطًا لى كى تتم الزواج !

سألته نسرين فى دهشة :

- واه ؟ أى شرط ؟ بيتا وضعت شرطًا ؟ إنهما كانا على وفاق منذ يومين ! !

صاح الخال وهو يضع يده على فمه :

- هل تدعى حبها لى ؟ قلنا إن الشباب دلوقتى بيروحوا الجامعة ليرتقوا بعقولهم ، لكن حصل العكس ! خسارة اللى اتصرف عليها من أقلام وأوراق ووقت ! خسارة ! إنها غير جديرة بهذه الحياة ، هى الفرحة نسيتها نفسها ؟!

قالت نسرين باضطراب وهى يبدو عليها التأثر أكثر من ذى قبل :

- أى شرط هذا الذى يجعلها تفك خطبتها ؟

دق الخال على الأرض بقدمه وقال :

- اسأليها ! الناس يضعون شروطًا مقبولة قبل الخطوبة ، وهذه البنت التى تتصرف وفق هواها تضع شرطًا لى قبل الزواج ، والآن يقول ابنى الأحمق عايز أكون مستقل !

وخفق قلب بيتا ، وشعرت بالدوار ، إذن فقد طرح بابك الموضوع !

قالت نسرين فى ذهول :

- بابك ؟ لمَ تصرف هكذا ؟ أنا لا أصدق إطلاقًا يا خويا !

قال الخال بعصبية أكثر :

- نعم ، الحيوان ده قال كده ! وقال إن دى رغبة بيتا ، وجه وقال لى الكلام ده رغمًا عنه ، إنتم عايزين تذرعوا بذور الفرقة بينا ؟ أنا عايز أعرف هى الهانم بتتدخل بالشكل ده فى شىءون زوجها دلوقتى ؟ طيب لما تكون بينا بشكل رسمى هيحصل

إيه ؟ الله يعلم وشاهد على كلامى إنى لغاية النهــارده لا أعــلم كم يكون دخلى ، ولا أسأل إلامَ تذهبين وممن تأتين وماذا تفعلين ، إنها ليست امرأة أبدًا ! لا ، دى بنت حضرة الجناب العالى !

قالت نسرين وقد بلغت ذروة الضيق :

- لقد أخطأت ! هى كبرت علشـان تاخد قرارها من نفسـها ؟ ! وحياة تراب أبونا اللى سمعته منك ده حصل بالفعل ؟ ألم تخطئ فى حكمك عليها ؟ !

رد عليها فى غضب :

- أخطئ ؟ ! حسنًا لو مش مصدقانى اسأليها !

قالت نسرين :

- سأنادى عليها لتأتى أمامك .

ثم استدعت بيتا بصوت عالٍ وقالت :

- تعالى يا بنت لما أشوف إيه اللى بيقوله خالك .

أخذت بيتا نفسًا عميقًا وخرجت من غرفتها وهى تحاول أن تبدو متماسكة ودخلت حجرة الاستقبال وألقت عليهما السلام ، همس الخال بشىء ما عند دخولها وحرك رأسه ، فسألتها نسرين فى غضب :

- خالك بيقول الحقيقة ؟ هل وضعتى شروطًا لبابك ؟

طأطأت بيتا رأسها وقالت بنبرة ترتجف :

- شرط صغير فقط !

صاح الخال :

- صغير ؟ ! لو كان هذا صغيرًا فما هو الكبير ؟!

قطبت نسرين جبينها وقالت :

- ممن استأذنتى كى تقومى بهذا العمل ؟

قطبت بيتا جبينها وقالت :

- ما هذا الكلام يا أمى ؟ هل ارتكبت إثمًا ؟ !

اندفع الخال ناحيتها وقال :

- انظرى كيف أن هذه الطفلة الحقيرة تريد أن تعاقبنى أنا الشيخ العجوز ! اتفو عليك .

مسكت نسرين وسطه بيدها وقالت لبيتا وهى تسحبه إلى الوراء :

- اذهبى من أمامى وغورى إلى غرفتك .

قالت بيتا :

- ماشى لكننى أقول لكما إننى لن أتزوج من بابك تحت أية ظروف .

صاح الخال وهو يقاوم أخته :

- اذهبى إلى الجحيم ! إنكِ لست جديرة لأن تكونى عروسة ابنى !

قالت نسرين وهى تبكى :

- قلت لكِ غورى إلى غرفتك .

قالت بيتا وسط بكائها :

- ماشى يا أمى ، لكن أريد أن تعلمى إن البنات النهاردة لا تتزوجن كبنات الأمس ، ثم إننى لم أطلق على ما فعلته يا خالى تدخلاً فى شىءعن الزوج!

صاح الخال بوجه ثائر :

- أنا مش خالك يا بنت ، غورى من أمام عينى ، ليصيبك الله بالعمى .

اتجهت بيتا إلى حجرتها وهى تبكى وجلست خلف الباب . وأحضرت نسرين كوبًا من الماء البارد إلى أخيها وحثته على شرابه وهى لا تبدو فى حال أفضل منه ، فشرب منه جرعة وقال بصعوبة :

- لقد انكسر وسطى حقًا يا أختى !

قالت نسرين :

- لا قدر الله يا أخى ، سود الله وجهها ، أكاد أموت خجلاً ، تقبل الله دعانا فيها.

استند الخال إلى الوراء وقال :

- إن ضيقى سببه أننى قمت بتربية ابنتك ورعايتها مثل أبنائى ووصلتها إلى ما هى فيه، والآن لا نعجبها . أريد أن أعلم ألم تستطع الحساب كى تتحدث هكذا ؟؟ هل تريد أن تعوض ذلك بحساباتها ؟ كل ما أردت أن أحققه بالحب لم يتحقق ! لم يتحقق ! بابك يستقل عنى ؟ لمن يكون إذن المصنع وكل هذا الجاه وتلك المكانة ؟! تعتقدين إلى من يصل هذا كله فى حالة موتى ؟!

ردت نسرين على الفور:

- لا قدر الله يا أخى .

- يا أختى إن ابنتك بذلك القدر من البلاهة والحماقة الذى جعلها لا تفهم أنها هى نفسها صاحبة مصلحة فى هذا المصنع ، إلى من أترك هذا كله كى تطمئن؟

هل أتركه لهم كى يضيعوه فى يومين ؟ !

- لا ، أبدًا يا أخى ! الأمر لك .

- لا والله ، أية نتيجة جنيتها بعد هذه الأعوام التى كنت أعمل فيها كالحمار رغم ضعفى هذا ؟!

- نحن نقدر لك جميلك يا أخى ، بالله عليك لاتتحدث هكذا ، إننى أموت من الخجل .

- أخذت بابك اليوم على جنب كى أتحدث معه فى موضوع عقد القران ، فرأيته يهمهم بشىء ما ، وعندما سألته قال لى هذا الكلام !

- واه ! لكن لمَ لمْ يقل لى شيئًا ؟!

- الشباب النهاردة ماشى من دماغه ، لقد اقتربت نهاية الزمان ، ألم تر كيف تحدثت ابنتك بعصبية فى وجهى ؟

- لقد اسودّ وجهى منك ، اصفح عنها .

- كيف أصفح عنها يا أختى ؟ عندما يتم التعدى على الحرمات بهذا الشكل ماذا يبقى كى أصفح عنه ؟

- ستأتى وتُقَبل يديك وتتأسف .

- لا، إننا لم نخضب هذا الشعر بالبياض فى الطاحونة ، قولى لها إنها لا تستطيع أن تفرض كلامها علىّ بهذه الحجج مثلما فعلت مع بابك المسكين !

- ما هذا الكلام يا أخى ، إنك غير محق فيما تقول ، إن لك عليها حق الأبوة .

-لقد قلت إنها ابنة أختى ، قطعة منى ، لكن هل رأيتى ؟ هل رأيتى خلال تلك المدة التى لزم فيها المنزل كيف كان يفكر فيها ويشغل باله بها ! والآن بابك غير موجود هنا لكن ربه موجود ، لو أننا طلبنا منه مالا يطيق سوف ينفذه فهو ابن بار يتسم بالصفات الحسنة ، لقد كان يوصى أمه : " لا تتحدثى فى أى وقت قط مع بيتا بشكل فاتر فلديها امتحانات وأعصابها متوترة ، دعيها تأتى وقتما تريد " ورأيتى فى النهاية ماذا تفعل تلك التى لا يؤثر فيها جميلنا ؟! من كثرة ما وضعته أمامه من شروط راح الولد وعمل حادثة من كام يوم وجبس إيده بسببها ! وهذا أيضًا بسبب شروطها ! بنات الناس يقولوا : لا تدخن ، لا تخرج مع أصدقائك ، لا تشرب الخمر ، اتجه إلى الله. وابنتك تقول : اذهب إلى أبيك وأخرج عن طوعه . لم يثمر فيها جميلنا !

- لا قدر الله يا أخى ! ليتنى مت ولم أر هذا اليوم !

- لاتبكى يا أختى ، فالعمل بدون مشورة ليس من الحكمة ، وذنبى أننى وضعت قدمًا فى فردة حذاء وقلت ليتزوج هذان ، وهذه هى النتيجة !

- لا تقل هذا ياأخى ، ده بابك نور عينى !

- والآن تحمل بنتك نور عينك من عرشه لتطرحه أرضًا !

وقام فى غضب واضح قاصداً الرحيل فأمسكت نسرين بيده وقالت :

- لن أدعك تمشى إلا إذا قلت إنك سامحتها ، فلتأمرنى أحضرها لك وتقبل يديك .

أمسك الخال كتف نسرين وقال :

- لا تبكى يا أختى ، إن قلبى يتألم لحالك .

واحتضنته نسرين كطفل عديم المأوى وقالت:

- هو احنا لينا حد غيرك يا خويا ؟ وحياة تراب أبويا لا تجعلنى أتركك وأنت فى هذه الحالة .

فرد بابتسامة مفتعلة :

- هى دى آخر زيارة ؟ إيه الكلام ده ؟

قالت نسرين والدمع فى عينيها :

- طيب قول إنك سامحتها !

همس الخال بهدوء بشكل لا يسمعه سواها :

- لا تشبعى غرورها أكثر من كده ، دعيها ، أقسم بالله لو قلبى يطاوعنى لأذيتها.

أرادت نسرين أن تقول شيئًا لكنها صمتت مع رؤية الدمع فى عينيه واطمأنت بيتا بمجرد رحيله وقامت بجمع الخاتم والهدايا التى اشتراها لها بابك طوال هذه الفترة وذهبت إلى أمها .

كانت نسرين تجلس على مقعد فى غرفة الاستقبال تغرق فى دموعها ومع رؤية بيتا لها قالت فى نبرة متأثرة :

- لقد تعبتى نفسك يا أمى ولا أرى داعى لذلك !

صاحت نسرين :

- إنتِ فعلاً غير جديرة بإنك تكونى عروسة خالك !

قالت بيتا وهى فى حالة من القلق على أمها :

- لا تعذبى نفسك أكثر من هذا يا أمى ، أعذرينى ، أنا لا أستطيع أن أترك خالى يتدخل فى حياتى حتى بعد زواجى .

صاحت نسرين فى عصبية :

- اخرسى ، كم أنكِ حمقاء ! كيف استطعتى أن تحدثى خالك بهذه الطريقة ؟ ألم تخجلى منه ؟ هو عايز إيه غير مصلحتك ؟

قالت بيتا وسط بكائها :

- لم أرغب فى أن أضايقه ، أقسم لكِ .

دقت نسرين على وجهها وناحت :

- لكنكِ فعلتى ، لقد جعلته يدمع وتسببتى فى كسر قلبه ، كيف طاوعك قلبك؟

وضعت بيتا التى لم تكن تتحمل رؤية بكاء أمها ما كان فى يديها فوق أحد المقاعد ثم عادت إلى حجرتها :

كم كان التفكير فى بابك ورد فعله صعباً ! لم تطمئن بيتا من عفو الله عنها ، لكنها طلبت منه العون وهى يائسة حتى تتمكن من إلقاء كل هذه الظروف وراء ظهرها !

(٢٥)

كان بابك يقف منذ دقائق خلف النافذة ينظر إلى السيارات والسائرين ، كان يبدو وكأنه ينظر إلى الخارج لكن حواسه كانت في اتجاه آخر . كان كالحيارى منذ اليوم الذى تدخلت فيه بيتا بينه وبين والده ، كان يرى نفسه وكأنه بين الأرض والسماء ! كم كانت تحدوه الأمانى الجميلة تجاه حياتهما المشتركة ، والآن كم تبدو تلك الأمانى الجميلة بعيدة المنال ، رجع إلى الوراء ونظر إلى الأوراق المكدسة فوق مكتبه ، لم يكن بالشيء العجيب أنه لا يستطيع العمل ، وكأنه كان يذهب إلى الشركة فقط كى يقضى ساعات طويلة خارج المنزل ، لكن الحقيقة إنه لم يشعر بالطمأنينة من نظرات الفضوليين حوله ، خاصة نظرات سكرتيرته التى كان يتجنب مقابلتها فى تلك الأيام بشكل واضح.

جلس بابك خلف مكتبه رغمًا عنه وحاول أن يشغل نفسه بإنجاز ما لديه من مهام !

لكنه لم يستطع ، كأنه ابتعد عن الحياة عدة كيلو مترات ، كأن الزمان لديه قد توقف . استند إلى الوراء وفكر : "ماذا كان يفعل فى كل هذه الأعباء لو لم تكن مساعدة سكرتيرته الخاصة له ؟" نهض من مكانه فى ضيق ودق الجرس لاستدعاء السكرتيرة ، كان فى ذلك اليوم يرتدى بزة أنيقة ، ودخلت الفتاة عليه المكتب وهو يتفحص حقيبته :

– أية خدمة يا باش مهندس ؟

وأدت طريقة نظرتها إليه إلى تذكره لكلام أحد أصدقائه المقربين " فى الغالب يتخذ من يقومون بأعمال السكرتارية قراراتهم أسرع من مديريهم " ، لا شك أن بابك

كان يشك فى أنها تعلم الموضوع الخفى لكنه كان يحافظ على أن يكون حذراً معها وكأن هناك شىء آخر ! خاطبها وهو يرتب أوراقه فوق مكتبه دون النظر إليها :

- أرغب فى مساعدتك اليوم أيضاً لو كنتِ قد انتهيتى من أعمالك .

فسألته فى دهشة :

- ستأتى اليوم كذلك ؟

رد بابتسامة خفيفة وبأدب :

-أعلم أننى أتعبكِ كثيراً هذه الأيام .

فردت على الفور :

- لا ، ليس كذلك ، أرى أنك نسيت أن لدينا اليوم ضيوف .

ضغط بابك حقيبته مع تذكر موعده مع أحد مهندسى الشركة المنافسة وقال :

- الغى الموعد !

- لكنك حددته منذ أسبوع وذكرتنى به أمس ! وأول شىء ذكرته لك اليوم أن تتصل بشركة " بيجك" ، هل نسيت ؟

فرد عليها :

- إننى أعانى من مشكلة أسرية فى الآونة الأخيرة ، وأعتقد أنكِ انتبهتى لذلك...

قالت وهو ينظر إليها فى حالة من التأثر :

- تقريباً ، وأتمنى أن ينتهى كل شىء فى أقرب وقت .

قال بابك بإصرار :

- وبناءً عليه فأنا أحتاج إلى مساعدتك أكثر من أى وقت آخر ... عرفتى لمَ ؟

قالت فى صدق :

- أتمنى أن أتمكن من ذلك .

قال وهو يتحرك تجاه الباب :

- وإذا ما اتصل والدى ....

قالت فى حيرة :

- أعلم ما الذى يجب أن أقوله ، كن مطمئن البال !

نظر بابك إلى عينيها بابتسامة بريئة وقال :

- أشكرك كثيراً ولن أنسى لكِ ذلك .

ردت عليه وقد أصابها الدوار من رائحة عطره :

- أنا لا أعمل شيئًا ، فقط ....

الله وحده هو الذى كان يعلم كم تحب بابك ، وأدى سكوتها المعبر إلى أن ينظر بابك إليها فى تمعن ، ثم قال :

- ماذا بعد فقط ؟ ! تريدين أن تقولى شيئًا ؟

طأطأت الفتاة برأسها وتجرأت وقالت :

- فقط ، لو سمحت ، خلى بالك من نفسك أكثر .

صمت بابك - الذى تسمر فى مكانه مندهشًا - وجعل ينظر إليها ، هذه هى المرة الأولى التى يلتفت فيها إلى امرأة غير خطيبته ، واستطردت السكرتيرة فى حديثها وكأنها كانت تخشى أن يسىء فهمها :

- لقد أهملت نفسك فى الآونة الأخيرة ، لكن الحياة يجب أن تستمر على كل حال !

فرد بنبرة مملوءة بالتقدير والاستحسان :

- أشكرك ، فى الحقيقة كم هو سيىء أن أتسبب بهذا القدر فى إزعاجك .

والآن تنظر إليه مباشرة ، كان وجهه تكسوه الحمرة ، متأثراً إلى حد ما ، وقدماه ترتجفان ، فتح بابك وهو يرى حيرتها باب مكتبه وقال :

- لو فيه حاجة مهمة اتصلى بالمنزل .

وصعدت آهة من الفتاة دون أن تصدر صوتًا ، ووقفت فى نفس المكان ونظرت إليه من الخلف . كان حديثه الصريح هو منتهى أمانيها ، لكنها ارتضت هذه الحالة ، وفى اللحظة الأخيرة عاد بابك إليها ثانية وقال :

- أشكرك مرة أخرى .

* * *

مع رؤية فرشته لبابك من خلف النافذة قالت لأمها ولنسرين وهما فى فناء المنزل وكانتا تبكيان :

- بالله عليكما كفا عن البكاء ، لقد جاء بابك !

قالت نسرين وهى تمسح وجهها :

- ياإلهى ، كم تموت العمة من أجله !

وهمست فرشته إلى أمها التى كانت لا تزال فى حالة من الضيق :

- كفاية يا أمى ! تريدين لا قدر الله أن تضايقينه ثانية ؟

قالت أمها وهى تشير إلى الهدايا التى أعادتها بيتا :

- ماذا أقول له ؟ سيموت ابنى كمدًا ! ألا تعلمين أن روحه متعلقة بها ، لا يزال لديه أمل فيها !

ومع تذكر فرشته لبيتا حركت رأسها أسفًا وقالت :

- ماذا حدث ؟ بابك ليس طفلاً ! إلا م تريدين أن تخفى عنه كل شىء ؟

فى تلك الأثناء دخل بابك حجرة الاستقبال واندهش من رؤيته لنسرين، ذهبت فرشته إليه على الفور وقالت له وهى تأخذ حقيبته بهدوء مفتعل :

- لقد جئت اليوم مبكرًا !

توجه بابك ناحية نسرين وهو سعيد دون أن يلتفت إلى أخته، وقال :

- كم هو عجيب يا عمتى الحبيبة !

قبلت نسرين وجهه وقالت :

- كيف حالك حبيب أمك ؟

رد بابتسامة مفتعلة :

- كويس ، متى جئتِ ؟ كنتِ قولى لى علشان أجيلك !

نظرت نسرين إليه وهى متأثرة من إحساسها بالذنب ، لقد استقر تحت عينيه هلال أسود يدل على عدم نومه ، لم تكن هيئته مهندمة كما كانت دوماً . وما أن جلس بابك بجوار أمه حتى قال :

- كيف حالك يا أمى ؟

فردت فى هدوء مفتعل :

- ليس سيئًا حبيب أمك ، تركت ذلك الأب المتهالك ثانية بمفرده !

رجع إلى الوراء وقال :

- لم يكن هناك عمل مهم يا أمى ، لا تقلقى ، إننى أفكر فيه .

قالت نسرين تأييداً لكلام ابن أخيها :

- نعم حبيب عمتك ، فليس لديه سواك ، اعتن به أكثر !

صّعد بابك آهة وقال :

- ومن يعتنى بى عمتى الحبيبة ؟

ردت بصوت يرتجف :

- إنت لسه شباب حبيب عمتك !

هز رأسه وسألها :

- كيف حال بيتا ؟ ألا تزال على حالها !

سألته أمه :

- ألم تتحدث مع أبيك ؟

رد فى ضيق واضح :

- أى حديث ؟ حاولت أن أفتح الحديث معه بشكل لا يضايقه ، لكن لا يمكن الحديث أصلاً مع أبى فى هذا الموضوع . الخال وابنة الأخت فى وضع تنافس !

كم هى مغرورة وعنيدة ! لا أدرى ما ذنبى أنا بينهما ؟ أقول لنفسى فى بعض الأحيان إن أبى لم ينتبه بالقدر الكافى إلى ....

قالت نسرين :

- لا حبيب عمتك ، الذنب ليس ذنب أخى ، إنه ذنب بيتا .

طأطأ بابك رأسه وقال :

- كم هو مضحك ! ليس معلومًا كيف تتغير بيتا دفعة واحدة هكذا ؟ هل هى بالمنزل الآن ؟

قالت نسرين :

- نعم حبيب أمك ، إنها تحبس نفسها فى غرفتها فى الآونة الأخيرة ! أقسم بالله إنكما محسودان حبيب عمتك !

قام بابك من مكانه بأمل ضعيف وقال :

- خليكى هنا ، سأذهب لرؤيتها ولو استطعت إرضاءها سأحضرها معى !

فى ذلك الوقت دخلت فرشته بصينية الشاى وقالت :

- من الأفضل ألا تفعل ذلك يا بابك .

قال وهو ينظر إليها بدقة :

- لمَ ؟ أريد أن أتحدث معها على انفراد وبحرية .

قالت فرشته دون أن تنظر إليه وهى تضع صينية الشاى على المائدة وسط الحجرة :

- لا فائدة من ذلك يا بابك .

نظر بابك إلى وجه كل منهن واحدة بعد الأخرى ، وكأنه قد انتبه مؤخرًا لحزنهن ، ووقعت عيناه على الهدايا التى أعادتها بيتا ، وشعر لثوان قليلة بأن الدنيا تدور حول رأسه ، ثم سأل فرشته بصعوبة :

- إيه اللى بيحصل هنا ؟ هل يوجد شىء لا يجب أن أعلمه ؟

قالت فرشته :

- اجلس حتى أقول لك يا بابك .

سأل بابك نسرين بصوت يرتجف وهى تبكى :

- ماذا حدث يا عمتى ؟

ساعدته فرشته كى يجلس وقالت بهدوء :

- اصبر يا بابك .

التفت إلى أمه ، كانت شفتاه ترتجفان ، والآن يركز نظره على فرشته وهى تقول بهدوء :

- من الأفضل أن تكون منطقيًا يا بابك ، لقد اتخذت بيتا قرارها ! وأنت لا تستطيع أن تجبرها على العيش معك . هل تستطيع ذلك ؟

قال بابك لنسرين وهو غير مصدق :

- لمَ ؟ هل حدث بيننا ما لا يمكن إصلاحه ؟

قالت فرشته بصوت متأثر:

- بابك ، لو سمحت تماسك قليلاً !

صاح قائلاً :

- أتماسك ؟ هل تعلمون حالى الآن ؟

أرادت فرشته أن تذهب إليه فنهض مسرعًا وترك الحجرة ، كان وكأنه يرى كل شىء فى منام وفاق لنفسه وهو يجلس فوق سريره فى حجرته ، وبعد قليل دخلت عليه فرشته لكن قبل أن تتفوه بكلمة قال لها وهو يضع يده على وجهه:

- دعينى بمفردى .

قالت فرشته برفق :

- بابك !

رفع رأسه ونظر إليها ، كانت عيناهما تدمعان ، أمسكت رأسه بين يديها وسألته في انكسار :

- أتبكي يا بابك ؟ !

دفع يديها وطأطأ برأسه ، وقال :

- دعيني بمفردي يا فرشته !

أرادت أن تظل بجواره لكنها لم تكن أفضل حالاً منه ، وبعد انصرافها ظل بابك جالسًا لساعات طويلة في مكانه كالتمثال وهو يفكر ! كانت ذكريات الماضي تمر أمام عينيه كشريط متتال لأحد المسلسلات ، من تلك الليلة التي أمطرت ثلجًا، من تلك الليلة التي اعترف بحبه لها للمرة الأولى وحتى الآن ! كيف لم ينتبه لتردد بيتا؟!

اغتم من تذكر تلك الخواطر ، وكأن غروره قد قل إلى حد لا يجب أن يصل إليه. اتجه على الفور إلى النافذة ونظر على الفناء ، كانت نسرين تودع أمه وأخته وهي تبكي ، لم يكن يرغب في أن يفكر بهذه الطريقة ، لكن شيئًا مافي وجه نسرين كان يبث الأمل في قلبه !

* * *

كانت مريم تصغي إلى حديث بابك وهي تحرك الآيس كريم الذي أمامها ، وفي كل لحظة كانت تتأثر أكثر من اللحظة السابقة على حاله . وفي النهاية ، بعدما صمت بابك عادت إلى الوراء ونظرت إلى عينيه في حزن واضح ، وقالت:

- آسفة يا بابك ! إنني لم أر بيتا منذ بداية الأجازة ولا أعلم شيئًا من هذا ، إلا أنني في حيرة الآن ، هل حدثت مشكلة بينكما ؟!

هز بابك رأسه ، وقال :

- أنا نفسي في دهشة من ذلك !

قالت مريم :

– لمَ لا تسألها ؟ فبيتا فتاة صادقة وعقلانية .

رد عليها بابتسامة مريرة :

– ربما كان رأيك في غير محله ، لقد سقطتُ من نظرها لدرجة أنها ترفض الحديث معى أو مقابلتى ! ممكن لو سمحتى تتكلمى معاها ؟!

ردت على الفور :

– صدقنى إننى أود بشدة أن أساعدك لكننى حينما أفكر أرى أن هذا لا يكون من الصواب ، فلو كانت تود أن أعرف الموضوع لقالته لى ... ولو أنك تضايق ، إن لقاءنا هذا لا يصح ، ولو لم أكن أعرفك جيدًا لكان من المحال أن آتى إلى هنا .

قال بابك فى خجل :

– معكِ حق ، لكن صدقينى ما من حل لدى سوى هذا ، وأرى أننى أزعجتك .

صمتت مريم للحظة ثم قالت :

– ماذا تفعل الآن ؟

رد عليها :

– لا أدرى ! ألم ترد فكرة فى ذهنك ؟

قالت مريم بابتسامة ذات مغزى :

– بالله ماذا أقول ؟! ماذا ينبغى أن أقوله فى هذا الموقف ! أريدك فقط أن تعلم أن هذه العقدة لو قدر لها أن تُحل فسوف تُحل بيدك أنت فقط ، إنك حكَّمت جرجس فقط من دون الرسل جميعًا(*)، فى الواقع أنا فى حيرة ، فما بال الآخرين ! .

(*) "ازميان تمام پيغمبرهاى دنيا جرجيس را به حكميت گرفتيد" : مثل فارسى للدلالة على اتخاذ القرار من تلقاء نفسك دون دراسة .

ضحك بابك وقال :

– أنتِ تتواضعين ، إن بيتا كانت تمتدحك دومًا .

طأطأت مريم برأسها وقالت :

– ربما ما أقوله خطأ ، لكن علاقتي بها ليست كالسابق . إنه لشيء مضحك ! الناس يقتربون من بعضهم البعض بمرور الوقت لكننا على العكس من ذلك ، في الواقع لقد تغيرنا تمامًا أنا وهي الآن ، وعليه فأنا لا ألومها إن كانت قد أخفت عني هذا الموضوع .

– لمَ ؟

صمتت مريم مع تذكرها لكامران ولم تتفوه بكلمة ، وقال بابك وهو يرى صمتها :

– اعذريني ، كان سؤالي في غير موضعه .

ابتسمت مريم ابتسامة مريرة وأرادت أن تقول شيئًا تُصرف به نظر بابك ، فالأوضاع في نظره معقدة بذلك القدر ولا يجب عليها بتخمين أعمى لا تتأكد منه أن تزيد الأمر سوءًا . نظر بابك في ساعته ، وقال :

– لو تسمحي أوصلك في طريقي .

ردت عليه وهي تقوم من فوق المقعد :

– لا ، أشكرك ، صدقني أنا لا أجامل ... هذا أفضل !

قال بابك – الذي كان يدرك مقصدها – في استحسان واضح :

– أفهم ، وأشكرك ثانية على وقتك الذي سمحتي لي به .

* * *

كانت أيام الصيف الصامتة بالنسبة لبيتا أكثر طولاً وأكثر ثقلاً خاصة وأن نسرين كانت تعاملها ببرود . كذلك لم يعد لديها الحجة – كالجامعة مثلاً – للخروج، كانت تشعر بالعذاب على أثر نظرات أمها المعاتبة لها ، كانت تراعي قدر الإمكان ألا تتقابل معها وجهًا لوجه . وقد تسببت هذه الوحدة الجبرية في أن تفكر في الماضي وذكرياته رغمًا عنها . تفكر في بابك ، في نفسها ، في الخال وفي نسرين ! لم تكن

مندهشة من قطع بابك اتصاله بها بعد رد الهدايا . فى الواقع لقد كسرت بيتا قلبه بتصرفها هذا وعكرت ما كان بينهما من صفو ، لكنها كانت تواجه دومًا بتذكرها له وبدت وكأنها تهرب منه ! وفى وحدتها كانت تفكر كذلك فى كامران ، وتعجبت بعض الشىء من غيابه المفاجئ بعدما كان يبديه من فضول فى السابق ، ما من أثر حتى لاتصالاته التى كانت بسبب وبدون سبب ، وهذا ما جعلها أكثر قلقًا ، فقد أثبتت التجارب لها أن صمته هذا لا يكون بلا سبب . وعلى الرغم مما قالته لكامران فى آخر لقاء بينهما إلا أنها كانت تهرب فى ضعف من التفكير فيه ، كانت تتملكها دومًا إثارة ما مع تذكرها له لدرجة أنها عدمت حتى الجرأة على النظر أو الحركة . كم كانت مفاجئة لها حينما قابلته فى المرة الأولى فى منزلها . لقد حدث ذلك اللقاء الصعب فى أول يوم من أيام شهر "شهريور" !

كانت بيتا قد استيقظت توًا من النوم وقت العصر ، وكانت نسرين كعادتها مشغولة بالتطريز حينما كسر صوت جرس المنزل سكون فترة ما بعد الظهيرة . اتجهت بيتا بفضول ناحية الشرفة ونظرت إلى الباب . فلم يطرق عليهما أحد جرس المنزل منذ أن وقع الخلاف بينها وبين بابك ، والآن ... وكأن ذكرى بابك قد حيت فى ذهنها بعد فترة طويلة ، تذكرته حينما كان يأتى لزيارتها ومعه الورود . كم من أيام كانت تعد فيها الدقائق خلف نفس الشرفة فى انتظار قدومه ! إنها نفسها لم تصدق أن كل شىء قد انتهى ! كأن الزمان قد عاد إلى الوراء وها هو يأتى ثانية لزيارتها بباقة الورود الحمراء ولكن كم أصابتها الدهشة عند رؤيتها كامران ومعه باقة الورود الحمراء !!

كان يرتدى بزة رصاصى آخر موضة ويبدو هادئًا متماسكًا وكأنه مدعوًا على حفل ! نظرت إلى عبد الله وقد تسمرت فى مكانها من هول المفاجأة ، كان عبد الله يتقدم كامران تجاه المنزل ، لم تكن دهشته أقلاً منها . وفجأة تذكرت نسرين وارتجف جسدها من التفكير فى مواجهتها ، أرادت أن تفتح الشرفة وتقول شيئًا لكنها لم تستطع ، كأن روحها قد خرجت من جسدها ، فقدت القدرة حتى على تحريك جفونها . وتوقف كامران أمام السلم وهو مطأطئ الرأس فى أدب ووقار ، كم كان جريئًا لقدومه إلى هنا ! جعلت تصغى إلى كلام أمها وهى تلتقط أنفاسها بصعوبة وشكرت ربها لأول

مرة خلال هذه المدة بسبب عطل جهاز الإنتركوم ، فلو كانت أمها قد قابلته بدلاً من عبد الله لما كان لها أن تتوقع رد فعلها تماماً ، كانت نبرتها فى هذه اللحظة بقدر من العصبية وهى تخاطب عبد الله بقولها :

- لا تعرفه ؟ إذن كيف سمحت له بالدخول وأنت لم تره ولم تعرفه؟!

فرد فى ارتباك :

- لقد اندهشت يا سيدتى لأنه دخل قبل أن آتى إليه !

- ماذا يريد ؟

- ماذا أقول يا سيدتى ؟ يقول ... إنه جاء فى موضوع خير .

- موضوع خير ؟ !

كان سؤالها شبيهًا بالصياح أكثر منه الاستفسار.

- نعم يا سيدتى ، أظن أننى على صواب فى إنه يقصد الست الصغيرة ، لأنه يحمل فى يده باقة من الورود !

وضعت بيتا شفتيها بقوة تحت أسنانها لدرجة شعرت معها بمذاق الدماء فى فمها ، التفتت إلى كامران واندهشت من تماسكه وهدوئه وهو يقف تحت أشعة الشمس المحرقة ، خرجت نسرين من المنزل وكأنها الخصم وسألته فى فتور وهى فى الممر :

- اتفضل يا أستاذ !

ألقى كامران عليها تحية السلام وهو يبتسم ، ثم قال :

- اغفرى لى لو كنت قد أتيت فى هذه الساعة من النهار ...

قالت نسرين فى ضيق :

- أمرك ؟!

صمت كامران الذى فوجئ بردها وقال :

- لو تسمحى لى ببضع دقائق أزعجك فيها لأعرض عليكِ الأمر .

وارتجف قلب بيتا من جرأته ، وقالت نسرين التي كانت في حالة من الدهشة في وضوح :

- حسنًا ، اتفضل !

فقال كامران - الذي كان قد أعد نفسه لاستقبال أسوأ من ذلك - في لؤم:

- هنا ؟ تظنين أن هذا مكان مناسب يا سيدتي ؟

ردت في عصبية :

- نحن لا نعرف بعضنا ! هل تعرفنا ؟

قال بهدوء :

- أنا خادم بيتا ورهن إشارتها ، لكنني لا أعرفك .

قالت نسرين في دهشة :

- بيتا ؟! من أين تعرف ابنتي ؟

تمنت بيتا ألا تتعرف أمها عليه ، لا شك أن وجهه كان مألوفًا لدى نسرين لكنها لم تكن تستطيع أن تتذكر أين رأته . قال كامران - الذي شاهد ترددها - برقة تبث الحياة في روح مخاطبه :

- فقط اسمحي لي بالدخول لعدة دقائق كي أوضح الأمر .

تمنت بيتا أن ترفض أمها ، لكنها على عكس ما تمنت ، قالت لعبد الله بفتور وبشكل رسمي وهي تدخل المنزل :

- يا عبد الله ، ورى الأستاذ الطريق !

كانت بيتا كمن استيقظ توًا من النوم ، نظرت إلى لون وجهها المخطوف في المرآة ، وضحكت من رؤيتها لنفسها في هذه الحالة . في الحقيقة لم تكن خائفة في أي وقت قط في عمرها بذلك القدر ، والأكثر من هذا هو دهشتها من أمها التي دعت كامران للدخول دون أي اعتراض . وكامران ! كم كانت تستاء منه لأنه جاء دون تنسيق معها ! تمنت بيتا وهي تغير ملابسها أن تتمكن من الظهور بشكل تبدو فيه وكأنها

لا تعلم شيئًا عن هذه الزيارة الإجبارية حتى لا تضطر إلى أن تقدم تفسيرًا لأمها فى هذا الشأن ، لكن ما من فكرة وردت على بالها ، كانت تلوم كامران فى قرارة نفسها ، حاولت أكثر من مرة الإصغاء إلى حديثهما لكنها لم تسمع شيئًا ، وقد عم المنزل صمت تام . رغبت فى أن ترتب أفكارها فى هذا السكون فإذا بباب حجرتها يُفتح بعد عدة طرقات خفيفة ويدخل عبد الله إليها :

- لو سمحتى يا سيدتى .... تقول أمك أن لدينا ضيوف ، فلتتفضلى إلى حجرة الاستقبال !

سألته بيتا فى هدوء :

- هل أمى عصبية ؟

هز عبد الله رأسه وقال :

- ماذا أقول يا سيدتى !!

قالت فى ارتباك :

- ماشى ، سآتى حالاً .

والتقطت أنفاسها بعد خروجه ثم خرجت من الغرفة فى تماسك مفتعل ، كم كان مثيرًا للضحك لديها ذلك الخوف الذى بداخلها من مواجهة أمها الذى كان أكثر من خوف كامران !

وكم كان سيئًا لديها أنه يجب أن تواجه بأمها عند بداية دخولها ! كانت نسرين تجلس فوق أحد المقاعد الفاخرة فى حجرة الاستقبال جلسة الملوك الأشراف وتنظر إليها فى غضب ، وبمجرد رؤية كامران لبيتا قام من مكانه وسلم عليها ، وردت بيتا عليه السلام دون أن تنظر إليه ثم جلست أمام أمها . وسألت نسرين - التى كانت تنظر إليهما بدقة - بيتا دون مقدمات :

- من الذى استدعى هذا الأستاذ هنا ؟

ردت بيتا وصوتها يرتجف :

- لا أعلم يا أمى !

تدخل كامران وقال :

- هى فعلاً لا تعلم !

قالت نسرين فى فتور دون أن تنظر إليه :

- لم أسألك أنت .

نظر كامران إلى بيتا ورجع إلى الوراء ، فقالت نسرين :

-الأستاذ بيقول إنه جه يخطبك !

اضطربت بيتا لكنها لم ترفع رأسها ! واستطردت نسرين فى حديثها :

- لقد قلت له أنكِ مخطوبة وسيتم زواجك قريبًا .

قال كامران :

- آسف جدًا يا سيدتى ، إننى أعلم أن خطبتها قد فُسخت ، وبناءً عليه أليس من الأفضل أن تسأليها رأيها ؟

نظرت بيتا إليه فى دهشة وكأن لسانها قد انعقد ، وقالت نسرين فى غضب :

- إذن أنت صادق فى قولك بأنك تعرفها .

قالت بيتا على الفور :

- أمى ، سأوضح لكِ !

قالت نسرين على الفور :

- اغلقى فمك ، كيف تعرفتى عليه ؟

قالت بيتا وهى غارقة فى عرقها :

- أمى ، سأحكى لكِ بعد ذلك ، أرجوكِ لا تسيىء الظن هكذا .

صاحت نسرين :

- أسئ الظن ؟! العياذ بالله ! وكأننا بلغنا نهاية العالم ! أيأتون هكذا دون مقدمات إلى بيوت الناس ويطلبون الخطبة ثم تقولين إننى أسىء الظن ؟! قولى لى من أين عرف ذلك الأستاذ أن خطبتك قد فُسخت ؟

- لا أعلم حقًا يا أمى !

قال كامران :

- هى لا تعلم بالفعل يا سيدتى .

ردت نسرين عليه بنبرة مهينة :

- لا تتدخل فى الموضوع .

قالت بيتا فى هدوء :

- أمى أرجوكِ !

- لا تنطقى بكلمة ، لا تستطيعين أن تضحكى علىّ .

- ما هذا الكلام يا أمى ؟ بالله عليكِ لا تجرحينى !

ودون اهتمام بكلام بيتا التفتت نسرين إلى كامران وقالت :

- اتفضل يا أستاذ ! إن ابنتى كما قلت مخطوبة وللأسف ليس لدى ابنة أخرى كى أزوجها لك !

نظر كامران إلى بيتا ، وحينما وجدها صامتة مترددة قال لنسرين :

- سيدتى ، لقد جئت اليوم إلى هنا حتى ....

قاطعته نسرين قائلة :

- ليس هناك كلام آخر للحديث ، لقد قلت لك ما عندى ، اتفضل يا أستاذ ، أنا أصلاً فى حالة ليست جيدة .

قال كامران :

- سيدتى ، يجب أن تعلمى أننى أحب ابنتك بجنون ولا أستطيع الحياة بدونها .

نظرت بيتا إلى نسرين ، كان وجهها أزرق وشفتاها بيضاء وفى حالة من الوهن تكاد أن تسقط فى لحظة ما ، عادت إلى كامران ، يا إلهى ، كم أن هذا الرجل جريئًا !

- لقد قلت هذا الكلام مراراً إلى بيتا لكن على ما يبدو أنها لم ترغب فى أن تأخذه مأخذ الجد ، وأنا على استعداد لأن أقبل الأيادى إلى أن تقبلينى ابنًا لكِ.

توجهت بيتا بسرعة ناحية أمها وصاحت فيه :

- حسنًا ، ارحل الآن ، لقد قلت ما كنت تريد أن تقوله .

قال كامران فى دهشة :

- لكننى ...

قالت بيتا بصوت أعلى من ذى قبل :

- قلت لك ارحل من هنا ، ألا ترى ؟ تريد أن تقتل أمى !

وضعت نسرين يدها فوق قلبها وقالت :

- اخرج من بيتى .

ومع رؤيته لبكاء بيتا والحالة التى عليها نسرين قال فى ارتباك :

- حقًا أنا آسف يا بيتا ، فى الحقيقة لم أكن أرغب .....

قاطعته بيتا فى توسل وهى تمسح على كتف أمها :

- ارحل فقط !

توجه كامران ناحية الباب على عكس رغبته ومن هناك نظر إلى الأم والابنة وارتجف من الجدية التى كانت تتحدث بها نسرين وهى تقول :

- قولى له يخرج من منزلى !

قال كامران لبيتا :

- هناك شىء أخير فقط !

نظرت بيتا إليه وهى تبكى فقال :

- لن أتخلى عنكِ حتى آخر لحظة فى عمرى .

ثم قال لها وهو يشير إلى نسرين :

- خلى بالك منها !

وما أن تأكدت نسرين من رحيله حتى قالت وهى تنوح :

– تركتى بابك بسبب هذا التحفة التافه ؟! تلعبين بأعصابى شهرًا كاملاً من أجل صاحب الضفائر هذا ؟! اتفو عليكِ ! هو فيه إيه ؟ هل قصر بابك فى تلبية طلباتك مهما كانت ؟ هل قصر فى حبه لكِ ؟ لقد ضحكتى علىّ وعليهم ! نعم ، لقد أقسمتى أنكِ لا تعرفينه ! هل يعلم الغيب وأدرك القرار الذى اتخذته ؟ ألم تخشى الله حينما تكسرين قلب شاب برىء ؟! ألم تخجلى منى ؟! فالحياء صفة حسنة ! هل يأتى من تلقاء نفسه ليقول لنا أنه يريد خطبتك ويطـــلب بكل وقاحـــة أن أقبــله ابنًا لى ؟! يا عديمة الحياء ، ألم يجب عليكِ أن تخبرينى من هــو ؟ ومـــاذا يعــمل ؟ لا ، إنكِ لم تكبرى ، إنكِ قطعتى رأسى ووضعتها فى القبر !

قالت بيتا وهى تبكى :

– ما هذا الكلام يا أمى ؟ لا تضغطى على نفسك هكذا .

دفعت نسرين يدها وقالت :

– لا أضغط على نفسى ؟ هل نسيتى كم أغضبتى خالك وجعلتنى فى موقف محرج ؟ ما الذنب الذى اقترفته كى يجب علىّ أن أطأطئ رأسى من أجلك ؟

أقسمت بيتا :

– أمى ، وحياة تراب أبويا لم أكن أعلم بمجــيئه اليوم إلى هنـــا ، ولـــو قــلت لكِ إننى لا أعرفه هل ستتعصبين ؟

– نعم ، لم يكن ليأتى إلى هنا طالما لم يجد منك قبولاً .

– أقــسم بالله أن الأمــر ليس هكذا يا أمى ، إنه كــان يطاردنى منذ فــتــرة ويقــول إنه يحبنى، كما أن فسخ خطبتى لا علاقة له به قط .

– ولِمَ أنتِ ؟ هل عدمت المدينة وجود البنات ؟

قالت بيتا التى رأت نفسها فى موقف لابد أن تقول فيه شيئًا :

– إنه صديق شقيق إحدى زميلاتى ، إنه صديق آرش شقيق مريم .

قالت نسرين فى ضيق :

– أليس هذا الرجل هو الذى كان يأتى أحيانًا أمام المنزل ويقوم بتلك الضجة ؟ حسنًا ، لقد بانت الأمور لى الآن !

– أمى ، صدقينى ، ليس لى ذنب فيما حدث .

– وماذا عنكِ ؟ أتحبينه ؟ ولو كان الأمر غير ذلك ، لمَ لمْ تتزوجى بابك ؟

– كأننى لم أستطع توضيح وجهة نظرى ، إن فسخ الخطبة لا علاقة له بهذا الموضوع ، وحينما تقولين أنتِ هذا ، فماذا يقول الناس ؟

– مسكين خالك ، هل تعلمين ماذا قال بعد ما حدث منذ أيام ؟ كان يقول لى لا تضعى رأسك برأسها ، اتركيها لحالها لفترة !

– كأنكم لم تأخذوا الموضوع مأخذ الجد يا أمى !

– لا ، لم آخذه مأخذ الجد ! ما هو عيب بابك المسكين ، دعينى أريح بالك ، ليس فى إمكانى أن أتركك تتزوجين بهذا الرجل الفافى ، هل فهمتى ؟ ولو تم ذلك سيكون على جثتى ! وعلقى هذه حلقة فى أذنك ، إننى لن أدعك تفعلين أى خطأ تريدينه !

ردت بيتا فى عصبية :

– لا داعى لتكرار هذا الكلام ياأمى ! فتصرفك يدل عليه بالقدر الكافى ! والعيب فى الموضوع أنكِ تعتقدين أننى دميتك .

– لا داعى لأن تقولى لى هذا الهراء ، هل تظنين إننى لم أفهم أنكِ تغيرتى عما قبل ؟

– أريد أن تعلمى أننى وبابك لم نكن متفاهمين .

– مهما يكون بابك فهو أفضل من هذا الخائن ذى الضفائر !

– من أين لكِ بذلك؟ إنكِ حتى لم تسمح له بالحديث !

– رأيتى كم كان عديم الحياء دون أن يتحدث ! لا يا بنتى ، إننى من الخبرة بحيث أفهم من أمامى بنظرة واحدة وأعلم من هو وضمنًا ليس مهمًا بالنسبة لى أية فكرة لديك عنى ، ربما تدركين بعد ذلك حينما تصبحين أمًا إننى لم أرغب إلا فى سعادتك.....

* * *

ظلت بيتا بعد رحيل كامران فى حالة من الذهول وعدم تصديق ما حدث ، كانت ترتجف فى كل لحظة من شعور غير مفهوم بشكل كان يجعلها تقع فى الحيرة من جرائه . كيف تمكن من المجيء لرؤية أمها دون مقدمات ؟ كيف أشار إلى رغبته دون حياء ؟ دخلت حجرتها وهى غاضبة ومددت جسدها على السرير دون حركة وجعلت تنظر إلى رسوم الجص المرسومة على سقف الحجرة بدقة وكأنها تراها للمرة الأولى ! كان استيعابها لما حدث من الصعوبة بمكان ، لكن فى الواقع قد تغير شيء ما بداخلها فى ذلك اليوم ، شيء لم تكن تنتبه إليه حتى ذلك الحين ، أو على الأقل كانت تحاول أن تتجاهله ، وكأن الشرارة الساخنة التى رأتها فى عينى كامران كانت تشعل النار فى كل كيانها ، كم كانت نظرته الأخيرة مؤثرة ! ماذا كان يقول ؟ " لن أتخلى عنكِ حتى آخر لحظة فى عمرى " كم كانت تفكر فى تلك الجملة رغمًا عنها فى نهاية ذلك اليوم ، وكأنه قد لخص كل ما كان يريد أن يقـوله فى تلك الجمـلة . همست فى سخرية ، "أيها العنيد الأحمق ، لقد بيضت وجهى ! " كان الصوت هو صوتِها لكنه يبدو وكأنه لشخص آخر .

أرادت أن تتذكر أول لقاء بينهما وألم بها التعب من التفكير وإذا بصوت الهاتف يقطع حبل أفكارها . كانت هذه هى المرة الأولى التى تكون فيها عصبية بهذا القدر فى ردها على الهاتف ، كانت عصبية لكنها كانت تحاول أن تبدو هادئة ، رفعت السماعة ، وفكرت كم هو فى محله أن هاتف حجرة نوم أمها كان مفصولاً ، كان صوتها يرتجف وردت على عكس رغبتها :

– نعم !

– بيتا ....

مع سماع صوته تملكت كيانها كله موجة عارمة من الوهن ، وقالت فى استياء بالغ :

– ألم تخجل من نفسك ؟ كيف تفكر فىّ ؟ هل فكرت لا قدر الله أننى دمية فى مسرح العرائس تحركها كما تريد ؟ من سمح لك أن تأتى إلى هنا وتفسد علىّ حياتى ؟

قال كامران بكل هدوء :

– لو سمحتي يا بيتا ، اهدأى ، صدقينى ، لقد نفذ صبرى . لا أعلم ، ربما كان تصرفى خطأ ! حينما أفقت إلى نفسى وجدتنى فى منزلك .

– ربما ؟! لقد تسببت بالفعل فى متاعب لى ، وتسببت فى أن تفكر أمى أننى اتفقت معك !

– لكن كلانا يعلم أن هذا ليس صحيحاً !

– من قال لك إن خطبتى قد فُسخت ؟

– إن فهم ذلك ليس بالأمر الصعب ، تعلمين أننى ألاحقك كخيالك ، ولا شك أننى لم أكن متأكداً لكننى خمنت فقط .

– خمنت فقط ؟! لم تكن واثقًا وجئت ؟ هكذا دون مشورتى ودون تنسيق معى؟ كيف تمكنت من إفساد الأمور بينى وبين أمى ؟ لمَ قلت إننا نعرف بعض من قبل ؟

– فى رأيك ، ماذا كان ينبغى أن أقول ؟ كان ينبغى أن أقول إننى هبطت من السماء ؟ أم أقول إننى أعلم الغيب وجئت لطلب الخطبة ؟

– كيف علمت الغيب وفهمت أن خطبتى قد فُسخت ؟ والأهم من ذلك كيف تأتى إلى هنا لمجرد التخمين ؟

– بيتا . إننى على استعداد للقيام بأى شىء مهما كان خطيراً والتضحية بروحى من أجلك وتحمل رد فعل ذلك .

– لو نفترض أنك جئت للخطبة ، أيكون بهذا الشكل ؟ بمفردك ؟ ما الذى أوهمك أن أمى ستوافق بدون حضور الأسرة معك ؟

– الأسرة ؟! أية أسرة ؟ فى الحقيقة إننى كنت أريد يومًا الحديث معك فى هذا الشأن لكنك لم تبد لى وجهًا !

– لأننى لم أقصد الزواج ، فكيف أتحدث فى ذلك ؟

- وأنتِ تعلمين كذلك إنكِ تتذرعين بالحجج ! فمنذ فترة كنتِ تتحججين ببابك، والآن تقولين إنكِ لم تقصدى الزواج ، لكن ثقى أنكِ لن تستطيعى فى كل الأحوال أن تبعدينى عنكِ . وأما فيما يختص بأسرتى ، فقد توفى والدى منذ أعوام ، وأمى امرأة عجوز تعيش فى كرمان مع خالتى ، ولى شقيق واحد سافر إلى كندا منذ أعوام .

- ياإلهى ، تريد أن تقول إنك وحيد ؟ ما من عمة ، أو عم أو خال .....

ضحك كامران وقال :

- نعم ، لى خال واحد صوته منفر وتُستشعر رائحة الرحمان عنده بالتمام .

سألته بيتا فى استياء :

- كيف تستطيع الحديث عن أهلك المقربين بهذا الشكل ؟

- إن عمره يزيد على الثمانين وحالته متدهورة ، حتى أن المحيطين به يدعون أن يشمله الله برحمته سريعًا ! ولا أعلم شيئًا آخر عن أهلى من ناحية أبى لأننى لم أرهم منذ أعوام ، فى الحقيقة إنهم ابتعدوا عنا مع موت والدى .

- معنى هذا أنك لا تفكر فى أن تخبر والدتك ؟

- بالتأكيد سأخبرها ، إننى لا أعتقد أنك سوف توافقين قبل أن أهيئ الظروف لذلك ، وسوف أشرح لها كل هذا رغم أننى لا أريد أن تتدخل فى حياتى أو فى اختيارى لعروستى ، فأنا أتصرف دومًا بحيث لم أسمح لها بأن تتدخل فى شئونى لأننى أؤمن بالاستقلال .

قالت بيتا وهى فى دهشة من طريقة تفكيره :

- لكن على أية حال هى أمك ، وأعتقد أن هذه الأمور يجب أن تتم عن طريق النساء ، فكما يقول من سبقونا " نحن نرى الشعرة وهن يرون تعقيداتها " .

ضحك كامران وقال بكل ثقة :

- بيتا ، ربما لم تعرفينى حتى الآن ، لكن يجب أن تعلمى أننى أفضل أن اتخذ قرارى بنفسى دون وصاية . أو بعبارة أخرى ، أنا على استعداد كى أجرب كل شىء مهما

كان صحيحًا أم خطأ ، ولاشــك أننى أضرب رأســى فى الحجر أحيــانًا لكننى لا أستسلم للهزيمة لأننى لا أفعــل ما يمليه علىّ الآخــرون ، وأنفر من ذلك حتى ولو كانت أمى !

قالت بيتا على سبيل الكناية وهى تحس من داخلها باستحسان حديثه :

– إذن تبًا لشريكة حياتك !

فرد بنبرة ذات مغزى :

– ولمَ لا تقولى هنيئًا لشريكة حياتى ! فلتثقى أننى سأكون تحت سلطتها التامة بعد الزواج دون نقاش . هل ارتحتى من هذه الناحية ؟

– لكننى لم أرد عليك حتى الآن !

– تأكدى أننى حصلت على ردك ، لأننى أؤمن بأن الإنسان سيصل إلى كل ما يريد !

– هذا تهديد ؟

– لا ، إنه أمنية !

وارتجف ظهر بيتا من سماع هذا الكلام الذى لم يكن يقبل المقارنة مع كلام بابك أو مع كلام أى رجل آخر قابلته .

– بيتا ، أقسم بالله لو لم تعطنى ردًا واضحًا سيكون دمى فى رقبتك . لأنك أوصلتنى إلى مرحلة الجنون ! صدقينى ، إننى لا أستطيع النوم أو الأكل بسبب التفكير فيكِ . أتظنين أنه من الســهل علىّ ألا أراكى طوال هذه المدة ؟! نعم أنا أوافــقك فى أن تصرفى اليوم كان متعجلاً بعض الشىء وغير متوقع ، لكن الله يشهد أن الأمر ليس بيدى . إننى أراكى منذ ما يقرب من شهر حولى أينما ذهبت ، وقلت لنفسى آخر الأمر ليكن الموت مرة واحدة والنواح مرة واحدة ! وفى النهاية طردتنى أمك !

– أنت مجنون !

– نعم مجنون ، لكننى مجنون بكِ ! تذكرى أن كل هذا البلاء الذى حل بى كان بسببك .

– كان من المفروض أن أفكر لفترة وألا تضعنى فى مواقف محرجة !

– نعم ، لكن إلى أى مدى أخذتى هذا الموقف بجدية ؟ أنا أرى أنكِ أردتِ فقط أن أكف يدى عنكِ .

- لو سمحت كن عقلانياً ! ظروفى لم تكن مناسبة !

- لقد قلت لأمك كل ما تريده ، صدقينى لقد سعدت عندما سمعت بفسخ خطبتك سعادة لا حد لها ! لأنكِ ملكى أنا ، ملكى أنا فقط ، إذن لا تحاولى أن تنفلتى كالسمكة من يدى !

وضعت بيتا يدها على قلبها وهى تلتقط أنفاسها وقالت :

- .... أنا لا أستطيع فى الحقيقة أن أتزوج بك أو بغيرك فى الظروف الحالية ! لو سمحت تفهَّم ما أقول !

- سآتى لزيارة أمك ثانية وأركع تحت قدميها .

- أرجوك لا تفعل هذا .

- إذن عليكِ أن تعدينى أنكِ ستتحدثين معها .

- أستحلفك بالله لا تضعنى فى موقف محرج ، كيف يمكنك أن تلقى بى فى الجب؟

- لأننى لا أريد أن يصل آخر ويأخذكِ منى .

ضحكت بيتا رغماً عنها وسألها كامران بنبرة ثائرة :

- متى ستردين علىَّ ؟

- ولو كان الرد بالرفض ماذا يحدث ؟

- سآتى تحت نافذتك وأعزف على الجيتار فتعطينى رداً بالقبول حرصاً على سمعتك .

- لا أستطيع أن أفعل هذا دون موافقة أمى ، فلا أحد لها فى الدنيا غيرى ، خاصة وأنها تشعر بالوحدة أكثر من ذى قبل بعد فسخ خطبتى .

- ستتحدثين معها ، أليس كذلك يا بيتا ؟

كان ثمة شىء فى كلامه قد عقد لسانها ، فقال ثانية :

- أليس كذلك ؟

- حقًا إننى لاأزال أرى أننا لسنا على وفاق ، ومع هذا سوف أتحدث معها .

- أنا فداؤك !

(٢٦)

كانت بيتا تحاول أن تحدث أمها دون أن تبالى بدموعها ونواحها ، وفى كل لحظة كانت نسرين تزداد غضبًا ، واستمرت بيتا فى حديثها :

– أمى ، لقد كنت مترددة منذ البداية لكننى الآن اتخذت قرارى ، إنك لم تسمحى لى فى المرة السابقة بالتعبير عن رأيى وهذه هى النتيجة ، لكننى لم أسمح هذه المرة لأنه ليس عديم الشخصية كما تدعين ، فعلى الأقل هو الذى يفكر ويتخذ قراره بنفسه ، فقد وقف على قدميه وهو فى سن صغيرة دون أن يعتمد على شخص ، ليس مهمًا بالنسبة لى ألا يكون ثريًا ، كما أنه يتمتع بعزة نفس ولا يمد يده لغيره ، وعليه لا تحاولى أن تدخلى لى من باب المشاعر، فلا فائدة من ذلك .

قالت نسرين بغضب لم تستطع السيطرة عليه :

– هل يجب أن أعرف عديم الحياء هذا ؟ اتفوه عليكِ ، أتريدين أن تفرضى علىَّ شيئًا تم الاتفاق عليه من قبل ؟ ما الذى لدى صاحب الضفائر هذا لا يوجد لدى بابك ؟ قولى لى ما دورى أنا فى هذا الأمر ؟ !

قالت بيتا وهى تحاول عدم النظر إلى عينيها :

– ما هذا الكلام يا أمى ؟ هل رضاكِ ليس مهمًا بالنسبة لى ؟ بالتأكيد رأيك مهم، ولكن أين رأيىَّ أنا ؟ أليس مهمًا ؟ ألستَ أنا التى أعيش عمرى كله مع شريك حياتى ؟

– لو كان لكِ عقل وإدراك لما اخترتِ هذا الاختيار!

– هو عيبه إيه ؟

– أبدًا ! جاء بوقاحة يطلب خطبتك دون أن يكون معه كبير ، دون أن يستأذن ، العياذ بالله ، أظن أن الدنيا قد اقتربت من نهايتها ! كأنه يريد بهذا التصرف أن يفرض نفسه علينا بالقوة !

– حسنًا ياأمى ، ألا تريدين لى السعادة كما تقولين ؟

– نعم ! لكن ليس مع هذا الولد ذى الضفائر ، لو سألنى أحد فيما بعد عن عمل صهرنا أقول مزيكاتى ؟

– أمى الحبيبة ، بالله عليكِ لا تتحدثين هكذا كالجهال ، المزيكا أيضًا تحتاج إلى دراسات عليا!

– وما الفرق ؟ فالمزيكاتى هو مزيكاتى ! أهذا عمل ؟ حقًا لقد أحزنتنى باختيارك هذا!

– إن كنت تتحدثين عن وجود كبار بين نويه فهم موجودون ، ولكن ما يكفى هو أن توافقى فقط !

– كأنك فقدتى عقلك ! ابنتى الحبيبة ، هذا الولد ليس من مستوانا ، بأية لغة أتحدث معكِ ؟

– لقد أصبحتِ سيئة الظن ياأمى ، كيف تستطيعين أن تحكمى علي شخص من جلسة واحدة ؟

– لم أسئ الظن إنما أنتِ التى تنظرين بحسن الظن إلى الموضوع . ابنتى الحبيبة، الحب كالثرى فوق الماء تلمسينه بيدك ينكسر ! هل يرد الإنسان فى هذه الدنيا أكثر من مرة حتى يستطيع أن يعيش كما يريد ؟

– أنا لاأفكر مثلك ياأمى ، وما من باعث يجعلنى مثلك ، فأنتِ من زمان آخر ! إننى أحب أن أعيش مع من يحبنى وأحبه ! لأننى أرى أن كل مستحيل يمكن أن يتم بقوة الحب .

– لا تطلقى الشعارات فلا طاقة لى على سماع ذلك ، فكلامى هو ما سمعتيه !

قامت بيتا من مكانها فى ضيق وقالت :

– ماشى يا أمى ، إذن اوعدينى ألا تتدخلى فى شئونى لأننى لا أستطيع أن أفكر بأننى لست مهمة فى حياتك ، ولكن لا تتحكمى فى مصيرى وقت الحاجة .

– أتهددیننی ؟

قالت بيتا وهى تخرج من حجرة الاستقبال :

- لا ، لكننى أريد أن أثبت لكِ مرة واحدة أن لى كيانًا .

* * *

حبست بيتا - التى كانت تحاول إقناع نفسها وهى كسيرة القلب - نفسها فى حجرتها ثلاثة أيام . لم تذق خلالها الماء ولا الطعام ، ولم تستطع نسرين إقناعها بشتى الطرق ، لقد كانت تقف بالساعات خلف الباب تحبس دموعها وترجوها ، لكن بيتا لم تكف فقط عما تقوم به بل كانت تصر على تنفيذ رغبتها ، لقد كانت تتأذى كثيرًا من فرط الجوع حتى فقدت وعيها فى نهاية اليوم الثالث ، وحينما فتحت عينيها ثانية وجدت نفسها فى المستشفى تحت المحاليل وأمها تبكى وهى فى حالة من القلق عليها ، تضايقت بيتا مع رؤيتها بكاء أمها وقالت ردًا على سؤال نسرين لها "لِمَ فعلتِ ذلك؟":

- لأننى أشعر بعدم أهميتى عندك ولاقيمة قط لحياتى لديك !

قالت نسرين وهى فى غاية الضيق :

- لو يضعون لروحك روحًا أخرى فأنتِ عنيدة حمقاء ، أية أم تريد الشر لابنها كى أكون مثلها ؟ إن سبب كلامى معكِ هو إسعادك وحتى لا تتخذى قرارك كالأطفال فى عجالة !

مسحت بيتا دموعها وقالت :

- إن قرارى ليس متعجلاً يا أمى ، لقد وجدت الرجل المثالى الذى طالما تمنيته ، وأعتقد أننى سأكون سعيدة إذا قبلتِ ، إنه إنسان يعتمد على نفسه ، يتمتع بشخصيته المستقلة ، أستطيع الاعتماد عليه فى كل شىء .

قالت نسرين - التى كانت تذرف الدمع كسحاب الربيع - على عكس رغبتها:

- ماشى ، افعلى كل غلط تريدينه ، وتذكرى فقط أنكِ أنتِ التى أردتِ ذلك ، ومهما أكون فأنا أم ولا أرضى حتى أن تصيبك شوكة فى إصبعك ، فماذا يحدث لو تموتى جوعًا من أجله ؟!

قامت بيتا من مكانها رغم ما بها من وهن واحتضنتها قائلة :

- أشكرك يا أمى ، إلهى أنا فداؤك .

أبعدتها نسرين عنها وقالت فى فتور :

- لا تعتقدى أنكِ انتصرتِ ! كان يحق لى أن أقتلك بنفسى بعد أن فسختى خطبتك وأفسدتِ الأمور بينى وبين خالك !

قَبّلت بيتا وجهها وهى تضحك وقالت :

- أهون عليكِ يا أمى ! لا تتحدثين هكذا !

قالت نسرين فى جدية :

- تذكرى أنكِ تخطئين !

* * *

منذ ذلك الوقت كانت بيتا وكأنها تسير فوق السحاب ، الآن تخرج علانية مع كامران بعدما حصلت على موافقة أمها ، كانت تشعر بالسعادة من وجوده معها ، كانت وكأنها قد بلغت منتهى أملها ! كان كامران يستقبلها بإلقاء النكات التى تنهك قلبها من شدة الضحك عليها ، كان يقابلها بشوق بالغ وكأنه يُذكرها بحب فرهاد وشيرين ، كان يفاجئها دومًا حتى عاشت فى تلك الأيام مستعدة دومًا لأية مفاجأة جديدة ! لا ! إنه لم يكن يقبل المقارنة قط مع بابك ، كان يتلفظ بجمل لإظهار حبه وعشقه لها بما يؤثر عليها ، إنها لم تقع تحت تأثير تلك المشاعر فى أى وقت قط فى أكثر اللحظات حساسية مع بابك ، بلاشك أن كامران كان أكثر الرجال الذين عرفتهم جرأة ، وربما بسبب جرأته تلك تمكن من الاستحواذ على قلبها فى فترة وجيزة وجعلها تهتم به بذلك القدر الذى جعلها تنسى الماضى وذكرياته !

ومع حلول الخريف استعدت بيتا لاستئناف الدراسة وحدت من لقائها بكامران أو الخروج معه للتسوق وذلك على عكس رغبته . فى تلك الأيام كان كامران يتذرع بالحجج وكانت بيتا تفسر ذلك أنه من فرط حبه وعشقه لها مما يجعلها تشعر بالزهو فى قرارة نفسها .

قلما كانت تتقابل مع مريم وذلك هربًا من الماضى ، فمريم تثير لديها ذكريات تريد أن تفر منها لتقترب أكثر من كامران ، لم تظل علاقتيهما كما كانت فى الماضى، لم تنصرفا معًا إلى المنزل ، كانت بيتا تميل أكثر لاصطحاب كامران لها ، لذا كانت تتعلل بعطل سيارتها ثم تسير فى ارتباك تجاه كامران الذى كان ينتظرها فى أحد الشوارع خلف الجامعة . إنه كان يُنزل بيتا - لمراعاة الحيطة - على مسافة عدة مترات من الجامعة حتى لاتستاء من سماع أية كلمة أو أى لمز . كانت بيتا ترى أنه ليس من أصالته فقط ألا يرد اسم مريم على لسانه ، بل إنه كان يتصرف دومًا وكأنها غير موجودة . وعلى عكس ما كانت تقوم به بيتا من توخى وجود مسافة بينها وبين مريم ، قامت مريم ذات مرة باعتراض طريقها فى عصر آخر يوم من أيام شهر "مهر" وهى تخرج مسرعة من الجامعة بحجة طلب إحدى المحاضرات منها ، وقالت بنبرة ذات مغزى :

- هل أصبحتِ مشغولة بذلك القدر ؟ لن تنصرفى يا بيتا !

ردت بيتا فى هدوء وهى تحاول أن تبدو متماسكة :

- تحت أمرك ! هو أنتِ غريبة !

قالت مريم فى غضب :

- أنا أم أنتِ ؟ لقد قمت بهدوء بفسخ خطبتك ، وبهدوء أيضًا تتم خطبتك ثانية !

قالت بيتا - التى تسمرت فى مكانها من الدهشة - فى ارتباك :

- تقصدى إيه ؟

قالت مريم بابتسامة مريرة :

- هل أصبحنا غرباء عن بعضنا يا بيتا ؟ مبروك ! سمعت أن هناك أخبار سعيدة بعد بابك !

تماسكت بيتا وقالت :

- الأخبار تنتشر بسرعة !

قالت مريم بشكل جاد :

- الأخبار السعيدة سرعان ما تنتشر خاصة إذا كان للإنسان أم حنونة مثل أمك !

قالت بيتا فى دهشة :

- أمى ؟ أين رأيتها ؟

ردت مريم وهى تلمز :

- حقًا أنتِ مستعجلة !

قالت بيتا فى ضيق :

- بلاش دلع ، أين رأيتى أمى ؟

- لم أرها، لقد اتصلت بمنزلنا منذ يومين أو ثلاثة !

- بمنزلكم ؟ لمَ ؟ وكيف لم تقل لى شيئًا ؟

- بالتأكيد من الصلاح ألا تعلمى ! لقد اتصلت كى تسأل عن كامران ، لعلك قلتى إنه صديق أخى !

غرقت بيتا فى عرقها وتأثرت ، فقالت مريم وعيناها فى عينيها :

- مبروك ! لم تقولى إنكِ مشغولة بذلك القدر وإلا لما انتقدتك لأنك لم تتصلى بى ولو مرة واحدة طوال الصيف !

ردت بيتا فى عصبية :

- كان يجب أن تخبرنى أمى !

قالت مريم بابتسامة ذات مغزى :

- لاتستائى ، لم يقل أحد شيئًا ضده ، ما من شخص يعرفه مثلى حتى يقول شيئًا! حقيقة إننى فى دهشة منكِ ! فمع كل ما لديك من وسواس إلا أنكِ سلمتِ قلبك له !

قالت بيتا التى لم يكن لديها القدرة على الاستماع إلى نقدها :

- لا تتحدثى بهذا الكلام يا مريم وإلا لتصور الشخص أفكارًا فى غير محلها بشأنك !

رفعت مريم كتفيها وقالت :

- أنتِ تخطئين يا بيتا ! إننى لا أقول هذا الكلام لأننى كنت أريده من قبل ، بل أقوله لأننى أعرفك وأعرفه ككف يدى ، وأعلم أنه لا يكتفى بكِ مثلما لم يكتفِ بى بسبب حبه للتنوع ، وسوف تصيرين لعبة فى يديه مع ما لديك من مشاعر ! ألم يكن هذا ظلمًا لبابك يا بيتا ؟ حينما أخبرتنى أمك تملكتنى الدهشة !

- أنا لست طفلة يا مريم ! وضمنًا أنا لا أعتقد أن أى شخص يرضى بتعاسته .

- العقلاء هم الذين يعلمون يا حبيبتى .

- لمَ تستاءين الآن ؟ ألم يتحدث أخوكِ عنه بالخير !

- أخي ؟! حسنًا ، لقد تحدث عنه بشكل جيد لأنه أولاً لا يقول شيئًا قط ضد صديقه . ثانيًا لأن ليس قريبًا منه من الناحية الأخلاقية ، ولو كان فهو لم يتحدث بشىء ، فضلاً عن هذا فكل العالم يعرف أن أكثر هذه الاستفسارات التى تتم قبل الزواج لها جانب مخادع ، وبعبارة أخرى هى سلوك روتينى .

- مريم ، لو أن كامران فكر فى أنه سيكون أكثر سعادة معى فهذا ليس ذنبى !

- أنتِ مجنونة ! أتظنين أننى أستاء لذلك ! لعلك لا تصدقين أننى لست مســـتاءة فقط بل سعيدة لأننى عرفته مبكرًا ، وفى الحقيقة إن ضيقى الآن هو عليكِ أكثر من أى شىء آخر .

- لا حاجة لى لمواساتك ، لا أعلم لمَ يتخيل الجميع هذه الأيام أنهم يفهمون أكثر منى؟!

هزت مريم رأسها أسفًا ، وقالت :

- إذن أتمنى لكِ السعادة ، وآمل أن أكون مخطئة لأن مسئوليتى تجاهك فى عالم الصداقة تحتم علىَّ أن أقول لكِ الحقيقة .

فى ذلك اليوم لم تذكر بيتا لكامران شيئًا مما حدث لكنها ظلت مشغولة البال لساعات طويلة .

* * *

نزل بابك - الذى كان ينتظر لقاء كامران منذ فترة - مسرعًا من سيارته وتوجه إلى كامران ، الذى كان يفتح باب سيارته وقد فوجئ بسماع صوت بابك من الخلف :

- كيف حالك يا كامران ؟!

كان سلوك بابك ونبرته يبدوان بشكل غير لائق ويغلب عليهما جانب السخرية . قال كامران - الذى تملكته الدهشة الشديدة - بفتور ظاهرى وهو يخفى حيرته :

- حقًا لقد فاجئتنى يا بابك ، لمن أدين بهذا اللقاء الجميل المفاجئ ؟

قال بابك بشكل جاد :

- لو تريد الحق يجب أن أضربك وأكسر أسنانك .

نظر كامران إليه بوقاحة وقال :

- فلتقل أى ذنب بدر منى كى تعاقبنى دون محاكمة ؟

مسك بابك بياقة قميصه وضغط على أسنانه وقال :

- رجل مخادع ! لعبت علىّ ! هل تعلم لمَ يكون أسفى ؟! لأننى لم أقتلك فى ذلك اللقاء الأول الذى كنت تمهد فيه لذلك .

دفع كامران يده وكأن الحق معه وقال :

- لمَ ؟ لأنها فضلتنى عليك ؟ من الأفضل أن تبحث عن أسباب ذلك فى نفسك أيها الصديق !

سأله بابك فى عصبية :

- ماذا تسمى ما قمت به ؟ احتيال ، من الأفضل لك أن تخرج من حياتها لأننى أعلم كل شيء عنك ، أعلم أنك بسطت شباكك لها وأنت كالكرة الخاوية !

رد كامران وهو يقطب جبينه :

- لمَ لا تقول لها ذلك ؟

مسك بابك بياقة قميصه ثانية ، وقال :

- لأنك سلبتها العقل وأنت بهذه الحقارة !

دفع كامران يده ثانية ، وقال :

- تتحدث وكأنني ضحكت عليها أو كأنها طفلة ! يجب أن تعلم أننا نتبادل الحب .

- أننا ؟! ماذا تقصد ؟ كيف لك أن تربط نفسك بها هكذا ؟

- كأن ابن الخال المحترم لا يعلم أنني تقدمت منذ أيام لخطبة ابنة عمته ! يا سيد يا محترم يجب أن تكون أكثر أدبًا من ذلك ، فبعد أيام ستصبح بيننا صلة نسب بشكل رسمى !

شعر بابك بالدوار لثوانٍ إلا أنه تمالك نفسه ، وقال :

- تبًا لك لو كانت هذه هى خطتك !

- أتذكر تهديدك يا صديقى العزيز ، فلا تكون بهذه الحمية لأننا فى كل الأحوال سنصبح أسرة واحدة ، وكم هو سيئ أن يكن فرد فيها العداء لفرد آخر !

- أتظن أننى لا أعلم ما الذى تفكر فيه ؟

- أعتقد أن هذا الأمر خاص بى لو لم يكن لديك مانع ..

ثم أضاف وهو يستقل سيارته :

- لقد كان وقتا جميلاً .

(٢٧)

كان حفل خطوبة بيتا وكامران يكاد يخلو من المدعويين ، وربما لو لم يشارك أصدقاء العروسين لما تم الحفل أصلاً ! لقد كان شيئًا مثيراً للدهشة عدم حضور والدة كامران هذا الحفل ، وحينما استفسرت بيتا عن سبب ذلك سمعت فى رده بأنها ليست فى حالة صحية جيدة وأنها اعتذرت عن عدم الحضور قبل موعد الحفلة . وفى الوقت الذى لم تتحدث فيه بيتا مع والدة زوج المستقبل حتى ولو فى مكالمة واحدة كانت لا تعير شكوى نسرين واعتراضاتها أى اهتمام ، وكان كامران هو الأهم بالنسبة لها ، فهذا الشخص هو الذى اختارته ليكون معها إلى الأبد.

فى هذه الليلة وضع كامران بيتا وأمها فى موقف كان يعدله مسبقًا ، فمن فرط تعجله استدعى المأذون إلى المنزل لإتمام العقد ، ووضع خاتم الزواج فى يد بيتا أمام دهشة الآخرين وذهولهم . وكانت نسرين لا تكف عن البكاء منذ بداية الحفل وحتى نهايته ، وجعلت تهمس : " إن هذا الحفل يشبه حفل زواج أرملة توفى عنها زوجها أكثر من حفل فتاة شابة " . كانت بيتا فى حالة من عدم الوعى إلى حد ما وكأنها ترى كل شىء أمامها فى منام ، إنها حتى لم تستطع التحدث ، امتزج بداخلها إحساس الحزن والفرح معًا بشكل كان يحبس الكلام بداخلها . إحساس الفرح لعثورها على رجل أحلامها. وإحساس الحزن بسبب الغربة التى تشعر بها وسط هذا الحفل ، إنها كانت تعطى لأمها الحق فى بعض الأشياء وهى مقتنعة تمامًا ، فهذا الحفل كان أكثر فتوراً بمقارنته بحفل خطبتها على بابك . وها هو كامران قد حدد - وفق رغبته - مهرها وفقًا لسنوات عمرها وقبّل وجهها أكثر من مرة دون مراعاة الخجل من وجود الآخرين مما أثار شعور وحسد الفتيات والسيدات الحاضرات بشدة .

أما الخال فلم يحضر هو ولا أسرته الحفل وحينما استفسرت بيتا عن ذلك من أمها سمعت رداً فيه شيء من الإهانة مما جعلها في حالة من الضيق لعدة دقائق بسبب إهانة زوج المستقبل . فأمام إلحاح نسرين قال الخال إنه لا يرغب في أن يرى بعينيه مذلة ابنة أخته وهي بجوار أحد الفنانين . أما بابك فقد سب كامران وانتقده وأكد إنه ليس أكثر من قط محتال . وقد أشارت نسرين بكل صراحة ودون حياء إلى ما قاله أخوها وابنه ثم نظرت إلى بيتا في صمت وكأنها تؤيد كلامها مما أثار غضب بيتا. كما أنها لم تُقبل كامران فقط بعد الانتهاء من كتابة العقد بل اكتفت فقط بالسلام باليد وتهنئته بفتور ، كما كان تقبيلها لوجه بيتا وجبهتها فاتراً للغاية ، وكأن سبب ذلك من وجهة نظر بيتا هو استجابة لموقف الخال ، إلا أنها أثنت على نفسها نظراً لما أبدته من مقاومة أمام رغبة نسرين .

فكامران هو اختيارها ، ولم تستطع بأي وجه قط قبول أن يضع الآخرون اختيارها تحت المساءلة لأية أسباب . ولو تملكها الضيق أو الاستياء لشيء ما يطير كل شيء من ذهنها وتسكر بمجرد أن تسبح في عيون كامران .

في تلك الليلة لم يرفع كامران عينيه عنها ولو للحظة واحدة ، وكان يهمس في أذنها بأرق كلمات الحب التي لم تكن قد سمعتها في رواية أو قرأتها في كتاب ! كانت أصابعها في أسر أصابعه المشتاقة الولهة وقلبها ملك ذلك الحب المشتعل ! لمَ يجب من الأساس أن يكون مهمًا بالنسبة لها حضور الآخرين طالما هو حاضر ؟! حتى أنها كانت ترد في غلظة على صديقاتها اللائي كن يسألنها عن مريم قائلة :

- إنها تظن أنني منافسة لها لذا تستاء مني !

في الواقع كانت بيتا في تلك الأيام سعيدة بالقدر الذي يجعلها لا تهتم باستياء أي شخص منها ، وأحيانًا كانت تتسبب دون وعي في مضايقة من حولها وتتنحى نفسها بعيداً عنه وكأن الحياة كانت تتلخص لديها في تلك العيون السوداء الخبيثة وذلك الكلام المثير . إنها حتى قلما كانت تتناقش مع نسرين ، لم تكن تؤيدها ، بل على العكس لم يكن لها طاقة على سماع كلامها . ومن ناحية أخرى لم تكن راضية عن استيائها منه . كان كامران رجلاً أصيلاً من وجهة نظرها لم يتسبب لها في إثارة الخجل منه .

أما نسرين فكانت تمتنع أمام الآخرين عن تعريفه إليهم بشكل مباشر على إنه صهرها ، وإذا ما استدعت الضرورة لتقديمه كانت تقول " خطيب بيتا " فقط، كما لاحظت بيتا أن أمها كانت تتهرب صراحة من الحديث معه ، إنها لم تمنحه الفرصة للحديث فقط بل قلما كانت تبدى وجهة نظرها له ، وهذا فى رأى بيتا إهانة واضحة وعلنية له ، لدرجة أنها وجدت نفسها ذات مرة ملزمة أمامه بتبرير سلوك أمها معه إلا أنها جوبهت بممانعة كامران للاستطراد فى الحديث ، وقال قبل أن تستهل كلامها وهو يبتسم بحب :

- لا تفكرى فيها يا حبيبتى ! أنا أفهمها ، إننى لم أنتظر شيئًا آخر منها سوى ذلك لأننى تزوجتك فى ظروف خاصة !

لكن فى الواقع كانت الحقيقة شيئًا آخر ، فلم تكن نسرين ترغب فى أن يناديها بكلمة "ماما" مثلما تفعل بيتا ، وفى الغالب كانت تبدى استياءها من سلوكه ، لكنها كانت تواجه - على عكس تصورها - بموقفه ، فلم يكن يثيره شىء أو يضايقه أى تصرف ! أما بيتا فقد كانت على العكس منه ، كانت تدقق فى تصرفات نسرين وتزداد ضيقًا كلما وجدت أمها فاترة فى سلوكها معه . لم تحاول نسرين أن تذكر اسمه على لسانها ، وإذا ما اضطرت لذلك لأى سبب وكان - على عكس رغبتها - يوجه إليها الحديث تقول فقط : الأستاذ ! وعلى هذا النحو لم تكن تفضل أن يناديها بما يدل على قربه منها ، ولم تكن توجه إليه الإهانة بشكل مباشر ، ولا شك أن هذا التصرف من وجهة نظر بيتا كان أسوأ من العداء الصريح .

وفى ليلة الخطوبة عزف كامران إحدى مقطوعات الفنان أحمد رضا بنى زاده وأهداها إلى بيتا فى حضور الجميع وبتصرفه هذا خلا ذهن بيتا تمامًا من كل ما كان يسبب لها الضيق أو الأذى، وفجأة وجدت نفسها متعلقة به وكأن كل شىء قد مر سريعًا بشكل لم تصدقه ، وها هو قد جاء متعجلاً للعقد عليها .

وحينما انصرف المدعوون آخر الليل بعد إلقاء تحية الوداع تملك كيان بيتا خوف لذيذ بسبب تواجدها معه بمفردها . أما كامران فكان على العكس منها يقف فى هدوء تام ويقدم الشكر إلى الموجودين بابتسامة حارة وكأن شيئًا لم يحدث ، ومن حين لآخر يهمس بكل تماسك فى أذنها بكلمة " بحبك " ، وكأنه يجهل ما بداخلها من إثارة !

كم كانت بيتا متأزمة فى تلك الليلة من تصرفات نسرين ، فبعد انصراف الضيوف ، وبدلاً من وضع يدها فى يد العروسين والدعاء لهما بالسعادة ، كانت تنظر إلى كامران وهى عابسة الوجه وكأنها تريد أن تتأكد من رحيله . كم كان شيئًا يدعو إلى الحيرة أن يمكث الليل مع بيتا رغم سلوك أمها الفاتر تجاهه ! وحينما اختلا بها قال لها وهى تجلس حزينة فوق سريرها :

– لو أننى متأكد أن أمك لن تتضايق لذهبنا الليلة إلى الشمال ، إلا أننى أخشى أن تعتقد أننى قد نسيت حدودى ، فمعظم الأمهات لاتحبذن سفر بناتهن مع صهرهن خلال فترة العقد !

قالت بيتا – التى كانت متأثرة إلى حد كبير – بصوت يرتجف :

– ولمَ الشمال ؟

جلس كامران بجوارها ، وقال :

– كنت أريد أن تستيقظى من النوم صباحًا على صوت البحر الشجى وهو يداعب أذنك !

وتدفق الدمع من عينيها رغمًا عنها وقالت :

– أعتذر لك يا حبيبى عن سلوك أمى معك .

احتضنها كامران وقال وهو يضحك :

– هو حصل حاجة يا بيتا ؟ لقد قلت إن رد فعلها طبيعى ، هل تعلمين ؟ إن معظم الحماوات تتعاملن مع أصهارهن فى الأيام الأولى بحيطة ! وخاصة أنا حيث عقدت عليكِ الليلة فجأة ، لكن صدقينى لقد نفذت طاقتى وكنت أريد أن تكونى ملكى .

ثم همس فى أذنها مازحًا :

– من لدغته الحية يخاف من الحبل الأسود والأبيض ! (*)

(*) "ماركزيده أزريسمان سياه وسفيد مى ترسه" : مثل فارسى بمعنى : "اللى قرصه التِعبان يخاف م الحَبْل" ويستخدم للدلالة على الحيطة والحذر . ويقابله فى العامية فى المصرية أيضًا :
"اللى يتسلع م الشوربة ينفخ فى الزبادى" .

نظرت إليه بعين دامعة وقالت :

– لكننى أحبك حقًا ، ولم أرغب فى أى وقت قط فى رجل مثلما رغبتك ! حتى...

وصمتت بيتا وطأطأت برأسها ، فرفع وجهها إليه ، وقال بابتسامة ذات مغزى:

– حتى بابك ؟!

وارتبكت بيتا لصراحته لكنها قالت هامسة :

– فى الواقع أنا كنت مترددة فى زواجى منه .

قبّلها كامران فى وجهها وقال :

– وأنا كنت سببًا فى ترددك يا حبيبتى مثلما كنتِ سببًا لحياتى ! انظرى إلىّ يا بيتا !

فنظرت إلى عينيه وهى ترتجف ، فقال :

– قولى لى إنكِ لن تندمى وأنكِ لست مستاءة من تسرعى !

قالت بيتا بابتسامة خفيفة وهى ترتجف :

– ما هذا الكلام ؟!

أحكم كامران بما داخله من إثارة قوية قبضة يده على يديها وقال :

– قولى إنكِ تحبيننى ! إنكِ تعلمين كم صبرت لسماعها !

أرادت بيتا أن تقول شيئًا لكنها لم تستطع وكأن لسانها قد عقد ، فتقدم كامران وقبلها بقوة ! وها هى الآن تشعر بالدوار ، كانت عيناها تنظر إلى عينيه السوداء الواسعة ، و أذناها تسمع همسات الحب الناعمة فقط !

– قولى إنكِ تحبيننى .

– أحبك .

لم تتعرف أصلاً على صوتها ، كان كمواء القطعة الصغيرة الهلعة الحائرة وكأنهم حثوها عنوة على الحديث . اعتقدت أن كامران سيقوم بتقبيلها ثانية إلا أنه لم يفعل وعلى عكس ما توقعت جعل ينظر إليها من نفس المسافة التى بينهما . حقًا إن معرفة هذا الشخص أمر صعب للغاية ! حينما فتحت عينيها ورأته ينظر إليها تملكتها

رجفة غريبة ، قربها منه أكثر وقال وهو يداعب شعرها الطويل :

– لا أحب أن تظنى أننى وضعتك أمام الأمر الواقع بعقدى عليكِ .

ردت بيتا بصعوبة :

– لا داعى لتقديم المبررات ، سوف يتم زواجنا بعد إتمام دراستى .

وضع كامران رأسها فوق كتفه وقال :

– سيتم زواجنا فى الوقت الذى تريدينه .

سألته وهو يفك ياقة قميصه :

– إنت متأكد إن أمك لن تتضايق لأننا عقدنا دون حضورها ؟

قال كامران :

– بالتأكيد لن يحدث هذا ، لكنها قد تتضايق لو إنكِ استأتِ من عدم وجودها .

قالت بيتا :

– كيف أستاء منها وهى مريضة ؟ حقًا إننى مندهشة لأنك لم تؤجل مراسم العقد من أجل والدتك !

ضحك كامران وقال :

– هى تريد ذلك . تعلمين ؟ إنها تعتقد إننا لا نحتاج إلى الاستخارة فى عمل الخير ، لكن هل تتخيلين أننا سنقضى المتبقى من الليل فى الحديث عن أمهاتنا...

واضطربت بيتا من نظرته وألمت بجسدها حرارة لذيذة ، وسألها بجرأة وهو يشير إلى السرير:

– كيف سيتم ذلك ؟

ودون أن تنظر إليه نهضت من مكانها ، وقالت :

– سأنام على الأرض وأنت على السرير .

ولمعت عيناه بخبث ، وقال :

- ولمَ على الأرض ؟

فردت على الفور :

- حسنًا جدًا ، سأذهب إلى حجرة أخرى ولتكن أنت على راحتك !

قال كامران :

- سأكون أكثر راحة حينما أكون بجوارك .

قالت بصوت يرتجف :

- لا ينبغى أن نكون معًا فى مكان واحد ..

جذب كامران يديها وقال :

- سننام هكذا ، فطالما لن تستيقظى على صوت أمواج البحر فعلى الأقل يجب أن تفتحى عينيك صباحًا على همساتى ...

أرادت بيتا أن تقول شيئًا لكنها عجزت أمام صراحته ، فأطفأ المصباح وقال :

- إذن فأحدنا ينام جهة الشرق والآخر جهة الغرب ، فلأى سبب تحملت تصرفات أمك هذه وعبوسها فى وجهى ولم أكن فظًا معها ؟!

ابتعدت بيتا - التى كانت تتعذب أمام سلوك كامران معها - وقالت بصوت يرتجف :

- كامران ، أرجوك !

ضحك كامران فى الظلام ، وقال :

- لن أقبل رجاءك ، ماذا حدث يا حبيبتى ؟ ذكرّى قلبك المرتجف هذا أننا الآن زوج وزوجة بشكل رسمى ! ...

* * *

لم يبق سوى قليل من الوقت على سطوع الشمس ، لكن بيتا كانت تجلس فوق سريرها بعين متعبة مرهقة بسبب عدم النوم وتبكى دون أن تصدر صوتًا ، وكان

كامران يسعى لتهدئتها وهو يضع يده حول كتفها ، سألته وهى تبكى:

- لمَ ؟!

ابتسم وهمس قائلاً :

- ماذا حدث يا حبيبتى ؟ إنكِ تتصرفين وكأننا خالفنا الشرع !

- أنا أساسًا لا أرتاح لهذا الوضع !

- هذا الشعور طبيعى تمامًا لكل فتاة فى بداية حياتها الزوجية !

ثم قبلها على جبهتها وقال باضطراب :

- صدقينى ، لا أعلم ماذا حدث ... لقد سلبنى عشقك عقلى من رأسى ....

فقالت بهدوء وهى تبكى :

- لكننا لم نبدأ حياتنا الزوجية بشكل رسمى يا كامران !

جذبها ناحيته فى دهاء ، وقال :

- ما هذا ؟ هل تخشين لا قدر الله ألا أحبك من بعد مثلما أحبك الآن ؟!

وخفق قلبها بشدة فقبَّلها من أذنها وقال :

- هل تريدين إيقاظ أمك يا حبيبتى ؟ حاولى أن تنامى بهدوء وسأظل يقظًا حتى تخلدى إلى النوم .

واستأذنته بيتا وساعدها كى تنام ، وظلت تنظر إليه بعينيها المرهقة المفعمة بحبه حتى خلدت إلى النوم .

* * *

على الرغم من مرور شهرين إلا أن بيتا لم تر أم كامران ، وكانت فى دهشة "لمَ لمْ تقم أمه بتهنئتها حتى الآن عبر الهاتف ؟! " فى هذه الأثناء كانت نسرين - أكثر من أى وقت آخر - تقوم بلوم بيتا وتوبيخها وتنتهز الفرص لنقد كامران، وكانت بيتا فى الغالب تتجاهل نقدها، لكن نفذ صبرها ذات مرة وعبرت عن اعتراضها . كان

كامران في ذلك اليوم يصطحب بيتا من الجامعة إلى المنزل وأثناء الطريق قال لها :

- ماذا حدث يا حبيبتى ؟ أنتِ مستاءة من شيء ؟

تصعدت آهة من صدر بيتا ونظرت إلى عينيه في صمت ، كانت همهمات نسرين الغاضبة تؤلمها ، كما أنها تعرضت في ذلك اليوم أيضا إلى نظرات مريم اللائمة، والآن يسأل كامران بفتور وهو يقود سيارته عن أحوالها ، فردت في ضيق :

- مفيش حاجة ، أنا كويسة !

فقال وهو يداعب يدها :

- لا تكذبى علىّ يا حبيبتى ، إنكِ لست كعادتك !

كانت بيتا تقع في الحيرة وفجأة تغلب عليها الضيق وتدفق الدمع من عينيها ، فسألها وهو في دهشة وقلق من حالتها :

- ماذا حدث حبيبة قلبي ؟! ما الذى تسبب في كسر قلبك الرقيق ؟!

ردت وهي تغطي وجهها بيديها :

- أريد أن أموت .

توقف كامران بجوار الرصيف والتفت إليها قائلاً :

- ما هذا الكلام ؟ قولى ما الذى حدث ! يكاد قلبي أن يخرج من ضلوعي !

فمسحت عينيها وقالت :

- الجميع يقابلوننى وكأننى ارتكبتِ إثمًا كبيراً !

قال لها :

- تتحدثين عن زواجنا ؟

لم تنطق بيتا فقال مازحًا :

- حسنًا ، لا شك إنكِ ارتكبتِ إثمًا كبيراً بزواجك من عاشق مجنون مثلي.

فردت بشكل جاد:

– لا طاقة لى على المزاح يا كامران ، أنا لا أدرى ، إننى لا أتدخل فى حياة الآخرين ، لمَ يتدخلون فى حياتى بهذا الشكل ؟!

رد عليها وهو يداعب يدها :

– هذه هى العادة يا حبيبتى ! إنهم يتدخلون فى شئونك حتى لو لم تتدخلى فى شئونهم ، لذا يجب ألا تكونى بهذا القدر من الحساسية !

قالت :

– الكلام سهل ! إنك لست مكانى كى تتفهم الضغوط التى علىّ والعذاب الذى أعانيه !

سألها كامران فى أدب وحيطة :

– ماما تانى ؟!

– ماما وغيرها ، صدقنى إننى أتألم كثيرًا !

– هل تريدين أن أتحدث معها بشكل مباشر ؟ صدقينى كم مَن مرة أردت أن أتحدث معها لكننى أولاً لم أر منها وجهًا حسنًا . ثانيًا كنت أنتظر حتى تقولى أنتِ!

– لا فائدة من ذلك ! إنها تتحدث دومًا !

– أى حديث ! لا تريدين أن تقولى لى ؟

– هو نفس الحديث الدائم الذى يشبه فى رأيىّ التذرع بالحجج أكثر من القيام بالحساب! كالسؤال مثلاً عن سبب عدم مجئ أمك لرؤيتى وعدم اتصالها ، أو الاستفسار عن عدم ذهابنا نحن لرؤيتهاو....

ضحك كامران بصوت عالٍ فنظرت إليه فى دهشة وهو يقول :

– أهذا هو كل شىء ؟ كنت أعتقد أنها تتحدث عن مشكلة غير قابلة للحل !

– أتظن أن زواجك بدون حضور أمك أمر بسيط ؟ أى إنسان أنت ؟!

– أشعر من كلامك أن هذا ليس كلام أمك فقط ! لمَ تتحدثين بحرج يا حبيبتى؟!

– نعم ، أتريد أن تسمع هذا على لسانى ؟ أنا مستاءة ، وللأسف أعتقد رغمًا عنى أن

أمى معها الحق فى هذا الموضوع ! فوالدتك لم تتصل بى ولو لمرة واحدة !

– وهل هذا يعذبك أم يقلقك ؟

– إن أردت الحق كلاهما معًا ! ربما تضحك ، لكننى لا أعلم لمَ أشعر أن الموضوع أكبر مما تقول!

– إنه لشيء يدعو إلى الضحك ! وهل تريد أمى واحدة أفضل منك ؟ فضلاً عن ذلك يجب أن تعلمى أن أسرة زوجك لن يتدخلوا فى حياتك كثيراً .

– كامران !!

– ماذا حدث ؟ لمَ تنظرين إلىّ هكذا ؟ هل كذبوا حينما قالوا إن العروس لا تحب تدخل أهل زوجها فى حياتها ؟ أى سبب يجعلنى أقول مالا أفكر فيه ؟

– لكن هناك بعض الأمور تشكل جزءًا من العادات والتقاليد !

– أنا فداؤك ، لتلقى بالعادات والتقاليد جانبًا ، لقد ولى ذلك العهد !

– لكننى أحب أن أرى أمك يا كامران ، إنه لشيء سيئ جداً أن أتعرف عليها من خلال الصور فقط ، إننى أرغب بشدة أن تأتينى ذات مرة وتأخذنى معك لزيارتها .

– مستحيل يا حبيبتى ، فضلاً عن هذا هل يمكننى أن أصغرك يا حبيبتى ؟ هذا هو واجب الأم ، عليها أن تأتى هى لرؤية عروستها !

– كامى حبيبى ، ما هذا الكلام ؟ نح هذه العادات جانبًا كما قلت ، هل أنا وأمك غريبتان الآن؟ إنها مثل أمى ، لذا كن على ثقة من إننى لن أصغر نفسى.

قبّل كامران يديها وقال :

– أنا فداؤك بما لكِ من هذه المشاعر ! أنا متأكد الآن بضرورة عدم أخذك معى .

قالت فى تأثر :

– لا أفهم ! ماذا يعنى هذا ؟

رد بنبرة عاشقة :

- حقًا لم أكن متأكداً حتى اليوم من أننى تصرفت بشكل صائب ، لكننى متأكد الآن لأنك أثبتِ لى أنكِ أكبر مما كنت أعتقد .

- يعنى هذا لو أننى أتيت معك لزيارة أمك أكون عديمة القيمة ؟ لا أصدق !

انتظر كامران للحظة ثم قال :

- تريدين الصدق ؟ لقد أخفيت عنكِ شيئًا .

نظرت بيتا إليه فى اضطراب فضحك وقال :

- لا ، لا تخافى ، ليس شيئًا مهمًا ، لكن يجب أن أقوله لكِ ، هل تعلمين ؟ لم تكن أمى راضية عن زواجى من فتاة من أهل طهران ، كانت تريد أن تختار لى زوجة المستقبل ، لذا فقد رشحت لى اثنتين من كرمان .

- تقول هذا الآن ؟!

- وهل حدث شىء الآن ؟ بيتا ، إننى أحبك بمقادر حبى لروحى ، بعدد نجوم السماء .

- لكنك كنت تقول إن لك شخصيتك المستقلة وتتخذ قراراتك من نفسك !

- وهل حدث غير ذلك حتى الآن ؟ وأقولها لكِ ثانية : إننى لن أسمح لشخص قط بالتدخل فى حياتى .

- لكن كان يجب أن تخبرنى بذلك !

- ولو كنت قد أخبرتك هل يتغير رأيك ؟ ولو كان كذلك فأعتقد أننى تصرفت بشكل جيد بعدم إخبارى لكِ .

- لا يجب أن تأخذ هذا الموضوع على سبيل التهريج ! ألا تتصور ماذا فعلت بخطبتك لى دون موافقة أمك ؟ ألم تشعر بسوء ما فعلت ؟!

- لقد أخبرتها يا بيتا .

- على أية حال يجب أن تحصل على موافقتها .

- حبيبتى ، إنها لم تقتنع ... لا شك أننى لا انتقدها لأنها تنتمى إلى عصرها ولا تزال ترى الدنيا الآن كما كانت منذ ثلاثين أو أربعين سنة ! لكننى متأكد أنها ستحبك

مثلى حينما تراكِ ! أليس مهمًا عندك أننى أحبك حب العبادة؟

ردت بيتا فى ضيق وعصبية :

- لكن الحب وحده لا يكفى ، وأنت تعلم ذلك .

قال كامران بحب :

- لا تستاءى بسبب أمى ، ولا تستاءى أيضًا من أمك ! يجب أن نمنحهما الفرصة .

- لكننى أعتب عليك أكثر من عتابى عليهما !

فقال فى دهاء :

- لمَ يا حبيبتى ؟ ألم تكونى مخطوبة لآخر شخصيته تختلف عن شخصيتى.

اندهشت بيتا من صراحته . إنه فى الحقيقة كان يتحدث بتلك الصراحة ليأخذ منها الرد فى المقابل ، كان يفكر بشكل جيد فى الحدود التى تمنحه الحق لأن هذا الموضوع لم يكن بالشىء المهم الذى يتم بشأنه مثل هذا الحوار . وحينما شاهد صمتها ضحك قائلاً :

- حبيبتى ، اتركى كل شىء للزمان ، لمَ يجب علينا أن نجعل هذه الأيام وتلك اللحظات الحلوة مرة بمثل هذا الحديث ؟ أما زلت مستاءة منى ؟

قالت بيتا دون أن تنظر إليه :

- لكن ....

رفع كامران وجهها ، وقال :

- انظرى إلى عينى وردى علىَّ .

نظرت إلى عينيه وفجأة طار من ذهنها ما كان يتسبب فى ضيقها ، فقال كامران وهو يراقبها بدقة :

- لو بقيتِ صامتة فيعنى هذا أنكِ مستاءة منى .

- إننى أخاف يا كامران !

- ممَ ؟

- لا أعلم بالضبط ، أخاف ألا أستطيع أن أكون على وفاق مع أمك !

- وهل هناك أهميـة لذلك ؟ أنا لا أفـهم لمَ تكبـرين هذا الموضـوع بذلك القـدر ؟ دعـيـه للزمان.

ابتسمت بيتا على عكس رغبتها وقالت :

- لا أدرى ماذا يحدث حولى !

فابتسم كامران بخبث ، وقال :

- لا تدرى ؟ إننى أحبك كل يوم أكثر من اليوم السابق .

وسرت الحرارة فى جسدها وقالت كى تغير مجرى الحديث :

- إذن هل تريد أن تذهب غداً لزيارة أمك ؟

- نعم يا حبيبتى ، تعلمين أنها متوعكة قليلاً !

- لن تأخذنى معك ؟

- هكذا أفضل يا حبيبتى .

- متى تعود ؟

- بعد غد، وكنت أريد لو ألا أتسبب فى مشكلة لك - أن أذهب بسيارتك ! هل تعلمين ؟ .. يجب أن أترك سيارتى غداً فى الورشة ، لا أطمئن من السفر بها!

- ماشى ، مفيش مشكلة !

- ألا تحتاجينها ؟

- أنت تحتاجها أكثر ، لأنك كما تقول لا تطمئن للسفر بسيارتك .

قبّل كامران يديها ، وقال :

- إن شاء الله سأعوضك يا حبيبتى ..

(٢٨)

وبعد مضى أسبوعين لاحظت بيتا أن ما من أثر لسيارة كامران ، وفى كل مرة تسأله عنها لا تسمع ردًا مقنعًا ، والأسوأ من ذلك أنه لم يكن متواجدًا فى المنزل لساعات متأخرة من الليل لمدة عشرة أيام ، وعلى الرغم من فتوره وسوء سلوكه إلا أن نسرين ظلت معهما . لاشك أن بيتا أدركت بقليل من الفضول أنها قررت فسخ عقد المنزل وأنها أخلت شقتها ونقلت أثاثها ومتاعها عند إحدى صديقاتها . ومع إدراك بيتا للظروف اقترحت عليها أن تعيش معهما حتى عثورها على منزل آخر . لكن هذا الوضع كان بالنسبة لنسرين غير قابل للتحمل ، لأنهما كانا يعيشان حياة مشتركة كأى زوجين ، يتناولان الغذاء معًا ، ينامان داخل حجرة مشتركة ، وأحيانًا يداعبان بعضهما فى وجودها ، وهذا ما كان يؤلمها بشدة ويجعلها تحبس أنفاسها جبرًا فى غرفتها ، كما كانت تقضى معظم أوقاتها فى أعمال التطريز حتى لا تكون أمامهما .

كانت بيتا تشعر فى البداية بالحياء لكنها اعتادت على هذا الوضع بمرور الوقت، وذات مرة نفذ صبر نسرين ، كان ذلك فى تلك الليلة التى احتضن فيها كامران بيتا حتى حجرة النوم ! ظلت نسرين تبكى تلك الليلة لساعات طوال فى حجرتها ، وفى الصباح قامت بتوبيخ بيتا بدلاً من رد السلام عليها قائلة :

– العياذ بالله ! إن الحياء صفة جميلة ! لا أدرى هو فاكر نفسه فين ؟ كأننى لست موجودة !

سألتها بيتا – التى لم يكن لها أساسًا طاقة على سماع حديثها – بفتور :

– هو حصل حاجة يا أمى ؟ هتشغلى نفسك تانى بسيئ الحظ هذا ؟

خرجت نسرين عن طورها وقالت فى ضيق :

- سيىء الحظ ؟! تقولين سيىء الحظ ؟ سيئة الحظ هى أنا وأنتِ !

ردت بيتا فى عصبية :

- حسنًا ، أنا سيئة الحظ ! ماذا تقولين ؟ لمَ لا تكفى يا أمى عن هذا ؟ متى تريدين أن تتقبلى الحقيقة ؟ ماذا يفعل ثانية ؟ قلما تقومين باحترامه ! هل تحدث معكِ حتى الآن أو عارضك فى شىء ؟

- لا ، بالله عليكِ لتقولى له أن يعارضنى بعد ! أنا أعددت له المكان هنا وكأنه أوتيل ٣ نجوم ؛ وعملت من نفسى خادمة بلا أجر ، وبعد كده بتقولى الكلام ده ! ده بدل ما تشكرينى ! الناس لديهم أصهار مثلى ، لكن صهرى يرمح فى البيت من الصباح حتى المساء ، لا عمل له ، لا مكانة ! إننى أكون سعيدة لو أن زوج ابنتى فى مكانة جيدة ! لكنه تافه ، هى كانت شوية علىّ رايحة تجيب لى واحد تانى على دماغى! وأخيراً أكل الحياء وتجشأ ! وأنتِ كالعنزة البرية تغطين على تصرفاته وتسايرينه ، استح منى على الأقل !

- هل حدث شىء يا أمى ؟ هل نقوم بشئ ضد الشرع لا قدر الله ؟ لعلك نسيتى أننا زوج وزوجة بشكل رسمى !

- زوج وزوجة فى منزلى ! من الأفضل أن تتركا أخطاءكما العديدة لمنزلكما ، إننى مندهشة منكِ حيث أصبحتِ بهذا القدر من الجرأة ! كأنك لم تترب على يدى ! لمْ تكونى وقحة بها القدر يا بنت !

- لا يجب عليكِ أن تضخمى الأمور بهذا الشكل .

- تقصدى إنه يجب علىّ أن أقبل تصرفاتكما ؟ لتقولى أيضًا إنه يجب أن أكون صماء بكماء! أى عهد وزمان هذا ؟ صار صهراً لنا وصاحب المنزل ، وصرت أنا خادمته الخاصة ، هذا ما تنتظرينه ؟

- إنه سيرحل من هنا بنفس السرعة يا أمي ، وما معنى قولك صهر وصاحب منزل ؟ لقد طلبتُ منه أن يبقى معنا حتى يجد منزلاً .

- أخطأتى حينما طلبتى ذلك ، ماذا يقول الناس ؟ ألا يقولون إن الفتاة ظلت فى منزلها وتزوجت على هذا النحو ؟

- الناس يخطئون ! تبًا لهم ! هو أنا عايشة علشانهم ؟ إنهم يتحدثون تحت أية ظروف، ولو تتضايقين من وجوده سأرحل معه ونقيم فى أحد الفنادق حتى يؤجر لنا مكانًا آخر !

قالت نسرين وهى تبكى بصوت يرتجف :

- ليهيلوا التراب على عنادك ! لمَ تعتقدين أننى أريد الشر لكِ ؟

ردت بيتا وهى تحاول أن تبدو متماسكة :

- يجب أن تعلمى يا أمى إنه مهما حدث فقد صار زوجى الآن ، ولن أسمح أن يتحدث شخص عنه بالسوء .

- انظرى ماذا فعل بكِ ؟ لقد وقفتى أمامى وتعارضيننى من أجله !

- إن من دخل حياتى مؤخراً يشعر بحالتى ونفسيتى أكثر منكِ يا أمى ! لقد سئمت من لمزك وحججك ، كم من مرة تهنينيه فيها ؟ كم من مرة تقومين باغتيابه أو تتحدثين معه بفتور ؟ أتتوهمين أنه لا يلاحظ تصرفاتك ؟ لا يا أمى، إنه يتغاضى عن كل ذلك من أجلى ، لمَ ترفعين راية الخلاف معه ؟ كان يخاطبك بكلمة " أمى " وتقومين بنقده ، يقول لك يا أمى وتقومين بسبه وإهانته وتقولين إنه يشعرك بالشيخوخة . يقول لك يا حاجة وتقومين بالعبوس وتقطيب الجبين فى وجهه . حقًا إننى أعتقد أنكِ دائمة البحث عن حجج ، وعندما لا يروقك كامران تقومين بإهانته وتحقيره .

- اتفو عليكِ يا بنت ! أصبحت أمك سيئة الآن ؟

- لا تحاولى أن تدخلى إلىّ من باب المشاعر يا أمى ، لم أقل ذلك ، أريد فقط أن أكن لكِ كل احترام وألا تقابلينه بذلك العداء والكره !

- لقد خدعك حقًا ! إنه فى نظرى لا يزيد عن كونه أحد الماجنين المخادعين .

- راعى الاحترام يا أمى .

- أنتِ نفسك تعلمين أننى أقول الحقيقة ، إنه عقد عليك بهذه الخطة البارعة بحيث لا تسمع أذنك ما يقال فى الأذن الأخرى ، وماذا رأيتِ ؟ هل رأيتِ حتى الآن شخصًا من أهله أو علمتِ شيئًا عن عمله ؟ هل لا قدر الله إنه عديم الأهل لا عمل له ؟ ألا يجب أن يأتوا مرة واحدة على الأقل لرؤية عروستهم !

قالت بيتا - التى كانت ترى أن نسرين على صواب - فى عصبية :

- لقد تحدث معى فى هذا الأمر وهذا أمر منطقى للأسباب التى ذكرها !

قالت نسرين فى جدية :

- هو أنا هنا خيال مآتة ! ليس لى الحق أن أعلم ! ليس لى الحق أن أسأل !

صاحت بيتا فى ضيق :

- كفى بالله عليكِ يا أمى ! أكاد أجن !

قالت نسرين دون أن تهتم بضيقها وكأن كيلها قد طفح :

- لا أعلم ما الذى لم يكن عند بابك المسكين ويوجد عند هذا ؟ قسمًا بالله يجب علىّ أن أضع رأسى فى التراب وأموت خجلاً .

لم تتناول بيتا طعام الإفطار وخرجت من المطبخ وتوجهت إلى غرفتها وهى تبكى ، توقعت أن ترى كامران مستاءً لكن على عكس توقيعها ، كان لا يزال يغط فى نومه ، مسحت قطرات الدمع من وجهها ومالت عليه وقبلته على شعره بحب .

* * *

كانت بيتا تشعر منذ فترة بتغيير فى داخلها ، ومع ملاحظة تأخر الدورة الشهرية جعلت تخمن بعض الأشياء وتدعو الله أن يكون تخمينها خطأ، كانت تشعر برغبتها فى التقيؤ بمجرد قيامها من الفراش صباحًا ، كانت معدتها تنقلب مع شعورها برائحة الطعام ، لم تكن لديها الجرأة على الحديث ، كانت تتجول فى غرفتها طوال الليل من فرط الفكر وهى تحاول أن تنحى تلك التخمينات بعيدًا ، لكنها قلقت بشدة حينما تذكرت علاقاتها الأخيرة مع كامران . لقد كانا فى الواقع كأى زوجين ... وقررت ذات مرة أن تتحدث مع كامران فيما يراودها من أفكار لكن لم يطاوعها قلبها فى إيقاظه من النوم . لم يكن لديها الجرأة حتى للحديث مع أمها فى هذا الأمر ، فمن المؤكد أنها ستوبخها بعنف . وفى النهاية توصلت إلى نتيجة وهى أن تذهب بمفردها إلى الطبيب وتقص عليه الموضوع ، وما أن سمع الطبيب منها حديثها حتى أوصى بإجراء بعض الفحوصات ، وبعد رؤيته النتيجة قال بكل وضوح : إنها حامل !

اغتمت بيتا بشدة مع سماعها هذا الخبر وظلت تجول فى الشوارع دون هدف لساعات طويلة وهى تبكى حتى حل الليل عليها وابتعدت عن سيارتها ، وأثناء عودتها إلى المنزل تذكرت كامران وهى تقود سيارتها ، لم تستطع أن تتصور رد فعله ، لكن على أية حال كانت تفكر فى إقناعه بالتخلى عن هذا الموضوع فى ظل الظروف الراهنة ! وما أن تذكرت الظروف الراهنة حتى تذكرت نسرين وشعرت بالدوار ! من وجهة نظرها أن أمها على حق إذا ما قامت بتوبيخها ! إنها فضيحة ! العروس حامل ! ماذا سيقول الناس ؟!

وعلى عكس رغبتها شعرت بالضيق وانقلبت معدتها وتقيأت ، وكانت تلك الليلة مثل سابقتها ، لم تستطع فيها تناول الطعام ، ولما كانت تتألم من نظرات أمها تركت المطبخ وتوجهت إلى غرفتها . وكان ينتاب كامران شىء من الفضول ، فقد قام قبل أن يشبع تمامًا واستأذن من نسرين فى عجالة واتجه إلى بيتا ، وحينما رآها فى حالة من التأثر قال مازحًا :

- إنتِ عاملة رجيم ؟!

لم تنطق بيتا بكلمة ، فضحك وقال :

– ربما تعمدتِ الإقلال فى أكلك حتى أقلل أنا كذلك من الأكل وأخس .

قالت بيتا وهى تكظم غضبها :

– لم تكن لى رغبة لتناول الطعام .

– لم ؟ أرى أن طعام أمك لا يضاهيه طعام !

أشاحت بيتا بوجهها عنه حتى لا يرى دموعها ، فقال :

– ماذا حدث ؟ لمَ تستاءين هكذا ؟

لم تستطع بيتا أن تنطق بكلمة فجلس أمامها وقال فى دهشة :

– ماذا حدث يا حبيبتى ؟ لمَ تبكين ؟

قالت بيتا وهى تنظر على الورود المنقوشة على السجادة على عكس رغبتها ودون مقدمات :

– كامران ، أنا حامل !

اندهش كامران قليلاً وكأن لسانه قد انعقد لعدة ثوانٍ ثم قال :

– ماذا ... ماذا تقولين ؟

ردت فى هدوء :

– لقد ذهبت اليوم إلى الطبيب . كامران ، يجب أن نواجه هذه المشكلة بحكمة.

قال فى دهشة وهو يمسح دموعها :

– ماذا تقولين يا بيتا ؟ لعلك تمزحين ؟

قالت فى ضيق :

- أترى فى تصرفى أى أثر للمزاح ؟

قال مبتسماً :

- إذن ما الأمر ...؟

- يجب أن تعلم أنه لم يكن يجب علينا فعل هذا قبل بداية حياتنا الزوجية بشكل علنى !

سحب كامران يده بين شعره وقال وهو لا يصدق :

- أصلاً لا أستطيع أن أصدق .

قالت بيتا :

- لقد كنت مثلك فى البداية ولكن مع تنكر ما حدث بيننا اضطررت لأن أصدق الحقيقة .

- وما الذى يجب أن نفعله الآن ؟

- تسألنى أنا ؟

احتضنها بقوة وقال وهو يضحك :

- فكرى يا بيتا ، سيكون لنا طفل ، طفلى أنا وأنتِ !

دفعته بيتا عنها وقالت فى ضيق :

- لا تفكر فى ذلك ، يجب علينا أن نتخلص من شر هذا الطفل والمتاعب المتوقعة من ذلك الأمر .

- ماذا تقولين يا بيتا ؟ كيف نستطيع عمل ذلك ؟ نقتل ابننا بأيدينا ؟

- إرضاءً لله كن واقعياً يا كامران !

- يعنى لو تركتك تقتلين نفسك والطفل أكون واقعياً ؟ ألم تفكرى قط أية عواقب وخيمة قد تحدث نتيجة ذلك ؟

– وماذا ستقول حينما يكون ابننا فى الثالثة أو الرابعة من عمره ؟

– أولاً ما الفرق ؟ ثانيا لنترك الطفل ، أتظنين أننى أدعك تقتلين نفسك ؟

ردت بيتا فى ضيق :

– وهل تظن أن الأمور ستكون جيدة بالنسبة لى وأنا فى هذا الوضع ؟ لعلك قد نسيت أننا لم نبدأ حياتنا الزوجية بشكل علنى !

احتضنها كامران وقال :

– حسنًا ، هيا بنا نبدأ حياتنا .

– أية حياة ؟ إننا حتى لا نمتلك مكانًا خاصًا بنا ، فضلاً عن ذلك ، لو نبدأ حياتنا توًا سيأتى طفلنا بعد ستة شهور من عرسنا وفقًا لحسابات الطبيب . لا ، ليس هذا حلاً عمليًا يا كامران ، ماذا سيقول الناس ؟ العروس حامل ! إنها حقًا فضيحة !

قبل كامران جبهتها وقال :

– لا تصعِّبى الحياة عليكِ بهذا القدر يا حبيبتى ، لا تفكرى فى أننى سأتركك تقتلين نفسك ، ولو يستدعى الأمر سأعقد يدى ويديك بالسلاسل لمدة تسعة شهور .

قالت بيتا وهى تبكى :

– ما من اقتراح أفضل لديك ؟

وضع كامران رأسه بين يديه وقال بشكل جاد :

– أريد فقط أن تظلى على قيد الحياة وإلا هل تظنين إننى أوافق أن أكون أبًا بهذه السرعة ؟ لا يا بيتا ! إننى أرى كل شىء ، ولو ترين أننى أعارض رغبتك فهذا لا يعنى أننى لا أفهم شيئًا . بالعكس أنا أرى كل شىء ، وتأكدى إننى أريد هذا الطفل لأننى أريد طفلاً منكِ وإلا لمَ أقحمت نفسى فى هذه المشاكل ؟ ! صدقينى ، إننى حتى لم أفكر فى هذا ، لكننى متفائل الآن بقدوم هذا الضيف الذى لم يُستدع . هل تعلمين ؟

ربما كان قدومه فألاً حسنا وتتغير أحوالنا ! لمَ تنظرين إليّ هكذا يا حبيبتى ؟ الله وحده يعلم أية أمانىَ كانت لى ، لكننى فوجئت الآن تماماً.

قالت بيتا فى ضيق :

– يجب أن نبدأ حياتنا بأسرع وقت وإلا ستظهر علىّ بعض الأعراض فى فترة وجيزة...

قبلها كامران بسرعة وقال :

– سيكون ما تريدين يا سيدتى الجميلة ، اسمحى لى الآن أن أذهب لشراء بعض الحلوى .

قالت بيتا وهى تبكى :

– لا ، لتشتر برقوق !

قال فى دهشة :

– ماذا ؟!

ثم ضحك فجأة وقال :

– حاضر ، سأشترى الحلوى من أجل الخبر الجميل الذى ذكرته ، والبرقوق كى تأكله حبيبة قلبى ! لقد فهمت توًا لمَ كنتِ لاتأكلين بشهية فى الآونة الأخيرة ! لكن من الآن فصاعداً يجب أن تأكلى كل ما تريدين .

قالت بيتا فى تردد مع تذكرها لنسرين :

– لو ماما عرفت ...

قبل كامران يدها وقال :

– حسنًا ، ماذا يحدث ؟ ستقوم بشنقنا ؟ لا داعى أساسًا أن تخبريها ، سأخبرها أنا .

قالت بيتا وهى تتصبب عرقًا من شدة الخجل :

– لا ، من الأفضل أن أقوم أنا بذلك لأننى لا أدرى ما هو رد فعلها !

– تأكدى إنها لو قالت شيئًا يسئ لى فلن أتضايق . هل تعلمين ؟ لقد فهمت توًا أن ما من شىء فى قلبها !

وضعت بيتا رأسها على كتفه وقالت :

– أخاف يا كامران .

– ممن ؟ من أمك ؟ تأكدى إنها كانت مستاءة قليلاً فى البداية ، لكنها ستنسى كل شىء بعد ذلك من فرط سعادتها ! هلا أعطيتنى ميدالية مفاتيحك !

وفجأة تذكرت بيتا سيارته فقالت وهى تخرج الميدالية من حقيبتها :

– ماذا حدث لسيارتك ؟ هل لا تزال فى الورشة ؟

طأطأ كامران رأسه وقال بابتسامة خفيفة :

– حقًا لقد كنت أترك الحديث فى ذلك حتى تأتى الفرصة المناسبة ...

تأملت بيتا وجهه وقالت :

– ماذا حدث ؟

– احتاجت إلى مصاريف كثيرة فبعتها !

– بعتها ؟

– نعم ، هل هناك مشكلة ؟ سأشترى أفضل منها حينما تواتينى الفرصة ، وسوف أشترى بمثمنها منزلاً ! هل تتصورين أننا سنحتاج من بعد إلى سيارتين ؟ هل تفكرين هكذا يا حبيبتى؟

لم ترد بيتا ، فقال كى يغير الموضوع :

– والآن ، متى ستتحدثين مع أمك ؟

ومع تذكرها لنسرين قالت في اضطراب وتردد :

– بعد يومين أو ثلاثة .

توجه كامران ناحية الباب ثم عاد إليها وقال في سعادة واضحة :

– إنني أؤمن أن الله سيتولاني ! لا تفكري في شيء ! إنكِ أهديتني هديتين ! أشكرك يا بيتا ، وأتمنى أن أكون زوجًا وأبًا جديرًا . هل تعلمين ؟ أريد لو ... ماذا أقول ؟ لو رأيتِ تقصيراً مني قولي لي .

ابتسمت بيتا ابتسامة ذات مغزى وهي متأثرة من حديثه ولم تتفوه بكلمة ، فقال :

– شيء لا يُصدق يا بيتا ، سأكون أبًا ؟! صدقيني ، لم أفكر قط في أن إحساس الأبوة يمنح مثل هذه المتعة ، وأنا مستعد من أجلها لفعل كل ما تريدين ، يكفي فقط أن تمنحيني الفرصة ...

(٢٩)

لم تتصور بيتا أنها ستخبر نسرين بموضوع الحمل بهذه السرعة لكنها اضطرت لذلك خلال حوار بينهما حول كامران ، فعندما تقيأت قالت الحقيقة لأمها التى كانت تقف أمام باب الحمام تنظر إليها فى قلق وحيرة .

تسمرت نسرين مكانها كالتمثال لعدة لحظات مع سماع هذا الخبر ، ثم جلست فجأة مكانها وجعلت تنوح وتبكى ، وأخرجت بيتا نفسها بمشقة من الحمام وهى فى حالة من الوهن وجسدها كله يرتجف ثم توجهت إلى غرفتها . لقد صار لونها كالجص الأبيض ، وغاصت عيناها للداخل ،كانت تشعر وهى تختبئ تحت البطانية أن رأسها تكاد تطير من سماع كلام أمها التى لم تراعِ فيه الحياء ! لقد صاحت نسرين فى عصبية وسط بكائها :

– ربنا يذلك يا بنتى ، ألم تفكرى فى كرامتى ؟ لقد فعلتِ ذلك فى نفسك ، على الأقل فكرى فىّ ! هو شوية إنك تلعبى باسم العيلة ! ألم تستطيعى أن تتحكمى فى نفسك ؟ يا إلهى ، أريد أن أضع رأسى فى التراب وأموت ! ما هذا البلاء السمائى الذى ألقيته على حياتى؟ ما هذا الرجل الذى بيض وجوه العالم ! أى ذنب ارتكبته يقتص الله منى بجريريته؟ نعم ، لقد ارتكبت ذنوبًا عديدة ! بنت ببلاش ! بيت ببلاش ! أكل ببلاش ! لمَ لا يضحك علينا ؟ من طلب منكِ أن تكونى بهذه السذاجة ؟ يا إلهى ، هل عدمتِ أمك بحق القرآن؟ ما الذى أعجبك فى هذا الرجل ؟ إنه مثل ناقة الشاه عباس تمامًا ، يعيش لنفسه وتنفقين عليه يا سيئة الحظ ! هو كان لوحده شوية علشان تجيبى طفل كمان ؟! ألم تريدى أن تكونى إنسانه وتحافظى على نفسك حتى يأتى خبركما أو تبدأ حياتكما ؟! ماذا يقول الناس الآن؟ كانوا يقولون إنك فتاة جامعية ،

وماذا يقولون الآن ؟ أرأيتِ ؟ ألم تتعسى نفسك فى النهاية بيديك؟ الموت لكِ ، فهذا هو جزاؤك !

خرجت بيتا - التى لم يكن لها طاقة على سماع هذا الكلام - من حجرتها وهى تريد أن تقول شيئًا ، إلا أنها وقعت على الأرض من شدة الوهن ، وحينما فتحت عينيها رأت نفسها فى المصحة تحت المحاليل ، وما أن رأت أمها وكامران حتى أرادت أن تقول شيئًا لكن دموعها انهمرت، فتقدم كامران وسألها وهو يرفع شعرها من على جبهتها بنبرة حنونة :

- ماذا حدث ؟ تريدين لاقدر الله أن تقتلى نفسك ؟

سألته بيتا بصوت يرتجف :

- كيف جئت إلى هنا ؟

قال كامران بهدوء :

- عندما وصلت إلى المنزل رأيت أمك تلطم على وجهها وأنتِ ملقاة على الأرض أمام باب حجرتك ! ولا أعلم ماذا حدث لى ! وكأن الدنيا قد أظلمت فى وجهى .

نظرت بيتا إلى أمها التى كانت تبكى ، وكأن كامران لم ينتبه إلى ما حدث بينهما ، ولكى تطمئن بيتا لذلك ، قالت :

- لقد شعرت بالدوار فجأة ولم أشعر بشىء بعد ذلك .

قال كامران بهدوء :

- هل تحدثتما معًا ؟

لم تنطق بيتا بكلمة فابتسم وقال :

- إن أمك تبك من وقتها وحتى الآن ولم تتحدث بكلمة .

همست بيتا :

- لا يوجد شيء في قلبها .

- هل كان الموضوع بسببي أيضًا ؟

احترق قلب بيتا له ، فطأطأ رأسه وقال :

- لابد أنكِ قلتي لها على الحمل ! ولو كان ذلك صحيحًا فعندها حق لأنها فوجئت !

قالت بيتا :

- يجب أن نعطيها الحق .

- مضبوط ، والآن ، وفي ظل هذه الظروف ، يجب أن نبدأ حياتنا بسرعة .

- فكرت في المكان ؟

- نعم يا حبيبتي ، ريحي بالك ، كلمي أمك ولا تجعلينها تغضب منك حتى أدفع الحساب .

قالت بيتا بابتسامة يملؤها الرضا :

- إنت إنسان كويس يا كامران ، ليتهم يعلمون !

قال بهدوء :

- لو إنني كويس ، فلا أكون مثلك أو في سخاوة قلبك يا حبيبتي !

* * *

وبينما كانت بيتا تدخل في شهرها السادس تمكن كامران بعد سعي حثيث من تأجير شقة لبداية حياتهما المشتركة ، ولما كانت بيتا غير مستعدة إطلاقًا من الناحية الظاهرية لإقامة حفل الزواج فقد بدءا حياتهما بعيدًا عن إقامة أي نوع من مظاهر الاحتفال ، كما أن بيتا لم تذهب في الشهرين الأخيرين إلى الجامعة وذلك من فرط

خجلها ، فمعظم زميلاتها يعلمن أنها لم تبدأ حياتها الزوجية حتى الآن ، وكانت هذه الحقيقة تتعارض تماماً مع بطنها المنتفخة أمامها والتى كانت تسعى جاهدة لإخفائها . لقد قدمت اعتذاراً إلى الجامعة عن فصل دراسى بحجة بداية الحياة الزوجية ، وحينما عرضت الموضوع على كامران لم تواجه برد فعل محدد من جانبه ، ووافق على هذا الأمر بسبب معاناتها الأخيرة.

وتركت بيتا مبلغًا من المال لكامران دون علم أمها ، وكانت تواسيه بسبب استيائه من الحياة فى مثل هذه الشقة القديمة الصغيرة وتقول له :

- فى المستقبل ستكون لنا حياة أفضل بسعينا وجهدنا .

إلا أن الأمور كانت وكأنها تسير على العكس ! فبدلاً من قيامه بشكرها بسبب وقوفها بجانبه ومساندته ، وبدلا من أن يبث فيها الأمل تجاه المستقبل ، كانت هى التى تمنحه الأمل فى مستقبل أفضل ، وتظهر له سعادتها لأنهما اعتمدا على نفسيهما ، ولمَ لا ؟ لقد كانت تعيش فى تلك الأيام تحت ضغط والدتها وتشعر بالامتهان من سخريتها ولمزها وتوبيخها ، ولم تتمكن من رفض مساعداتها المالية لعدم وجود عمل ثابت لكامران آنذاك ، فكان يمر عليه الأسبوع ، بل وفترات طويلة دون عمل ، وكأنه لا يهتم من أين يأتى ما يأكله ! ومما لا شك فيه أنه كان يعلم أن نسرين هى التى تعولهما لكن كان يفضل ألا يوضح لنفسه هذه الحقيقة ولم يسأل بيتا قط عن هذا الأمر ، على الرغم من أنها كانت تتألم بشدة من هذا الوضع ، ولعل هذا الموضوع هو الذى أدى إلى نشوب شجار شديد بينهما فى إحدى الليالى التى كانت تجلس فيها معه للحديث .

فى تلك الليلة كان كامران كعادته كل ليلة يمسك بجيتاره ويعزف عليه ، وجلست بيتا دون مقدمات أمامه تنظر إليه ثم قامت واتجهت إلى غرفتها ، ولم تمر دقائق معدودة حتى جاء كامران فى إثرها وجلس أمامها فوق السرير وسألها بنبرة حب:

- لا تنصرفى من أمامى ثانية يا حبيبتى !

ردت بيتا فى فتور وبشكل مقتضب :

- إننى مُتعبة .

فرد بخبث :

- حسنًا ، لاشك أن معك الحق ، لقد تعبتِ هذه الأيام كثيرًا !

طأطأت بيتا برأسها وقالت :

- نعم ، لكننى أستطيع أن أتحمل ، لا داعى لقلقك !

نظر كامران فى فضول إليها ثم قال :

- ماذا حدث يا حبيبتى ؟ مستاءة من شىء ؟

قالت فى ضيق :

- لا ، كل شىء على ما يرام ! ريح بالك ! لمَ يجب علىّ أن أستاء دون سبب ؟ إننى مطمئنة تمامًا على المستقبل ! وعلى طفلك الذى فى الطريق ! وعملك يكفينا تمامًا ! ألم تفكر قط طوال هذه الفترة من أين نأكل ؟ تتوهم أن الحياة تسير بالحب والموسيقى ؟ حقًا يا كامران ألم تفكر قط فى مستقبلنا ؟

سألها كامران بشكل جاد :

- هل كانت أمك هنا اليوم ؟

ردت بيتا - التى لم تكن تتوقع هذا السؤال - وهى لا تصدق :

- تقصد إيه ؟ ما علاقة أمى بكلامى ؟

قال كامران بشكل جاد :

- تفهمين علاقته أكثر منى ! فهذا ليس كلامك يا حبيبتى !

ردت فى عصبية :

- ليس معك الحق فى أن تقول إننى أتأثر بأمى ، فضلاً عن هذا ، افترض أن هذا

الكلام هو كلام أمى ، فهل هو كذب ؟ إنك لا تستطيع الإنفاق على منزلك ورعاية طفلك بجيتار وقلب عاشق!

ألقى كامران بعصبية بالوسادة الصغيرة من فوق السرير على الحائط وصاح فيها :

– ألم تكن أمك هنا ! إنها لا تريد أن تكف يدها عنا ، قولى لى لو كانت مستاءة فلا تأتى إلى هنا ولا تحضر شيئًا لنا مرة أخرى . أنا لا أريد مساعدتها ولا أريد ما تمن علينا به ! الناس بيساعدوا الأجانب وهى بتساعد بنتها ، لازم تعمل كل الدوشة دى ؟!

صاحت بيتا بصوت يرتجف :

– لا تتحدث بأكثر من هذا يا كامران ، إن أمى المسكينة لم تتحدث فى أى وقت قط كى تمن علينا بما تقدمه لنا من مساعدات . هذا بدلاً من شكرك لها ؟

ألا تعلم قط ماذا كان يحدث لو لم تكن مساعداتها لنا فى الشهور الأخيرة ؟

رد عليها غاضبًا :

– اطمئنى ، لن نجوع ، ألم تسمعينهم يقولون إن الرأس التى عدمت الرزق قد عدمت الحياة!!

– نعم ، إذن أنت تأمل الآن فى حدوث معجزة ، يقول الله : منك السعى ومنى البركة.

– لا أريد الآن أن تعطينى درسًا فى الأخلاق ، أنا كما تشاهدييننى ، وأساسًا لا طاقة لى على سماع هذا الحديث ، وكأن الإنسان فى هذه الأيام حينما يبدى الاحترام للآخرين ينسون أنفسهم ..

أنهى كلامه ثم خرج من الغرفة ، ونظرت بيتا إليه وهو ينصرف فى دهشة والدموع تنهمر من عينيها . إنها لم تصدق حتى الآن أنها سمعت هذا الكلام على لسان كامران ، وكأنها تشك فى أذنها ، ظلت تبكى ساعتين بعد هذا الموقف دون أن تصدر

صوتًا ، وفى النهاية أغلقت مصباح الحجرة ونامت لأول مرة خلال تلك المــدة بدونه ، إلا أنها استيقظت على يده وهى فوق جسدها عند عودته ، وفجأة ورد بخاطرها ما دار بينهما فى تلك الليلة ، أرادت أن تقابله بفتور فإذا به يهمس إليها فى حب :

- يا ظالمة ! كيف طاوعك قلبك على تركى أخرج دون أن أنام ؟ لمَ لم تخافى علىّ من شدة البرد ؟ لمْ تكونى بهذا القدر من القسوة !

ردت بيتا فى فتور :

- أنت الذى أردت ذلك ! هل أخرجتك من الحجرة ؟

قبّلها فى أذنها وقال :

- لا ! أنتِ أفضل من ذلك ! أنا السيئ !

كانت نبرته جادة تمامًا ، التفتت إليه ، كانت عيناه السوداء تلمع فى الظلام ، ضغطت على نفسها وأخفت غضبها وقالت بصوت يرتجف :

- لو لم أكن أحبك بذلك القدر ...

وانهمرت دموعها فجذبها نحوه وقال فى ندم :

- أعلم يا حبيبتى ، أعلم ، وأطلب الصفح منكِ ، أنا المذنب .

قالت وهى تبكى :

- لا أريد أن تقول من المذنب ، ربما أكون أنا ، لكننى أطلب منك فقط ألا تتصرف بشكل يجعلنى أعتقد إننى أخطأت .

قبّل كامران شعرها وقال :

- أحبك يا حبيبتى !

قالت :

– هل تتخيل أننى لا أحبك ؟ أتعتقد لمَ أتحمل كل هذا الكلام وذلك الوضع السئ ؟

ضمها كامران بإحكام وهمس قائلاً :

– أعلم يا حبيبتى ، أعلم كل شىء ، معكِ حق ، لا تزيدى من عذابى أكثر من ذلك ، هل تظنين إننى سعيد لدخولك أنتِ وطفلى القادم فى حياتى وأنا فى مثل هذه الظروف ؟ هل تعتقدين أننى لا أشعر بالخجل منكِ ؟ لا يا بيتا ، إن ما تفكرين فيه يجعلنى إنسانًا بلا ضمير ، صدقينى ، إننى تعصبت أول الليل لأننى كنت أعلم أن الحق معكِ .

– لكنك قلت إن أمى ....

– أخطأت يا حبيبتى ! سأقبل يدها على الرغم من أننى أعلم أنها تشعر بخيبة الأمل لأن لها صهرًا مثلى .

– ليس الأمر هكذا !

– دعينا لا نكذب على بعضنا يا بيتا ، أنتِ أيضًا تعلمين أننى أقول الصدق ، لاشك أن الحق معها لأنها أم على أية حال ولا تريد سوى إسعادك .

ولان قلب بيتا ثانية وقبلته من وجهه ، وفى المقابل قبّل كامران يدها وقال:

– أعدك أن أكرس كل جهدى لإسعادك أنتِ وابنى القادم ، لذا أطلب منكِ أن تعطينى الفرصة وتساعدينني .

أخفت بيتا رأسها فى صدره وجعلت نفسها تحت تصرف زوجها ثانية على عكس ما أوصاها الطبيب ، فقد كانت تقوم بذلك كله من منطلق عشقها وحبها له ، لكن الحقيقة أن كامران لم ينتبه إلى حالتها قط فى شهور حملها الأخيرة ، ولم تبد بيتا أى اعتراض أو احتجاج على ذلك!

* * *

سألت نسرين والعمال يُنزلون هداياها الخاصة بالطفل القادم من السيارة:

- أين أبو الطفل ؟

ردت بيتا :

- لقد انصرف قبل أن تأتى .

سألتها نسرين فى فضول وتردد :

- هو مش عارف إن الهدايا هتوصل النهاردة ؟

كذبت بيتا وقالت :

- لا يا أمى ، لقد تذكرت ذلك بعد انصرافه .

قالت نسرين وهى تلمز بشىء ما :

- أنا فداء تركيزك !

فى الحقيقة إن كامران كان قد ترك المنزل مع علمه بهذا الموضوع ، وبعد عودته فى المساء سألته بيتا عن السبب ، قال وهو ينظر إلى هدايا الطفل :

- كنت أريد أن تكون على راحتها يا بيتا ، هل أخطأت ؟

فسألته فى ضيق :

- تقصد إيه ؟ هل تلمح إلى شىء ؟

التفت إليها وقال بحب :

- لا يا حبيبتى ، لو ألمح لشئ فهذا فى غير موضعه ، هل تتخيلين إننى لم أكن أعرف أنه يجب علىّ البقاء فى المنزل للإعراب عن شكرى لها ؟

- أشك فى قبول ذلك لأنه لو كان حقيقيًا لكان يجب أن تبقى !

مسك كامران كتفها بيده وقال :

- لمَ نتظاهر بشيء لا يمت للواقع يا بيتا ؟ الحقيقة أن أمك لا تحب أن تراني ، فهي تستاء من وجودي ، وأنا أريد من الآن ألا أضايقها بحضوري .

- لكنها أم زوجتك .

- أعلم يا حبيبتي ، لكنني لا أريد أن أتسبب في ضيقك ثانية .

- لكنني في هذه الحالة سأكون في ضيق أكثر .

- أنا متأكد من إنكِ قدمتي الشكر والاعتراف بالجميل إليها اليوم بدلاً مني ، فكما أرى لقد أدت كل ما عليها !

- إنك تتحدث وكأنك لا صلة لك بها !

- لا يا حبيبتي ، في الحقيقة إن الظروف هي التي أوجبت ذلك ، وكم كنت أتمنى أن أكون ابنًا لها ، لكن للأسف لم أستطع أن اكتسب ثقتها !

- كيف كنت تعترف بأن الحق معها ثم تنتقدها الآن ؟

- أنا لا أنتقدها يا حبيبتي ، إنني أتأسف فقط لأنني لم أستطع قط أن أقدم لها نفسي كما أحب أن أكون .

- لم يتأخر الوقت بعد ، وقتما يتم اصطياد السمكة من الماء فهي طازجة .(*)

- لا ، لا فائدة بعد ذلك ، كنا نستطيع أن نعيش معًا نحن الأربعة في سعادة وليس بهذه الصورة أنتِ في جهة في هذا المنزل القديم الذى لا يليق بك وهي في جهة أخرى بمفردها تتأمل الجدران !

- هذا هو حال كل فتاة تتزوج ، فلست أنا الوحيدة التي ابتعدت عن أمها بعد الزواج.

(*) ما هي روهر وقت ازآب بكيرى تازه أست . مثل فارسي بمعنى وقتما يتم اصطياد السمكة من الماء فهي طازجة ويستخدم للدلالة على عدم التسرع ، ويقابله في العربية « كل شيء بأوانه ».

- نعم ، لكن ظروفك تختلف ، فأنتِ الابنة الوحيدة فى أسرتك ، ولما كان أبوك متوفيًا فإن أمك تشعر بالوحدة أكثر بعد زواجك. هل تظنين أننى لا أعلم ؟ لا يا بيتا ، إننى أعلم كل شىء ، لكن ماذا أفعل وهى تعتبر صهرها عارًا عليها؟ فى الحقيقة إن هذا هو ذنبى ، فأنا سيئ الحظ وعجزت عن القيام بشىء ، ولا شك أن هذا الوضع من الممكن أن يحدث لأى شخص .

واحترق قلب بيتا ثانية من أجله وقالت :

- أنت تخطئ بشأن أمى يا كامى ، إنها تتفهم وضعك ، فضلاً عن هذا فأنا أيضًا أعلم ظروفك جيدًا .

أجلسها كامران على ركبتيه وقال :

- صدقينى إن كل ما قلته كان مكبوتًا فى صدرى منذ فترة ، ولا يجب أن تمد أمك يدها إلى خالك لتأخذ منه المال وقد انعدم الاتصال بينهما ولم تعد علاقتهما على نحو جيد !

- نحن نعلم أسباب ذلك جيدًا .

- نعم ، لكن من المذنب ؟ أمك ! أنا ! أم أنتِ ؟! ربما هى حرب القدر ؟!

لماذا فى نفس الوقت الذى أستطيع فيه أن أكون تحت أمرها وأصغر نفسى لها ؛ يجب أن تمد يدها لخالك وبابك !

- إن أمى تحب خالى لدرجة العبادة !

- صحيح ، لكن لمَ لا تمنحنى الفرصة لو لمرة واحدة كى أقدم نفسى إليها ؟!

- تقصد إيه ؟

- قصدى واضح يا بيتا ! أنتِ نفسك ترين وضعنا ، وأمك أيضًا تعلم فى أى وضع نكون ، والعمل الذى تعهد به إلى خالك يمكن أن تعهد به إلىّ ، وبذلك أجد عملاً

ثابتًا ومحترمًا ونقترب أكثر منها . لمَ يجب أن تعيش من الصباح حتى المساء وحيدة فى ذلك المنزل ؟ وأى عمل قمت به لا أضر به أمك ، فضلاً عن هذا كله لا تستطيع أن تنكر أننى أبو حفيدها وزوج ابنتها ، وأنا أستطيع العمل بشكل يضاعف ثروتها ، وهى غير مجبورة لأن تتجه لأى شخص لأسباب تافهة !

قالت بيتا وهى مندهشة من اقتراحه :

- لمَ لا تتحدث بشكل أكثر وضوحًا ؟ هل هدفك لا قدر الله أن تأخذ أمى نصيبها من خالى وتقدمه إليك ؟!

ضحك كامران وقال :

- تتحدثين وكأنها ستأخذ نصيبها كله وتعطينى إياه !

- إن خالى يعمل برأس المال و يقدم إليها الأرباح ، فما الداعى إلى تصفية حساباتها معه ؟ هل تعتقد أننى شريكة فى رأس المال ؟

- لم أسمح لنفسى قط أن أسأل أو أتطفل فى هذا الموضوع .

- لكن الآن وقد جذبت الحديث إلى ذلك يجب أن أوضح لك . انظر يا كامران إن رأس المال هذا كله ملك لأمى ، فهو ميراثها عن جدى .

- تريدين القول إنه لا نصيب لكِ فى هذا المال ؟

- بالتأكيد لا ، لأن والدى كان موظفًا بسيطًا وحينما رحل عن الدنيا لم يكن يملك سوى منزلاً وكان مرهونًا لأحد البنوك ، كما صرفت أمى كل مستحقاته على الأيتام .

قال كامران بتقطيبة ذات مغزى :

- لا أعلم كيف تنفق المرأة كل مستحقاتها على الفقراء وهى فى هذه الظروف ؟

نهضت بيتا من مكانها وقالت :

- استمع يا كامران ، أليس لديك عزة نفس وكبرياء ؟ لمَ أصدقك بينما تقوم أنت بإفساد

أفكارى ؟ لو كان قد تقرر أن أتزوج وتتفق أمى علىّ فلمَ من الأساس كان زواجى ؟

أجلسها كامران بجواره وقال بهدوء :

– صدقينى يا بيتا ما من هدف لى ، لا تضايقى نفسك ، إننى فى حيرة هذه الأيام! لقد فكرت للحظة طالما أن أمك تمد يدها بالخير بهذا القدر فلمَ لا تتعطف علينا؟

– يعنى لو قدمت لنا أموالها تكون إنسانه خيرة ؟

– كأنك لم تفهمى هدفى يا بيتا ! لم أقل تساعدنا ، لقد اقترحت فقط أن أعمل بأموالها ، وربما قدمت إليها أرباحًا تزيد عما يقدمها إليها الخال . أيعنى هذا أن لا مكانة لى عند أمك بمقدار مكانة خالك وبابك ؟ هو أنا لا قدر الله هضحك عليها؟

– لأمى حق التصرف فى مالها ، هى وحدها التى تعلم لمن تقدمه .

– أنا شاب وأستطيع على أى حال أن أدبر حياتى لكننى عرضت هذا الاقتراح كى أثبت لها أنها تخطئ بشأنى وحتى أكوِّن نفسى بسرعة كى لا أكون مصدرًا لخجلك أنتِ وابنى ، صدقينى ، ليلة أول أمس أردت العودة إلى المنزل حيث رغبت فى رؤيتها والحديث معها ، لكن حينما تذكرت رد فعلها وما قد تفكر فيه بشأنى عدلت عن رغبتى . لاتعلمين كم أريد أن احتضنها فى بعض الأوقات وأقبلها على وجهها لكننى لا أجرؤ لأنها دومًا تقابلنى بفتور لأنها تستاء منى .

انتظرت بيتا قليلاً ثم قالت :

– سأتكلم معها لكننى لا أستطيع أن أعدك بشىء فى هذا الموضوع .

(٣٠)

لم تسمع نسرين باستمرار بيتا فى حديثها وصاحت بعصبية :

- لقد أخطأ ، هل حل دورى الآن ؟ هو هيعملهم علىّ ؟ كيف يجرؤ هذا الغشاش ويقف أمامى كى يحدد ما أقوم به ؟ وكيف سمحتِ لنفسك أن تقولى هذا الهراء ؟ كأنه قد سلبك عقلك ! لو أنه كما يقول لكان قد دبر حياته ! نعم ، حياته هو ! هل أقدم نقوداً بلا حساب لمثل هذا الإنسان الفاسق ؟!

تضايقت بيتا من سماع هذا الحديث وقالت فى استياء :

- لمَ تصيحين هكذا يا أمى ؟ لم يحدث شىء إلى الآن ! لقد كان اقتراحاً فقط .

قالت نسرين فى إحكام :

- إننى أحترق بسببك ، فلتقولى لى ما الذى فعله طوال هذه المدة ؟ لو كان الزواج على هذا النحو لتزوج رجال العالم عشر نساء بدلاً من واحدة ، لقد أخذك كالأرملة ووضعك فى ذلك الحُق ، ثم وضع طفلاً فى يدك ، وها هو الآن بلا عمل ولا مكانة ولا أخلاق ، أرأيتِ ؟ لقد أخفى نفسه خصيصاً فى ذلك اليوم لأنه لا يريد حتى أن يوجه الشكر لى أو يعترف بجميلى !

قالت بيتا :

- إنه ليس هنا الآن يا أمى ، لكن سلوكك أنتِ أيضاً خطأ ، كأنك لا تريدين أن تصدقى إنه الآن زوجى وأبو طفلى !

كانت بيتا تكرر كلام كامران دون أن تنتبه ، فصاحت نسرين :

- لا ، لن أتغير من ناحيته ! هل يتوقع أننى سأضعه على رأسى مع كل ما أبداه من احترام ؟ أليس للآخرين أصهار ؟ قسمًا بالله إن كل من أعرفها كانت نهايتها أفضل منكِ ! لقد كان هذا اختيارك ، وقلبتِ الدنيا رأسًا على عقب من أجل ذلك التحفة ! قسمًا بالله إننى أريد أحيانًا أن أضع رأسى فى التراب لأموت...

قالت بيتا رغم عدم ثقتها فى المستقبل :

- أمى ، صدقينى إنه إنسان طيب القلب وحنون !

قالت نسرين وهى تبكى :

- لو لم يكن له مثقال ذرة من هذا اللسان لكان نورًا على نور ، لو لم يتملق فماذا يفعل ؟

ردت بيتا بحب :

- لا أزال أقول إنكِ تخطئين بشأنه ، لاشك أنه رغم كل الفرص السيئة التى مر بها قد أفسد ذهنك ، لكن ليتكِ تكونين متفائلة قليلاً وتمنحينه الفرصة لمرة واحدة ، والآن هل يجب أن يموت لأنه فقير ؟ لمْ تكونى على هذه الصورة قط يا أمى ! دائمًا ما كنتِ تمدين يدك لنا بالمساعدة ..

- مِن أجل مَنْ ؟ من أجل الذى يبدو غريبًا فى تصرفاته منذ يوم الخطبة ؟!

- لأنه كان يريدنى !

- نعم ، لعلك أسعدتِ قلبك بهذه الأشياء ! هل كان بابك المسكين لا يسعى لإرضائك؟

- أمى ، بالله عليكِ لا تذكرى اسم بابك ثانية ، أنا الآن زوجة وقريبًا سأصبح أمًا ، لا تتحدثى أمام كامران بذلك الكلام فى أى وقت !

- لا تخافى ، إنه ولله الحمد لا يغير عليكِ !

- يعنى إيه يا أمى ؟ فلتقولى ما تبغين !

- لا تتصيدى الأخطاء لى ، إن حديثى واحد ، قولى له إنه يحلم !

كذبت بيتا - التى رأت جرح كبرياء كامران - وقالت :

لقد كان هذا اقتراحى أنا يا أمى ، ولا يعلم ذلك المسكين شيئًا مما نقوله ، إننى تحدثت بذلك كله دون علمه .

* * *

وليلاً ، حينما عاد كامران إلى المنزل بعلبة الحلوى دون مناسبة ، قالت بيتا وهى تعد مائدة العشاء :

- كامران ، لقد كنت عند أمى اليوم .

سألها وهو يبتسم ويساعدها :

- هل كانت على ما يرام ؟

ردت وهى تهرب من النظر إلى عينيه :

- إنها تبلغك السلام ... حقًا .. لقد ذهبت إليها لأتحدث معها فى اقتراحك لى، وبالتأكيد لم أذكر بشكل مباشر إنه اقتراحك ، وقلت إنه من عندى ...

كان كامران ينظر إليها فى صمت ، وانتظرت بيتا قليلاً ثم استطردت فى حديثها :

- من الأفضل أن تنسى ، لقد رفضت !

وتغير وجه كامران وطأطأ برأسه ، فقالت :

- بالتأكيد ليس ذلك بسبب عدم ثقتها فيك ، إنها لا تريد فض شركتها مع خالى .

شعرت بيتا بالألم مع تذكرها لحديث أمها ، إلا أنها سعت كى تبدو هادئة وطبيعية ، أما كامران فقد توجه إلى الغرفة دون أن يتفوه بكلمة وأغلق الباب عليه ، ذهبت بيتا - التى لم تكن تتوقع هذا منه - وراءه ووقفت أمام الباب وقالت :

- إنت مش قلت إنك جعان جداً ؟

قال كامران بفتور وهو يمدد جسده على السرير :

- لا رغبة لى .

قالت بيتا - التى لم تكن ترغب فى أن تفكر فى أن أمها على حق - على عكس رغبتها مع رؤيتها لتصرفه وهى متأثرة بحديث أمها :

- هو حصل إيه دلوقتى ؟ الموضوع مش فى إيدينا ! لقد قلت لك من قبل إن أمى لها حرية التصرف فى مالها .

نام كامران على كتفه الأيمن وقال :

- أخرجى يا بيتا ، أنا مُتعَب !

خرجت بيتا عن طورها ونظرت إليه فى عصبية وقالت :

- يعنى إيه ؟ ما هذا التصرف ؟ لقد ظللت جائعة حتى الآن من أجلك !

قال كامران فى غضب :

- كان عدم الأكل برغبتك ، لم أطلب منكِ أن تنتظرينى .

اتجهت بيتا ناحيته وقالت فى عصبية :

- لقد قلت إنه ليس مهماً بالنسبة لك لو رفضت ، والآن عامل عليها شغلانة ؟

وفجأة نهض كامران وصفعها بقوة على أذنها ، كم كانت هذه اللحظة قاسية عليها ! كأن كل شيء يدور حولها ! تسمرت فى مكانها فى دهشة وانعقد لسانها ، وفجأة أفاق كامران إلى نفسه ، توجه ناحيتها إلا أنها تراجعت إلى الخلف وخرجت من الغرفة وهى فى غاية الضيق ، أسرع وراءها فصاحت وهى تبكى قبل أن يلمسها :

- لا تضع يدك علىّ !

ركع أمام قدميها وقال فى خجل وندم :

- أنا .... أنا لا أعلم كيف حدث هذا ؟ أنتِ التى بدأتِ .

صاحت بيتا وسط دموعها :

- حسنًا، عليك أن تتحدث معى ، هل أنا حيوان كى تمد يدك على وجهى ؟

إذن لمَ منح الله الإنسان اللسان ؟

قبّل كامران يديها الباردتين ، وقال :

- لقد تحدثتِ بشكل سئ يا بيتا ولم أفهم ماذا حدث بعدها ...

كانت بيتا تعلم إنه يتحدث بغير الصدق لكنها لم تكن تتوقع تصرفه فى مثل هذه الظروف ، قامت بعصبية من مكانها حتى لا تراه أمامها فسألها فى توسل :

- إلى أين يا حبيبتى ؟

ردت فى عصبية وهى تتجه إلى الحجرة :

- إلى القبر ! هل لى مكان آخر أذهب إليه ؟ لقد وصلت إلى طريق مسدود باختيارى!

سألها كامران فى تأثر ليكسب شفقتها :

- هل أنتِ نادمة ؟

لم ترد عليه وجلست على السرير ودموعها تنهمر دون توقف ويزداد ضيقها وألمها فى كل لحظة . ركع كامران ثانية أمامها ونظر إليها وعيناه تدمعان وقال :

- أعتذر لكِ يا بيتا ، لقد فقدت أعصابى للحظة .

ازداد بكاؤها لكنها لم تتفوه بكلمة ، وقبل كامران يدها ثانية وقال :

- معك حق بالتأكيد ! إننى لم أتصرف بإيجابية خلال تلك الفترة ، وأمك أيضًا معها حق !

سألته بيتا وهى تبكى :

- كيف استطعت أن تمد يدك علىّ وأنا فى هذه الحالة ؟

وضع رأسه بين ركبتيها وقال :

- لقد أخطأت ، لم أدر بنفسى !

قالت فى هدوء :

- ليه ؟ هو إيه اللى حصل ؟ ألا يجب عليك باعتبارك رجلاً أن تدبر أمور حياتك بنفسك ؟ هل اتفقنا على شىء ولا قدر الله لم نقم به ؟ فضلاً عن ذلك يجب أن ترضى أمى عما تقوم به . ألا تعلم قط ما الذى ستفكر فيه تجاهك لو رأت سلوكك هذا ؟

رد كامران بصوت يرتجف :

- بالله عليكِ لا تتحدثى فى هذا الموضوع ثانية يا بيتا ، معكِ حق ، لا تغضبى فقط .

قالت بيتا وسط بكائها :

- لا أغضب ؟ هل تدرى ماذا حدث الليلة ؟ أى ذنب ارتكبته ؟

نظر كامران إليها وعيناه تدمعان وقال :

- تأكدى أنه لن يتكرر ثانية حتى فى منامك ، سوف أعوضك ، فقط امنحينى الفرصة!

صمتت بيتا ولم تتفوه بكلمة واستغل كامران صمتها وجعل يقبلها و.....

* * *

فى اليوم الذى بدأ فيه ألم الولادة كانا فى منزل نسرين ، وفى ذلك اليوم، ومن فرط تأثر نسرين نادت عليه باسمه لأول مرة دون أن تنتبه ، وقاما بتوصيل بيتا إلى المستشفى ، وانتظرا لساعات حتى أتى المولود الجديد .

كان ولداً معافًى جميلاً أطلقوا عليه اسم كيان بناءً على رغبة بيتا ، وبمجرد أن رأت بيتا أمها وكامران معًا حتى انهمرت دموعها من فرط التأثر ، وسمحت لكامران أن يقبلها فى حضور أمها ، وكأن مولد الطفل قد أذاب الجليد قليلاً من ناحية نسرين ، فقد دفعت بكل الرضا نفقات المستشفى على سبيل النقطة لحفيدها الغالى على الرغم من معارضة كامران ، وأخذ تهما إلى منزلها ، لم تفكر بيتا أن يتعلق كامران بذلك القدر بالطفل ، لعله تمكن بذلك من إذابة الثلج من قبل نسرين كرهًا أو طوعًا وجعلت تعامله بلطف . لقد كان يتعامل مع نسرين طوال هذه الفترة ولم يقصر قط فى حق زوجته أو ابنه . وقد تغير موقف نسرين تمامًا ، لم تعد تنظر إليه بعين التحقير كالسابق، لكنها كانت تراعي الحيطة وتحافظ على المسافة التى بينهما وهذا كان غاية ما تأمله بيتا ! وفى ظل هذا الاستقرار لم تشعر بيتا بالضيق أو القلق كالسابق بسبب إنجاب الطفل فى وقت مبكر عن موعده ، بل على العكس ، كان وجوده سببًا فى توافق الأسرة الذى كان منعدمًا من قبل .

والآن لا تتحمل نسرين أن تبقى لحظة واحدة بعيدًا عن حفيدها ، ومع ما تتمتع به من كبرياء وتماسك ظاهرى إلا أنها كانت تقضى الساعات فى نهاية اليوم وهى تبكى لبعدهم عنها ، وبعد عدة أيام وبينما كانت قد ذهبت لرؤية حفيدها وابنتها فإذا بها تقول لبيتا دون مقدمات أنها تفكر فى أن تأخذ نصيبها فى الإرث من أخيها وتفض شركتها معه . كم سُعدت بيتا لسماع هذا الخبر وقبلت وجهها عدة مرات وأكدت لها أنها لن تندم ، وبررت نسرين تصرفها ذلك إنه من أجل مستقبل كيان . كان هذا يحدث وبيتا تلاحظ تغيير معاملة أمها فى الآونة الأخيرة مع كامران ، لكن ما كان يثير دهشتها هو رد فعله بعد سماعه هذا الخبر ، فعلى عكس ما توقعت ، ابتسم بهدوء ؟ وقال وهو يحتضن كيان :

– إننى سعيد بمساعدة أمك لنا لكن عليكِ أن تعلمى أن الله قد منحنى أكبر ثروة فى الدنيا!

ضحكت بيتا وهى تأخذ الطفل منه لإرضاعه وقالت مازحة :

- يجب عليّ أن أحسد كيان !

فى الواقع لم يقترب كامران منها منذ ما يقرب من الشهرين ، وكان هذا مثيراً للدهشة لديها بعض الشئ مع معرفتها لشهوته الجامحة . قبّل كامران - الذى كان وكأنه قد أدرك هدفها المستتر من نظرتها - وجهها ووضع يديه حول رقبتها ، وقال بنبرة ذات مغزى :

- على العكس ، أنا الذى أحسده لأنكِ لم تهتم بنفسك ولا بنا ..

وتغيرت بيتا وكأن شيئًا قد دار بداخلها وشعرت بالخجل من نظراته وكأنهما قد تقابلا مؤخراً . فى الحقيقة إن بيتا لم تفكر حتى فى شعورها ثانية بذلك الإحساس .. وقد أدركت الآن وهى تنظر إلى عينيه السوداء المشتاقة إنه يحبها كما كان فى السابق ، ولم تقلل مشاكل الحياة ذرة من هذا العشق والحب، خاصة وأنه كان فى تلك الأيام مشغولاً بالعمل ويسعى حثيثًا فيه . كان يعود كل ليلة إلى المنزل مثل كل الرجال بيد مملؤة ووجه بشوش ، كان شعره المتدرج على جانبى وجهه قد خطه البياض وزاد من جاذبيته ، وتغيرت سلوكياته بشكل غريب ، كان يذهب لرؤية نسرين ويساعد بيتا ويصغى إلى حديثها بهدوء وصمت ذى مغزى ويشعرها بحبه لها .

وفى إحدى الليالى التى اعترضت فيها بيتا على تحكمه فى نفسه وتمنعه عنها ، كانت قد أعدت العشاء الذى يحبه وهيأت المنزل ونفسها أكثر من أى يوم وجلست فى انتظاره ، لكنها لم تر أى رد فعل مختلف من قبله حيث توجه إلى فراشه مثل كل ليلة بعد تناول العشاء ومداعبة كيان ومساعدتها ، لقد تركها بمفردها ، جعلت تبكى لساعة فى صمت بعد نومه ثم توجهت إلى الحجرة بقلب كسير ، واحترق قلبها لرؤيتها له فى ذلك الوضع حيث كان مكشوف الوجه متكوراً على نفسه ، مالت وغطت وجهه فإذا بيده تمتد إليها فى الظلام ، فزال ضيقها تدريجيًا رغمًا عنها ، احتضنها ثم قال :

- ماذا يا حبيبتى ؟ هل قمت بشئ تضايقتى له ؟

نقلت بيتا رأسها فوق كتفه وقالت وهى تبكى :

- اعتقدت أننى لم أعد مصدر جذب لك ، اعتقدت ...

أسكتها كامران بقبلة وقال مبتسمًا وهو يمسح وجهها :

- كفى ، لا تقولى هذا الكلام ، أكون سانجًا أو عديم الذوق لو لم أشعر بكِ يا حبيبتى.

- إذن لمَ تغيرت خلال هذه الفترة ؟

- أنا ؟ إننى أحافظ عليكِ فى هذه الفترة أكثر من أى وقت آخر ، كفى يا بيتا ، أظن أنكِ تعانى من الاكتئاب المعروف بعد الولادة ! هل يجب أن تتهمينى الآن بأننى قد تغيرت لأننى أراعى ظروفك ؟

ضحكت بيتا وقالت :

- كم أنت خبير ؟!!

قبّل كامران شعرها الطويل ، وقال :

- لو لم يكن الإنسان خبيرًا فرغمًا عنه يكون كذلك بعد الزواج !

فكرت بيتا كم كانت مشتاقة لسماع هذه الهمسات الحارة ! وها هى بعد فترة تسلم جسدها لمداعباته الدافئة بقلب متأثر ، ونسيت كل هذه الأفكار الواهية التى كانت فى ذهنها ...

* * *

والآن منحت نسرين كامران توكيلاً عامًا للتصرف فى أموالها بعد رضاها عنه ، أما بيتا فكانت مترددة ! لقد ذهبتا ذات يوم إلى مكتب الشهر العقارى وسألتها بيتا وهى ترى تأثرها :

- ألم يقل خالى شيئا لكِ يا أمى ؟

ردت نسرين في تأثر :

- لا حبيبة أمك ، دعي ذلك الحديث ، إنه يفقد أعصابه حينما يكون مستاءً ...

قالت بيتا - التي كانت تريد معرفة ما حدث - في إصرار :

- هل أنا غريبة يا أمي ؟ قولي لي حتى أعلم ماذا قال .

تصعدت آهة من نسرين وقالت :

- وما الفائدة ؟ فهذا الكلام يحزنني !

قالت بيتا :

- قولي يا أمي كي أرتاح ، فواضح أن خالي لا يزال مستاءً مني !

تمالكت نسرين نفسها وقالت :

- قال .. قال ... وفي النهاية تمكن ذلك الفنان المغرور من الضحك عليكِ يا أختي !

اضطرب حال بيتا وصمتت . كانت تتوقع سماع كل شيء دون ذلك ! في الحقيقة كانت هذه هي المرة الأولى التي تفكر فيها بصدق تجاه كامران ، كانت تنظر في تردد إلى منح التوكيل من قبل أمها إليه . فماذا فعل من أجلها حتى ذلك اليوم ؟ كل ما كان يمتلكه فقده فجأة بعد الزواج ! فكرت "علامَ تكون ثقتي ؟ على حفنة كلام ؟! " .

قالت في تردد إلى نسرين :

- ريّحي بالك يا أمي ، إن كامران صادق ، ويعلم ماذا يفعل بالمال ، لا تشكي في خبرته .

قالت نسرين :

- لو لم أكن واثقة فيه حتى الآن لما قمت بما أقوم به . صحيح أننا كنا على غير وفاق لكن الواقع يقول إن زوجك لا يختلف كثيراً عمن كنت أتمنى لكِ ! خاصة ولنا منه

الآن حفيد ، لا أريد أن يشعر كيان بالضيق حينما يكبر .

قبلت بيتا وجهها بعين مبللة بدمع الحب وقالت :

- أنتِ أعظم أم فى الدنيا ، ليتنى أكون جديرة بكل هذا الحب .

* * *

اندهشت بيتا إلى حد ما مع حضور والدة كامران المفاجئ ، فقد تسمرت فى مكانها حائرة لعدة ثوان بعد أن قدم كامران أمه إليها ! كانت تتوقع مقابلتها قبل ذلك بكثير إلا أنها كانت فى دهشة بالغة وحيرة مع رؤيتها لها . فى الواقع! كانت بيتا تتخيل فى ظل وصف كامران لها أنها ستقابل امرأة عجوزًا تماثلها فى الأصالة والمكانة الاجتماعية ، لكن ما رأته كان يختلف عما فى ذهنها اختلاف الأرض والسماء . لم تكلف أمه نفسها حتى كى تقبل عروستها أو تعرب عن سعادتها لرؤيتها ، فقد هزت رأسها ردًا على سلام بيتا وحركت شفتيها هامسة، ومن اللحظة الأولى تسببت فى ضيقها ، كما قالت بنبرة حادة وهى تصعد درجات السلم متكئة على كامران :

- هو احنا فى صحرا يا حبيب أمك ؟ إنت طلعت السلالم دى كلها ووصلت لقمة الجبل !

قال كامران مبتسمًا إلى بيتا وهو يرى دهشتها :

- لقد جاءت أمى كل هذا الطريق لرؤيتك أنت وكيان !

ردت بيتا بصوت يرتجف وهى تأخذ حقيبة والدة زوجها :

- لقد تلطفتى علينا كثيرًا بزيارتك ، كم كان جميلاً لو كنا قد علمنا مسبقًا كى نستعد لاستقبالك .

قطبت والدة كامران جبينها وقالت :

- تريدين أن أرجع ! هو الواحد لازم ياخد إذن علشان يجى بيت ابنه ؟!

احمر وجه بيتا من الخجل وقالت على الفور :

- ما هذا الكلام ؟ لقد تفضلتي علينا ، البيت بيتك ، اتفضلى ، كم انتظرنا لقاءك !

قالت والدة كامران وهى تجلس على الأرض بجوار الحائط :

- أنا لا أحب أن آتى وقت العرس مثل كثير من الحماوات ، أنا آجى بسرعة وامشى بسرعة حتى لا قدر الله لا أقلل من احترامى !

نظرت بيتا إلى كامران بنظرة ذات مغزى وقالت :

- لا تقولى هذا الكلام يا حبيبتى ، أنتِ نور منزلنا ، وأينما تشرفيننا تنيرى منزلنا المتواضع هذا . آه ! لمَ تجلسين على الأرض ؟ اتفضلى على الكرسى ، اتفضلى ، أنتِ متعبة من الطريق...

دفعت والدة كامران يدها فى فتور وقالت :

- أنا مرتاحة كدة أكثر ، جلست عمرى كله على الأرض ، وسأجلس عمرى الباقى عليها.

- قد يؤلمك وسطك ..

- لا يا حبيبتى ، هنا أفضل لى !

تدخل كامران وقال :

- زى ما تحبى يا أمى الحبيبة ، لو تحبى تاخدى دش يوجد ماء دافئ !

ثم سأل بيتا :

- حبيبتى ، الغدا جاهز ؟

وقبل أن تنطق ردت أمه فى ضيق :

- وا ! ألا تصومون ؟!

ضحك كامران وقال :

- تعلمين يا أمي جيداً أنني أعاني من ورم في المعدة منذ أعوام .

قالت العجوز دون أن تنتبه :

- طيب أنا كنت على سفر ، وأنت تعبان ، وزوجتك ؟!

ردت بيتا وهي تحاول أن تتمسك بهدوئها :

- أنا أُرضِع يا حبيبتي .

غمزت أم كامران بعينها وهمست قائلة :

- إيه الكلام ده ؟ الشباب دلوقتي كالشباب في السابق ، لقد كنت حاملاً في واحد وأرضع الآخر وأصوم !

قالت بيتا في استياء واضح مع رؤيتها لعدم دفاع كامران عنها وصمته :

- إن صحتي ليست على مايرام ، وإلا فأنا أعلم جيداً واجبات ديني .

لم تختصر والدة كامران حديثها وقالت وهي تلمح إلى شيء :

- دي كلها حجج ، يجب أن يخشى الإنسان ربه !

قالت بيتا - بعد أن عدمت الطاقة على التحمل - في ضيق :

- طالما أنكِ متعبة من الطريق سأذهب أنا لأحضر المائدة .

قضت عدة لحظات بمفردها في المطبخ مع كامران ، وقالت له بصوت يرتجف وهي في غاية الضيق :

- ألم تستطع أن تخبرني مسبقًا ؟

همس كامران بحب في أذنها :

- لا تستائى من أمى يا حبيبتى ، لا شىء فى قلبها قط ، فضلاً عن ذلك أقسم لكِ إننى لم أعلم بقدومها .

قالت بيتا وهى مقطبة الجبين :

- حقًا ؟! إذن لمَ ذهبت فى إثرها إلى موقف السيارات ؟ لابد أنك تعلم الغيب !

قال كامران بهدوء :

- صدقينى ، لقد اتصلت بها اليوم صباحًا بعد فترة انقطاع وسألت عن أحوالها فذكرت لى خالتى أنها سافرت إلى طهران وستصل إلى موقف السيارات فى الحادية عشرة ، قسمًا بحياتك إننى فوجئت ، لا يجب أن تتحدثى هكذا ، لقد جاءت بعد فترة إلى منزلى هل تجعلينها تغضب علىّ ؟!

قالت بيتا فى اعتراض :

- حسنًا ، وما دخل هذا بى ؟ إنها تتحدث وكأننى المذنبة !

سألها كامران :

- أنتِ الآن أم ، لو جاء ابنك ذات يوم وقال لكِ إنه تزوج ألم تتضايقى ؟

- نعم سأتضايق ، لكننى أقول ثانية إنك المذنب ، لكم قلت لك ...

- بيتا ، لقد ولى الماضى ، وكنت مضطرًا للاستعجال خشية من أى تضييع من يدى .

- حسنًا ، كل من يبغى الطاووس فعليه أن يتحمل السفر إلى الهند !(*)

قال كامران فى خبث :

(*) هر كه طاووس خواهد جور هندوستان كشد : مثل فارسى يستخدم للدلالة على وجوب التحمل والمثابرة لتحقيق الهدف .

- ألم أتحمل من قبل ؟ تصرفي بحكمة وكأنك لم تسمعي شيئًا ، ألم تعلمي أن البشر حينما يتقدمون في السن يزيد حرصهم على الحياة !

- وماذا تتوقع مني ؟

- أريد أن تجعلي أذنك بابًا والأخرى بوابة لمدة يومين أو ثلاثة علشان خاطري .

- لقد فوجئت حقًا يا كامران ! لم أكن أفكر قط في أن أمك سترفع السيف في وجهي من أول لحظة !

- أي سيف يا حبيبتي ؟ إنها إمرأة عجوز طيبة ! سوف تدركين كلامي من بعد !

* * *

وعلى المائدة وحينما كانت بيتا تحاول أن تمسك زمام نفسها بدأت والدة كامران :

- واه واه ! كم أن الطعام مملح ! ألا تعلم حبيب أمك إنني أعاني من ضغط الدم ؟

ضحك كامران وقال :

- ما هذا الكلام يا أمي ؟ فين الطعام المملح ده ؟

مالت عليه وقالت :

- هل عدمت الإحساس ؟ عندما كنت أضع أمامك مثل هذا الطعام لما كنت ترفعه إلى شفتيك ! لازم تكون عرفت قيمتي دلوقتي ! فألذ الطعام هو ما تطهوه الخالة !

قالت بيتا بابتسامة مفتعلة وهي ترتجف من الداخل :

- هو الأكل فيه إيه ؟

ردت الحماة دون أن تنظر إليها :

- من وجهة نظرك لا شيء !

ثم وجهت حديثها إلى كامران :

- أتتذكر أنني طهيت مرة طعامًا وحينما لم يعجبك أكلت في الخارج !

ضحك كامران - الذي كان يلاحظ استياء بيتا تمامًا - وقال لأمه :

- أمي الحبيبة ، أنا المذنب ، كان يجب أن أقول لبيتا إنكِ تسيرين على نظام معين في الغذاء ، من أين لها أن تعرف ؟ إنها لم تركِ منذ أن تزوجنا !

قالت أمه :

- الذنب ليس ذنبك ، بل هو سوء حظي حيث لم يجب عليَّ أن أرى نسايبك ! كم كنت أعقد الآمال عليك !

قال كامران في حب :

- الوقت ليس متأخرًا يا أمي !

ردت بصوت يرتجف :

- نعم ، والله ! ابنك خلاص هيقولك يا بابا وتقول لي الوقت مش متأخر ! أي زمان نحن فيه ! الشخص اللي ليه ولد لازم يخاف على نفسه زي خالتك ما قالت !

تضايقت بيتا من شدة الإهانة وبكت بصوت عالٍ لكنها صمتت بعد ذلك وطأطأت برأسها حتى أنها لم تسمح لكامران بأن يمسك يدها من تحت المائدة وظلت تترقب تلك العجوز وهدفها من ذلك الحديث !

- نعم يا حبيب أمك ، البنات زمان كانت بتخاف ودلوقتي العكس ، لازم طبعًا بنات الأثرياء يجروا وراك علشان مظهرك وعلمك وكل اللي عندك ! وليه لأ؟!

قال كامران :

- لا يجب يا أمي أن تقولي هذا الكلام أمام بيتا ، إنها الآن أم طفلي !

فردت عليه وهى تبكى :

- أنت تتخيل أننى ألح بذلك على مراتك ، هو أنا اتخرست يا عنيا !

قال كامران بحب :

- إيه الكلام ده يا أمى ؟ لمَ تبكين الآن ؟ هو حصل حاجة ؟

وفجأة تذكرت بيتا أسلوب كامران فى الزواج منها ، وبلغ غضبها أوجه من سماع ذلك الحديث! كيف تفكر أمه إنها قبلت ابنها بسبب علمه ومظهره ؟ والأهم من هذا كله كيف فكرت أن بيتا هى التى أوقعته فى الزواج بها ؟! وانتبه ذهنها إلى كامران ، ربما كان هذا على لسانه ! فكرت فى عصبية ، لمَ لا يبدأ هذا الموضوع من نهايته ؟ هل كان ابنها سيتزوج بأفضل منى ؟ لقد امتلك السيارة والمال والمكانة الاجتماعية والزوجة التى تنجب دفعة واحدة! تمد أمها يدها دومًا إليهما بالمعروف ! والآن أنا لست جاهلة أو عديمة الأصل حتى أسمع مثل هذا التوبيخ !

قامت وقدماها ترتجفان واستأذنت لتذهب إلى غرفتها ، توجهت إليها فى صمت دون حتى أن تسمع صوت كامران ، كانت الدموع تنهمر من عينيها كأمطار الربيع وقلبها فى غاية الضيق . ودون أن تعى تذكرت لقاء أم بابك ، كم كانت تختلف معها اختلاف السماء والأرض . حاولت أن تبعد ذهنها عن هذه الأفكار ، لمَ يجب من الأساس أن تتذكر زوجة خالها وهى زوجة لكامران ؟ فى الحقيقة إن زوجة الخال دومًا ما كانت تنحى نفسها بعيداً عن حياتها . أرادت أن تخرج من الغرفة فإذا بكامران يدخل عليها فى غضب ، ويغلق الباب قائلاً :

- ارتحتِ ؟! إنها تريد أن ترحل !

سألت بيتا فى دهشة وهى لم تتوقع منه تلك المقابلة :

- هدفك إيه ؟!

رد غاضباً :

- هدفى ؟ هدفى واضح ! إنتِ مش كنتِ عايزة تعملى أى حاجة علشان الست العجوز المسكينة دى تمشى من هنا ؟!

ردت بهدوء :

- لمَ تصيح هكذا يا كامران ؟ متى كان لى هذا الهدف ؟

- حسنًا ، لو لم أكن موجوداً ورأيت بعينى لكنتِ قد أنكرتِ !

- لمَ تهيننى يا كامران ؟ لمَ تبدى عدم احترامك لى فى وجود أمك ؟

- هذا ليس أسوأ مما فعلته ! أية عروس ترى حماتها بعد هذه الفترة ثم تغضب كالأطفال وتذهب إلى حجرتها ؟

- كما قلت ، لقد رأيت ! ألم تسمع ما قالته ؟

- ماذا قالت ؟! ألم تقل لكِ إنها تعانى من ضغط الدم ؟

- وأنت تعلم إننى لا أستاء من هذا الموضوع ، فضلاً عن هذا لم أكن أرغب فى أن أبدى عدم الاحترام لها فاتجهت إلى حجرتى !

- لو أننى أنا الذى تصرفت بهذا الشكل مع أمك ، ألم تتضايقى ؟

- لمَ تُدخل أمى فى الموضوع ؟ ما علاقة هذا بأمى ؟

- شىء مضحك ، كأنه لا ينبغى علىّ فى هذا البيت أن يكون لى أقل اعتبار تمامًا كالخادم !

قالت بيتا بصوت عالٍ بعد أن رأت عدم مبالاته بها :

- إننى أتعجب يا كامران ! لم أكن أعلم قط أن أمك فظة الحديث هكذا !

- إنها لا تصل إلى منزلة والدة الهانم ! هل تصرفتُ بهذا الشكل أمام تصرفات أمك وغلظتها معى، أم أننى تغاضيت عن ذلك من أجل زوجتى وجلست لمشاهدتك ؟

- اتكلم كويس يا كامـران ! هنا ليس سـوق ! لم أفكر قط أن تصـدر عنك مـثل هذه الألفاظ النابية !

- لمَ ؟ هل تظنين أننى أبكم ؟ حقًا تسلم يداكِ ، كان يجب أن أعرفك عليها منذ اللقاء الأول.

- لمَ لا تلوم أمك المحترمة ؟ كأنك لم تسمع إهانتها لى !

- فلأطأ بقدمى قلبها من أجلك .

- من أجلى ؟! كويس جداً ! أنا لا أريد يا حبيبى أن تطأ قلب أحد بقدمك ، ولا أريد إبداء عدم الاحترام تجاهى فى وجود أمك !

رد عليها وهو يخرج من الحجرة :

- حقًا إنك تقدرين الجميل !

اندهشت بيتا بعد انصرافه ، وجلست على السرير فى حيرة ، وأمسكت رأسـها بيديها ، إنها لم تر كامـران فى تلك الحـالة قط حتى الآن ، سمعت صوت أمه تقول بإصرار رداً على كامران :

- لا يا حبيب أمك ، لن أضايقكما أكثر من ذلك .. لا أريد أن تفسد حياتك بسببى ! إن شاء الله ربنا يسعدك ويمنحك الصحة ، لا أريد شيئًا آخر ...

اتخذت بيتا قرارها فى لحظة ونهضت من مكانها ، فأم كامـران - من وجهة نظرها - ضيفة عليها على أية حال ، ووفقًا لما تربت عليه يجب أن تراعى أدابًا خاصة ، فهى جدة ابنها ، وحينما خرجت من الحجرة كان كامران يسحب العباءة من رأس أمه ، فتقدمت ناحيتها وقبلت وجه والدة زوجها وقالت :

- سامحينى لو أننى أخطأت.

أشاحت والدة زوجها بوجهها عنها ، وقالت :

- لا ، لقد تم استقبالى بالقدر الكافى ، الناس بيحضروا منذ اليوم الأول فى الزواج واحنا ..

وكتمت بيتا غضبها دون أن تنظر إلى كامران بينما تلعن نفسها ، ثم قالت بابتسامة مفتعلة :

- هو أنا هسيبك تخرجى من هنا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟!

ثم قبّل كامران وجه أمه وقال :

- بيتا معها حق يا أمى ، تصرفى بعقل .

انتظرت العجوز للحظة فى صمت ثم سألت كامران فى فتور :

- وهتْخِمِدْ فين ؟! ..

(٣١)

سألت بيتا بحيطة ، بينما كان كامران يتناول فطوره :

- حبيبى ، تعتاد أمك دومًا المجىء ليلاً وبشكل مفاجئ ناحية حجرة نومنا !

استغل كامران فرصة عدم وجود أمه وقال فى استياء وضيق حتى برزت عروق رقبته :

- تقصدى إيه ؟ بدأتى تانى ؟ دى حجة جديدة ؟

كظمت بيتا غضبها وقالت بهدوء :

- حجة إيه ؟ لقد رأيتها بعينى واعتقدت فى الليلة الأولى أنها نائمة ، لكن حينما كررت ذلك ..

قطب كامران جبينه وقال دون مبالاة :

- علشان كدة بتكلْفتى نفسك بالليــل زى البوْجة ؟ حقًا يجب أن تخــجلى من نفســك لا فتـعالك هذه القصـة ! كويس إن أمى فى الحـمام ولم تسـمعك ! لقد جئت إليكِ بنفسى فى المرة السابقة واعتذرت لكِ وكسرت بخاطر هذه العجوز المسكينة .

قالت بيتا التى لم تكن تبغى الشجار :

- حبيبى كامران ، لمَ تتحدث هكذا ؟ تقصد أننى أستغل لينك ؟ قسمًا بالله إننى أحب أمك مثلما أحب أمى تمامًا .

قال كامران وهو يلمح إلى شىء :

- أتتصرفين بهذا الشكل مع أمك ؟

ردت بيتا في دهشة :

- أتصرف بهذا الشكل ؟! هل تفكر حقًا بهذه الطريقة ؟ إنني في حيرة ! فمع كل هذه العصبية التي لدى أمك لمَ لمْ تدعها على حفل زواجك ؟!

رد كامران في فتور :

- وقتما تأخذي السمكة من الماء فهي طازجة ، لا تدقي على رأسي مائة مرة كل دقيقة!

- نحن زوجان ، أنا لم أتحدث مع شخص غريب !

قال كامران في غضب وهو يقوم من المائدة :

- يجب ألا نتحدث أكثر من ذلك عنها . لو سمحتي استحمليها لغاية بكرة ولا تنتقديها في شيء ، سوف أرسلها خلال أيام إلى مشهد للزيارة ! ومن هناك ستذهب إلى كرمان .

قالت بيتا في دهشة :

- للزيارة ؟ بأي مال ؟

رد كامران :

- أيجب أن أستأذنك لإرسال أمي للزيارة ؟ اعتقدت إنكِ ستسعدين لأنكِ ستتخلصين منها بسرعة !

قالت بيتا في غضب :

- لمَ تلمز بالحديث يا كامران ؟ هل قصرت في احترامي لأمك طوال هذه الأيام كي ترد على سؤالي بهذا الشكل ؟

رد عليها وهو يرتدي الجاكت :

– أى سؤال ؟ هل يجب علىّ أن أقدم إليكِ كشف حساب يومى لأننى وكيل أمك؟

– كامران حبيبى ، أنت تعلم أن إيجار شقتنا متأخر علينا منذ شهرين .

– لاتخافى ، سأدفعه ، ولو أبقيتك فى الصحراء اعترضى !

– ما طريقة الكلام هذه ؟ لمَ تهاجمنى فى الفترة الأخيرة بذلك القدر عند حديثك معى ؟

– أنا أعلم سبب ألمك ، إنكِ تستاءين لأننى سأرسل أمى للزيارة !

– ماذا يعنى هذا ؟ هل تقرأ أفكارى ؟ فضلاً عن ذلك ، ألا يجب علىّ أن أكون حساسة ؟ كأنك نسيت أننى شريكة حياتك ، ويجب أن أكون على علم بكل شىء مثلك تماماً ؟

– إنكِ تذكرين لى هذا الكلام مائة مرة كل يوم .

– الأمر ليس كذلك ! إننى أريد فقط أن أذكرك بدخلك ونفقاتك .

– لا تخافى ، لو ضاع دينار واحد من مال أمك هنا أو هناك فاعترضى !

قالت فى غضب :

– لو كنت ممن يعترضون أو كنت أريد أن أتطفل لكنت سألتك منذ فترة ماذا فعلت بأموال أمى!

– أنتِ تفهمين ذلك ، لكن يجب ألا تنسى أننى مسئول تجاه أمى !

* * *

وبعد عودة والدة كامران من مشهد لم تعد إلى كرمان بل قالت لابنها دون خجل إنها تريد أن تقضى بقية عمرها بجواره هو وحفيدها ، وقبل كامران – الذى فوجئ بذلك الكلام – دون أن يتشاور مع بيتا ، وحتى لا يُواجه بأية حجة من جانبها غيّر شقتهما بأخرى بها حجرة نوم إضافية ومساحتها أكبر من مساحة الأولى ، وانتبهت

بيتا بعد فترة إلى أنه وعد أمه بالإضافة الدائمة معهما، وكم من مرة سعت فيها لإثنائه عن هذا القرار لكنها لم توفق بل ودخلت فى شجار معه . كما اقترحت عليه ذات مرة أن يؤجر مكانًا قريباً منهما لأمه لكنه رفض وتحجج بكبر سنها ، وقال:

- لو حدث لها مكروه ذات ليلة كيف أعرف ؟ لا يا بيتا ، إننى أشعر بالمسئولية تجاه أمى.

ولم تكن بيتا تفهم أين كانت تلك الغالية حتى ذلك اليوم ؟ لقد كان كامران يدللها كالطفل ، ويعد لها فراش النوم ويداعبها ، أحيانًا يتحدث معها بطريقة لا تُصدق إلى حد أنه سمح لها أن تقوم بتحديد دور كل شخص داخل المنزل ، بل كانت هى التى تبدى رأيها وتتخذ القرار بدلاً من الآخرين .

كم كانت بيتا تستاء فى تلك الفترة من سلوكها وتصرفاتها ! لقد يئست حتى من الشكوى ! لقد كانت تبدى عدم احترامها علانية لنسرين ، كانت تتعامل مع كيان كما تشاء وتتصرف بما يثير غضب بيتا . كانت تقوم بكى ملابس ابنها - التى تم كيها من قبل - فى حضوره وتلسن على نساء اليوم . وفى إحدى الليالى ، ودون أن تنتبه إلى ملاحظات بيتا وضعت إصبعها فى فم كيان ، فخرجت بيتا عن طورها دون وعى ، وقالت بنبرة فاترة على عكس رغبتها وهى تأخذ كيان :

- ألم أقل لكِ إن هذا العمل ليس صحيًا ؟ لمَ تكررينه ؟

ردت العجوز فى ضيق :

- ما هذه الطريقة فى الكلام يا بنت ؟ هل تخيلتى لا قدر الله إن ولادى كبروا كده لوحدهم ؟ هل وصل بك الأمر أنكِ تريدين أن تعلميننى كيفية تربية الأطفال ؟ قولى إننى لا أفهم !

قالت بيتا فى غضب :

- لو ترغبين فى إهانة نفسك فلا دخل لى فى هذا ! لكن تذكرى إننى لا أحب قط أن تفعلى هذا مع طفلى ، أو ربما يتهيأ لكِ أنكِ تعاندينى بذلك التصرف!

غضبت والدة كامران وقالت :

- اسمعي يا بنت ، إن العناد ليس لمن في مثل سني ، احذري في كلامك ، أنا أريد أن أربي حفيدي .

قالت بيتا في جدية :

- لو تحبينه بذلك القدر كيف لا تفهمين أن ما تقومين به ليس صحياً ؟!

بكت العجوز وقالت :

- نعم ، هذا هو ثمن تعبي ! يجب أن تتهميني بهتاناً وظلماً !

قالت بيتا بشكل جاد هذه المرة :

- أي بهتان ؟ ألم أقل لكِ من قبل تولي رعاية كيان ؟

ردت عليها في عجز :

- أيوة ، أنا لو مت وحيت فأنا عديمة الحمية بلا مشاعر ، مفيش حد هيشكرني مهما عملت، ولو وضعت إيدي في العسل إلى المرفق هيقولولك برضه دي أم جوزك !

- لمَ كل هذه الجلبة ؟ كأنني قمت بعمل مشين !

- لا ، أنا التي أقوم به ! تتخيلين أنني لا أرى بعيني ؟

كانت أم كامران تتحدث وأرادت بيتا أن تقاطعها إلا أنها قالت :

- فكري فيَّ كما يحلو لكِ .

فقالت والدة كامران :

- لأنثر التراب على رأسي ، يجب بعد كل هذا العمر أن أعيش تحت رحمة أولادي وتحت رحمة بنت الناس دي !

فكرت بيتا – التى كانت تندهش من سلوكها – " إن هذه المرأة إما أن تكون ساذجة بالفعل أو أنها تدعى السذاجة . ألم تعلم حقًا أن ابنها يعيش فى كنف أمى ؟ تجلس هكذا وتقول ابنى ابنى وتتوهم أنه يتكفل بمصاريفى ومصاريف أسرتى ؟!".
رغبت فى أن تقول شيئًا لكنها أمسكت نفسها وقالت :

– لا كلام لى معك !

نهضت العجوز من مكانها وقالت وهى تحمل حقيبتها :

– لن أبقى ثانية واحدة فى هذا البيت ، ولقمة العيش دى هحصل عليها حتى لو عملت شغالة .

احتارت بيتا فيما تفعله ، وإذا بكامران يصل ويسألها وهو ينظر إلى أمه وهى فى هذا الوضع:

– ماذا حدث ؟ ماذا حدث لأمى ؟

ردت بيتا فى عصبية :

– من الأفضل أن تسألها هى ماذا حدث؟!

قالت أمه وسط بكائها وهى تجمع أمتعتها فى الحجرة :

– لا شىء يا حبيب أمك ! طالما أنك تزوجت يجب أن تمسح الجميع من حياتك !

اتجه كامران ناحيتها فى حب وقال :

– ما هذا الكلام يا أمى ؟ ما الذى يضايقك ؟

ردت فى عصبية :

– لا شىء حبيب أمك ! أنا المذنبة ويجب أن أموت !

سأل كامران بيتا فى عصبية :

- ما الذى حدث يا بيتا ؟ لمَ تضايقت أمى ؟

أشاحت بيتا بوجهها وقالت :

- الموضوع كله كان كلمتين !

- تقصدى إيه ؟

- قلت لها لا تضع إصبعها فى فم الطفل فتضايقت !

قالت والدة كامران :

- نعم حبيب أمك ! إن أهلك صاروا وباءً وجزامًا !

ردت بيتا فى ضيق :

- ألم أقل لكِ فقط لا تقومى بذلك العمل ؟ لقد قلت إن هذا التصرف غير صحى!

سأل كامران بيتا بهدوء :

- هل حدثت مشكلة الآن ؟

تراجعت بيتا فى دهشة ، كم كان سماع هذا الكلام على لسان شخص مثل كامران- الذى كان يدعى الفضل - مثيرًا للدهشة ، مدت أمه يدها وقالت :

- ألم نكن بشرا وربينا الأطفال ! لا يا حبيب أمك ، الموضوع إن مراتك عايزة تبعدنى عن الطفل !

توجهت بيتا - التى كانت ترى عدم جدوى النقاش معها - إلى حجرتها دون أن تتفوه بكلمة وأغلقت الباب ، ولم تمر دقائق حتى دخل كامران عليها وقال دون مقدمات :

- ماذا حدث ثانية ؟ هل هذه حجة جديدة ؟ لمَ تضعين رأسك برأس هذه العجوز؟

قالت بيتا فى فتور وهى ترضع كيان :

- اخرج يا كامران ، إن رأسي تؤلمني لدرجة أنني لا أستطيع استمرار النقاش بشأن أمك ثانية.

- فلتقولي لي ماذا أفعل ؟ هل أتركها تخرج ؟

قالت بيتا في غضب :

- لا ، اتركني أنا ! حقًا إنك بارع !

- ألم تر ؟ كادت تموت !

- لا تخف ، إن عدد المرات التي شاهدتها فيها بمثل هذه العصبية كانت كثيرة بذلك القدر الذي يجعلني لا أعلم عددها ! ألم تلاحظ أنها تضع يدها على نقطة ضعفك وتتدخل في شئونك ؟ أو لعلك تعلم وتزيد الزيت اشتعالاً !

- ألم تستطيعي أن تتحدثي معها بلهجة أفضل من ذلك ؟

- أنت نفسك تعرفها أكثر مني !

- يعني إيه ؟ هل حدث ذات مرة وتحدثت مع أمك بهذا الشكل ؟

- ما علاقة أمي بهذا ؟ لمَ تُدخلها في الموضوع ؟ لقد تأكدت حقًا ممن ورثت هذا؟!

- أنتِ مثل أمك لا ترين أكثر مما أمامك !

- لمَ ؟ لأن أمي المسكينة سلمت إليك كل ما تملك ، لأنني ارتضيت وأنا في بداية شبابي - كما كان يحدث قديمًا - أن أعيش مع أم زوجي ؟ انظر يا حبيبي ، ربما أستطيع أن أتحمل أشياء كثيرة ، لكنني لا أستطيع أن أكون متفائلة بخصوص كيان، أو يجب عليّ أن أنتظركما تقول لأرى هل ستحدث مشكلة أم لا؟!

- إنها جدته ولا تريد له السوء !

- والله ! وأمه تريد له السوء !

- الأمر ليس كذلك ، هل ستكون هذه هى طريقة التعامل بينكما من الآن وصاعداً ؟

- لو سمحت قل لها إننى أريد أن أربى ابنى بأسلوبى !

قبّل كامران وجهها ودخل إليها من باب المشاعر :

- هذا لا يرضى الله يا حبيبتى ! إنها تحب كيان كروحها !

- لا يا كامران ! لن أسمح لك ثانية ! لقد أتيت بأمك وأقحمتها فى حياتنا حتى تتحكم فىّ وفى حياتى ، تحقر من شأنى أنا وأمى ، وتتدخل فى شئونى لكننى لم أنطق بكلمة من أجلك ومن أجل كيان ، لن أسمح بهذا ثانية !

قبّلها كامران ثانية من وجهها وقال :

- أقسم بالله إنكِ مجنونة ! الناس يذهبون ويدفعون أموالاً كثيرة لإحدى المربيات كى ترعى أطفالهم ، وأنت لا تحسنين استغلال الفرصة التى أمامك ؟

قطبت بيتا جبينها وقالت :

- هل نضحك على الطفل ؟! كيف تقوم هذه العجوز بحمومه وإرضاعه وتنظيفه وتنويمه؟!

احتضنها كامران وقال :

- أنتِ تعلمين إنكِ تقومين بكل هذه الأمور يا حبيبتى .

قالت :

- بالتأكيد ظاهرياً فقط !

- ما هذا الكلام يا حبيبتى ؟ ما المشكلة فى أن تسعدى قلب هذه المسنة البسيطة!

- البسيطة ؟! الله وحده يعلم كيف أغلق عينى من الصباح حتى المساء !

- هذا من حكمتك وكياستك .

- لا ، هذا لأننى فكرت إننى سأصل يومًا إلى سن أمك !

- أنا فداؤك وأشعر بكِ تمامًا ، هل تتخيلين أننى لا أريد راحتك ؟

- يبدو أنك تفكر فيها أكثر مما تفكر فىّ !

- ما هذا الكلام ؟ أنتِ الأساس ، وأنا أعلم أن ما من شىء قط من قلبك .

نظرت بيتا إليه وقالت فى دهشة :

- تعلم هذا وتحاول إدانتى ؟!

قبلها كامران فى أذنها وهمس بهدوء :

- بالله عليك ، إنك تعلمين يا حبيبتى أن هذا هو طبعها !

- لكن كان يجب عليك أن توضح لى .

- والآن فقد حدث ما حدث ، ألا تريدين أن تسامحى إرضاءً لى ؟!

- إننى ألزم الصمت إلى الآن إرضاءً لك .

قبلها كامران فى رقبتها بكل دهاء وقال :

- سأرسلها فى نهاية الأسبوع إلى جمكران .

- لم أقل أخرجها من البيت !

- أريد أن نكون مفردنا فى نهاية الأسبوع ... هل تقولين إنكِ لا تفكرى فىّ ؟!

ابتسمت بيتا لنظرته ونبرته فى الحديث لكنها فى الحقيقة كانت تريد أن تعود كما كانت فى السابق ، احتضن كامران كيان وقال بحب :

- لو أعلم أننى سأحصل على قلبك ولو لمرة واحدة سأعيدها ثانية يا حبيبتى !

وحينـما خرجـا معًا من الحـجرة وجـدا أمه قد نامت في هـدوء وكأن شيئًا لم يحدث.

* * *

مع بداية العـام الدراسي الجـديد استـأنفت بيتـا دراسـتـها وتركت على عكس رغبتها ووفقًا لإصرار كامران كيان مع أم زوجها طوال اليوم . هذا في حين أنها كانت ترغب بشـدة في أن تعـهد برعـايته إلى أمـها ، لكنـها بلاشك قـد عدلت عن هـذه الفكرة سريعًا كي تتلاشى حساسيـة أم زوجـها . أمـا نسـرين المسكينة ، فنظرًا لأنهـا كانت تُعامل بعدم احترام من قبل أم صـهرها فقد امتنعت رغمًا عنها عن الذهاب إلى بيت ابنتها ، واكتفت بزيارتهم لها آخر الأسبوع .

وانقضت الآن ستـة شـهور على منحـها التوكيل إلى كـامران ، لكن مـا من أحد كـان يعلم على وجـه الدقـة مـاذا كـان يفـعل هذا السـيد بالمال . دومًـا كـان يرد على استفسارات بيتا بأنه مشغول بالاستيراد وبيع البضـائع المستوردة ، لكن من المعلوم أن عملية البيع والشراء تحتاج إلى مال ، مرارًا مـا نصحته بيتا بإنفـاق النقود في المجالات المنتجة إلا أنه لم يخضع لكلامها بل قال لها ذات مرة بكل صراحة :

– النساء لا تفهمن شيئًا عن التجارة .

مسكينة نسـرين ! إنهـا لم تحـصل على ريال واحد خـلال السـتة شـهور تلك من كامـران ، في حـين أن أمـه كـانت تسـافر على فـترات قـصيرة . كـمـا اشـترى لنفسـه سيارة أنيقة آخر موديل ، وكان يسرف في نفقاته لدرجة أزعجت بيتـا حتى أنها طلبت ذات مرة من أمـها أن تلغي التوكيل في أسرع وقت ممكن ، لكن لم يمض طويل زمان حتى فـهمت أن كامران لم يحـصل فقط على توكيل من أمـها غير قـابل للإلغاء ، بل وضـع بندًا فيـه ينص على عدم أحقيـة الموكل بـأي وجـه قط في إلغـاء التوكيل إلا بعـد موافـقـة الوكيل !

أثناء ذلك كان صمت نسرين مما يزيد من عذاب بيتا . في الحقيقة كانت بيتا تريد أن توجه أمها إليها اللوم والتوبيخ حتى يقل عذاب ضميرها ، إلا أنها لم توجه إليها أي نقد . أما والدة كامران فكانت تطمع في مال عروستها أكثر من أي شيء آخر، فقد شاهدت ما لم تكن قد شاهدته حتى في المنام منذ أن جاءت إلى طهران . لقد كانت تأمل منذ أعوام في السفر إلى مكة ، والآن يلبي ابنها كل رغباتها . وحينما علمت بيتا بذلك غضبت وفقدت السيطرة على أعصابها ثانية ، وأخرجت كل ما في قلبها خاصة بعد أن سافرت حماتها إلى كرمان لزيارة أختها ، وظلت هي وكامران لفترة بمفردهما ، أما هو فكأنه لم يكن يتوقع هذا منها ، وحاول كعادته أن يدخل إليها من باب المشاعر، وقال بنبرة ناعمة تذيب القلب القاسي :

– الثواب عند الله يا حبيبتي ! هذه المسنة مثل أمك !

قالت في عصبية مع تذكرها لأمها :

– ألم يحن الوقت كي تنظر إليّ أمك مثلما تنظر إلى ابنتها ؟! أو أنك تتعامل مع أمي مثلما تتعامل مع أمك ؟ أنت ترى سلوكها بنفسك ، كأنني قتلت أباها ! في الواقع لو كان لأمك عروس غيري هل كانت ستلبي رغباتها على هذا النحو ؟!

قال كامران :

– ليس لها أحد غيري ، لقد قضت عمرًا كاملاً مع أبي القاسي المستبد وتحملت الكثير من الآلام ، بعد ذلك رحل أخي خارج البلاد ، ثم بعدت عنها أنا كذلك وتزوجت دون مشورتها ، فلتدعها تسعد في أيامها الأخيرة ، صدقيني ، إن في هذا ثوابًا كبيرًا !

قالت بيتا في عصبية :

– بأموال أمي ؟! ألم تفكر قط أن أمي يجب أن تكون راضية على إنفاقك بهذا البذخ على أمك؟ لو أنك لم ترغب في أن تخبر أمك بزواجنا ، فما ذنبي ؟ وأساسًا لمَ يجب أن أدفع أنا ثمن ذلك ؟ هل تتخيل أن ما تحققه لأمك من أموال شخص آخر تنال الثواب عليه ؟!

قطب كامران جبينه وقال بعصبية :

- مال من ؟ إننى أضحى بروحى ليل مساء وأعمل كالكلب .

قالت بيتا فى غضب :

- حقًا ؟! لو كانت شركتك نشطة بهذا القدر ، لمَ لا تقدم كشفًا بالحساب إلى أمى قبل أى شىء آخر ؟ ألا تعلم قط كم شهر مر دون أن تدفع لها أرباح مالها؟ هذه هى وعودك ؟

صاح كامران :

- منذ متى أصبحتِ تتحدثين بلسان أمك ؟ فضلاً عن ذلك ، هل تتخيلين إننى أحب أن أسمع منك هذه الانتقادات ؟ دعك من رأس المال ، سألقى بأرباح هذه الشهور تحت أقدامها ، أنا لا أريد أن أقدم إليكِ كشف حساب .

- ما هذا الأسلوب ؟ هل ألقت أمى بأموالها تحت أقدامك ؟ لقد أساءت التصرف ووثقت فيك ، والآن تتحدث عنها وكأنها تأخذ صدقة منك ! أو ربما تمنحها هذا المال رغمًا عنك ؟

- لا تتحدثى عن المال هكذا ! تظنين كم يكون مالها ؟

- الآن تقول كم يكون مالها بعد أن ملكت كل شىء ! مسكينة يا أمى ! كم تصرفتى بلياقة ، لكن يجب الآن رغم امتلاكها كل هذه الثروة أن تكتفى بمعاش أبى رحمة الله عليه !

استيقظ كيان على أثر صوتهما العالى وجعل يبكى ، احتضنته بيتا وحاولت إسكاته ، فقال كامران على الفور :

- تعلمين لمَ ؟ فى الحقيقة أنا لا أفيدكم ، فخالك اللى إنتى معجبة بيه هو اللى بيفيدكم ، إنتم ما كنتوش فاهمين كان بيعمل إيه ؟

صاحت بيتا :

- زن كلامك وتحدث ، مهما كان خالى فقد كان يعرف الحلال والحرام ، لم يسمح لنفسه قط أن يأخذ ريالاً واحداً من مال أمى !

مدد كامران جسده على أحد المقاعد وقال مقطبًا جبينه وهو يأكل الخيار :

- نعم ، فى الحقيقة تقولين الحق ، لكن لتقولى إن هذا الشخص لا دراية له بالتجارة!

- تسمى نفسك تاجراً ؟! لو أن التجارة كما تقول فتستطيع أن تقوم بها امرأة لا تجربة لها . ألا تفكر ماذا فعلت خلال هذه المدة ؟

- ألا ترين ! فتحى عينك لترى ! هل فكرتى من أين تأتى مصاريف الهانم ؟

- إنها من أموال أمى .

نظر إليها فى عصبية وصاح :

- يا تعيسة ! يجب أن تخجلى من نفسك لأنك تغيرين من امرأة عجوز ، فلتطهرى قلبك بدلاً من هذا الكلام ، هل رأيتِ شكلك فى المرآه ؟ لقد أصبحتِ تشبهين الساحرات!

ردت فى ضيق بعد أن تملكتها الدهشة من وقاحته :

- كأنك نسيت أنك كنت مجنونًا بهذا الشكل دون أن تدرى !

اندفع ناحيتها وقال وهو يجذبها من شعرها :

- تتحدثين ثانية بهذا الأسلوب ! هل تخيلتى أننى فقدت لسانى ؟ لا ترفعى صوتك أمامى هكذا .

وفزع كيان بشدة وجعل يبكى ، لكن بيتا ردت عليه وشعرها لا يزال فى يده لكى تبدى بعض الثقة :

- دعنى أيها الخسيس ، هل استقرت نارك على الرماد ؟ هل أكلت خبز المن حتى شبعت وأصابك السعار ؟ اخرج من حياتى .

قال بشكل جاد وهو يمسك فمها بإحكام :

– لو كنتِ مستاءة فأنا سعيد بمكانى هنا !

ابتعدت بيتا عنه وقالت بكل جرأة وقد جُرحت شفتاها ونزف منها الدم :

– ما قالوه حقًا فى أن سلام الذئب لا يخلو من الطمع ، إذن فقد رغبتنى منذ اليوم الأول من أجل مالى !

جلس كامران فوق المقعد وقال فى غضب وهو ينظر إليها :

– لا ، لابد أنكِ تخيلتى إننى أعشق وجهك النحس ، لو كنت أريد مثلك فهن كثيرات !

وفار الدم فى جسد بيتا ، وفجأة ارتسمت أمامها كل ذكريات الماضى ، وضعت طفلها فى هدوء على الأرض واندفعت إليه وهو ينظر إليها فى سخرية ، ولما كان طويلاً عنها فقد دفع يدها على الفور . سرعان ما رفع القناع عن وجهه !

بصقت بيتا على وجهه وصاحت فيه :

– هطلع روحك وأحاسبك هل تظن أن المملكة بلا صاحب ؟ اعطنى أموال أمى !

قال كامران فى ضحكة غاضبة :

– أى مال ؟ لقد سلمت أمك أموالها لى وكنت كريمًا معها وجعلتها أحد شركائى .

– اتفو عليك ، كيف تستطيع التحدث بهذه الوقاحة ؟ لقد وثقت فيك ، ولو كانت حتى شريكتك يجب أن تقدم إليها الأرباح !

– عليها أن تصبر حتى يؤتى العمل ثماره .

– لا يجب عليها ذلك ، فلتذهب لتلغى التوكيل !

– لقد تأخرتم ، ألم تفكرى منذ متى ؟ لقد قلتها لكِ وأقولها ثانية لقد اشتغلت برأس المال.

- أماتك الله ! لو كنت إنسانًا فعلاً لكنت دبرت أمور حياتك لا أن تسعى لتنال الثواب من أموال الناس !

- لقد فعلتم هذا بمحض إرادتكم دون أن يجبركم أحد وعليكم الآن أن تصبروا !

- نصبر حتى تضيع ثروة أمي هباء ؟ لم أفكر قط في إنك حيوان بهذا الشكل !

قال كامران غاضبًا :

- لا تنسى أنكِ تخليتِ عن كل شيء من أجل هذا الحيوان ! ماذا حدث الآن ؟ لم يكون استياؤك ؟!

واغتمت بيتا مع تذكرها إصرارها على الزواج منه واندفعت إليه مـــرة أخرى إلا أنه أمسكها بسرعة ودفعها تجاه الحائط . لم تستاء بيتا في أي وقت قط من شخص بذلك القدر ! الآن كانا أمام بعضهما على بعد عدة سنتيمترات ، كل منهما يسمع صوت أنفاس الآخر ، تمنت بيتا أن تتمكن من فصل رأسه عن جسده لكنها عدمت القدرة على الحركة ، أشاحت بوجهها عنه ونظرت إلى كيان ، كان يدفع بقدميه ويديه نحوها وهو يبكي ، همس كامران في عصبية :

- لو تتحدثين ثانية ولو لمرة واحدة بمثل هذا الأسلوب سأخنقك بيدي ، فهمتِ أم لا ؟

كادت بيتا أن تنفجر من شدة الغضب لكنها لزمت الصمت دون أن تبالي به ، وأعاد كامران وجهها إليه بيده ، وقال وهو يضع عينيه في عينيها :

- لو كنتِ تظنين أنتِ وأمك أنني لص فيجب أن أقول أن اللص هو جدك وآباؤك.

ركلته بيتا بقدمها وقالت وهي تحتضن كيان بينما كان يميل على قدميه على أثر ركلتها :

- إنني لا أظن ، بل متأكدة ! سوف أخرج من هذا المنزل الآن ، إنني في حالة القرف منك .

جلس كامران على المقعد بفتور ، وقال :

- إخطئى كما تريدين ! فقط اتركى الطفل وارحلى !

رغبت بيتا فى أن تبكى بصوت عالٍ من فرط غضبها ، لكنها تماسكت لرغبتها فى عدم إظهار ضعفها ، قبّلت كيان من وجنتيه بينما كان كامران يدقق بنـظره إليها ، ثم وضـعتـه بهدوء على الأرض ، وخرجت من المنزل بقلب ممزق دون أن تبالى ببكاء كيان.

(٣٢)

وقفت بيتا أمام منزل والدتها وامتلأت عيناها بالدمع ، كم بعدت المسافة بينهما ! دخلت المنزل فى هدوء ونظرت من بعيد على أمها التى كانت منهمكة بأعمال التطريز فى حجرة الاستقبال ، اضطرب قلبها لها وهى ترتدى نظارتها الطبية القديمة ! كم كانت تريد أن تضع رأسها فى حجرها وتصرح لها بكل شىء ! كم كانت تشعر بالمذلة والانكسار ! تذكرت محاولات أمها لحثها على حسن الاختيار فى حياتها واستاءت من نفسها ، وكأنها الآن تشعر بمشاعرها بعد أن أصبحت أمًا . رفعت نسرين رأسها واندهشت مع رؤيتها لابنتها ، فقالت بيتا بصوت يرتجف :

- سلام يا أمى .

نهضت نسرين بصعوبة من مكانها وقالت فى دهشة وهى تتقدم نحوها :

- متى جئتِ ؟

ومع سماع بيتا لصوتها تملكها الأسى وانهمر الدمع من عينيها ، سألتها نسرين:

- ماذا حدث ؟ أين كيان ؟

لم تتفوه بيتا بكلمة وجعلت تبكى ، ومع رؤية نسرين لشفتيها المجروحة التى تنزف دمًا قالت بحذر وهدوء :

- هل تشاجرتما ؟

أرادت بيتا أن تقول شيئًا لكنها لم تستطع بسبب ما ألم بشفتيها ، فقالت نسرين بقلق :

- حسنًا ، تحدثى ، أنا روحى هتطلع ! أين الولد ؟ ماذا فعلتِ بنفسك ؟ ما هذا المنظر؟

توجهت بيتا إلى حجرتها وهى تبكى وجلست فوق السرير ، كم من ذكريات لها داخل هذه الغرفة . وجلست نسرين بجوارها وجعلت تنظر إليها فى صمت ، غطت بيتا وجهها وقالت بصعوبة :

- أرجو أن تسامحينى يا أمى !

ردت نسرين بصوت يرتجف :

- هو إيه اللى حصل ؟ لمَ تشاجرتما ؟

قالت بيتا بشكل مقتضب :

- بسبب أمه !

صمتت نسرين قليلاًثم قالت :

- هل مد يده عليكِ ؟ لا أصدق !

قالت بيتا التى لم تتصور أنها ستحكى لأمها كل شىء هكذا دون مقدمات:

- لقد تحدثت بكلام ربما ما كان ينبغى علىّ أن أقوله .

قالت نسرين بشكل جاد وعلى عكس ما كانت تتوقع بيتا :

- هل جننتِ ؟

التفتت بيتا إليها فى دهشة واستمرت نسرين فى حديثها بشكل جاد :

- يعنى إنتِ لسه مش فاهمة إنها مهما فعلت فهى من أسرة زوجك ؟!

- لكن يا أمى ...

– مفيش لكن ! هل تخيلتِ أن الحياة المشتركة كالفستان تلقيها بعيداً وقتما تريدين؟

وتذكرت بيتا كلام كامران عن أمها لكنها صمتت ، واستمرت نسرين فى حديثها :

– يجب أن تعلمى إنه مثلما تأخذك الحمية على أسرتك تأخذ زوجك الحمية أيضاً على أسرته ! فى الواقع يجب أن تقعى فى الحيرة لو كان الوضع عكس ذلك .

أرادت بيتا أن توضح أن سبب خلافهما كان بسبب إسراف كامران فى إنفاقه وعدم وفائه بالتزامه تجاهها لكنها عجزت وقالت فقط :

– لا يمكنه أن يفرض أمه على حياتى !

قالت نسرين بهدوء :

– لاشك أن الحياة المشتركة صعبة جداً ، لكن يمكن حلها بالتفاهم .

– لكن يا أمى أنتِ نفسك رأيتِ أسلوبها !

– أتظنين أنك تستطيعين أن تغيريها فى فترة قليلة بعد أن قضت عمراً بأكمله بهذه الصفات ؟

– لا ! لكن كنت أتوقع منه أن يحمينى .

– لا ، لا تتوقعين منه ذلك ! لأنكِ لستِ مكانه حتى تفهمى كم يكون اتخاذ القرار صعباً فى مثل هذه الحالات .

– لا أفهم !! أنتِ معه أم معى ؟

– لست مع أحد ، أردت فقط أن أقول لكِ ضعى نفسك مكانه للحظة واحدة !

– إننى لم أر فى حياتى كلها إنسانة مثل أمه !

– كل إنسان له صفاته وأخلاقه ! وأنتِ لم تتزوجى أم زوجك .

أرادت بيتا أن تقول شيئاً لكنها كانت تستاء من نفسها فصمتت وطأطأت برأسها ، وسألتها نسرين :

– أين كيان ؟

– مع كامران !

–كيف تكونين أمًا وتتجاهلين ابنك من أجل نفسك ؟

– الموضوع ليس بهذه الصورة يا أمي ، لم يسمح لي كامران باصطحابه !

– ربما رغب بذلك أن يحثك على البقاء !

– ألم يستطع أن يقول ذلك بشكل أفضل ؟

– أنتِ نفسك قلتِ إن مشاغله كثيرة ، مضبوط ؟

– لكن هذا لا يعطيه الحق في أن يمد يده عليّ .

– أنا لا أعلم حتى الآن ماذا قلتِ له وماذا سمعتي منه حتى أتهم أحدًا ، كما أن سلوك الشخص وهو عصبي لا يمكن التنبؤ به أساسًا ! لكن من المسلم به أن كامران لايمكن أن يفعل ذلك !

– كيف تدافعين عنه ياأمي ؟ إنه قلما كان يتلطف في علاقته معكِ !

– تشيرين إلى عمله معي خلال الشهور السابقة ؟

– أظن أنكِ مخطأة بصمتك .

– بيتا ، أنتِ تعلمين أنني كنت أرفض في البداية ، لكنني أفكر الآن في أن أعطيه الفرصة .

– أنتِ تتحدثين مثله تمامًا !

– لأنني أرى وجوب التحلي بالصبر حتى تزدهر التجارة وتنشط .

في الواقع لم تكن نسرين تدري ببذخ كامران في إنفاقه على أمه وإلا لما اعتقدت ذلك .

- والآن ماذا يحدث للطفل ؟ أليست أم زوجك هناك !

- اطمئنى يا أمى ، ستقوم برعايته .

- ما هذا الكلام يا بنت ؟ إنه يتغذى على لبنك ، لا يمكن أن تكونى بهذا القدر من الأنانية !

- إذا كنت أنتِ التى تقول هذا الكلام ، فماذا أتوقع من الآخرين ؟!

- انهضى ، انهضى واغسلى وجهك ، لقد صرتى كالأطفال الصغار الذين يلعبون فى التراب ، يجب أن تفهمى أن الحياة الزوجية مملوءة بالخلافات الصغيرة والكبيرة ويمكن حلها بقليل من التسامح والمحبة .

- أنت لا تعلمين ماذا قال لى !

- ما أعلمه هو أنه يحبك جداً .

نظرت بيتا إلى وجه أمها ، فهى نفسها لم تكن متأكدة من ذلك الحب ، لكنها سألتها :

- من أين لكِ بكل هذه الثقة ؟!

ردت نسرين بابتسامة :

- إن عينى لا تكذب علىّ أبداً !

- وأنا أيضاً أحببته ، وأنتِ تعلمين أكثر من أى شخص آخر كم ضحيت من أجله.

- لقد قمتى بما قمتى به عن طواعية ، والآن لا يجب أن تعامليه هكذا !

- لكن لا يجب أيضاً أن يتجاهلنى !

- جميعهم يحبون أن تُراعى حرمتهم .

وتذكرت بيتا المشاجرة التى حدثت منذ ساعتين وصعدت منها آهة ، كم كان ظن نسرين حسنًا ! أى رد فعل كانت قد أبدته لو فهمت ما وصلا إليه ؟ قامت فى صمت واتجهت إلى الحمام ونظرت إلى وجهها فى المرآة . كانت عيناها حمراوين متورمتين، الشفة السفلى مجروحة وزرقاء ، رشت قليلاً من الماء البارد على وجهها وفكرت فيما يختلج فى صدرها من ألم لا تستطيع البوح به لأى شخص، حقًا ، لا ألم أفظع من ألم الوحدة !

* * *

بعد ثلاثة أيام ، وكأن كامران قد تعب من رعايته للطفل ، جاء لزيارتها ومعه كيان وباقة من الورود . كان على عكس تلك الليلة منكسرًا صامتًا ، إنه حتى لم يرفع رأسه أمام كلام زوجته وظل صامتًا طوال الفترة التى كانت تتحدث فيها نسرين عن العلاقة الزوجية والحياة المشتركة. على الرغم عما قالته لبيتا إلا أنها لامته كثيراً على ضربه لها ، وذكرته بأن ضرب المرأة سمة أضعف من أن يتصف بها رجل ، فهى بعيدة عن سمات الرجولة تمامًا ، وكم اندهشت بيتا حينما ركع أمام قدمى أمها وقبّل يديها! وكأن ما من شىء يمكن التنبؤ به فى تصرفات ذلك الرجل ! لم يشعر بأى ضيق مما سمعه فى تلك الليلة ، فلو لم يعلم شخص بما حدث فى تلك الليلة فعلى الأقل هو يعلم ، وربما لهذا السبب رفض الجلوس معها على انفراد حينما طلبت أمها منهما ذلك كى يتحدثا معًا . وفى النهاية خضع لذلك الحديث الإجبارى بعد مقاومة شديدة نتيجة لإصرار أمها ومن أجل كيان . لقد توجها بهدوء إلى حجرة بيتا ، وما أن صارا على انفراد حتى ركع أمامها وقال فى توسل :

– اضربينى على فمى وإلا لن أهدأ !

ابتعدت بيتا وقد فوجئت تمامًا بذلك الحديث منه وقالت فى فتور :

– حقًا ، يجب أن تخجل من نفسك بسبب كل هذا النفاق والرياء ! كيف استطعت المجىء إلى هنا ثانية بعد كل ما قلته فى حقى وحق أمى وأهلى ؟

قبّل كامران يديها وقال في رجاء :

– لقد أخطأت، لم أدر بنفسي ، لقد كنت متوترًا ، لعلك تضايقتِ مني !

ردت بيتا في عصبية :

– أقولها الآن ، إنني لم أتخيل قط أن تكون مثل هذا الإنسان !

– لقد جننت في تلك الليلة ، وأنتِ السبب ، هل نسيتِ ؟ لا أعلم من أين مُلأ قلبك...

– اخرس ! هل تعتقد أن أمي قد علمت ووافقت ؟ يجب حقًا أن تموت من الخجل لأن أمي لا تعلم حتى الآن أي شيء عنك وإلا لما كانت قد نظرت إليك اليوم !

– هذا من حكمتك وكياستك !

– بل لتقل من حماقتي !

– تعالِ ولتمنحي أمي الفرصة لمرة واحدة !

– لو كانت أمك تعلم فليست هذه هي المرة الأولى لك ، أي حيوان أنت ؟ أنا لا أفهم شيئًا ، أنا التي أضرمت تلك النار في نفسي .

– سامحيني يا حبيبتي ، صدقيني ، إنني أتعذب كلما تذكرت ما حدث تلك الليلة .

وضع كامران يده على شفتيها وقال بحب :

– كان هذا هو مكان الضربة ؟ إلهي لتتكسر يدي ! هيا تقدمي وردي على ما فعلته بكِ !

دفعت بيتا يده عنها وقالت في غضب :

– يجب أن تخجل ، أنا لا أفكر مثلك وإلا فما الفرق بيني وبينك ؟

– الفرق هو أنكِ إمرأة عاقلة ، ورجحان عقلك هذا هو ما قيدني بكِ .

– إنك طولت لسانك ! أتتذكر حديث تلك الليلة ؟ كلما تذكرته ارتجف جسدي..

- بالله عليكِ لا تذكريه ، فأنا لا أذكر أى هراء قلته ، صدقينى ، لقد جن جنونى فى ذلك اليوم .

فلتتذكر أية حالة كنت عليها ، أتذكر أنك أردت خنقى من أجل أمك ؟!

- لقد أخطأت ، وقد أرسلتها إلى كرمان عند خالتى إلى الأبد .

- أنت تتوهم ، مشكلتى ليست مع أمك ، لا ، السبب الأساسى هو أنت ، أنت الذى كان يجب عليك أن تتحكم فى نفسك تحت أية ظروف !

- صدقينى ، إن كل ما فعلته كان من أجل استقرار الهدوء فى المنزل .

- بأموال أمى ؟! تمنح أمك حق السكوت بأموال أمى ؟! هل تظن أن أمى ستلزم الصمت حينما تعلم ما تفعله بأموالها ؟!

- سأعطيها الأرباح ، ولو تريدين سألغى التوكيل ، فكل أموال العالم فداء شعرة منك، أننى أريد الرفاهية لكِ ، أعدك بحياة كيان أن أكون رجلاً، ومستعد للتوقيع على كل ما تريدين ، فقط لا تكونى قاسية بهذا القدر ! علشان خاطر ابننا ! علشان خاطر كيان ! انظرى إليه ! انظرى كم هو يريدك ! لا تفسدى علينا حياتنا الحلوة .

قالت بيتا وهى تنظرإلى كيان :

- إية حياة حلوة ؟ إننى حتى لم أذهب إلى الجامعة منذ أيام خجلاً من وضعنا .

قال فى رجاء :

- سأصححه ، أعدك وعد شرف إننى سأصحح كل شىء !

- لقد وعدتنى كثيراً ! لو سمحت لا تصغر نفسك أكثر من ذلك .

- لكن هناك فرق فى هذه المرة .

وضحك كيان حتى ظهرت أسنانه السفلى لبيتا فاحتضنته وقبلّته ، وقبّل كامران يديها ثانية وقال :

- لقد اشتريت هذه الملابس اليوم له كى يكون جميلاً حينما يأتى لزيارة أمه ويتمكن من استمالة قلبها !

قالت بيتا وهى ترضع كيان :

- لا داعى لأن تزودها هكذا .

فرد بنبرة لان لها قلبها :

- حاضر ، لن يتكرر ذلك ثانية .. أقسم لكِ بحياة كيان !

ومع عودة كامران كان الليل قد اقترب من منتصفه ، وحينما اختليا معًا...

* * *

أو فى كامران بوعده وفى أول فرصة قدم الأرباح إلى نسرين وكانت رقمًا كبيرًا، وظل لفترة رجلاً يُعتمد عليه . كان يعود كل ليلة مبكرًا ويصطحب كيان فى نزهة ويتعامل مع زوجته بود وحب . كم كانت تخشى أن يكون هذا الهدوء هو الهدوء الذى يسبق العاصفة أو أن يكون هدوءًا مؤقتًا ، لذا كانت تراقب تصرفاتها معه دومًا توقعًا لأى حدث محتمل وكأنها كانت تخشى من غضب كامران ، لكن للأسف إن عمر السعادة قصير !

كانت نسرين تلازم الفراش منذ فترة بسبب إصابتها بنزلة برد شديدة ولأن بيتا هى ابنتها الوحيدة لذا كانت مضطرة للبقاء معها كى تقوم بتمريضها، وحينما عرضت ذلك على كامران لم يشجعها فقط بل كان يعرب عن استيائه لما ألمَّ بأم زوجته وكان يبدى استعداده للذهاب معها إذا ما استدعت الضرورة . كان يذهب إليهما كل ليلة قبل التوجه إلى منزله لكنه كان يصر على العودة إلى منزله فى كل مرة رغم إلحاح بيتا وأمها على بقائه معهما ، كان يتحجج بأن المنزل خالى وأنهما ستكونان أكثر راحة فى عدم وجوده ، كذلك سيكون هو أكثر راحة فى منزله .

وبعد يومين (الجمعة عصراً) اتصلت بيتا بالمنزل كي يُحضر معه بعض الأغراض الخاصة بكيان ، ولما رأت الهاتف مشغولاًقالت لأمها:

- سأفاجئ كامران بهذه الحجة وحتى لايظن أننى نسيته ، وأحضر بنفسى أغراض الطفل .

فى تلك الأثناء كانت تشعر بالتوتر والقلق لسبب غير مفهوم ، كأن قلبها يتنبأ بشئ ما ! وحينما وصلت إلى المنزل وبينما تدق الجرس فإذا بأصوات تصدر من المنزل، وقد أدهشها حشد الأحذية الملقاه خارجه ! ظنت فى البداية أنها أخطأت لكنها حينما دققت أدركت أن الأصوات صادرة من شقتها هى . حاولت أن تفتح الشقة بمفتاحها لكنها فشلت ، فثمة مفتاح يوجد فى الطرف الآخر للكالون ، نفذ صبرها ولم تتحمل سماع صوت الموسيقى الصاخب والضحكات الوقحة . دقت الجرس مرات ومرات ، ولما لم يُفتح الباب طرقته بيديها فخرجت إحدى جاراتها وقالت لها فى لوم:

- هو أنتِ ؟ بالله عليكِ راعوا شوية أن زوجى يعمل ليلاً ويريد أن يستريح الآن!

ردت بيتا فى خجل :

- أنا آسفة جداً ، يبدو أن الأصوات بالداخل لا تسمح لهم بسماع صوت الجرس.

قالت الجارة فى حيرة :

- يعنى هذا أنكِ لم تكونى هنا منذ الصباح ؟ الموت لى ، لكم تحدثت عنكِ فى غيابك!

قالت بيتا مع سماعها لكلام جارتها :

- لا ، لقد جئت الآن ! منذ متى تستمر هذه الأصوات ؟

- من بعد الظهر بقليل !

قالت بابتسامة مفتعلة وهى تتذكر كامران :

- من الممكن أن يكونوا أصدقاء زوجى .

ودخلت الجارة - ويبدو أنها لم تقتنع - وودعتها بتحية ذات مغزى وأغلقت الباب ، وانشغلت بيتا ثانية بطرق الباب .

على أية حال ، حينما فُتح الباب اندهشت لرؤيتها رجلاً طويل القامة ضخم البنية يقف أمامها ، ورغم ضيقها إلا أنها غامرت ودخلت المنزل دون الاهتمام به وبدأ جسدها كله يرتجف من رؤيتها المكان ، وقد انقلب رأسًا على عقب إلا إنها لم تستطع حتى أن تثق فى عينها وهى ترى تلك المناظر . إمرأة شبه عارية ترتدى ما يشبه الملابس الداخلية تقف وسط حجرة الاستقبال تتراقص بين عشرات العيون الوقحة ، بدت وكأنها قد ذهبت عن وعيها ، تقوم بخلع ملابسها قطعة قطعة بناءً على رغبة الحاضرين ! ويوجد على مقربة بعض الشباب الوقح يتناولون الخمر بنهم لا ينقطع وتحت أقدام كل منهم فتاتان أو ثلاث تتناولن الخمر بنفس هذه الوقاحة وتضحكن لدرجة اقتلع لها قلب بيتا ، وكأنها فهمت الآن معنى اندهاش جارتها ! نظرت حولها بحثًا عن كامران ، لم تكن تعلم ماذا تفعل حينما تراه ؟! كانت تعلم أنها عصبية بشكل لا يوصف ، اتجهت نحو المطبخ ، ثمة امرأة قد توجهت نحو الثلاجة دون استئذان وأخذت زجاجة من المياه ، وإذا برجل خلفها فى حالة غير طبيعية قد ألقى بيديه حول وسطها وهمس فى أذنها :

- أهلاً بكِ يا حلوة ..

دفعت بيتا يديه قدر استطاعتها على الفور وضربته بحقيبتها بإحكام على وجهه ثم توجهت وقدماها ترتجفان إلى حجرة نومها ، كانت وكأنها ترى كل شىء فى منام ، وقبل أن تدخل وقع بصرها على حجرة كيان ، كان البعض يجلسون حول مائدة عليها الأفيون ويدخنون فى شغف ، ألمّ بها الدوار على أثر رائحة الخمر والأفيون النفاذة لكنها كانت تعلم أنه لا يجب عليها الآن أن تسقط على الأرض ، على الأقل ليس قبل أن تعثر على زوجها عديم الحمية . فتحت باب حجرتها فى اضطراب وخشية ، كادت أنفاسها تتوقف من رؤيتها لذلك المنظر فاستندت على الباب ، ثلاثة رجال ومعهم ثلاث نساء يتلوون على السرير ، وبقليل من التمعن رأت كامران بين هؤلاء الرجال ، نظرت

إليه غير مصدقة وهو فى هذا الوضع ، جعل ينظر إليها دون إبداء أى رد فعل ، شعرت بالدوار ، وكأن كامران أيضًا لم يكن فى حالته الطبيعية ، فقد كان ينظر إليها فى صمت وهو أشبه بالخروف ، اندفعت نحوه وسط أصوات الكاسيت وضجة الحضور ، صاحت فيه وهى تجذبه من شعره :

- يا قذر يا نذل يا حقير يا حثالة !

كانت تريد أن تنعته بأفظع السباب الذى لم تسمعه فى حياتها لكن لم يرد بخاطرها أكثر مما قالته ، وضاع صياحها وسط جلبة الأصوات ، نظرت إليه فى استياء، كان ينظر إليها فى صمت وكأنه تمثال بلا روح ، إنها لم تصدق حتى الآن ، فى حجرة نومها ! على سريرها .. ! ودت أن تموت ولم تر ذلك اليوم ، وبينما كانت على هذه الحال وإذا برجل يرتدى ملابس غير مناسبة يترنح ويتقدم أمامها ، وقبل أن يتفوه بكلمة أدركت بيتا من رائحة فمه النفاذة أنه ثمل ، فصاحت فيه وهى تدفعه عنها :

- ابتعد عنى أيها القذر !

والتفتت ناحية كامران ، كم كانت من الحماقة أن تتوقع منه الدفاع عنها وهو فى هذا الوضع ، خرجت من الحجرة فى عصبية وهى تبكى ، اتجهت مباشرة ناحية الكاسيت ، وقالت بكل قوة بعد إغلاقه :

- ياللا غوروا يا حثالة ! اخر جوا من بيتى وإلا طلبت الشرطة !

شعرت بالدوار ، جف ريقها ، كان جسدها كله يرتجف ، لكنها صاحت بذلك القدر حتى راح صوتها ، وتفرق بعض الحضور مع سماعهم لفظ الشرطة وهم بين الثمالة واليقظة ، وسمعت بيتا أنهم مستاءون لانتهاء حفلهم على هذا النحو ، لكن البعض ممن فقدوا وعيهم تمامًا كانوا ينظرون إليها فى دهشة وتسمروا فى أماكنهم كالتماثيل . لاحظت بيتا بينهم امرأة كانت تتراقص بشكل منفر ، كانت تصعد على جسد أحد الرجال وتضحك بوقاحة أثارت بيتا، فنظرت إليها فى غضب ، وحينما وقع بصرها على جيتار كامران ارتسمت أمامها فجأة ذكريات الماضى ، تلك الذكريات التى

تشعر بالمهانة مع تذكرها لها وتمنت لو تنساها ، مسكت الجيتار وضربت به وسط تلك المرأة بقوة ، كم كان يمنعها سماع صوت انكساره ! صاحت المرأة من شدة الألم وانطوت على نفسها لكن سرعان ما اندفعت نحو بيتا بعصبية ، ولما كانت أقوى من بيتا فقد تمكنت من إلقائها على الأرض وجعلت توجه إليها الضربات بيدها ، صاحت بيتا من شدة الألم وحاولت أن تدافع عن نفسها لكن سرعان ما أغلقت عينيها وكأن المنزل كله يدور حولها ولم تشعر بشيء بعد ذلك .

* * *

حينما أفاقت بيتا كان أول شيء تراه هو وجه أمها الباكي ومحلولاً يدخل بدنها قطرة قطرة ، حاولت أن تتحرك لكنها صاحت رغمًا عنها من شدة الألم ، كأن كل جسدها قد تم دكه بشيء ثقيل ، جعلت تبكي فسألتها أمها وهي تبكي أيضًا :

– كنت تعلمين أنكِ حامل ؟

ردت بيتا في دهشة :

– ماذا تقولين يا أمي ؟!

ردت نسرين بصوت يرتجف :

– قال الطبيب إنكِ أُجهضتي بسبب الضرب على بطنك ووسطك .

تأثرت بيتا من هذا الخبر وسألت في نفور مع تذكرها ما رأته في منزلها :

– هو فين ؟

لقد أصبح ذكر اسمه على لسانها من الصعوبة بمكان عليها ، قالت أمها بغضب واضح :

– لا أعلم ، لم أره حتى الآن وأتمنى ألا أراه .

سألتها بيتا فى دهشة :

– إذن كيف علمتى بوجودى هنا ؟!

ردت الأم فى ضيق :

– ربنا ياخده ، جاء بكِ إلى المستشفى ثم اتصل بى وكأنه يعلم أى خطأ ارتكبه !

– وماذا عن كيان ؟

كانت تخشى أن يكون قد أخذه ثانية ، فقالت نسرين فى حب :

– فى منزل جارتنا ، اطمنى ، لم أستطع إحضاره هنا .

وعلى الرغم من الوهن الذى ألم ببيتا إلا أنها أخذت نفسًا عميقًا وأغلقت عينيها ، فسألتها نسرين :

– ألا تريدين أن تخبريننى ماذا حدث فى ذلك اليوم ؟ قسمًا بالله إننى أريد أن أخنقه، يحرق أبوه ، هل كان يحبك حقًا ؟ إن كل جسدك أزرق ، وتراب أبوكِ لأشكيه، ربنا يلعن الفلوس، هذا الرجل النصاب ! لا أحد يفعل مع عدوه ما فعله بكِ !

قالت بيتا التى لم تكن ترغب فى أن تعرض مصالح أمها للخطر :

– لا يا أمى ، الذنب ليس ذنبه ، الذنب ذنبى أنا لأننى جعلتك تثقين فيه ، أريد الآن أن أعوضك وتأكدى إننى لن أتركه يهضم حقك فى هذا المال حتى لو دفعت حياتى ثمنًا لذلك! سأفهمه إنه ليس أمام إنسانة ضعيفة .

قالت نسرين وهى تبكى على حال ابنتها :

– أوصى طبيبك بضرورة تقديم الشكوى ضده ، فهذه جريمة ! لا تدرين أية حالة كنت عليها وهو يُظهر بدنك لى ! لمَ لمْ تقولى لى إنه حيوان بهذه الصورة ؟

شرحت بيتا لأمها بهدوء ما الذى حدث فى منزلها وظلت نسرين تصغى فى صمت وهى تبكى ، لقد اضطرت - على عكس رغبتها - لأن توضح لأمها بعض الأحداث السابقة ثم أضافت فى النهاية :

- قبل كل شىء يجب أن أتحدث مع محامى لأفهم ما الذى قام به من أخطاء خلال تلك الفترة ، آسفة جداً يا أمى لأننى كنت السبب فى منح ثقتك فيه .

قالت نسرين فى ضيق :

- إذن فهذا الدنىء كان يعبث بأموالى ! يحرق أبوه ! ويقوم بذلك الفعل المشين فى منزله ! لم يخجل منك ومن ابنه ؟ لاشك أنكِ مقصرة لأنكِ لم تصارحينى منذ البداية ، لمَ لمْ تقولى لى إنه يمد يده عليكِ ؟

قالت بيتا بصوت مخنوق :

- هذا هو ا ختيارى ولم تكن لدى القدرة على تحمل اللوم ، وقد التزمت الصمت بعد ذلك من أجلك لأننى لم أكن أريد أن تتضايقى مثلى .

قالت نسرين بشكل حاسم :

- أموالى كلها فداؤك ! يجب أن تعلمى أننى لن أسمح لكِ أن تعيشى معه تحت سقف واحد بعد كل الذى رأيته وسمعته !

قالت بيتا فى غضب مرير :

- أكون حقًا عديمة الدم لو أعيش ثانية مع مثل هذا الرجل !

قالت نسرين فى نفور :

- لم أتصور قط أن يُظهر ذلك السلوك منه بعد أقل من عامين ، كأننا ربينا حية فى كم ردائنا! لكن انتظرى فقط ما سأفعله به ! إننى لم أفعل شيئًا حتى الآن بسبب ذلك الطفل ..

(٣٣)

كان المحامى الطاعن فى السن يصغى إلى كلام بيتا فى صمت وهو يسترخى على مقعده الدوار ثم نظر بدقة فى عقد الوكالة التى منحته نسرين إلى كامران وقال :

- لا يمكن القيام بإجراء لهذا العقد لأن أمك قد بصمت ووقعت عليه وهى فى كامل وعيها، والأسوأ من هذا كله أنه أقر بعدم إلغائه دون موافقة زوجك ! إننى أتعجب حقًا من أمك كيف وافقت على ما فى هذه الورقة دون أن تقرأها!

ردت بيتا فى أسف واضح :

- ربما لأنها لم تتخيل أساسًا أن الأمور ستصل إلى ذلك الحد !

قال المحامى بابتسامة ذات مغزى :

- لكن تجب الحيطة دومًا! إنهم يقولون إن الحيطة دليل العقل !

سألته فى تردد :

- تقصد إن مكتب التوثيق ممكن أن يكون قد تواطأ مع زوجى ؟

قال المحامى وهو يوضح فى هدوء :

- لاشك أننى لست متأكدًا من ذلك ، لكن من الممكن أن يقوم المكتب بهذه الألاعيب أحيانًا.

تراجعت بيتا إلى الخلف وقالت :

- يا إلهى ، على من يمكن الاعتماد ؟! هل معنى هذا أن ما من حل لإجباره على الاعتراف؟

قال المحامى :

- لا يا ابنتى ، لكن هذا الأمر يستلزم صبرك وتحملك !

قالت بيتا بكل الثقة وهى تلتقط أنفاسها :

– لابد أن أقوم بأى شىء لإلغاء هذا التوكيل.

قال المحامى فى هدوء :

– ربما كان من الأفضل أن تحصلى على ورقة بالكشف عليكِ لذلك اليوم .

سألته بيتا فى دهشة :

– ما شأن هذا الأمر بذلك الموضوع ؟

– لو لم أخطئ فقد ذكرتِ أنكِ على خلاف مع زوجك ، مضبوط ؟!

– نعم ، وقد التزمت الصمت إلى الآن من أجل أمى وابنى .

– وربما يكون هذا الصمت سببًا فى اجتراء زوجك بشكل أكثر !

سألته بيتا دون صبر :

– ألديك حل ؟!

– بالتأكيد ، لكن علينا أن نصل إلى النتيجة المرجوة بوضعه تحت الضغوط ، بشرط أن يكون مهرك مبلغًا باهظًا !

– لا فائدة من ذلك ، من الممكن أن يدفعه من أموال أمى ..

وفجأة وضعت بيتا يدها على فمها ونظرت فى سعادة إلى وجهه الهادئ ، كيف لم تفكر فى هذا ؟ كانت تريد أن تُغرق وجه ذلك الكهل بالقبلات لفرط سعادتها ! أهذا هو الحل ؟! يجب أن يدفع مهرها وبهذا تستطيع أن تصل مع كامران إلى حل ، لأنه سيضطر إلى الموافقة على إلغاء التوكيل ، ولو لم يفعل ... لا يوجد أفضل من هذا !

قال المحامى وكأنه قد قرأ أفكارها :

– ولو ألغى التوكيل تستطيعين أن تطلبى مهرك وبهذه الطريقة يمكن أن نصل إلى أشياء أخرى ، لأنه لم يف بتعهداته وسيتعرض للمساءلة القانونية .

كانت بيتا تشعر وكأنها تسير فوق السحاب حينما خرجت من مكتب المحامى .

* * *

وكما توقع المحامى ، بمجرد أن رأى كامران نفسه تحت ضغط تقدم خطوة بعد فترة ، كان فى هذا الطريق يلبس قناع البراءة وكأن الحق بجانبه ، كم كانت بيتا تتذكر

بابك رغمًا عنها فى هذه الأيام ! هل تستطيع أن تقارن سلوكه الرجولى للحظة واحدة مع سلوك كامران ؟ حقًا إنها الآن وهى تفكر بشكل جيد فى الأسباب الحمقاء التى كانت تختلقها يعتريها الخجل حتى من تذكرها .

كان كامران فى تلك الأيام يتصل بالهاتف بإلحاح ، وجاء إليها مرات ومرات على الرغم من فتور نسرين تجاهه ، لكن فى الحقيقة لقد فقد مكانه فى قلب بيتا ، لكن إما أنه لم يكن يعلم أو لم يكن يريد أن يفكر فى هذه المسألة بشكل جاد ، وأدى هذا إلى وقوف بيتا على أخلاق زوجها وشخصيته بشكل تدريجى ، ذلك الزوج الذى كانت تتوهم لفترة من الزمن أنها تعرفه مثلما تعرف كف يدها !

وفى تلك الأيام التى كانت تشعر فيها بالضيق أكثر من أى وقت آخر كانت تتذكر مريم رغمًا عنها وكانت تشعر بالخجل من نفسها بسبب تصرفها معها . كم كانت ترغب لو تستطيع أن تتحدث معها بصراحة عن مكنون قلبها كما كانت تفعل فى السابق ، كم كانت تريد أن تعترف لها بأخطائها ! لكن للأسف لقد ابتعد قلبها عنها لمسافات طويلة ولم تر فى نفسها الجرأة على مواجهتها . كيف كانت تفكر فى تلك الأيام فى أن الجميع سيئو النية ؟

والآن يعتريها الخجل من الحديث عن كامران أمام أى شخص ! حتى أمام أمها !

مسكينة نسرين ! لقد كانت مضطرة فى تلك الأيام بسبب الحالة النفسية لابنتها إلى مراعاة كيان ومقابلة كامران ، فقد كانت بيتا تمتنع عن مقابلته ، لذا كانت نسرين مضطرة رغمًا عنها للحديث معه على انفراد . كم كان الحديث صعبًا مع رجل مثل كامران ذى ألف وجه ! لقد ركع أمام نسرين عدة مرات خلال تلك الفترة وجعل يبكى لها كالمرأة وهو يتوسل ويرجو حتى تهيئ له الأسباب للقاء بيتا ، لكن نسرين كانت ترد عليه فى فتور ، وتقول إنها تمتنع عن التدخل بينهما بشكل مباشر وذلك من أجل كيان وإلا لكانت قد اتخذت إجراءً آخر من أجل بيتا ، كانت تصرح بأنها لم ترغب فى أن تتسبب بشكل ما فى حق ابنتها لإفساد حياتها . لكن كامران كان ملحًا بذلك القدر الذى جعلها تضطر فى النهاية لإقناع بيتا كى تتحدث معه .

وفى اليوم الذى استعدت فيه للقاء كامران انتابتها حالة غريبة وكأنها ستتقابل مع شخص أجنبى تفقد الرغبة تمامًا فى الحديث معه . وعلى أية حال اضطرت لأن تلقى تلك الأمور المثيرة للملل وراء ظهرها .

فى الحقيقة كان تذكر كامران لديها يقترن بمرور تلك المشاهد المؤلمة التى كانت تشبه الكوابيس المزعجة ليلاً ! وحينما كانت ترجع إلى قلبها لم يقل ذلك الإحساس المؤلم داخلها ولو بمقدار ذرة واحدة ، وعليه كيف تتمكن من الجلوس معه للحديث فى جو هادئ ؟! إنها - على عكس وعدها إلى أمها وعلى عكس القرار الذى اتخذته بينها وبين نفسها - ثارت بمجرد رؤيته فى ذلك الزى المهندم ، وبدأ جسدها كله يرتجف دون أن تتفوه بكلمة ، جلست أمامه فى صمت ، حاولت أن تنظر إلى وجهه الهادئ ، فقال كامران - الذى فوجئ بعدم اكتراثها به - فى حضور نسرين :

- لمْ تردى على سلامى ، فعلى الأقل قولى شيئًا !

ردت بعصبية وتماسك :

- ماذا تريد ؟

قال كامران - الذى لم يكن يتوقع مثل هذه المقابلة - بعد الانتظار لبرهة :

- لقد اشتقت إليكِ أنتِ وكيان !

قالت بيتا - التى كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة من شدة الضيق - فى تأثر:

- حقيقى ! ماذا حدث حتى تتذكر زوجتك وابنك ؟ هل حثك استدعاء المحكمة على تذكرهما؟!

قال كامران - الذى كان يتضايق من وجود نسرين - فى هدوء :

- إيه الكلام ده يا بيتا ؟ لا ! أنا لا أصدق هذا عنكِ !

ردت عليه فى عصبية :

- لا يجب أن تصدق لأنك كنت تتخيل حتى اليوم أننى ساذجة وحمقاء !

- لمَ ؟ هل توجد مشكلة بينى وبينك ؟

- عجبًا لك ! أتريد أن تنكر ما حدث ؟ أو ربما أن الذى رأيته عديم الأهمية من وجهة نظرك !

- لا حاجة لنا بالمحكمة وتلك الأشياء الأخرى ، نحن نستطيع أن نحل مشاكلنا بأنفسنا .

قالت بيتا فى غضب :

- كيف ؟ هل أفلست تماماً ؟!

- يعنى هذا أنكِ تريدين حقًا أن تلجأى إلى القانون لو لم أستطع دفع مهرك؟!

- لو يكون غير ذلك فيجب أن أشك فى سلامة عقلى . ألم يتصل بك المحامى ؟

- لمَ ؟ إننى لا أستطيع أن أصدق !

- أنت مضطر لأن تصدق .

- حسنًا ، لو ترغبين فى إلغاء التوكيل فلا كلام لدى ، وصدقينى ليس أساس الموضوع هو المال، بيتا، إننى أموت بدونك أنتِ وكيان!

- لا كلام عندى لك إلى أن يتم إلغاء التوكيل .

- لمَ لا تفهمين ما أقوله ؟ أقسم بالله إن ما تسمعينه من كلام وما ترينه من أفعال لهو من شدة حبى لكِ ! إننى أخشى أن تضيعى من يدى !

صاحت بيتا :

- ولابد أن شذوذك ولهوك القذر أيضًا من شدة حبك لى ! ومن شدة حبك لى تجمع حولك نساء شريدات فاسدات وتتصرف بهذه الدناءة فى وجودى، أليس كذلك ؟

وقامت نسرين - على عكس وعدها لبيتا - وخرجت مع كيان من حجرة الاستقبال وصارا ثانية على انفراد ، وبعدها ركع كامران ثانية أمام بيتا وقال فى رجاء:

- بيتا ، إننى أوضح لكِ أن ثمة سوء تفاهم قد حدث ، قسمًا بحياة كيان قسمًا بحياة أمى !

دفعته عنها وقالت فى عصبية :

- الموت لقذارتك ، لقد ضقت ذرعًا من تصرفاتك ! عليك على الأقل أن تخجل من ابنك .

- بيتا ، إننى دعوت فقط بعض الأصدقاء وأقسم بحياتك إننى لم أكن أعلم ..

- اخرس ، فهذه الأكاذيب لا يصدقها حتى طفل يبلغ من العمر عامين ، لو لم أكن رأيت بنفسى وبعينى أى خطأ ارتكبته داخل حجرتنا لقلت إنك صادق ! أنت أصلاً لم تكن فى وعيك وأشك من الأساس بأنك تعرفت علىّ ! وكأنك قد تناولت السم عن آخره !

قبّل كامران يديها وقال وهو يبكى :

- أقسم بالقرآن وبحياة كيان إننى أحبك يا بيتا ، لقد أخطأت ، ألم تخطئى طوال عمرك ؟

- خطأ من هذا النوع ؟! حقًا ، يجب أن تموت من الخجل ! وأية نتيجة لحبك الأحمق هذا سوى أنه جعل حياتى نار جهنم ؟ لتعلم لو تقرر أن احترق فسوف أجنبك معى داخل هذه النار .

- أقسم لكِ بحياة كيان إننى سأعوضك .

- لا تقسم بحياة هذا الطفل كذبًا !

- ليس كذبًا ! أقسم بالقرآن أننى أصبحت إنسانًا ، لقد ارتطم رأسى بالحجر! وسوف أكون كما تحبين ، سأصطحبك لإلغاء التوكيل ، وسأنفذ كل ما تريدينه ، لو لم أعوضك لكِ حرية التصرف.

- كامران ، لقد وصلنا إلى آخر الخط ، لو سمحت كن منطقيًا .

- لا تقولى هذا الكلام يا بيتا ! إن مجرد سماعه فقط صعب علىّ .

- أنت الذى هيأت هذه الظروف ، لقد شبعت وأردت بمال الناس أن ...

- سأكون إنسانًا ، بمَ أقسم لكِ كى تصدقيننى ؟ أقسم بحياتك إننى لم أتناول الطعام ولم أهنأ بالنوم هذه الأيام وألعن نفسى كل يوم مائة مرة بسبب هذا الحفل .

- نعم ، تقسم بحياتى ، هل تخيلت أنك أمام طفلة ؟ لو أنك برىء لمَ لمْ تفعل ذلك فى وجودى ؟ أنا أعلم ، لأنك فكرت أننى طالما غير موجودة لن أنتبه إلى ذلك ! حقًا يا كامران ، ألم تخجل حينما اصطحبت هؤلاء المدنسات داخل حجرة نومى !

قبّل يديها وقال فى رجاء :

- بالله عليكِ لا تذكّرينى .

قالت فى غضب :

- لمَ ؟ لابد أنك لم تكن موجودًا فى ذلك اليوم أيضًا ! وأعدت روحك هذا البرنامج ! أهذا هو حبك لى ؟ أهذا هو إخلاصك تجاهى ؟ تريد أن تعلم ماذا تكون ؟ إنك

كالمدفع الأجوف ، إنسان يتمسك بكم من الشعارات الخداعة ، محتال فى زى إنسان !

لم يكن لدى كامران أى رد أمام ضالته فقال وهو يبكى :

- أنا كما قلتِ ، لكن عليكِ أن تصلحى من شأنى ! ساعدينى كى أستطيع أن أكون كما تريدين ! من أجل كيان !

قالت بيتا بصوت يرتجف من فرط غضبها :

- تسمى نفسك أبًا ؟ تعلم أننى كنت حاملاً وسقط ابنى بسبب تصرفات أبيه ؟ ماذا تقول لله ؟ انهض ، انهض ولتكن هناك ذرة تجعلنى أكن لك الاحترام ، لمَ تريد أن تحقر نفسك فى كل مرة تأتى فيها إلى هنا ؟

قال كامران :

- إننى لا أقوم بذلك أمام شخص غريب ! إذا ما استدعى الأمر أركع على التراب أمامك ، إننى أعلم ! أعلم أى عذاب عانيته فى تلك الليلة ، ولو تريدين الحق لا أتمنى فى أى وقت قط أن أكون مكانك ، لتتصرفى معى بحكمة لتمنحينى الفرصة لمرة واحدة .

أشاحت بيتا - التى تغيرت مع رؤية وجهه الباكى - بوجهها عنه وقالت وهى تبكى :

- لا فائدة من ذلك ، وأنت تعرف ذلك أيضًا ، نحن نضيع الوقت فقط .

نظر كامران إلى وجهها مباشرة وقال :

- تظنين بهذا التصرف من الذى سيتأذى بهذه الصفعة الكبرى من بعدى ؟ إنه ابننا ! لأننى فى كل الأحوال أبوه ، ولا يستطيع أى قانون أن يسلبنى حق رؤيته .

نظرت بيتا إليه فى دهشة ووقعت فى الحيرة من جرأته فى الحديث ، ففى الحقيقة أن كامران قد أطلق آخر سهم فى جرابه !

- لا شك أنكِ لا تنظرين إلى حديثى بعين التهديد ، فهذه هى الحقيقة ، فبسبب تصرفاتنا الحمقاء قد يتعرض هذا الطفل ...

- لتقل تصرفات أبيه الحمقاء !

- ماشى ، بسبب تصرفاتى الحمقاء التى لا تريدين أن تصفحى قليلاً عنها سيكون هو الضحية ، وسيظل حتى الأبد يحمل صفة ابن المطلقة ! إذن يجب فى كل الأحوال أن نحل الموضوع بشكل ما !

- ليس لك الحق فى أن تضغط علىّ حتى أستأنف حياتى معك ثانية ! فلست شجرة صفصاف أرتجف من هذه الرياح !

قبّل كامران يديها وقال :

- أى ضغط ؟ إننى ألتمس إليكِ كى تصفحى عنى علشان خاطر كيان !

سألته بيتا فى حيطة كى تختبره :

- ولو أرفض ؟!

رد كامران بنظرة بريئة :

- سألتمس ثانية .

قالت بيتا رغمًا عنها:

- على الرغم من أننى أعلم أننى أخطئ لكننى سأقبل على شروط ، وهذا فقط علشان خاطر كيان .

- أيًا ما تكون الشروط فأنا أقبلها .

- ماذا عن التوكيل ؟

- سألغيه اليوم وأقدم كشف الحساب إلى أمك .

قالت نسرين - وكانت قد سمعت نهاية حديثهما - وهى تحتضن كيان :

- لا يجب أن تفسدى مستقبلك من أجلى يا بنتى .

ردت بيتا وهى تأخذ كيان منها :

- ليس من أجلك يا أمى ، لا أريد أن أظهر بمظهر الإنسانة غير المتسامحة .

قالت نسرين على الفور :

- لكنك تخطئين للمرة الثانية !

قال كامران بكل جرأة :

- أتمنى ألا يكون الأمر هكذا يا أمى ، لقد قالوا إن الصفح من شيم العظماء !

قالت نسرين وهى تنظر إليها :

– ثمة أشياء لا يجوز الصفح عنها ولا يجب تجاهلها ، لذا فأنا لا أستطيع أن اسمى تصرفك صفحًا ، فى الواقع إنها لا تزال تربط حياتها بك يا كامران فهذا من سوء طالعنا نحن النساء حيث نصبح أسيرات الرجال مع إبداء بعض الحب !

* * *

فى أول فرصة قام كامران بإلغاء التوكيل ، ولكن رغم مرور ما يقرب من ثلاثة أسابيع لم يصل إلى نسرين كشف الحساب ، وكانت حجته إنه قام بشراء بعض البضائع والتى ستصل عبر الحدود إلى طهران ، وطالما أنه لم يقم بتوزيعها وبيعها لن يستطيع أن يقدم كشف الحساب! ولا شك أن إلغاء التوكيل لم يكن أمرًا يسيرًا لكن لم تمر فترة حتى فهمت بيتا أنه كان يقدم الأرباح لأمها حتى ذلك اليوم من أصل رأس المال ، وأن الديون قد تضاعفت بشكل يؤثر على وضعها المالى . وتضايقت بيتا بشدة من إدراك هذه الحقيقة ، كانت ترغب فى أن تفاتحه وتتحدث معه بصراحة ، لكنه أولاً كان يتصرف فى تلك الأيام بشكل يدعى فيه المرض فلم يدع لها الفرصة . ثانيا كانا يتعاملان معًا فى مكاشفة وبعد فترة وجيزة توصلت إلى نتيجة وهى وجوب التظاهر بعدم الفهم !

كانت الأوضاع تسير تقريبًا بشكل عاد ، حتى انقلب كل شىء ذات ليلة ! كان كامران فى تلك الليلة قد عاد توًا إلى المنزل ، وبينماكانا يتناولان العشاء معًا فى صمت حتى رن جرس الهاتف ، ورد كامران – الذى كان يبدو منتظرًا لهذه المكالمة – ولا شك أن بيتا لم تفهم شيئًا محددًا من حديثه إلا أنها لاحظت أن كامران وعد صديقه بأنه سيكون معه بعد ساعة على الأكثر ، ولأن الشك كان يساورها فيه فى تلك الفترة لم تبد أية معارضة على انصرافه بحجة مقابلة أحد الأصدقاء القدامى ، إلا أنها غادرت المنزل بعده مباشرة واصطحبت كيان معها ، سارت فى إثره وجعلت تذرف الدمع على سوء حظها وتأمل أن يخيب ظنها ويكون فى غير محله ! لكن ما العمل وجدار الثقة بينهما قد تهاوى تمامًا ، كانت تشعر بعدم الأمان بقوة . وفى تلك الليلة عاشت بيتا موقفًا أليمًا

وظلت تبكي في دهشة وسط ظلمة الشارع وهي تلعن نفسها وتحتضن كيان ، كأنه كان من المقدر لها أن تكتشف حقائق مَنْ معها الواحدة تلو الأخرى . كانت تنظر إلى المنزل أثناء تنقل الحثالة منه وإليه ، كادت أذنها أن تُصم من سماع أصواتهم ، صعدت درجات السلم وقدماها ترتجفان ونظرت داخل الشقة من خلال الباب الموارب ، وفجأة مات قلبها بكل ما فيه من حب وأمل وأماني ، لا ! شيء لايصدق أن يكون كامران أيضًا من زمرة المدمنين ، وكأنه كان يجب عليها أن تضيف الإدمان كذلك على سائر عيوبه ! أخرجها صوت بكاء كيان من حالتها وأفاقت إلى نفسها ، لم تشعر بإحساس العجز في أي وقت قط مثلما تشعر به الآن ، أرادت أن تدخل المنزل على الفور وتصفي حساباتها معه ، لكنها لم تر لنفسها أن تطأ هذا المحفل بقدميها ، طلبت من أحد الأشخاص الذين كانوا في طريقهم إلى المنزل أن ينادي على كامران ، وحاولت خلال ذلك أن تتمالك نفسها وألا تبدو في حالة من الوهن ، لا! لا يجب أن يفهم كامران إلى أي حد تشعر بالتعاسة ! إنها لم تكن ترغب حتى في البكاء ثانية في حضوره ، فلديها الفرصة كافية بعد ذلك للبكاء على نفسها بسبب سوء حظها الذي عانته وتركته وراء ظهرها أو الذي تعاني منه الآن ! يجب عليها أن تتخذ لنفسها صورة المنتصر ، حقًا كم كان رؤية وجه كامران وهو حائر جديراً بالمشاهدة ، فمع رؤيته لبيتا وبمجرد أن سيطر على نفسه حتى دخل إليها كعادته من باب المشاعر والتوسل والرجاء ، وحينما شاهد صمتها وعدم اكتراثها قال ببراءة :

- قسمًا بحياة بيتا لقد جئت إلى هنا فقط لمقابلة صديقي لأنني كنت أعلم أنهم يقيمون حفلة هنا !

قالت بيتا في هدوء تحيرت هي نفسها منه :

- لن آخذ من وقتك الكثير لأن أصدقاءك في انتظارك ، أردت فقط أن أقول لك ليس لديك الحق ثانية في ملاحقتي ، ولقاؤنا التالي سيكون في المحكمة .

قال كامران وكأنه كان غائبًا عن الوعي بعض الشيء :

- لمَ ؟ فيمَ أخطأت ؟

ردت بيتا وهي تركب السيارة :

- قسمًا بالله إنك أدنى من الحيوان ، لقد مات كل ما بداخلى تجاهك .

فتح كامران باب السيارة وقال :

- بيتا ، قسمًا بحياتك إننى برىء ، أنتِ مخطئة ، لقد أبعدت نفسى عن كل شىء كما وعدتك.

أغلقت بيتا باب السيارة بقوة وقالت فى فتور :

- هل قلت هذا الكلام لنساء غيرى ؟ أم ربما لا توجد واحدة حولك أكثر منى سذاجة !

قال كامران :

- أنتِ أكثرهن حكمة ! إننى أموت بدونك ، ولو لم أمت سأقتل نفسى ...

- لتذهب إلى الجحيم ، أهذا هو مربط الفرس ؟! فى الواقع أنت تستحق الموت ، وليتك تفهم أن هذا هو منتهى أملى ! ففى تلك الحالة لن يكون شخص مثلك سببًا فى تحقيرى لأنه زوجى!

فتح كامران باب سيارتها ثانية وقال فى تضرع :

- بيتا حبيبتى ، لمْ تكونى بهذا القدر من القسوة ! استمعى إلى حديثى ، ولو كان فى غير محله ..

قاطعته بغضب واضح وقالت :

- غور ! إننى أشمئز من حديثك ! لقد كان حبك مجرد هوس قذر !

وقف كامران وقال وكأن الحق بجانبه :

- أنتِ لا تدرين نتيجة ما تفعلينه !

فردت عليه بكل الثقة :

- سوف نرى .

(٣٤)

وعلى عكس ما توقعت بيتا ، لم يذهب كامران فقط لزيارتها حتى موعد المحكمة ، بل أنه لم يحضر الجلسة الأولى أيضًا ، لكنها أصرت بكل الثقة وطلبت من القاضى تحديد جلسة أخرى، وقضت الأيام حتى وصول ذلك اليوم المحدد فى خوف ويأس واضطراب ، وفى اليوم المحدد - وعلى عكس توقعها - رأته فى المحكمة أمام القاضى بزيه المهندم وكأن الحق بجانبه ، واندهشت من سلوكه إلى حد ما ، فقد بدا وكأنه برىء من أى ذنب ! تقدم كامران وتجاهل وجودها وكأنه لم يقم بالتوسل إليها من قبل طالبًا الصفح ووقف أمام القاضى فى كامل الهدوء، وحينما أنهى القاضى حديثه جعل يدافع عن نفسه أمام حيرة بيتا ودهشتها قائلاً :

- أولاً سيدى القاضى أعتذر لهيئة المحكمة عن عدم استطاعتى الحضور فى الجلسة السابقة ويتلخص السبب فى مرض والدتى والمشاكل التى أعانيها فى هذا الشأن ، ولابد من إعطائى الحق لأننى لم أستلم الاستدعاء ولا علم لى بأى شىء .

قال القاضى بذكاء :

- وماذا الآن ؟ هل تقبل الاتهامات المنسوبة إليك؟

اندفع كامران بجرأة وقال :

- أية اتهامات سيدى القاضى ؟ لويتهم أى شخص شخصًا آخر دون دليل أو مستند لمجرد أسباب شخصية لا نقلب الحال وعمت الفوضى العالم ! لقد غادرت هذه السيدة منزلها وحياتها الزوجية منذ فترة واستخفت بكرامتى بتحريض من أمها ، تقول إننى مدمن! تفضل سيدى القاضى ، لقد قمت بإجراء تحاليل الإدمان كى أطلع المحكمة على نتيجتها ، وهذه هى النتيجة ويرجع تاريخها إلى عدة أيام قليلة

وتوضح أننى سليم ، من الذى يرضى بذلك ؟

قالت بيتا فى عصبية وهى لا تصدق ما تسمعه :

- يعنى هذا أنك تنكر كل ما قلته ؟

قال كامران فى هدوء :

- وهل يجب أن أؤيدك يا حبيبتى ؟ سيدى القاضى ، إننى لم أر ابنى منذ فترة ، فهم يخفونه عنى ولا يسمحون لى بزيارته !

قالت بيتا ثانية فى عصبية :

- نخفيه ؟ هل سألت عنه أصلاً طوال هذه المدة ؟ ممكن تقول أين كنت حتى الآن؟

وجه القاضى حديثه إلى بيتا قائلاً :

- سيدتى ، لو سمحتى ، اهدأى وحافظى على النظام داخل قاعة المحكمة !

ردت بيتا فى اعتراض :

- إنه يكذب سيدى القاضى !

قال القاضى فى هدوء :

- إنه مثلك ، يجب أن يتكلم حتى تتضح الأمور !

قال كامران غاضباً ولكن بشكل هادئ :

- لا سيدى القاضى ، فمن وجهة نظرها العالم كله مخطئ سواها !

ذكّره القاضى :

- لو سمحت ، لا داعى للإساءة ولا تعكر صفو الجو .

ثم وجه خطابه إلى بيتا :

– ابنتى ، يتضح مما ذكرته فى دعواكِ أنكِ الشاكية ، ويقول زوجك إنكِ لا تمكنينه بل وتمنعينه عن زيارة ابنه عن عمد أو عن غير عمد .

قال كامران :

– سيدى القاضى ، اسألها ماذا تريد ؟

قالت بيتا فى غضب ودهشة :

– يعنى هذا أنك لا تعلم ؟ أى إنسان تكون !

قال القاضى :

– ابنتى ، لو أنك تريدين الطلاق فإما أن تتفقا وإما أن تنتظرا رأى القانون ، والأفضل أن تتصالحا وتتسامحا قليلاً .

قالت بيتا بشكل حاسم :

– لا سيدى القاضى ، أريد الطلاق .

قال كامران الذى كان يتلاشى النظر إليها :

– لكننى أحب حياتى سيدى القاضى وأعلم أن هذا ليس كلام زوجتى .

صاحت بيتا :

– كيف تسمح لنفسك أن تلقى بذنبك على عاتق الآخرين ؟ ألا تخجل من الله؟

قال كامران وهو يتظاهر بالبراءة :

– الخجل يجب أن يكون ممن يتدخل بين الزوج وزوجته ليفسد عليهما حياتهما! الخجل يجب أن يكون ممن يوجه للآخرين تهمة الإدمان والمشاركة فى مجالس اللهو والمتعة !

صاحت بيتا فى عصبية :

- تهمة ؟ كيف تستطيع أن تنكر أعمالك القذرة ؟

ذكّرها القاضى :

- حافظى على عفة كلامك يا ابنتى .

ردت بيتا :

- إنه يكذب سيدى القاضى .

قال القاضى ، الذى كان يبدو متعبًا من هذا الصراع ، فى ضيق :

- على أية حال يجب أن يكون لديكِ الأدلة والمستندات التى تفيد ما تدعينه .

ردت بيتا فى عصبية :

- وأى سبب يجعلنى أكذب سيدى القاضى ؟ ليس لهذا الرجل الصلاحية قط لإدارة حياة زوجية ! ربما تعتقدون إننى أدعى عليه بهذا الكلام لضيقى منه ! لكن أية امرأة تكون سعيدة فى حياتها وتأتى لتدور فى المحاكم ؟!

قال كامران بكل هدوء :

- تريد أمك إفساد حياتنا كى تزوجك من ابن أخيها !

قالت بيتا فى سخرية وغضب :

- ما هذا سيدى القاضى ؟ إنها مجرد حجج واهية ! وأنا لا أستطيع أن أعيش لحظة واحدة تحت سقف واحد مع هذا الرجل . لست أنا فقط بل أية امرأة مكانى ! فهو شخص لا يتحمل أدنى مسئولية تجاه حياته قط !

قال كامران إلى القاضى وهو يتظاهر بالبراءة :

- سيدى القاضى ، ماذا يعنى الزواج ؟ هل يصح أن تبقى الزوجة مع زوجها طالما أن أوضاعه المادية جيدة ، وحينما تتدهور أوضاعه تتركه وحيداً ؟

صاحت بيتا على الفور فى عصبية وهى تريد أن تنقض عليه :

- الحياء صفة جميلة ! ألم تتضاعف أموالك حتى الآن ؟ أم ربما كان هدفك العيش بمال الآخرين ؟ كيف تجرؤ على أن تقول إننى أطلب هذا الطلب بسبب أوضاع عملك ؟ على الرغم من أن الله يعلم أن هذا السبب فى حد ذاته كفيل برفع الدعوى !

هز كامران رأسه أسفًا وقال للقاضى وكأن الحق بجانبه :

- ليس هناك كلام آخر سيدى القاضى ، إننى أريد حياتى الزوجية ، لكننى أعلم أننى لا أستطيع أن أحث زوجتى على الحياة معى .

التفتت بيتا ناحيته فى دهشة ، أية خطة تدور فى رأسه ؟!

فقال القاضى :

- يعنى هذا أنك توافق على الطلاق ؟

قال كامران ببراءة مفتعلة :

- ما من حل آخر لدى !

قال القاضى :

- لمَ لا تحاول استرضاء زوجتك ؟

رد كامران :

- جربت ذلك من قبل سيدى القاضى لكن دون فائدة ، فقد تهاوى - كما قالت - جدار الثقة بيننا وتمزق حجاب الحرمة !

رد القاضى :

- ورغم ذلك يجب أن تحاول ثانية لتكتسب ثقتها .

قال كامران بابتسامة مريرة :

- كيف سيدى القاضى ؟ حينما لا تثق فىّ زوجتى بهذا القدر لمجرد مقابلتى لصديق عاد توًا إلى إيران بعد سفر دام لأعوام وقد أقاموا حفلاً على شرف استقباله . ماذا أقول ؟ إنها لم تقم بملاحقتى فقط فى هذه الليلة ، بل استخفت بكرامتى فى حضور أصدقائى !

صاحت بيتا فى عصبية :

- لعلك صدقت نفسك فى إنك غير مذنب ؟ من أين لك بكل هذه الأكاذيب ؟ يعنى هذا أنك تريد أن تقول أنك لم تكن موجودًا فى مجلس للإدمان ؟

نظر كامران إليها بنظرة بريئة أثارت غضب بيتا وقال :

- كل هذه الاتهامات كى تحصلى على الطلاق ! هاأنذا قد وافقت ، لكن سيتم هذا دون تكذيب لنتيجة الفحوصات !

صاحت بيتا :

- اتفو عليك ، لقد عدمت المروءة ! ما هدفك من هذا العرض ؟

قال القاضى بشكل حاسم:

- سيدتى ، لو تنالين من حرمة المحكمة ثانية سأنهى الجلسة .

تقدم كامران وقال فى هدوء :

- ترى سيدى القاضى ! إنها عصبية دومًا بهذا الشكل ! أليس لى الحق فى أن أعترض أم أنكم تعتقدون أننى أستطيع اجتذاب قلبها فى هذه الظروف ؟

أجابته بيتا بدلاً من القاضى :

- مطلقًا ! إننى لا أريد أن أتذكر حياتى معك !

قال القاضى الذى تملكه الضيق من بيتا :

- يعنى هذا أن الطلاق هو الحل الوحيد لكما ؟

قالت بيتا دون انتظار :

- نعم سيدى القاضى ، بلا شك هو آخر حل ، بل هو الحل الأوحد !

قال كامران :

- لا كلام عندى سيدى القاضى ، لكن هل يمكن أن تحدد وضع الطفل ؟

رجع القاضى إلى الوراء وقال :

- بالتأكيد يجب أن يتم بحث ذلك .

بادرت بيتا بقولها :

- أتنازل عن مهرى وأحتفظ بطفلى سيدى القاضى !

رفع كامران كتفيه وقال :

- أنا لا أبيع طفلى سيدى القاضى ، سأدفع مهرها .

قالت بيتا فى غضب وهى لا تصدق :

- كيف ؟ إنك لا تملك شيئًا ! فضلاً عن هذا هل تعتقد أن أية معاملة أبوية كانت بينك وبين ابنك طوال هذه الفترة ؟

ثم وجهت حديثها الى القاضى :

- سيدى القاضى ، إن الذى يبدى أمامك الآن عاطفة الأبوة قد تسبب منذ فترة فى موت ابنه قبل أن يولد بسبب أهوائه ونزواته !

سألها القاضى :

- عجبًا ! ما دليلك على ذلك ؟

ردت بيتا :

- لقد تم هذا الحادث منذ فترة ولا أستطيع العثور الآن على تقرير الطبيب.

قال القاضي :

- على أية حال فطالما تم الاتفاق على الانفصال يبقى الطفل مع أمه حتى سن خمسة أعوام ، بعد ذلك تأخذ المحكمة قرارها فيما سيكون عليه مصير الطفل!

وتلألأ بريق الأمل والسعادة في عيني بيتا وكتمت ما بداخلها من ضيق ، واستطرد القاضي في حديثه :

- وخلال هذه المدة يجب أن يدفع الأب نفقة الأم والطفل وأن يرى ابنه وقتما شاء !

* * *

وحينما خرجا من القاعة نادى كامران بهدوء وبكل جرأة على بيتا من الخلف ، فوجهت بيتا - التي كانت في شدة غضبها من كذبه ونفاقه هذا - صفعة قوية على فمه دون أن تدري أمام مئات العيون ، وقالت في ضيق :

- غور يا قذر يا دنيء ! هل اعتقدت أنك تقف أمام عمياء ؟ لتقل لي كيف حصلت على شهادة تفيد بسلامتك ؟

مسح كامران الدم من على شفتيه وقال ببراءة مفتعلة :

- أنا سليم يا بيتا ، أنتِ تخطئين !

صاحت فيه قائلة :

- نعم ، قسماً بحياتي ! لقد قلتها ذات مرة وقمت بتصديقها ! ومن الأساس كيف تجرؤ بعد كل هذه الأكاذيب أن تتحدث معي ؟ كيف تقف أمام القاضي وتبدو وكأن الحق بجانبك ثم تخرج وتتصرف كالفأر ؟ هل تدعي الرجولة ؟

- كان يجب عليّ في كل الأحوال أن أدافع عن نفسي .

- هل سمعت في حديثي أية افتراءات ؟ يا إلهي ! أتدعي إنك أب ؟ كأنك لا تصدق إلى الآن أنك كنت السبب في موت طفلك الثاني !

قال بهدوء :

- أي طفل يا حبيبتي ؟ فلم يمر على عمره حتى شهر واحد ! نستطيع ثانية...

بصقت بيتا أمام قدميه ، وقالت :

- اتفو عليك عديم الإحساس والمسئولية ! ألا تخجل مني وأنت تتحدث بهذه الطريقة ؟ لقد تسببت تلك العاهرة في قتله في تلك الليلة ! من تكون هي لتدخل بيتي ؟

- صدقيني لا أعلم ! لقد أحضرها أحد أصدقائي وكانت ضيفته وإلا لكان حفلنا قاصراً على الرجال.

- لقد أخطأت كثيراً ، ألم تملأ رأسي بأكاذيبك ؟ بالتأكيد إن التي كانت معك داخل الحجرة هي صديقتك !

- والآن هل تعتقدين أن كل شيء يمكن تصحيحه بالطلاق ؟

- لا داعي لأن تقوم بالوعظ ثانية ، فهذا يثبت لي على الأقل إنني لا أزال أمتلك الإرادة والإحساس والشخصية ، لقد أفسدت عليّ أجمل عامين في عمري ، وعقدت يدي وقدمي بتعهدات حياتنا الزوجية ومنعت تقدمي ، يكفي هذا ، يكفي ما قمت به من أعمال عظيمة خلال تلك الفترة ، إنك حتى لا تعرف حتى الآن أي أمل يحدو الفتاة وهي تطئ بأقدامها بيت زوجها ، وما تعرفه عن الحياة الزوجية شيء واحد فقط .....

- ألم تحبيني ؟

- لم يكن حباً بل كان حماقة وأدفع ثمنها الآن .

جرى كامران وراءها وقال :

- لا تتصرفى معى هكذا يا بيتا ، تعلمين أننى لو لم أوافق على الطلاق لكنتِ ...

نظرت إليه فى غضب حتى أنهى حديثه ، فاستمر فى حديثه ثانية وهى تستقل سيارتها :

- لا تدعى حياتنا تنهار يا بيتا ، علشان خاطر كيان !

ردت عليه فى فتور :

- أية حياة ؟ إن حياتنا تنهار منذ فترة ، وكان صمتى إلى الآن من أجل كيان !

تعلم لمَ ؟ لأنك لا تستحق !

جعل يتقرب إليها بينما تقوم بالضغط على دواسة البنزين وغادرت المكان سريعًا .

* * *

مرت فترة وما من خبر فيها عن كامران ، لا شك أنه جاء مرة أو مرتين إلى منزل والدة بيتا بعد الجلسة الثانية ، لكن فى كل مرة كانت نسرين تضع فيها الحجر فوق الثلج وتعتذر له عن عدم الدخول . والآن كانت بيتا فى حالة ضيق حتى من نفسها ، أحيانًا كانت تضطر لأن تورد بعض الكلمات على لسانها فى مذمة نفسها ، وذات صباح خرجت نسرين من المنزل لزيارة أحد أضرحة الأئمة القريبة منها ، وقررت بيتا أن تذهب إلى شقتها لإحضار بعض المستلزمات الخاصة بها وبكيان ، وقبل قيامها بذلك اتصلت بالهاتف كى تتأكد من عدم وجوده بالمنزل ، وحينما رأت الأوضاع وفق مرادها اتجهت إلى هناك واصطحبت كيان معها . لم يحدث أى تغيير فى المنزل ، وكان من العجيب ألا تشعر بالحنين إليه ، وكأن الذكريات قد انعدمت بداخلها عن الفترة التى قضتها مع الرجل الذى أحبته ! إنها لم ترغب حتى فى دخول حجرتها ، كانت تريد فقط أن تنهى ما جاءت من أجله بأقصى سرعة حتى لا تضطر إلى تذكر بعض الخواطر التى تتسبب فى استيائها .

وبينما كانت تجمع مستلزمات كيان حتى دخل كامران المنزل وتسمر كلاهما فى مكانه مع رؤيته للآخر . فى الحقيقة لم تشعر بيتا قط بذلك القدر من الخوف من انفراده بها ، تقدم كامران فى هدوء وقال ساخراً :

- أهلاً وسهلاً بسيدة السيدات ! لقد فاجئتنى حقًا ! على الأقل كنتِ أخبرينى قبل قدومك حتى أذبح القرابين أمام قدميك .

قالت بيتا بصوت يرتجف :

- لقد جئت دون ترتيب مسبق كى آخذ مستلزمات كيان ، فأنا أحتاج إليها !

صاح فى عصبية :

- هل هذا المنزل رباط للقوافل تأتين إليه وقتما تريدين وتمضين وقتما تريدين ؟

قالت بيتا بحسم وعيناها فى عينيه :

- زن كلامك !

فقال بنبرة حاقدة :

- ألا يحق لى الآن أن أتصرف معكِ بالمثل وأطردك ؟ تعلمين كم من مرة خلال هذه المدة اعتذرت لى أمك فيها كالغريب عبر الإنتركوم ؟!

ردت بيتا فى فتور :

- لأن هذا المكان لا شأن لك به !

فرد فى غضب :

- حقًا ؟ لقد جئت لأرى ابنى ، لكن أى شأن لكِ بهذا المكان ؟!

قالت بيتا بابتسامة المنتصر :

- أنت نفسك تعلم أن كل شىء هنا ملكى !

سحب كامران شعرها الطويل بقبضته ، وقال دون مراعاةٍ لصيحاتها المتألمة:

- ليس كل ما تقولينه صحيح يا حبيبتى !

صاحت بيتا فى عصبية :

- دعنى يا مجنون ، لقد أفزعت الولد !

جذب كامران شعرها بشكل أقوى وقال دون مراعاةٍ لبكاء كيان :

- لا أرى ضرراً فى هذا الأمر ، كيف أستطيع الحصول على ابنى ما لم تأتِ إلى هنا؟!

ردت فى فتور :

- أنت إنسان معقد ومجنون ، اتركنى !

لف كامران يديه حول رقبتها ، وقال :

- أية متعة أشعر بها الآن وأنا أضغط على رقبتك !

قالت بيتا :

- رقبتى ! هل بلغ بك الأمر لاستخدام العنف ضد المرأة ؟!

رفع كامران يديها وقال :

- فهذا هو البساط الذى هيأته !

قالت بيتا وهى تحتضن كيان :

- كأننى يجب أن أضيف الجنون أيضاً إلى مساوئك !

قال كامران وهى تخرج من الحجرة ·

- ألم تأتِ لتأخذى مستلزمات كيان ؟

قالت بيتا فى نفور وهى تخرج من الباب :

- أفضل أن أخرج من جهنم هذه بأسرع ما يمكن !

وصل كامران إليها بخطى مسرعة واحتضنها ، فقالت فى عصبية :

- اتركنى يا قذر !

ودون مراعاةٍ لبكاء كيان سحبها حتى حجرة النوم وحاول تهدئتها وفرض نفسه عليها عنوة ، فصاحت وهى تقاومه :

- على الأقل اخجل من ابنك ! إن قذارتك تفوق قذارة الحيوان ! هل تظن إننى مثلك؟!

كان كيان لا يزال وسط بكائه وهو جالس وسط الحجرة ، والآن تبكى بيتا بشدة وهى توجه إليه كلامًا مؤلمًا . لكن كامران كان يبدو وكأنه لم يكن فى حالة مناسبة كى يستكمل ما أقدم عليه ، ولعله كان يتوقع أن تبدى بعض اللين بعد هذا اللقاء الإجبارى المنفر فجعل ينظر إليها بدقة ، إلا أنها قالت فى نفور على عكس ما توقعه وهى تحاول أن تلملم شتات نفسها :

- حيوان قذر ! مائة رحمة على الحيوان ! أى عمل آخر تعرفه سوى ذلك !

قال كامران :

- أحبك يا بيتا ، أحبك .

صاحت قائلة :

- الموت لك ولحبك ! أنت الذى تتحدث عن الحب ؟

قال كامران فى غضب :

- هل فقدتِ قلبك بهذه السرعة ؟ كيف قضيتِ تلك الأوقات التى .....

قالت بيتا فى عصبية :

- الموت لك عديم الحياء والحمية ! كم أشعر بالامتهان لزواجى من شخص مثلك!

اندفع كامران ناحيتها وقال :

- هل فقدتِ صوابك ؟ لابد أنكِ تزوجتى من ذلك المدلل !

قالت فى جرأة :

- إن كلب بابك أشرف منك ، ليتك تملك شعرة واحدة من حميته !

رجع كامران إلى الخلف وقال فى غضب :

- أرفضته لفرط حميته ؟! يجب أن تعلمى أنه يجب عليكِ أن تحملى أمنية الطلاق معكِ إلى القبر.

وتدفق الدمع من عينى بيتا مع تذكرها لذكريات الماضى وتملكتها الحسرة والحرقة ، كم كانت مقتنعة آنذاك بتلك المعايير المخادعة ! وخرجت من المنزل بقلب منكسر وهى تحتضن كيان ، وسمحت لدموعها كى تنهمر من عينيها ، كانت تشعر بالامتهان والتحقير إلى درجة تمنى الموت !

(٣٥)

كانت بيتا تصغى إلى حديث صديقتها لادن فى صمت ثم قالت فى النهاية :

- لا كلام لدى ، أخشى فقط أن تسىء مريم مقابلتى !

ردت لادن :

- ليست مريم تلك الإنسانة التى تتصرف هكذا وأنتِ تعلمين ذلك !

قالت بيتا فى ندم واضح :

- نعم ، ولكن لو لم ترغب فى الصفح عنى فمعها حق ، لأننى لم أكن الصديقة المخلصة لها .

قالت لادن التى كانت تعلم منذ فترة ما يحدث فى حياة بيتا :

- لقد انتهى الماضى يا بيتا ، صدقينى إن قلبها حنون !

قالت بيتا بعين دامعة :

- هل تعتقدين إننى لا أتذكر ما كان بيننا فى كل مرة أشاهدها فيها ؟ أقسم بالله أننى قررت أكثر من مرة أن أتوجه إليها لكنها كانت فاترة بذلك القدر الذى لم يمنحنى الجرأة ، لا تعتقدى إننى أخشى من انكسار غرورى الملعون أمامها ، لا ، إننى أخشى أن أتسبب فى إحياء ذكريات الماضى لديها وأكون سببًا لألمها !

قالت لادن وهى فى شدة التأثر :

- ربما أكون مخطئة ، لكنها كانت قلقة عليكِ دومًا ، لا شك أن قلبها قد انكسر بسبب ما كان بينكما ، لكننى واثقة أنها لا تزال تحبك ، إنكما لم تكونا هكذا قط ، من الذى كان يفكر أن تبتعدا عن بعضكما بذلك القدر ذات يوم ؟!

قالت بيتا فى جرأة :

- تعلمين يا لادن ؟ لقد كنت عمياء آنذاك ، لم أكن أرى أى شىء حولى !

قالت لادن :

- وقتما تأخذين السمكة من الماء فهى طازجة ، إننى لا أستطيع حتى الآن أن أصدق هذه الأشياء عن كامران !

تنهدت بيتا وقالت :

- فى الحقيقة إننى أحزن كلما تذكرت الماضى !

- بيتا حبيبتى ، حينما تزوجتما أعطت البنات لكِ الحق بسبب فتور مريم معه .

- أعلم ، وهذا ما كان يضايقنى ، أننى لم أقابل مريم ولذا لا أجد ذلك المبرر لعودتى إليها .

- لكن من الأفضل أن تذهبى إليها فربما لا تجدين هذه الفرصة بعد

- لمَ ؟!

- .... من المحتمل أن تتزوج وتسافر إلى السويد إلى الأبد !

قالت بيتا بسعادة واضحة :

- حقًا ! ستتزوج من ؟

قالت لادن :

- لا أعلم على وجه الدقة ، لكننى أعلم أنه ابن أحد جيران خالتها !

قالت بيتا من أعماق قلبها :

- أتمنى أن يحالفها التوفيق وأن يكون جديراً بها ، وماذا عن دراستها ؟

- قررت أن تستكملها هناك فى تخصص أفضل .

تصاعدت آهة الحسرة من بيتا ولم تتفوه بكلمة ، فسألتها لادن :

- هل تذهبين إليها الآن ؟!

قالت بيتا فى تردد :

- إنتِ متأكدة أننى لن أضايقها ؟

قالت لادن بنبرة مازحة :

- أعتقد لن يكون ذلك ، فإنها ستصفح عنكِ !

انتظرت بيتا قليلاً ثم قالت :

- سأفتح معها الحديث أثناء ذهابى إليها !

* * *

ظلت مريم تنظر فى دهشة لعدة لحظات تجاه بيتا ثم احتضنتها فجأة ، قالت لها بيتا وهى تبكى:

- كان معكِ حق فى كل شىء ، أنا آسفة !

قالت مريم - التى كانت تبكى هى الأخرى بشدة - فى هدوء :

- فى الحقيقة لقد كنتِ تتألمين وكنت أتألم لألمك ، كيف تمكن من أن يتسبب فى ألمك بذلك القدر ؟ لن أسامح نفسى قط !

- وما ذنبك ؟

- ربما لو لم أتسبب في وجوده في مصيرك ....

- تقولين مصير !

نظرت مريم إليها بعين باكية وقالت :

- هل يمكنني مساعدتك ؟

قالت بيتا بابتسامة مريرة :

- إنه التدبير لما تم بدون مشورة !

- هل وافق على الطلاق ؟

- في الحقيقة أنا الآن منفصلة عنه .

- قسماً بالله أتمنى أن أكسر قصبة حلقه .

- لا تضايقي نفسك أكثر من ذلك فقد حدث ما حدث ، لقد كنت مستاءة من نفسي بسبب افتقادي لصداقتنا بسببه !

- لقد كنت قلقة دوماً عليكِ .

- لا تفكري في ذلك ثانية ، يجب أن تكوني سعيدة هذه الأيام !

- حينما أفكر فيه وفيما فعله في مصيرك أستاء جداً من نفسي بسبب تعرفي عليه.

احتضنتها بيتا بابتسامة مفتعلة وهمست :

- هذا كله بسبب حماقتي وأنا الآن أدفع الثمن . أريد بعد هذه المدة أن نذهب معاً إلى نفس المكان المعتاد ونتناول القهوة ، لا تقولي لا .

- ابتسمت مريم وهي تبكي وصمتت !

* * *

وبينما كانت بيتا تفتح باب الفناء لإدخال سيارتها حتى التفتت وراءها مع سماع صوت رجل غريب يقول :

– اسمحى لى يا سيدتى !

كان رجلاً شابًا يتأملها بنظراته ، فردت عليه فى حيطة :

– تفضل ! أتريد شيئًا منى ؟

أخرج الرجل كارتًا من جيبه وقال وهو يظهره لها :

– أنا النقيب پاك دل من إدارة المباحث !

قالت بيتا بصوت يرتجف :

– أية خدمة تريدها منى سيادة النقيب ؟

رد بهدوء وبشكل حاسم :

– يجب أن تأتى معنا للرد على بعض الاستفسارات .

قالت بيتا فى تعجب واضطراب :

– أنا؟ لمَ سيادة النقيب ؟

قال وهو يتفحصها بنظره :

– بشأن زوجك .

قالت بيتا فى عصبية :

– ليس لدى أى كلام بشأنه ، لقد تعجل أخيرًا !

قال النقيب :

– عمن تتحدثين يا سيدتى ؟

سألته بيتا :

- لعله اشتكانى ؟!

قال :

- من الذى اشتكاكِ؟ إننى أقوم بالتحقيق لأننا عثرنا منذ يومين على جثته وسط الغابات.

نظرت بيتا وهى غير مصدقة إلى النقيب الذى كان يتحدث فى هدوء وانعقد لسانها ، قال النقيب وهو ينظر إليها وهى فى هذه الحال :

- اعتذر لأننى اضطررت إلى التحدث هكذا دون مقدمات .

سألته بيتا بصوت ضعيف مرتجف كانت تشك أساساً إنه صوتها :

- مات كامران ؟ كيف هذا ؟ لقد كان سليمًا فى آخر مرة رأيته فيها !

قال النقيب :

- متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها زوجك ؟

استقر عرق الخجل على جبهتها مع تذكرها لآخر لقاء بينهما ، وشعرت بإحساس غريب مع تذكرها لكامران الذى ليس له وجود الآن ، شعرت بدوار فى رأسها وكأن ركبتيها قد فقدتا القدرة على حملها ، سألها النقيب :

- إنتِ كويسة ؟

اتكأت على الباب وقالت :

- كيف مات ؟

رد النقيب باختصار :

- لقد تم حقنه بجرعة زائدة من المورفين !

نظرت بيتا فى دهشة إلى وجه النقيب الهادئ وحاولت أن تفهم هدفه الأصلى، فقال النقيب:

- نحن منتظرون يا سيدتى ، يجب أن تأتى معنا كى تتعرفى على الجثة ، وكذلك للرد على بعض الاستفسارات .

قالت بيتا وهى لا تصدق :

- اسمح لى سيادة النقيب ، هل ما فهمته صحيح ؟ تقصد أن زوجى تم قتله ؟

أيد النقيب كلامها بهز رأسه ، وقال :

- للأسف هذا ما يبدو !

- من الذى يستطيع أن يقوم بذلك ؟

ثم سألته وكأنها قد انتبهت إلى هدفه :

- هل تشكون فىّ ؟!!

رد النقيب بابتسامة :

- أعتذر لكِ يا سيدتى ، بمقتضى عملنا يجب حينما نواجه مثل هذه القضايا أن نتتبع المشتبه فيه من الدرجة الأولى ، مما لا شك فيه أننا فهمنا خلال التحقيقات التى قمنا بها أنكِ - كما يقول الجيران - كنتِ على خلاف دائم مع زوجك .

- بذلك الحد الذى يجعلنى أقتله ؟! اسمح لى سيادة النقيب ، لقد صُدمت الآن بالقدر الكافى من خبر سماع موت زوجى ، لو سمحت لا تحاول أن تزيد من صدمتى بمثل هذا الحديث !

- أنا آسف ، لكن يجب أن تأتى معى .

قالت بصوت وكأنه يخرج من أعماق بئر :

– لو سمحت انتظرني بضع دقائق ! يجب أن أُخبر والدتي .

* * *

صاحت والدة كامران وسط بكائها في اللحظة التي كانوا يوارون فيها جسد ابنها التراب بصوت عالٍ :

– يا ناس ، لقد قتلوا ولدي ، لقد قتلته زوجته ، أي مكان ضيقه ابني على شخص في هذه الدنيا ؟ أي إنسان تعرض له ابني بالأذى ؟

كانت بيتا تبكي في صمت وتسند رأسها على كتف أمها دون إبداء أي رد فعل وتضغط على يد مريم . أي شيء كان يجب أن تقوله من الأساس ؟ وكأن الزمان قد وجد مكانًا خاليًا من الجروح في قلبها فأضاف إليه جروح والدة كامران ! والأهم من ذلك هو إثبات براءتها أمام القانون .

وقد أطلق رجال المباحث سراحها بعد يومين بمجرد أن تأكدوا من براءتها ، لكنها كانت تعلم أنها ستظل مثار حديث من حولها على الرغم من أنها كانت تشعر بذلك الآن من نظرات الحاضرين . كان نظرها آنذاك متعلقًا بكيان وتسمع صوت انكسار قلبه ، ولعل سوء حظه هذا هو الذي كان يحثها على البكاء بحرارة دون توقف، نظرت وهي لا تصدق إلى جثة كامران للمرة الأخيرة داخل القبر المظلم وقالت في نفسها :

– ليكن خلاصك مباركًا !

وكأن ذهنها شبه اليقظ ينحي بمشقة ذكريات الماضي ، ولم تكن هذه الدموع بسبب تهدئتها فقط بل كانت تزيد من تقليل هذا الحزن تدريجيًا ، وفجأة جعلت الترحم عليه في قلبها بدلاً من النفور منه ! هل كانت الحياة مريرة ومؤلمة مع كل مظاهرها الخداعة ؟ حاولت أن تنسى كل الحقد والغضب والنفور الذي كان في قلبها تجاه

كامران ، فلا وجود له في الدنيا الآن ، ولا فائدة من ذلك سوى حمل ذنوبه الثقيل! كانت تلك الأيام تثير القلق لديها وكم كانت تشعر بالوهن !

ومع ذيوع خبر وفاة كامران بدأ الدائنون تدريجيًا يتسببون لها في المشاكل ويضعونها تحت الضغوط ، كانت تطلب من أمها أن تتفاهم معهم نظرًا لسوء حالتها. في الحقيقة أنها كانت تأمل في البضاعة التي اشتراها كامران وكانت في الطريق ، لكن لم يمر عشرة أيام على وفاة كامران حتى صار أملها كالنقش على الماء حيث أخبروها بأن المركبين الذين يحملان هذه البضاعة قد غرقتا في البحر وضاعت كل ثروتها أدراج الرياح ! ومع سماع الدائنين لهذا الخبر ادعوا الخسارة ، ولما كانوا يعرفون نسرين على أنها شريك كامران رغبوا في الحصول على أموالهم بوضعها تحت الضغوط .

مسكينة بيتا ، وكأنها قد فهمت توًا سبب إصرار كامران على جعل أمها شريكة له ، إنه كان يريد في الحقيقة أن يفر بجلده إذا ما حدث انهيار محتمل في المستقبل ، وها هو الآن يضع بموته حمل هذا الذنب على عاتق نسرين .

ومن شدة الحزن صارت نسرين طريحة الفراش ، وتم إطلاق سراحها مؤقتًا من السجن مع رهنها للمنزل . ومع أول فرصة عهدت إلى بيتا بالبت في أمور العمل من خلال توكيل عام وحتى تواجه الدائنين بدلاً منها . وقبلت بيتا ذلك رغم حالتها النفسية السيئة بسبب شعورها بالمسئولية تجاه ما قام زوجها به ، في حين أنها كانت تشعر بتأنيب الضمير بشدة أمام والدتها ، وكانت ترى نفسها المذنبة الحقيقية أكثر من أي شخص آخر خاصة بعد أن قامت والدة زوجها بدعوى تطالب فيها بنصيبها من الإرث !

وعلى عكس رغبتها ، تذكرت بيتا تلك الأيام التي كانت تصر فيها على الزواج من كامران ، وأغمضت عينيها أمام كل شيء . كانت في ذلك الوقت تسعى بأي شكل لاكتساب رضا نسرين ، كم كانت تستاء من رؤيتها لدموعها خلال الليل وهي على سجادة الصلاة ! كم من الليالي بكت فيها في وحدتها ولامت فيها نفسها ! كم من

الأيام التى استاءت فيها من هذا الألم وتلك المعاناة! لا ، بالتكيد لم يكن على والدتها أن تدفع ثمن أهوائها هى وزوجها ! كانت بيتا تتذكر بابك دون إرادتها وتشعر مع تذكره بالندم والعذاب ، كم كانت تأمل ألا يكون هناك دور لشخص باسمه فى حياتها ! لأن مرور ذكراه لديها يتسبب فى أن ترى نفسها إنسانة جوفاء حمقاء أفسدت حياتها بيديها !

* * *

حينما قامت بيتا بدفع حقوق الدائنين وفقًا لوصية أمها تبقى من كل هذه الأموال مقدار بسيط يكفى إيجار شقة متوسطة المستوى ، فلا شك - كما كانت تقول أمها - إن المال سينفذ عن آخره كرهًا أو طوعًا حتى ولو كان كنز قارون مع الإسراف الذى كان ينفق به كامران . واضطرت بيتا وأمها إلى إخلاء المنزل المملوء بذكرياتهما لتنتقلا إلى شقة صغيرة تبدآن فيها حياة جديدة ، لكن لما كان صاحب الشقة يحتاج إلى إيجار يزيد عن الوديعة التى معها فقد تركتا الشقة فى أقل من سنة واشترت ألم التشريد بروحها .

كانت تذهب إلى مكتب العقارات بمجرد خروجها من الجامعة بحثًا عن منزل مناسب وتستمر فى البحث حتى يحل الظلام ! كانت قدماها تؤلماها من كثرة المشى وشدة البرد ، ويحترق قلبها من الأعماق بسبب سماع لمز وهمز الآخرين ونظراتهم ، كم كان صعبًا بالنسبة لها أن تسمع من أول النهار لآخره جملة " لا نقدم منزلاً لامرأتين دون رجل " ، وأحيانا كانوا يطالبونها بأجرة أكبر وكأن الدنيا رغم اتساعها هذا قد عدمت مكانًا صغيرًا لهما . وفجأة سُدت جميع الأبواب أمامها ، وتخلى المحيطون بهما عنهما ، وامتلأت رأس بيتا بمسائل لم تجد فى ذهنها أى حل لها !

كانت تمر عليها أوقات تريد أن تبكى فيها بصوت عالٍ بسبب تلك المشاكل والوحدة لكنها كانت تستعيد وعيها مع رؤيتها لأمها ولكيان وتحاول أن تكون قوية

صبورة خاصة وأن أمها كانت فى تلك الأيام كالأطفال تتذرع بالحجج وتغضب لأتفه الأسباب ، كأنها لم تعد نسرين التى تعرفها بيتا ، فقد كانت فى حاجة دومًا إلى مساندة شخص آخر .

وقد اضطرتا رغمًا عنهما إلى نقل المسكن من المكان الذى عاشتا فيه لأعوام طويلة إلى مكان أقل فى المستوى فى منطقة تُسمى " افسريه" ، وقامتا بتأجير شقة فى ذلك المكان غير اللائق بهما ، وكانت عبارة عن ثلاث حجرات متداخلة بينما كان الحمام والمطبخ فى الفناء ، كانت نسرين تبكى بالساعات فى المنزل الجديد بصوت عالٍ وهى تشكو إلى الله . أما بيتا التى نالها من المكان والزمان ما نالها فكانت ترافقها وتقف وسط الفناء مع الأمتعة والأثاث ، وعلى عكس العادة ، لم تحاول تهدئة أمها ! كانت كالأطفال الصغار الذين لا ملجأ لهم تنزوى فى ركن الحجرة شبه المعتمة وتبكى فى صمت وتفكر فى أنها تدفع الآن كفارة ذنوبها .

فى نفس تلك الليلة قررت بيتا بينها وبين نفسها أن تترك دراستها وتعمل حتى تتمكن من تهيئة أسباب الحياة لأن دفع هذه الأجرة الشهرية الباهظة لايمكن أن يتم وسط هذه الظروف . ولما كانت والدتها ترفض هذا الأمر تمامًا قررت أن تخفيه عنها لفترة وعملت لفترة قصيرة عن طريق إحدى صديقاتها فى عيادة طبيب أسنان ترد على الهاتف من الصباح حتى المساء ، ولما كان أكثر من نصف راتبها يُنفق على مصاريف التنقل ذهبت بناءً على توصية إحدى بنات جيرانها فى المنزل الجديد للعمل فى مصنع لتعبئة الأدوية والمواد الغذائية يقع بالقرب من محل إقامتها . ولما لفتت أنظار مدير المصنع فقد تمت الموافقة على استخدامها بسرعة ، وكانت هذه هى بداية التعاسة وسوء الحظ !

كان المكان هناك مملوءًا بالنساء المتزوجات اللائى اضطررن للعمل لمساعدة أزواجهن بسبب وجود أطفال عديدة لديهن فى أعمار مختلفة ، كما كانت توجد بنات أميات تعيسات كن يطرقن كل باب لتجهيز أنفسهن ومساندة أسرهن ، وأحيانا كن يظهرن اهتمامهن بمسئولى المصنع على عكس رغبتهن للحصول على أجرة أعلى .

ومنذ أن عملت بيتا فى هذا المكان لم تر نفسها ثانية الإنسانة التعيسة الوحيدة ، وعلى الرغم من التباين الظاهرى الكبير الذى كان بينها وبينهن إلا أنها كانت تقترب منهن . كانت ترى بأم عينها كيف يستغل العمال بعضهم بعضًا بقسوة للحصول على ترقية وقلبها يتأذى لتصرفاتهم تلك التى يقومون بها بسبب فقرهم ! وكأنها كانت تتلمس الحقائق تدريجيًا حتى ذلك اليوم ، فقد انزاح الستار وصارت الحقائق عارية تمامًا أمامها !

* * *

كانت بيتا منهمكة فى عملها عندما اقتربت منها رئيستها فى العمل وقالت لها بنبرة ذات مغزى وهى تتفحصها :

- يريدونك فوق ! اذهبى لترى فيمَ يريدونك !

نزعت بيتا القناع الطبى عن وجهها وسألتها :

- جناب المدير ؟ قالت رئيستها فى العمل بابتسامة خبيثة :

- لا ، بل السيد زارعى يا حبيبتى !

ونظرت بنتان إليها بابتسامة خبيثة وجعلتا تتهامسان فيما بينهما . فى الحقيقة كانت هذه هى المرة الثالثة خلال هذا الأسبوع التى يتم فيها استدعاء بيتا من قبل نائب المدير بحجج مختلفة ، وكانت بيتا -كغيرها - تعرف إنه ينظر إليها بنظرات مارقة وأنه يريد من هذه اللقاءات القصيرة أشياء خاصة . نزعت القناع من رقبتها بعصبية وهمست " لقد زودها عن الحد " .

فقالت إحدى البنات :

- اذهبى ، قد تكون هذه فرصتك !

قالت بيتا فى غضب :

- لا علاقة لى بمثل هذه الفرص !

قالت رئيستها وهى تلمز بشىء ما :

- تقلن هكذا فى البداية ! لكن كويس .... يجب أن تعملى حساب الناس اللى فوق!

نظرت بيتا إلى أسنانها الصفراء وهى تضحك وقالت :

- لست من هؤلاء يا سيدتى !

قالت رئيستها وكأن الصواب معها :

- ولا أية واحدة منا ! إلا إذا كنتِ بتفكرى فى غير ذلك ....

تفحصت بيتا وجهها بدقة جزءًا جزءًا وهى فى حالة من الضيق والاشمئزاز :

عينان ضيقتان كعين طائر العقاب ، أنف ضخمة سيئة المنظر ، فم كبير ، شفتان غليظتان مترهلتان وهذا ما كانت تتباهى به . أرادت ثانية أن تذكرها بلقائها السابق مع زارعى لكنها سرعان ما انصرفت عن ذلك لأنها بالقطع كانت تعلم أكثر من بيتا ما الذى تم بينهما . لقد سمعت بيتا عن علاقتهما الكثير إلا أنها لم تصدق طالما لم تر بعينيها ، وكم كان عجيبًا بالنسبة لها حينما علمت أن كليهما متزوج ! كانت إحدى الفتيات تقول إنها على استعداد لأن تقسم بوجود علاقة بينهما أكثر من علاقة العمل إلا أن بيتا كانت تستبعد ذلك الأمر حتى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه للقاء السيد نائب المدير ، وفاجأتهما وهما يضحكان ويمزحان معًا ! لا شك أنه تدارك الموقف مع رؤيته لها إلا أن رئيستها جعلت تتحدث بشغف واضح وهى تشير بالعين والحاجب دون الاهتمام بوجودها إلى الحد الذى اضطر معه زارعى إلى أن يردها بشىء من الحيلة رغمًا عنها، وكأنه لم يكن يعلم أن صوت ضحكاتهما وحديثهما يبلغ المسامع خارج الحجرة !

واتجهت بيتا - التى كانت تتعذب من نظرات الأخريات - تتقدمها رئيستها نحو درجات السلم وهى تنادى عليها وتقول بنبرة ذات مغزى :

- بصى يا بنت ، إن ما أقوله لهو من أجلك لأنكِ تختلفين عن الأخريات ! لو تريدين الاستمرار هنا يجب أن تتنازلى قليلاً أمامه وعندئذ ستجدين الفرص تنهال عليكِ من كل مكان !

وخفق قلب بيتا من شدة الغضب والضيق لدرجة أنها كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة لكنها لم تنطق بكلمة ! قربت رئيستها رأسها منها وسألتها :

- إلامَ تريدين أن تحبسى نفسك داخل هذا القبر ؟ بالله أنتِ ظالمة !

قالت بيتا بصوت يرتعد من شدة الغضب :

- لا داعى لقلقك علىّ .

ردت رئيستها :

- أنتِ لا تزالين شابة يا حبيبتى ، لقد كنت فى عمرك حينما أتيتِ إلى هنا !

قالت بيتا وهى تلمز :

- وعلى ما يبدو أنك راضية !

قالت رئيستها بابتسامة أظهرت معها أسنانها الصفراء :

- وأنا أدلك على الطريق من أجلك .

قالت بيتا وهى تنظر إليها :

- لمَ لا توضحين هدفك ؟

قالت الرئيسة :

- كان زارعى يقول إنه معجب بك جداً ، وسأل عنكِ فى الأسبوع الماضى !

قالت بيتا فى عصبية على عكس ما توقعت :

- سأل عنى ؟! وماذا تقصدين بأنه معجب بى ؟!

وخجلت الرئيسة مع رؤيتها لضيق بيتا وندمت على طرحها الموضوع هكذا دون مقدمات ، فقالت على الفور :

– أقصد .... إنه يريد أن يعرف مشاكلك فى العمل .

قالت بيتا بشكل جاد :

– لا شكوى لى من العمل ، قولى لذلك السيد الذى يُدعى زارعى لو أن قلبه يحترق على حال العاملات ، فليفكر فى حل لتهوية ذلك القبر حتى لا يعانين هؤلاء التعيسات من الكحة منذ الصباح حتى المساء .

قالت الرئيسة :

– ماذ تظنين أن تفعلى بهذه الحرقة التى بلا مقابل ؟!

سألتها بيتا :

– إنتِ إيه ؟ أى هدف لكِ من وضع العاملات تحت الضغط واتصالك بزارعى ؟

قالت الرئيسة بابتسامة مريرة :

– لا أرى داعيًا للنقاش معكِ فسوف تفهمين كلامى يومًا ما ، لقد كنت مكانك هنا ذات يوم يا حبيبتى ، لكننى وجدت أننى لا أحصل على شيء فى هذه الدنيا بغرورى.

– من الأفضل أن تقولى بالحفاظ على نفسى !

– سميه كما تحبين ، لكن الحقيقة أن هذا هو ما يجب أن تقومى به للحصول على ما تتمنين ، وكما ترين إننى أتحدث معكِ بصدق لأنكِ تختلفين عن الأخريات .

– أى اختلاف ؟ لمَ تظنين ذلك ؟!

– لا داعى لتمثيل فيلم أمامى ، لقد بلغت سن رشدى وأنا فى هذا العمل .

رغبت بيتا فى صعود درجات السلم فقالت الرئيسة لها :

- الفرصة أمامك يا حبيبتى ، لا تتركيها !

صعدت بيتا درجات السلم وجسدها يرتجف ، جعلت تستنشق الهواء النقى ، فى الواقع قد هز كلام رئيستها كل كيانها ، فكرت فى مغادرة المكان إلى الأبد إلا أنها ترددت مع تذكرها لظروف أمها وكيان . لا ، لا طاقة لها على مواجهة ذلك الرجل ذى البطن الكبير والعين الوقحة ، لا شك أنه لم يكن قد تحدث حتى الآن بأى شىء لكن بملاحظة سلوكه وما سمعته عنه وما رأته راعت أن تجلس أمامه فى حيطة ، وكان شعورها بالخوف أمامه مما يؤرقها ، ومع تذكرها للقائها الأول معه يوم تقدمها للعمل لامت نفسها للاستمرار فى العمل فى مثل هذا الوسط وكظمت غيظها ، هل كان الفقر هو نهاية العالم ؟ ألم يكن تمسكه بها لنفس ذلك السبب ؟

كانت بيتا منهمكة بذلك القدر فى أفكارها حتى رأت نفسها فجأة أمام حجرة نائب المدير ، ربما كان يجب عليها عدم الذهاب ، لكن فى الواقع إنها كانت تهدئ من روعها على أمل أن تكون مخطئة فى ظنها ، لأنها كانت تعتقد أن سر المرأة يرجع إلى ذاتها ، ولما كانت متأكدة تمامًا من حفاظها على نفسها طرقت باب مكتب زارعى بكل الثقة ثم دخلت بعد سماع صوته . كان يجلس خلف مكتبه وما أن رآها حتى قال بسعادة بالغة حاول عدم إظهارها :

- أهلاً وسهلاً سيدة سپهرى الحبيبة !

ردت بيتا عليه السلام فى فتور وقالت على الفور :

- اسمح لى ، قالوا إنك تريدنى !

قال زارعى وهو يقطب جبينه بشكل مفتعل :

- إنتِ مستعجلة ؟ لمَ لا تجلسين ؟

قالت بيتا دون أن تنظر إليه :

- أشكرك ، لدى عمل ويجب أن أنصرف !

قال بنبرة قوية :

– لا داعى بعد ذلك لأن ترهقى نفسك ، فلدى أفكار جيدة لكِ.

تجاهلت بيتا مقصده وقالت :

– تقصد أن لديك برنامج جديد للعاملات ؟ أنا سعيدة حقًا لسماع ذلك !

قال زارعى الذى بدا مستاءً من تظاهرها بعدم الفهم :

– هل توجد انتقادات خاصة بوضع العاملات ؟

ردت بيتا :

– على ما يبدو أن ما من شخص إلا ولديه شكوى !

– على ما يبدو ؟! ماذا تقصدين ؟ فى رأيك ، ما الذى يمكن عمله من أجلهن ؟

نظرت بيتا إلى قده السمين ورأسه شبه الصلعاء وذقنه الطويلة ثم قالت :

– لا أظن أن الحاجة ماسة كى أتكلم ، لمَ لا تتفقد المكان بنفسك ؟ إنه عديم الإنارة ، يفتقد للتهوية الجيدة ، كثير التلوث وخانق ، والأهم من هذا كله لا توجد به أية ميزة!

قال زارعى فى سخرية :

– عجبًا ، كأننى أنا الذى أعمل لديك وليس العكس ! ألا توجد أوامر أخرى ؟

ابتعدت بيتا قليلاً وقالت :

– إن أجورهن ضئيلة ولا يتمتعن بالتأمين الصحى حتى يضمنّ سلامتهن ، كما تحتاج معظمهن إلى يومين راحة فى الشهر .

خرج زارعى من خلف مكتبه وقال :

– إذن فقد أصبحتِ تتحدثين بلسانهن ! عزيزتى ، أية مصلحة لكِ من هذا العمل سوى إتعاسك لنفسك ؟ لو تريدين شيئًا خاصًا لكِ لما احترق قلبى بذلك القدر ..

سألته بيتا :

- معنى ذلك أنك ترى أن الأخريات يختلفن عنى ؟ ما الذى جعلك تفكر بهذه الصورة ؟ فالكثيرات منهن تتعبن أكثر منى !

قال زارعى بهدوء :

- لا داعى لقلقك بسببهن ، فكرى فى نفسك ! هل تظنين أنهن سيقمن بشكرك من بعد ؟! لا يا حبيبتى ! كل شخص يفكر فى نفسه فى هذا الزمان وذلك العصر ! قسماً بالله أنكِ تظلمين نفسك ، إنكِ تختلفين عنهن اختلاف السماء والأرض ، ألا تريدين أن تغمضين عينيك وتذهبين إلى أى مكان؟

- لا أفهم قصدك ياسيدى !

- تفهمينه جيداً لكننى لا أعلم لمَ تتظاهرين بعدم الفهم ؟

- ربما لأننى إنسانة ملتزمة على عكس ما تعتقد !

- أى التزام ؟ لقد قرأت ملفك صباح اليوم ، إنكِ مستقلة وحرة لا مسئوليات ولا التزامات عليكِ إطلاقاً .

- ليس لدى أى اعتراض ، والآن اسمح لى أن أعود إلى عملى .

اقترب زارعى قليلاً منها ، وقال :

- لمَ تسيئين إلى نفسك يا حبيبتى ؟ لمَ تظنين أننى عدوك ؟ أنتِ شابة وجميلة، والأهم من ذلك ليست لديكِ أية التزامات تقيدك مثلما تتقيد النساء المتزوجات أو البنات اللائى لم يتزوجن.....

اتجهت بيتا مسرعة نحو الباب وقالت :

- اسمح لى ، يجب أن أعود إلى عملى .

ضحك زارعى ووقف أمامها ، وخشيت بيتا من لمعة عينيه ، فقال :

- أنتِ مجنونة ، لكن يجب أن تعلمى إننى لا أستاء من المجانين ، لا تكونى عنيدة بهذا القدر ، لقد اقتربت ممن كن أشد منك عناداً .

ابتعدت بيتا عنه فى عصبية وصاحت :

- لتخجل أيها السيد ، كيف تسمح لنفسك أن تقترح علىّ هذه العروض غير الأخلاقية دون خجل ؟ إننى مثل ابنتك !

تقدم زارعى الذى لم يكن يتوقع رد فعلها هذا وقال بوجه مشتعل :

- اخفضى صوتك يا شقية ! ماذا تظنين أين تكونين ؟ فى رباط للقوافل ؟

قالت بيتا بشكل حاد :

- أنت الذى تسببت فى أن أنسى أن هذا المكان ليس رباط للقوافل !

- لقد أخطأت حينما أردت أن أخلصك من هذا المكان الدنىء ؟ هيا وحكمى عقلك !

قالت بيتا بحسم :

- أفضل أن أكون مع الأخريات دون أن أخسر نفسى !

قال زارعى بكبرياء واضح :

- هل تظنين أنكِ صغيرة ؟ ربما تريدين أن تظلى حتى آخر عمرك عاملة بسيطة تعيسة تصاب من بعد بآلاف العلل والأمراض !

نظرت بيتا إليه فى دهشة بينما كان يحاول تبرير تصرفه دون أن تقول شيئاً. كم تكون المسافة بين الفقر والشرف والإنسانية ! ودون إرادتها انهمر الدمع من عينيها مع تذكرها لماضيها المملؤ بالكبرياء والكرامة وارتجفت شفتاها، فقال زارعى فى هدوء :

- إن عرضى هو منتهى الإنصاف ، لكن لو تعتقدين غير ذلك فلتقولى حتى نصل إلى اتفاق ، إننى أستطيع أن أوصلك إلى أشياء لم تحلمى بها حتى فى منامك ، والسبب فى ذلك فقط هو خوفى من أن تضيعى !

قالت بيتا وهى تبكى :

- أنت أقذر إنسان رأيته فى حياتى ، ماذا تسمى نفسك ؟ ألا تخشى الله ؟ على الأقل اخجل من أسرتك ! لا شك أنك وعدت هؤلاء الفتيات السذج التعيسات بنفس هذه الوعود !

غضب زارعى وصاح :

- غورى ، اخرجى من مكتبى ، أنتِ امرأة غريبة ! أنتِ مطرودة ! اخرجى فوراً من هنا إلى الحسابات لتصفية حسابك وبعدها لتذهبى إلى قبرك !

رفعت بيتا كتفيها بكل كبرياء ، وقالت وعيناها تدمعان :

- بالتأكيد سأفعل ذلك ، لكن قبل خروجى من هنا يجب أن أقابل المدير وأتحدث معه فى عدم الأمان الذى تشعر به العاملات هنا !

قال بعصبية :

- ما الذى أقوم به من أخطاء ؟ يقولون إن العاملات عاجزات ، ألم أكن إنساناً؟ كنت أريد مساعدتك كى تعيشى كإنسانة !

قطبت بيتا جبينها وقالت :

- تلك الأشياء التى لم ترها حتى فى منامك كانت فى وقت ما بين يدى ، لكن قد تندهش لو أقول إن يد القدر هى التى أتت بى إلى هنا !

قال زارعى فى سخرية ولوم :

- والآن لتذهبى أنتِ وتلك الأشياء التى تتحدثين عنها ! اذهبى لأرى وهم يقدمون لكِ قطعة من الخبز حتى لا تموتى جوعاً!

رغبت بيتا فى أن تقول شيئاً لكنها تراجعت لأن حالتها لم تكن تسمح لها بالكلام ، كانت دموعها تنهمر دون توقف وتشعر بالامتهان بذلك القدر الذى جعلها ترغب فى الموت .

(٣٦)

وقبل أن تترك بيتا المصنع إلى الأبد توجهت إلى مكتب المدير حتى تتحدث معه عن سلوك نائبه المشين معها ومع سائر العاملات ، وعلى الأقل كي تثبت لرئيستها وكل من تفكر مثلها أنهن لسن على صواب . وقام المدير - وكان رجلاً طاعنًا فى السن وقوراً- باستدعاء نائبه بعد سماع حديثها الذى كان بلا شك مقتضباً للغاية ، وقال له :

- سيد زارعى ، لقد تحدثت السيدة سپهرى بكلام ، ولما كنت متشككًا فيه قمت باستدعائك لتوضيحه .

سأله زارعى - الذى لم يكن يتخيل رؤية بيتا فى مكتبه - وكأن الحق بجانبه دون أن ينظر إلى بيتا :

- ممكن تتفضل وتعرفنى ما الذى قالته فى حقى ؟

أشار المدير باقتضاب إلى حديث بيتا وقال فى النهاية :

- إننى حتى لم أكن أتخيل أنك .....

قال زارعى بعصبية مفتعلة :

- أنا فداؤك ، هذا الهراء هو فقط من صنع خيال هذه المرأة عديمة الحياء ، عجبًا! أنها تعكس ما حدث !

ثم التفت إلى بيتا فى غضب أوقعها فى الاضطراب وقال :

- كيف سمحتِ لنفسك أن تدعى هذه القصة الكاذبة عديمة الحياء أمام السيد المدير؟ ألم تفرضى نفسك علىّ للحصول على مزايا أفضل ؟ وكيف تواجهيننى الآن بهذا

الفتور ؟ هل أردتِ أن تدخلى من هذا الباب ؟

قالت بيتا - التى أزرق وجهها من فرط العصبية - بصوت يرتجف وهى لا تصدق :

- أنا ؟! حقًا إنك إنسان حقير بلا ضمير ، كيف تستطيع أن تسمى نفسك رجلاً؟ هل نسيت أنك استدعيتنى عدة مرات خلال هذه المدة تحت حجج مختلفة؟

قال زارعى بهدوء مفتعل :

- امضى يا سيدتى العزيزة ، امضى ولتخجلى من نفسك ! من يصدق هذا الهراء ؟ اسمح لى يا سيدى أن تأتى رئيستها واسألها ، ولو كان كلام هذه السيدة صحيحًا فيجب أن تكون على علم به ، ولو كان غير صحيح فأنا مضطر إلى المطالبة برد شرف .

قالت بيتا بعين باكية :

- سيدى المدير ، إنهما يعكسان الحقائق ، هل هذا هو جزاء من تدافع عن شرفها ؟

رد زارعى بدلاً عن المدير :

- أى شرف ؟ لو كنتِ تملكينه لما ادعيتِ هذه القصة كذبًا! هل لك وش أساسًا كى تقولى هذا الكلام ؟ ما المشكلة لو عرضتِ ما تريدين بشكل أكثر احترامًا؟

واستدعى المدير رئيستها عبر الهاتف ثم قال إلى بيتا :

- ابنتى ، إنهما يعملان معى فى هذا المصنع منذ أعوام ، ولم أسمع قط أن تحدث شخص عنهما بمثل هذا الحديث !

ردت فى اعتراض :

- تقصد أننى أكذب ؟ لو كان كذلك فكل من تفكر مثلى هى كذابة أيضًا!

رجع المدير إلى الخلف ، وقال :

- لو أن شخصاً آخر له شكوى فيجب أن يأتى بنفسه .

- أين يأتى ؟ إننى أفهم توًا لمَ لمْ تسمع واحدة لنفسها حتى اليوم أن تضع حداً لهذا السيد !

قال زارعى :

- لو كان هناك داعى لخوفهن لكنت قد خفت أيضاً!

قالت بيتا إلى المدير :

- الكثيرات منهن تعيشن فى فقر مدقع وهن فى أمس الحاجة إلى هذا العمل ، وربما كن تتحدثن لو لم تخشين البطالة .

قال المدير :

- أتمنى أن تلاحظى أن التفوه بمثل هذا الكلام له عواقب وخيمة بالنسبة لكِ !

قالت بيتا :

- بالتأكيد لو لم أستطع إثباته !

فى ذلك الوقت دخلت رئيستها من الباب واندهشت من رؤيتها لزارعى وبيتا فى هذا المكان . سألها المدير :

- لو تسمحى ، لا شك أنه من الأدب أن أتحدث باختصار .... لكن........

تدخل زارعى وقال :

- اسمح لى يا سيدى أن أسألها أنا ، هل قمت اليوم أو فى أى يوم آخر باستدعاء هذه السيدة على وجه التحديد ؟

نظرت الرئيسة إلى وجه بيتا الباكى وقالت بعد برهة :

- لا يا سيدى !

وتسمرت بيتا في مكانها من شدة التعجب وأرادت أن تقول شيئًا، فقالت رئيستها:

- إن هذه السيدة قد أصرت على مقابلتك مرتين !

- وسمحتِ لها ؟

- نعم .

- متى كانت آخر مرة ؟

قالت الرئيسة دون النظر إلى بيتا :

- اليوم قبل الظهر .

سألها المدير :

- ألم تعلمي ماذا كانت تريد من السيد زارعي ؟

قالت بكل الثقة مما أثار غضب بيتا :

- أعلم فقط أنها كانت غير راضية عن بعض الأمور ، وأرادت أن تتحدث في هذا مع السيد زارعي .

هزت بيتا رأسها يمينًا ويسارًا وهي لا تصدق ، وفهمت الموضوع ، وتأكدت الآن لمَ لمْ تفتح واحدة من العاملات الأخريات فمها ، قال المدير بعد انصراف رئيستها :

- هل تصرين ثانية على كلامك ؟

نظرت بيتا في صمت إلى وجه زارعي ، كانت تريد أن تنقض عليه بأظافرها فربما يهدئها رؤية الدم على وجهه ! قال المدير لزارعي مع رؤيته لصمتها :

- أعتذر لك بالنيابة عنها ، ربما حدث سوء تفاهم !

قال زارعي وكأن الحق معه :

– ابنتى ، إننى فى سن والدك ، وسوف أتسامح معكِ هذه المرة إرضاءً لخاطر السيد المدير ، لكن للأسف لا أستطيع أن أراكِ ثانية فى هذا المصنع ، لا شك أننى أعلم أنكِ فى أمس الحاجة لهذه الأموال وإلا لما قمت بهذا العمل القبيح ! لكن ربما يكون تصرفى سببًا فى تغييرك ! ماذا يقول العقل للإنسان؟ لو أننى فرضًا مثل هذا الرجل الذى تتحدثين عنه فلا يليق بى داخل المصنع أن........

قال المدير إلى بيتا :

– تقدمى واعتذرى له .

قال زارعى :

– لا سيدى المدير ، لا حاجة لى باعتذارها ، إننى أعرف من يجب أن يعرفوننى !

تذكرت بيتا حديث إحدى الفتيات وضغطت على قلبها من فرط الألم .... حقًا كم كان دنيئًا قذرًا، ماذا سيكون رد فعل المدير حينما يعلم ما يقوم به نائبه مع عاملة تبلغ من العمر ستة عشر عامًا فى هذا المصنع ؟ وماذا يفعل إذا ما علم أن تلك الرئيسة هى الواسطة بينه وبينهن ؟ رغبت فى مغادرة المكان ، فقال لها المدير :

– ماذا ستفعلين من بعد ؟

ردت بابتسامة :

– لا تقلق ، فالله عون من لا عون له .

قال المدير مشفقًا عليها :

– بطفل ، دون ظل رجل ......

قالت فى غضب :

– من المسلم به أن أقـــوم بشىء ولا أبقى هنا ، وعلىَّ أن أشكر نائبك لأنه لم يقم بسجنى!

قال المدير فى هدوء :

- لا تستائى منه يا ابنتى ......

- لا ، فيما يبدو أنه يجب أن أستاء من نفسى لأننى أدافع عن كرامتى!

- ابنتى ، لقد بار سوق الأخلاق فى هذه الأيام ، إننى أستطيع أن أرسلك إلى مصنع قريب وأقدم لكِ عملاً مناسبًا فيه ، ستكونين سكرتيرتى الخاصة ... سأدفع لكِ راتبًا باهظًا، ما رأيك ؟ وسأوفر لكِ شقة فى مكان جميل بالمدينة حتى تتمكنين من العيش فيها مع طفلك فى راحة دون معاناة ... كأى امرأة أصيلة ذات مكانة .

واضطربت بيتا ، إلى أين يجتذبها الفقر ؟ توجهت بصعوبة بقدمين ترتجفان نحو الباب بينما كان المدير يستمر فى حديثه :

- لا تطيحى بسعادتك يا فتاة ، ماذا جنيتِ فى تلك الأعوام التى تصرفتِ فيها بكرامة ؟ كما أنكِ لن تخالفى الشرع ، سأتزوجك زواجًا مؤقتًا، سأراعى ابنك وكأنه ابنى ...

همست بيتا قائلة :

- على الأقل اخجل من سنك !

فرد فى هدوء غير متوقع :

- ما دخلك بسنى ؟ إنكِ تريدين المال ، وسألقيه بوزنك تحت قدميك !

تذكرت بيتا دون وعى كلام رئيستها واشمئزت ، وها هو المدير الآن يكاد يكون يرجوها :

- هيا ، خذى هذا ، إنه تليفونى ، لو غيرتِ رأيك اتصلى بى، وسأرسل لك من يحضرك إلىّ .

وانصرفت بيتا من أمامه وهى كالروح ، ومضى وقت حتى انتبهت لنفسها وهى تجرى فى الشارع خارج المصنع ، إنها لم تكن ترغب فى الرجوع إلى هناك لأخذ باقى مستحقاتها . ألمّ الدوار بها ، وتملك قلبها الاضطراب بسبب ما كانت تسمعه منذ

الصباح . جلست عدة دقائق بجوار الرصيف تلتقط أنفاسها واستندت بجوار حائط ، لكن نظرًا لوقوف السيارات أمامها وإطلاق الأبواق لها بحجج مختلفة نهضت من مكانها رغمًا عنها وهى فى حالة سيئة ، وسلكت طريقها وقطرات الدمع تنهمر من عينيها دون توقف . كان قلبها يتألم أكثر فى كل لحظة ، ويجذبها خاطرها إلى ذكريات الماضى فى ضعف من هنا إلى هناك ، كم كانت تلعن كامران وتلوم نفسها فى ذلك اليوم ! لو لم يجعل حياتهما ألعوبة لأهوائه ! لو كانت تتسم بالعقل واختارت بعناية ! لو كان القدر مواتيًا لها ! ...واشتد بكاؤها ، ماذا تفعل الآن وسط هذا كله ؟ فى الواقع إنها كانت عاجزة بذلك الطفل الذى له من العمر أربعة أعوام وتلك المرأة الطاعنة فى السن العليلة ، فهى تتحمل المسئولية والفقر والمصائب بالشكل الذى يبدو أنه كثير على إنسانة فى مثل عمرها ! كم كانت ترغب فى الاستناد على كتف أمها لتشبع قلبها بالبكاء ! لكن للأسف ، كانت أمها مشبعة بذكريات الماضى بما يكفى ، والآن لم تستطع رعاية كيان رغم تلك القوة التى كانت تلمسها بيتا فيها منذ زمن طويل !

فى تلك الليلة ظلت بيتا تبكى لساعات طوال على فراشها وهى تداعب شعر طفلها الناعم حتى استسلمت فى النهاية إلى النوم بقلب مفعم بالحزن .

وبعد فترة من البحث والتقصى تمكنت بيتا من الحصول على عمل جديد، وكانت ظروف العمل الجديدة محببة لها لأن جميع من يعمل معها كن من النساء . وتمكنت بيتا بما كانت تحصل عليه من أجر أن تضع كيان فى دار للحضانة نصف الوقت كى تتمكن نسرين – التى خارت قواها – من الراحة بشكل أكثر ! كانت بيتا تعمل فى ذلك المكان من الصباح فى حياكة الحقائب النسائية ، وتعود إلى المنزل مع الغروب قبل أن يحل الظلام وهى فى حالة لا تمكنها من التعامل مع كيان . كانت تعد الطعام فى عجالة ثم تفقد وعيها من فرط التعب . كانت أكبر أمنية لديها فى ذلك الوقت هى حصولها على الإمكانات اللازمة لتربية كيان ورعاية أمها . لم تفكر فى الزواج ، ولم تبال بما يقترحه عليها من حولها ، وكأن صورة الزوج التى ارتسمت فى ذهنها كانت قاصرة على كامران ، وربما لذلك السبب ظلت تبكى فى انكسار حينما أرسل أحد جيرانها – كان

أرملاً وله أربعة أبناء - إحدى جاراتها لخطبتها ، خاصة حينما قالت الجارة لها بعد سماع رفضها وهى تنظر إليها :

- يجب ألا تتكبرى هكذا ! ماذا تنتظرين ؟ لست فى النهاية أكثر من أرملة تكفل طفلاً! إنه على استعداد لرعاية ابنك وأمك من أجلك !

رغبت بيتا فى أن تصرخ بصوت عالٍ لكل هذا الظلم ، فكأن زواجها من رجل يكبرها بخمسة وعشرين عاماً وله من الأبناء من يماثلها فى العمر هو أمر صغير يمر الآخرون عليه بمثل هذه البساطة ! هل يكون كل ذلك الامتهان وتلك الدناءة ثمنًا للقمة خبز وسقف تحتمى تحته ؟ كيف ينسى كل شخص الآخر ويفكر فى نفسه فقط؟ هل ماتت القيم الإنسانية إلى الأبد ؟ !

ظلت بيتا فى تلك الأيام تعمل جاهدة دون كلل كى يزداد عدد الحقائب التى تنتجها لتحصل على نسبة أكبر من مبيعاتها . لقد انحنى كتفها من فرط التعب وألمّ الوهن برقبتها ، ورق جلد أصابعها على أثر الحك فوق النسيج ، لكنها لم تتراجع .

ربما كانت تدفع كفارة ذنوبها ! كانت ترى نفسها وقد تم صقلها مع مواجهتها للمشاكل والمصائب المتلاحقة التى جعلت منها بمرور الوقت إنسانة صبورة ، كان هلال السهر يظهر تحت عينيها ويمنح وجهها سمة التقديس !

وفى أحد أيام الخميس وكان عطلة لها ، قررت أن تأخذ كيان من الحضانة وتذهب به إلى الحديقة ، وبهذا تقضى معه وقتًا أطول بعد فترة من ابتعادها عنه، قررت أن تتجه إلى الحضانة فى وقت مبكر عن كل يوم ، وتألم قلبها لرؤية كيان وهو فى هذا الوضع . كان مستغرقًا فى النوم فى ركن الحجرة يتكور داخل نفسه ، ورأت على وجنته اليسرى مكان خربوش صغير وكأنه من ظافر ، استفسرت من المعلمة فى استياء بينما كانت تداعب شعره ، فقالت لها :

- حسنًا، لا شك أنكِ تعلمين إنهم أطفال ، ولا يجب أن تكونى حساسة بهذا الشكل.

ردت بيتا فى ضيق واضح :

- أريد أن أعلم ما سبب ذلك ، يبدو أنكِ تهملينه !

ردت المعلمة على الفور:

- أبداً، الأمر ليس كذلك ، أريد فقط ألا تتضايقى .

ردت بيتا فى غلظة :

- إننى أزداد ضيقًا حينما أرى ابنى فى مثل هذا الوضع كاليتامى .

صمتت المعلمة قليلاً ، ثم قالت فى هدوء وهى تبتسم :

- لقد كانت مشاجرة بين الأطفال ، هذا هو كل الموضوع ! لا يجب أن تدققى هكذا !

قالت بيتا بثقة :

- إن كيان ليس ممن يتشاجرون ، أنا متأكدة من ذلك .

قالت المعلمة :

- نعم ، فى الحقيقة إنه هادئ وطيب ، لكن ... يجب أن تعلمى ... على أية حال هم أطفال ولا ينُتظر منهم أكثر من ذلك ، ولا ينُتظر أيضًا أن يكون هناك سبب منطقى وثابت لتصرفاتهم ...

قالت بيتا فى ضيق وقد تعبت من هذا الحوار :

- ماذا فعل كيان ؟

قالت المعلمة وهى تداعب وجه كيان وتحاول أن تفرمن النظر إلى عينى بيتا:

- على ما يبدو أنه ذهب إلى حقيبة أحد الأطفال وأكل طعامه ، وقام ذلك الطفل...

بالتأكيد لا يجب أن تلومى نفسك أو أن تتضايقى لأنهم أطفال كما قلت و ...

لم تنصت بيتا لباقى حديثها وكظمت غيظها وكادت أن تخنقها ، حاولت ألا تبكى فى حضور المعلمة لكنها لم تستطع وتدفق سيل الدموع من عينيها وارتجفت كل ذرة فى كيانها . إنها لم تنتبه حتى إلى بقية حديث المعلمة ، واحتضنت كيان وهو نائم وخرجت على الفور من الحضانة .

جرت المعلمة وراءها مع رؤيتها لها وهى فى هذه الحال وقالت :

– أرجوكِ سيدة سپهرى ! يجب ألا تزعجى نفسك بهذه الدرجة ، يجب أن تجلسى عدة دقائق حتى تهدأى .

حركت بيتا رأسها يمينًا ويسارًا وسط بكائها وهى تحتضن كيان بقوة وضغطت على شفتيها ، فقالت المعلمة بحب صادق :

– إننى أدرك حالتك سيدة سپهرى ، لكن لو سمحتى لا تعذبى نفسك بهذا القدر ؟ صدقينى ، إن رد فعلك هذا ليس جيداً بالنسبة لكيان . يجب أن تتماسكى ، فضلاً عن هذا إن كيان عمره ثلاث أو أربع سنوات فقط ولا مبرر فى ذهنه على سلوكه .... إننى أعتذر عما حدث له ، لقد كان تقصيراً منى ... إننى لا أتخلى عنه للحظة ..

تجاهلتها بيتا وسلكت طريقها وكأنها كمن يسير فى نومه ، كانت المناظر أمامها مشوشة بسبب أمواج دموعها المتدفقة ، كانت تشعر بالتعاسة بذلك القدر وكأن قلبها لم يحترق على شخص سواها . لم يحترق على ذلك الفتى الصغير بائع اللبان الذى كان يتوسل إليها لشراء اللبان منه ! لم يحترق على تلك المرأة الفقيرة التى تجلس بجوار الرصيف للتسول ! فى الواقع إن الأم فقط هى التى كانت تشعر بإحساسها . أم تقيد روحها منذ الصباح حتى المساء حتى لا تترك ابنها جائعًا على وسادته . فى ذلك الوقت داعبت وجه ابنها فى حنان ورغبت فى شراء بعض الحلوى له فتوجهت إلى السوبر ماركت الذى كان فى طريقها واشترت له بعض الحلوى بكل ما كان فى حقيبتها من مال ولم يتبق معها حتى ما يكفيها للعودة فاضطرت أن تعود إلى المنزل سيراً على الأقدام !

لم تكن تفكر بشكل جيد ، فى الحقيقة إنها كانت تتصرف بما يهدئ مما بداخلها ، وحينما وصلت إلى المنزل وضعت كيس الحلوى أمام كيان وطلبت منه أن يأكله عن آخره . والآن كانت نسرين تبكى وتحاول أن تقوم بتهدئتها ، وفجأة شعرت بيتا وكأنها شخص قد عاد توًا لوعيه ، احتضنت كيان بقوة وجعلت تقبله وسط بكائها . كان بكاؤها يشبه الأنين المتصاعد من أعماق القلب ، وكأن كل هذه الدموع لم تهدئ من روع قلبها الكسير . من الأساس ما ذنب هذا الطفل الذى لم تستطع أمه تلبية أبسط احتياجاته ؟! ألم يكن طعامه فى الحضانة قطعة من الخبز مع الجبن فقط ؟! كم تبلى هذه الحقائق المريرة روح بيتا ! أما نسرين التى انتبهت إلى الأمر فقد أخذتهما بين يديها وقالت وهى تبكى :

- لا داعى لتركه ثانية فى الحضانة ، لم تلم بى الشيخوخة بذلك القدر الذى يجعلنى أعجز عن رعاية حفيدى .

* * *

بعد ذلك الحديث قررت بيتا أن تضاعف عملها أكثر من ذى قبل ، لذا كانت تطلب من زميلاتها القيام بعملهن ، كانت تبقى فترات إضافية بعد الغروب ، ولم ترد أى عمل يعهد إليها به ، حتى أصبحت فجأة لحمًا على عظم وكادت أن تنهار قواها ، كأنها كانت تدرك تدريجيًا أن التحسر على الماضى ليس فقط ألمًا بلا دواء بل إنه يجعلها فى حالة من اليأس تجاه المستقبل .

وفى ظهيرة أحد أيام الصيف الحار وبينما كانت منهمكة فى عملها حتى اتصلت نسرين بالمصنع وأخبرتها أن حالة كيان مضطربة منذ الصباح ومن الأفضل أن تعود إلى المنزل بأقصى سرعة ، واضطربت بيتا مع سماع هذا الخبر وعادت على الفور إلى المنزل واتجهت إلى إحدى المصحات .

لقد كان يعانى من الجفاف بسبب كثرة التقيؤ فحقنوه بالمحاليل اللازمة وشخصوا سبب الحالة بأن فيروساً قد أصاب المعدة ، وتحسنت حالة الطفل لمدة يومين بعد صرف العلاج الذى أوصى به الطبيب ، لكن فى نهاية اليوم الثالث اضطرت أمه إلى الاتصال بالطبيب ثانية بسبب تدهور حالته ، وفى هذه المرة أوصى الطبيب باستشارة متخصص فى المخ والأعصاب لأنه كان يشك فى تشخيص نوع القيء وقلة الفترة الزمنية بين المرة والأخرى . وبعد أن تم عرض الطفل على متخصص فى المخ والأعصاب ، وبعد سماع المتخصص للأعراض تفصيلياً أوصى بعمل أشعة مقطعية على المخ مما أحيا بيتا وأمها وأماتهما مائة مرة حتى يوم الحصول على النتيجة .

هز الطبيب – الذى كان هو نفسه يشك فى تشخيص الحالة قبل الفحوصات – رأسه أسفاً مع رؤيته لنتيجة الأشعة المقطعية ونظر إلى وجه بيتا الشاب القلق ، وكأنه كان متردداً فى التصريح لها بالحقيقة وحائراً فى كيفية نقلها إليها . فقدت بيتا قدرتها على الصمت وسألته فى وهن :

– دكتور ... ما رأيك ؟ قل لى !

قال الطبيب فى شفقة :

– ابنتى ! يجب أن تتحلى بالصبر ، فما أريد أن أصرح به بشأن الطفل يستلزم جرأة كبيرة لسماعه .

قالت بيتا بصوت وكأنه يتصاعد من أعماق بئر :

– ما الذى حدث ؟ ماذا حدث لابنى ؟

قال الطبيب وهو يشير إلى صورة الأشعة :

– حينما أوصيت بعمل أشعة كنت أتمنى أن يكون توقعى أنا والطبيب السابق فى غير محله ، لكن ... للأسف إن الحالة أسوأ مما كنت أتوقع ، لذا يجب على الفور إجراء عملية جراحية لابنك !

وخفق قلب بيتا بشده والتقطت أنفاسها بصعوبة وقالت :

– عملية ؟! أية عملية أيها الطبيب ؟ استحلفك بالله قل لى ماذا حدث ؟

– عزيزتى ، كما يتضح من صورة الأشعة ثمة ورم يبلغ حجمه ٢سم فى المخيخ ، ولو لم تتم العملية بأقصى سرعة سيمثل ذلك خطراً كبيراً على الطفل .

سألته بيتا وهى لا تصدق :

– كيف يحدث هذا بين يوم وليلة ؟!

رجع الطبيب إلى الخلف وقال وهو يحترق من أجلها :

– لا ، ليس الأمر هكذا ، لا يمكن أن يحدث هذا بين يوم وليلة ، لقد حدث منذ فترة لكنك لم تلاحظى حتى اليوم نظراً لعدم ظهور أية أعراض !

قالت بيتا فى أمل وبراءة :

– ممكن يكونوا أخطئوا فى الأشعة ؟ ممكن ؟!

خلع الطبيب النظارة من عينيه وقال :

– لو تحبى أكتب لكِ ثانية لعمل أشعة أخرى ، لكن للأسف يجب أن أصرح لكِ أن ثمة أعراضاً أخرى توضح ذلك !

انهارت بيتا وسقطت على المقعد المجاور لها فقال الطبيب :

– صدقينى ، إن هذه اللحظات تكون دوماً من أشد اللحظات التى أمر بها فى حياتى قسوة !

سألته وهى تبكى :

– كم تبلغ تكاليف العملية ؟

رد الطبيب :

- لا يمكن تحديدها على وجه الدقة ...

قالت :

- بالتأكيد إن تكاليف مثل هذه العملية لا يمكن أن تكون بسيطة !

صمت الطبيب ، فقالت فى هدوء :

- أرجوك ، يجب أن أعلم .

صمت الطبيب لحظة ، ثم قال :

- نعم ، إنها كذلك ، لكن لو لديكِ تأمين صحى ...

ردت على الفور :

- للأسف لا .

قال الطبيب بأسف ظاهر :

- إنه لأمر سيئ للغاية ! إنكِ تحتاجينه لأن هذا المرض يستلزم فترة طويلة حتى يتم الشفاء منه ، وبالتأكيد ليس أى تأمين !

- ماذا تقصد من فترة طويلة ؟

- انظرى ، لو تريدين أن تعلمى الحقيقة فيجب أن تفهمينها كاملة ! الواقع أننا لا نعلم حتى الآن إن كان هذا الورم حميدًا أم خبيثًا؟!

سألته بيتا فى هلع :

- يُعنى هذا أن ابنى قد لا يُشفى بالعملية ؟!

- أتمنى ألا يكون الأمر هكذا ، فطالما لم نحلل الورم لا نستطيع أن نقول بشكل حاسم من أى نوع يكون !

غطت بيتا وجهها بيديها وحاولت أن تبعد هذا الكابوس المزعج عن بالها، فقال الطبيب :

- يجب أن تتعجلى فقط ، فمن الممكن أن تتدهور الحالة فى الغد !

سألته نسرين التى كانت تبكى فى صمت :

- لا يوجد حل آخر يتم من خلاله إجراء العملية بتكلفة أقل ؟

رد الطبيب :

- ليته كان ممكنًا، لكن فى الحقيقة أننى حتى لو تنازلت عن أجرى فلابد أن تسددى قيمة حجز غرفة العمليات والمستشفى ، وهى باهظة !

سألته نسرين :

- ألا توجد مستشفى كى ....

قال الطبيب بابتسامة دافئة :

- لا تيأسا وتوكلا على الله .

(٣٧)

استندت بيتا على وسادة ابنها وجعلت تداعب شعره الناعم والدمع ينهمر من عينيها ! كأن العالم قد بلغ منتهاه ورأت نفسها تكاد تقترب من نهاية الطريق . نظرت إلى أمها وهى تجلس فوق سجادة الصلاة فى الظلام ترفع رأسها إلى السماء فى تضرع والتماس ! لم تمنعها ثانية حينما كسر أنين بكائها صمت المكان ! قالت فى هدوء وسط الظلام وهى تبكى :

– لا فائدة من ذلك يا أمى ، لن يبلغ صوتك السماء ! لن يهب شخص لنجدتنا !

جلست الأم على الأرض وقالت :

– لمَ ؟ إنه يرد علىّ ! إننى أرجو ابنى منه ! إنه يُصغى لنداء أم متألمة !

سألتها بيتا :

– ما ذنب ذلك الطفل ؟

التفتت نسرين تجاهها وكانت عيناها تتلألأ فى الظلام من لمعة الدمع وقالت :

– نحن ندفع قصاص كسر قلب شاب برئ وإلا لما وجب أن يحل علينا يوم نعجز فيه عن علاج هذا الطفل !

نفذت طاقة بيتا وصاحت وهى تبكى :

– اتفو على هذه الحياة ! هل كان قليلاً علينا أن ينكسر قلبنا ؟ هل كان قليلاً علينا ما سمعناه خلال هذه المدة من إهانات ؟ هل كان قليلاً علينا ما ارتكبوه فى حقنا ؟ هل كان قليلاً علينا امتهانهم لنا ؟ قسماً بالله يا أمى إن قلبى ليحترق !

جذبت نسرين رأسها بين أحضانها وبكت من شدة ألمها وهى تواسيها ، فقالت بيتا :

- إننى أصبت بلعنة ، فأنا أم ، كيف أجلس وأشاهد موت فلذة كبدى ؟! ليتنى مت بدلاً من كامران ولم أر هذه الأيام ، ليتنى أصلاً لم أولد !

أمسكت نسرين وجهها بين يديها وقالت وهى تنظر إلى عينيها :

- إرجعى إلى الله ، أنتِ أم منكسرة القلب ، عودى إليه ولا تيأسى من رحمته ، إنه يختبرك .

وضعت بيتا رأسها على كتف أمها فى عجز وقالت :

- لا طاقة لى يا أمى ، لا أستطيع ، هل تفهمين ماذا أقول ؟!

مسحت نسرين على كتفيها وقالت :

-أتفهمين أنتِ ماذا تقولين ؟

قالت بيتا فى براءة كالأطفال وكأنها تتذرع بالحجج :

- لا ، لا أفهم شيئًا قط يا أمى ، لا أفهم شيئًا قط سوى أننى سأفقد كيان ابنى .

قالت نسرين بهمسها الدافئ :

- حبيبة أمك ، سيتغير كل شىء ، اصبرى .

- لا يا أمى ، لن يتغير شىء ، لن يتغير شىء قط ، لقد أفسدت كل شىء ، وأعتقد أنه يجب علىّ أن أدفع ثمن ذلك حتى آخر لحظة فى عمرى !

- لا تضايقى نفسك بذلك القدر يا حبيبتى ، لقد حاولتى ، هل تظنين أننى لا أعلم كم هو صعب عليكِ تحمل مسئوليتى أنا وكيان ؟ إننى أرى كل شىء !

- قولى لى ماذا أفعل يا أمى ؟

- تحملى وادع الله ، هل تظنين أن ثمة عمل آخر نقوم به ؟

* * *

كانت بيتا ونسرين تشعران بالضيق طوال حديث السيدة كبرى جارتهم العجوز لا شك أن بيتا كانت لا تزال فى ضيق منها منذ حديثها معها عن ذلك الأرمل الذى يكبرها فى السن ، لكن الوضع يختلف الآن بسبب كيان ! إنها كانت تفكر فى أن تعرضه على أحد أقاربها المتخصصين فى جراحة المخ والأعصاب ، وكانت بيتا تُقَبِّل يد كل شخص يستطيع تقديم العون لابنها .

سألت نسرين السيدة كبرى :

- هل تحدثتى مع الطبيب عن ظروفنا ؟ ... إن مشكلتنا هى ... ماذا أقول ؟ لقد عجزنا عن كل شىء !

قالت السيدة كبرى التى كانت تتسم بالسمنة وحلاوة الحديث :

- نعم يا حبيبتى ، لقد قلت له كل شىء وقال إنه لا يستطيع أن يعد بشىء طالما لم ير الأشعة ونتيجة الفحوصات !

قالت نسرين بنظرة امتنان :

- أطال الله عمرك ولا قلل من عظمتك ! نردهالك إن شاء الله فى الأفراح .

وضعت السيدة كبرى كارت الطبيب أمام بيتا وقالت :

- هذا عنوان عيادته ، اريحى بالك ، سيكون الشفاء على يديه ، قولى له إنكِ من طرف كبرى جارتك وهو سيفهم ، إن شاء الله يكون العلاج فى إيده !

قالت نسرين :

- دون تطفل يا كبرى ، ما صلته بكِ ؟

وضعت السيدة كبرى يدها على ذقنها وقالت :

- الدكتور اعتضاد هو حفيد عم المرحوم زوجى !

قالت نسرين :

- أمل ألا نكون سبباً فى استيائه !

وجهت السيدة كبرى حديثها إلى بيتا :

- اجعلى أملك على الله يا ابنتى الحبيبة ، إن شاء الله خير .

قالت بيتا - التى أدمعت مع ذكر لفظ الجلالة - بصوت يرتجف :

- أشكرك ، سنذهب إليه غداً.

* * *

ومرة أخرى يحدو بيتا الأمل من جديد وهى تنظر على يافطة الدكتور اعتضاد أمام مبنى الأطباء ، كانت تنقل كيان بين أحضانها ، ربما كان مفتاح شفائه فى يديه !

وبهذا التفكير دخلت عيادة الطبيب وقدماها ترتجفان ويحدوها الأمل ، ولما كانت العيادة فى تلك الساعة - من حسن الحظ - غير مزدحمة ، دخلت إلى الطبيب بسرعة لم تتوقعها . كان الدكتور اعتضاد يبلغ من العمر ستة وخمسين عاماً إلا أنه يبدو أقل من سنه ، كان قليل الكلام قليل التحمل ، ينظر إلى مخاطبه بدقة وهو يتحدث وكأنه أمام عملية جراحية حساسة ! كانت عيناه واسعة وأنفه مسحوب وبدنه سمين قصير القامة ، يسترخى فوق المقعد خلف مكتبه لدرجة جعلت صوت المقعد يصل إلى المسامع تماماً. ألقى نظرة فى صمت على صورة الأشعة الخاصة بكيان ثم انهمك فى كتابة أشعة أخرى دون أن يتفوه بكلمة ، فسألته بيتا :

- ما رأيك يا دكتور ؟

نظر إليها بطرف عينيه وقال :

- طبقًا لهذه الأشعة فالتشخيص سليم ! لكننى أوصى بعمل أشعة أخرى وبعدها عودى إلىّ بالنتيجة .

سألته :

- وماذا عنه ؟ هل أحضره معى ثانية ؟

رد الطبيب دون مبالاة :

- كما تريدين ، لكن لا أرى داعيًا لذلك .

تجرأت بيتا وسألته :

- هل هناك أمل ؟

رد الطبيب بابتسامة خفيفة :

- الأمل موجود دومًا، نحن نعيش به .

أخذت بيتا الروشتة ، وقالت بصعوبة :

- فقط ... أريد فقط أن تخبرنى بالنفقات .

نظر الطبيب إليها وهو يتفقدها من الرأس إلى القدم ثم قال :

- سنتحدث فى ذلك فيما بعد لأننى لا أستطيع أن أقول شيئًا طالما لم أر الأشعة!

* * *

وفى الأسبوع التالى توجهت بيتا بمفردها وهى فى شدة الاضطراب إلى عيادة الطبيب لتعرض عليه نتيجة الأشعة ، وبعد انتظار طويل دخلت غرفة الكشف ، فقال لها بعد رؤية الأشعة والفحوصات بينما كانت تقف تنظر إلى فمه :

- لمَ لا تجلسين ؟

جلست بيتا فوق أحد المقاعد المقابلة له وسألته دون صبر :

- ما رأيك ؟

رجع الطبيب إلى الوراء ، وقال :

- إنه يتفق وتشخيصى ، يجب أن يخرج هذا الورم الخطير من رأسه فى أسرع وقت ! تأكدى لو أن عشرة متخصصين قد رأوا هذه الفحوصات سيقولون نفس الكلام .

قالت بيتا التى كانت يائسة تمامًا:

- كم كان أملاً واهيًا أننى فكرت أن يكون رأيك مخالفًا للباقين !

قال الطبيب فى صراحة :

- على أية حال لم يكن مقررًا أن أقوم بمعجزة !

طأطأت بيتا برأسها وقالت :

- أعلم ، وأشكرك على كل هذا .

سألها الطبيب :

- والآن ماذا تفعلين ؟ إننى أتحدث عن تكاليف العملية .

سألته :

- هل هى باهظة ؟

رد بابتسامة ذات مغزى :

- الأمر متعلق بكِ ، كيف يقولون إنها باهظة ؟!

قالت بيتا فى تماسك :

- بالتأكيد إن السيدة كبرى قد تحدثت معك عن ظروفنا !

سألها :

- متى توفى والد هذا الطفل ؟

قالت وهى تتعجب من سؤاله :

- منذ عامين !

سألها الطبيب بنظرة جريئة :

- وكم يبلغ عمرك ؟

طأطأت بيتا - التى كانت تتألم من نظراته - برأسها وقالت :

- أبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا!

- إنك صغيرة على تحمل هذه المصائب !

- للأسف ، هذا ما حدث !

- والوحدة شىء صعب ، إننى أعيش فيها منذ أعوام ، فقد رحلت زوجتى عند بناتى فى أمريكا .

قالت بيتا فى أدب دون أن تعي مقصده :

- أنا آسفة جداً.

قال الطبيب بابتسامة حارة :

- هل تعلمين ؟ لو تريدين أستطيع أن أساعدك .....

واستشعر قلب بيتا شيئًا سيئًا فسألته بصوت واهن :

- لا أفهم مقصدك !

قال الطبيب على الفور وهو يكتب شيئًا خلف مظروف الأشعة :

– إننى أستطيع أن أنقذ ابنك وأنقذك أنتِ أيضًا من الوحدة .

التقطت بيتا أنفاسها وانعقد لسانها ، هل وصلت امرأة شابة مثلها إلى طريق مسدود بحيث لم تجد طريقًا تطرقه سوى هذا ؟ نظرت بيتا – التى كانت فى غاية الدهشة بسبب صراحته ووقاحته – إليه وهو يكتب فى هدوء دون أن تتحرك . كان الصمت بينهما قويًا لدرجة تمكنها من سماع صوت عقارب ساعتها ، وضع الطبيب المظروف أمامها وقال :

– هذا عنوانى ورقم تليفونى ، اتصلى إذا ما قبلت وسيأتيكِ سائقى لتدفعى قسط العملية الأول ! ماذا بكِ ؟ لمَ تنظرين إلىّ هكذا ؟ هل تظنين أننى مسئول عن أعمال خيرية ؟ على أية حال يجب علىّ أن أرد عليكِ داخل حجرة العمليات .

ثم تقدم منها وقال بشكل أكثر هدوءًا:

– عزيزتى ، لا ترهقى نفسك ، ما من شخص فى هذا الزمان وذلك المكان يُسلم على آخر بالمجان ، فليسلم كل منا للآخر ، وما من عمل آخر لديك تستطيعين القيام به

كم كان هذا الكلام واضحًا! قالت بيتا بصوت ضعيف :

– لكننى لست تلك المرأة التى تفكر فيها .

استند الطبيب إلى الوراء وقال :

– هذا شعارهن جميعًا، ابنتى ، إن أولئك اللائى لا يقمن بذلك العمل لسن فى مثل ظروفك ! فلتقولى أنتِ ما الذى تفعلينه من أجل ذلك الطفل ؟ فى الواقع إن أى أم مضحية تكون على استعداد للتنازل عن أى شىء مقابل إنقاذ طفلها ! والآن تعتقدين ما الذى يحدث وأنت قديسة بريئة ؟ سينتهى العالم ؟ فكرى من الذى سيقع عليه الضرر ؟ ولتقولى بصراحة مَنْ مد يديه إليكِ خلال هذه المدة ؟ الكل يفكر فى نفسه !

صاحب البيت يريد الإيجار ، والبقال وبائع الأحذية والخباز يريدون المال ، وأنتِ تريدين فقط سقفًا فوق رأسك وسعادة ابنك! هل هذا كثير من وجهة نظرك ؟

انهمر الدمع من عيني بيتا وانكسر شيء ما بداخلها ، كيف يفكر الجميع في استغلال الآخرين تحقيقًا لمصالحهم ؟ نهضت من مكانها وهي في حالة من الضيق البين وتوجهت ناحية الباب ، وضع الطبيب مظروف الأشعة في يدها وقال بشكل عاديّ تمامًا:

- سأقوم على الفور بإجراء العملية لابنك وقتما توافقين ، وأعدك أن يقف أمامك كالسابق في كامل صحته ، لا تشكي في هذا!

حينما خرجت بيتا من غرفة الكشف جعلت تنظر إلى المرضى المنتظرين في دهشة وكأنها جاءت من كوكب آخر ، ثم خرجت من العيادة بقدمين واهنتين. إنها لم تبال حتى بمن ينظرون إليها في دهشة ، خرجت من المبنى وقدماها ترتجفان وكأنها تسحَبهما عنوة ، كانت رياح الغروب الرقيقة تجفف عرقها ، وفجأة تملكها الاضطراب، مالت بجوار جردل ماء وتقيأت ، وقفت امرأة شابة ترتدي العباءة وسألتها في قلق :

- إنتِ كويسة ؟

لم تنطق بيتا بكلمة فقالت امرأة أخرى كانت تقف خلفها :

- إنتِ حامل ؟ مش عايزة حاجة ؟

ردت بيتا بإشارة من يدها تفيد بالنفي ، حاولت أن تقف على قدميها ، كانت تسير وحيدة ، تنظر في حسرة من وراء أمواج دموعها على من يطوون الطريق في عجلة ، جسدها يرتجف من الحزن والأسى ، سلكت طريقها بلا هدف، كانت تتخبط فيمن حولها وهي تسير ، كانت تشبه تمامًا من يسبح فوق أمواج غامضة ، مضت فترة حتى أفاقت لنفسها ، لم تكن تعلم أين تكون ؟! قال أحد المارين بجوارها شيئًا لم تفهمه وكأن ما من شيء مهم بالنسبة لها . حينما وصلت إلى المنزل كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً ، كانت أمها تنتظرها في قلق ، لقد عدمت الطاقة أساسًا للرد على أسئلتها ، لذا كانت تجيب بإيجاز شديد على استفسارات أمها ثم توجهت ناحية كيان ،

تألم قلبها ثانية لرؤيته ، لقد انطفأ لونه وارتسم السواد تحت عينيه من كثرة القيء ، قبّلت يديه النحيفتين وعادت إلى أمها ، كانت تبكي هي الأخرى فقالت في مشقة :

- أمي ، خلي بالك منه كويس ، سأتأخر الليلة عند عودتي إلى المنزل .

سألتا نسرين :

- إلى أين ؟

صمتت بيتا قليلاً ثم قالت :

- لدي عمل إضافي ويجب أن أبقى في المصنع ، تعلمين أن موعد تسديد الإيجار قد اقترب !

سألتها نسرين :

- وأين تذهبين الآن ؟

قالت بيتا وهي ترتدي حذاءها :

- يجب أن اتصل بالتليفون ، إنه أمر مهم !

قالت نسرين :

- العشاء جاهز !

قالت بيتا :

- إلى أن تعديه أكون قد أتيت يا أمي .

وقفت نسرين أمام الباب ونظرت إليها في حزن ، كانت نظراتها إلى بيتا كالإبر الحادة تضاعف من عذاب ضميرها . التفتت بيتا إليها ثانية وسط الفناء القديم، كم كان وجودها داخل عباءة الصلاة البيضاء تلك سبباً في تهدئتها ! قالت برفق :

- ادع لي يا أمي .

قالت نسرين :

- دوماً أدعو لكِ بين الصلاتين حبيبة أمك .

أخذت بيتا بأصابعها الواهية رقم تليفون الطبيب فى منزله وحينما سمعت صوته قالت دون مقدمات بنبرة ترتجف وكأنها كانت تشك فى أنها نبرتها هى :

- أنا سپهرى ، أردت فقط أن أقول ... أن أقول إننى موافقة .

رد الطبيب بفتور قائلاً:

- سينتظرك شاب الساعة الحادية عشرة على أول الشارع بسيارة كاديلاك بيضاء اللون ، تعال معه ، إنه سائقي وسيحضرك إلى هنا .

* * *

حينما عادت بيتا إلى المنزل تملكتها حالة غريبة ، اتجهت بهدوء ناحية حجرة كيان ، ومع رؤيتها له تجمع الدمع فى عينيها . لقد كان عزيزاً عليها لدرجة أنها ضحت بأغلى شىء لديها ثمنًا لحياته .

نظرت إلى أمها وتساقط عرق الخجل من جسدها ، خرجت بهدوء من المنزل واتجهت إلى الحمام ووقفت كما هى بزيها تحت دوش الماء البارد ، كأنها كانت تريد بذلك أن تنظف نفسها من دنس هذا الذنب !

تذكرت حديث الطبيب وارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة ساخرة ، هل حقًا ما قامت به يمكن أن يسمى صفقة عادلة ؟! اشمئزت من نفسها ! ملأ أوقات فراغ رجل هرم مقابل إنقاذ حياة ابنها ! لا ، إنه بلا شك ظلم فادح . لكن ما أهمية ذلك لأى شخص ؟ لقد طوت حياتها بشكل عادٍ ولم يتغير شىء . وفجأة تكورت فى نفسها ووضعت رأسها بين ركبتها ، لم تكن متأكدة من أنها تستطيع أن تنسى هذه اللحظات المنفرة ، وربما تبقى حرمة ذلك الذنب فى قلبها إلى الأبد ! فى الواقع كان الشىء الوحيد الذى يهدئها قليلاً فى تلك الليلة هو إنقاذ روح ابنها !

(٣٨)

دنست بيتا نفسها بأسرع مما كانت تتخيل ، وعلى الرغم من أن الأمر كان صعبًا عليها فى البداية إلا أنها سلكته بسهولة بمرور الوقت . وأجرى الدكتور اعتضاد - وفقًا لاتفاقهما - العملية الجراحية لابنها فى أول فرصة بعد أن سلمت بيتا نفسها - رغما عنها - إليه كما وعدته . وأصبحت تشارك فى الحفلات التى كانت تقام فى منزله أو فى فيلته الخاصة ، وتدريجيًا تعرفت على أشخاص جدد . لم تكن على استعداد فى البداية لأن تسلم نفسها لأى شخص آخر ، لكنها حينما تدنست بذلك العمل أصبح من السهل عليها القيام بذلك ، كأنها كانت تفقد قلبها ومشاعرها فى تلك الدوامة رويداً رويداً ، وتبدلت إلى كائن يرى نفسه أداة للحصول على مال أكثر !

فى هذه الحفلات تعرفت بيتا على امرأة جميلة نسبيًا تدعى ژاله كانت عضواً ثابتًا فى تلك المجالس الليلية ، ولما كانت ترى أن ثمة تشابه بينهما فقد عرضت عليها الصداقة وسرعان ما تعرفت عن طريقها على أشخاص آخرين . لم تنس بيتا قط أول ليلة تعرفت فيها على ژاله ، ففى ذلك الوقت لم تكن قد أقدمت على هذا العمل بتلك الصورة ، وكانت تشعر بعذاب الضمير بشكل شديد . فى تلك الليلة كانت بيتا تنزوى فى أحد الأركان أثناء الحفلة ولم تتحرك من مكانها ، وتقدمت ژاله - التى كانت تراقبها - وقالت لها وهى تقدم إليها السيجارة :

- لمَ تنزوين هكذا ؟ هل أنتِ غريبة ؟

دفعت بيتا يدها وقالت :

- شكرًا، أنا لا أدخن .

أشعلت ژالة السيجارة وقالت :

- ستعتادين عليها تدريجيًا!

نظرت بيتا إلى وجهها فى دهشة وتحيرت من هدوئها ، فقالت ژاله بابتسامة هادئة :

- اسمى ژاله ، إننى أراقبك منذ ساعة ، لقد سلبتنى الراحة !

سألتها بيتا :

- لمَ ؟

استدارت ژالة ناحيتها ، وقالت :

- بسبب البراءة وبريق الدمع اللذين فى عينيك ! لقد ذكرتنى بنفسى .

شعرت بيتا بحزن لم يتركها للحظة فى تلك الأيام ، ونظرت ژاله إلى كتفها المرتجف وقالت فى حب :

- هل تعلمين أنكِ وردة وسط أرض بور ؟

وتدحرجت قطرات الدمع من عينى بيتا فوق وجنتيها ، فقالت ژاله بهدوء :

- انهضى لنذهب إلى الفناء ، سينادى هؤلاء القرود علينا الآن ، ألا تعلمى أنهم حينما يريدون سحق شيئًا تكون أعينهم علينا ويستاءون إذا ما اعترضنا ؟

أخذت ژالة منديلاً ناحيتها حينما كانتا تجلسان جنبًا إلى جنب فى جو الفناء الخافت وقالت:

- هل تظنين أن النساء أمثالى تحبذن أن تكن كل يوم تحت قبضة واحد من هؤلاء مثل منزر الحمام ؟ لا والله ! إن غالبيتنا قد سلكن هذا الطريق مضطرات ، فإحداهن زوجها مدمن وينفق راتبه فى هذا الطريق ، والأخرى مدانة بإيجار المنزل وزوجها عاطل ، وثالثة لا تملك حتى رغيف العيش كى تقدمه لأطفالها ، ورابعة مثلك مات

عنها زوجها وطفلها مريض !

نظرت بيتا إليها فى دهشة ، فقالت ژاله بابتسامة مريرة :

- سمعت عن الدكتور اعتضاد ، من وجهة نظرى إنها صفقة رابحة لأن هذا الخسيس لا يمنح أحداً قدر أنملة ، لكن يبدو أنه حسبها جيداً هذه المرة ، لمَ لا تضحكى عليه قدر استطاعتك ؟

ردت بيتا فى غضب :

- ليس لى تجارب فى هذا الأمر.

ردت ژاله بصراحة :

- إنك تخطئين ! ستفهمين ما أقوله بعد أعوام . فضلاً عن ذلك ، يجب أن تحصلى على المال الوفير طالما أنكِ شابة ، فلا أحد يجبر آكلى الجيفة هؤلاء على القيام بهذا العمل . والنتيجة أنه لا ينبغى علىّ أنا وأنت أن نشعر بالخجل ، لأننا إذا كنا قد سلكنا هذا الطريق فمن منطلق الحاجة ، إلا أنهم يترددون على هذه الحفلات من منطلق إشباع شهواتهم ! انظرى إليهم واحداً واحداً! معظمهم رجال مشهورون لا يعرفون سواى أنا وأنتِ فى هذا المكان ، يخشون على اسمهم وسمعتهم ، ألا تفهمى ؟! انظرى إلى الدكتور اعتضاد ! من لا يعرفه يقول إنه زوج وأب مثالى يضحى بروحه من الصباح حتى المساء من أجل أسرته ، لكنه قام بما قام به ليس من أجلك دون مقابل ! إنه نحى الوفاء والشرف هنا وغطى صدره ووجهه بالمجون والدناءة .

صدقينى إنهم يحلفون بزوجته ، وقد رأيتها أنا نفسى عن قرب ، ولو لم أرها لاعتقدت أنه انخرط فى هذا الطريق من كثرة ما بها من عيوب ! لكن لتذهبى ولترِ أية إمرأة جميلة هى ! إمرأة يتمنى كل رجل نو مكانة زواجه منها ، وها هى تصبح من نصيب هذا الثعلب الوقح الذى لا يهتم بشئ إلا بأهوائه الخاصة ! وما حجته فى ذلك ؟ إنه يقول إننى لست سعيداً معها!!

سألتها بيتا :

– وماذا عن زوجته ؟ هل تعلم شيئًا؟

رفعت ژالة كتفها وقالت :

– لا أعرف على وجه الدقة ، فإما أنها تعلم وتتصرف بحكمة وإما أنها لا تعلم ، مع أن ما من امرأة محترمة تكون على استعداد حينما تعلم ذلك أن تعيش لحظة واحدة مع مثل هذا الرجل تحت سقف واحد !

ورغمًا عنها تذكرت بيتا كامران ودناءة تصرفاته الأخيرة ، ورأت أن حديث ژالة صحيح تمامًا ، فقد رفضت بعد تلك الليلة أن تعيش معه ولو لثانية واحدة تحت سقف واحد ، لكن في ذلك الوقت لم يدر بخلدها أنها ستقع في مثل هذا المصير ذات يوم بسبب الفاقة والحاجة . نهضت ژالة من مكانها وقالت لها :

– انهضي لندخل ، إنهم يفكرون الآن فيما حدث لنا .

مسكت بيتا يدها وقالت :

– صدقيني ، إنني لست من أهل ذلك العمل .

رفعت ژالة كتفها تحت ضوء القمر وقالت :

– لقد رأيت إناسًا بذلك القدر الذي يجعلني أعلم أنكِ صادقة يا بيتا ! لقد قلت الصدق!

أيدتها بيتا فقالت ژاله :

– من الأفضل أن يكون لكِ اسم مستعار ، تريدين أن تعملي معي ؟

اضطرب قلب بيتا ونظرت إليها في دهشة ، أطفأت ژاله سيجارتها تحت قدمها وقالت :

– من الظلم أن تسلمي نفسك لآكلي الجيفة هؤلاء بالمجان ! أستطيع أن أقوم بشيء يجعلك تقابلين على الأقل أناسًا أكثر احترامًا .

ردت بيتا فى غضب :

- هل يوجد بين من يفعلون ذلك إناس محترمون ؟

ضحكت ژاله وقالت :

- المحترمون ليسوا بالمعنى الذى تفكرين فيه ، إنهم من يقومون بأعمالهم الدنيئة تلك لكنهم ينفقون ببذخ ، أنتِ شابة صغيرة والأهم من ذلك جميلة..

تصاعدت آهة من بيتا وقالت :

- وأية فائدة من ذلك ، فرغم ما تقولينه يجب أن أسلم نفسى لهؤلاء ممن يعدمون الأصل والنسب ، ولا أعلم أية نظرة ينظرون إلىّ بها ؟

قالت ژاله :

- ليس مهمًا من هم ، المهم ألا تقصرى أمام ما تملكينه فى حياتك بذلك القدر ! ربما لا تصدقين، لكن كثيراً منهم على استعداد لأن ينفقوا الأموال إرضاءً لشهواتهم ، رغم أنهم فى حياتهم العادية لا ينفقون حتى على أسرهم . أعرف رجلاً كان يعمل مديراً لوقت طويل ظل ينفق أمواله بلا قيد دون أن يؤمن بالإنفاق على زوجته؟

- شىء مؤلم !

- مؤلم وحقيقى ! ومع هذا أليس لدينا الحق فى سلخ جلد هؤلاء ؟ هل يجب علينا أن نرحم رجلاً لم يرحم أسرته ؟ ما هذا ؟ من وجهة نظرى أن الرجل حينما ينفق أمواله على نفسه ونزواته بدلاً من الإنفاق على أسرته ورعايتها فهو يستحق أن نطلع روحه ! لا تنظرى إلىّ بهذه البراءة يا حبيبتى ، ربما تفهمين كلامى فيما بعد!

ونادى رجل من الشرفة :

— ژاله ! ژاله ! أين أنتِ ؟ هيا لتمنحى مجلسنا الدفء .

ردت ژاله:

- أنا جايه ، لقد ذهبت لأدخن سيجارة فى الهواء الطلق .

ثم قالت لبيتا بصوت أكثر هدوءًا:

- لا تتخذى لنفسك ذلك الوجه الحزين ، ألا تعلمى أن هؤلاء الأراذل يأتون إلينا لينسون همومهم ؟

همست بيتا :

- إننى أستاء من كونى كالدمية المتحركة !

ساعدتها ژاله فى النهوض وقالت :

- لكن يجب أن نكون هكذا ، فهذه هى حياتنا ، يجب أن نبتسم حتى فى أسوأ اللحظات وننسى أساسًا أننا بشر ونهتم بأنفسنا قبل أى شىء آخر ، أنتِ من أجل طفلك وأنا من أجل أمى العجوز العليلة ، ومن أجل صاحب المنزل الذى لا يعرف شيئًا سوى النقود !

* * *

منذ ذلك الحين كانت بيتا تنظر إلى نساء الشوارع نظرة أخرى ، لم تعدهن كالسابق مذنبات بشكل قاطع ، فمعظمهن قد اتجهن إلى هذا الطريق من منطلق حياتهن التعسة باستثناء عدد قليل منهن . كما أن ثمة رجال سلكوا أيضًا هذا الطريق بسبب إهمال زوجاتهم لهم وليس من قبيل إشباع شهواتهم فحسب . رجال كانوا لا يحظون بالأهمية لدى زوجاتهم رغم مكانتهم الاجتماعية الرفيعة . رجال كانت زوجاتهم مشغولات أكثر بأعمالهن . رجال كانوا مضطرين طوال الوقت للتضحية بأرواحهم لتلبية رغبات الأسرة الضرورية وغير الضرورية . رجال كانوا مطرودين بسبب دخولهم البسيطة . شباب متعلم غضوا الطرف عن الزواج تلبية لرغبة إمهاتهم فى انتظار زواج أختهم الكبرى أو الأخ الأكبر لهم .

في الحقيقة كانت بيتا كالصندوق السرى ، كان صدرها كاتم أسرار رجال كثيرين كل منهم يبحث في أحضانها عن نفسه لأسباب مجهولة ! كم كانت تتحسر على نفسها مع رؤيتها لأولئك اللاتى سلكن هذا الطريق فقط بسبب الفاقة . وبمقتضى عملها كانت تردد على منازل مختلفة ، ومع رؤيتها لتلك الأنماط الحياتية لم تكن تستطيع أن تغلق عينيها أمام نقد أولئك النساء ، وأحيانًا كانت ترى أن ذنبهن أكبر بكثير من ذنب أزواجهن .

من وجهة نظرها كان ذنب المرأة التى تغضب من زوجها لمدة شهرين لسبب غير منطقي وتغادر بيتها وتذهب إلى بيت أبيها لهو أسوأ بمراتب من ذنب زوجها الذى يلجأ إلى حضنها فى غياب زوجته . إنها كانت تعطى الحق فى الخيانة إلى الرجل الذى تقضى زوجته كل وقتها فى مراكز التجميل والحفلات ولم تر عقابًا مناسبًا لها أكثر من أن تتفاجئ بزوجها وهو فى أحضان امرأة أجنبية ! فى الواقع كان عدد المرات التى شاهدت فيها بيتا كذب الرجال على زوجاتهم كثيرًا بذلك القدر الذى جعلها لا تعلمه على وجه الدقة .

مسكينة تلك المرأة الساذجة التى سافرت مع أختها للسياحة فى أوروبا ، واتصلت من هناك وتسمع نجواه كذبًا فى وصف استيائه من بعادها فى حين أنه ينام بجوار امرأة أخرى ! فى الحقيقة إنها لم تكن ترغب فى إفساد حياة الآخرين رغم أنها كانت المتهم الأول من وجهة نظر الآخرين ! كانت تعرف نساء كثيرات لم تكن لديهن رؤيتها تلك ويتخذن أمامها وجوه القديسات مما يثير غضبها ، كن يعبرن بحيطة بجوارها وكأنهن تخشين ملامستها لملابسهن ! غافلات عن أنهن قد عملن على رواج سوقها وازدهاره بعدم وعى ! كانت بيتا تضحك عليهن من داخلها لأنهن لم تتعلمن حتى الآن مبادئ الحياة وتسعين لإلقاء ذنوبهن على عاتق الآخرين.

وتم القبض على بيتا فى آخر حفل ليلى ، واتجهت إلى مقر التحفظ على نساء الشوارع ، إن تلك الليلة محفوظة فى ذهنها إلى الأبد ، حيث اطلعت نسرين على أسرارها وقامت بطردها . كم كان مؤلمًا لها رؤية وجه نسرين الغاضب ! إنها لم تسمح

لها بتقبيل يديها بل وبصقت على وجهها أمام عشرات العيون وقالت إنها حزينة حقًا لكونها ابنتها ! وكأن ضمير بيتا الغافل قد استيقظ ثانية بعد فترة فتدفق الدمع من عينيها .

* * *

كانت بيتا تجلس بجوار الشرفة المطلة على الفناء تنظر إلى الأسوار العالية وانتبهت على صوت إحدى المعاونات وهى تقول :

- عندك زيارة ، انزلى .

ومضت بدون أن تنطق بكلمة مع المعاونة لتقابل شخصًا لم تكن تعلم من هو ! كانت تتمنى فى يأس وهى تهبط درجات السلم أن تكون أمها قد صفحت عنها وقدمت لزيارتها ! لقد اشتاق قلبها لرؤية ابنها ، كانت تتوق بشدة لاحتضانه ! كانت ترى أن منعهم لها عن رؤيته بعد كل هذه المصائب التى حلت بها لهو ظلم فادح.

فتحت المعاونة باب حجرة الزيارة ، واندهشت بيتا مع رؤيتها لبابك حتى أنها تسمرت فى مكانها من فرط دهشتها لعدة دقائق ، قال بابك بعد انصراف المعاونة وهو يشير إلى أحد المقاعد :

- ألا تجلسى ؟

كان صوته مرتجفًا ثائرًا حذرًا. أما بيتا فكانت كشخص يسير فى نومه ، اتجهت بقدم ترتجف ناحية المقعد المواجه له ، وجلست ، نظرت إليه بدقة ، لقد مر زمن ولم يحدث فى وجهه تغيير كبير ، لا يزال حتى الآن يتمتع بشىء من الجاذبية تجعل أية امرأة تتمناه زوجًا لها . قال بابك فى أسف واضح :

- هذه هى السعادة التى كنتِ تسعين إليها يا بيتا ؟ هذه هى السعادة ؟ هل كنتِ تستحقين ذلك؟

طأطأت بيتا برأسها وقالت :

- كيف عرفت طريقى ؟

- عن طريق عمتى ، بالله عليكِ ماذا فعلتِ بنفسك وبتلك المرأة العجوز ؟

لا أصدق أنكِ هنا !

- هل جئت لتلومنى أم لتسعد نفسك برؤيتك لتعاستى ؟

- أنتِ حمقاء ! كيف أستطيع أن أكون سعيداً وأنتِ فى هذه الظروف ؟ إنكِ لم تتغيرى !

- لقد تغيرت كثيراً ، لقد ماتت بيتا التى كنت تعرفها .

- لا أزال لا أستطيع أن أصدق أنكِ فى هذا المكان !

- ربما لو كنت مكانك لكان لى نفس الإحساس ، لكن الواقع يقول إن ما من شخص محل الآخر!

- كان يجب أن تخبرينى ، ألم نكن أسرة واحدة !

-أعتقد إنه ليس من الضرورى أن أقول لم يكن لى طريق آخر !

- فى الحقيقة إنكِ اخترتى آخر الطرق للحل !

- بل أسوأها ! كيف حال خالى ؟

- كويس ، إنه لا يعلم شيئًا عن هذا الموضوع .

- من الأفضل أن يظل هكذا ، لأنه لو علم لمات كمداً!

- لذلك لم آخذ عمتى عندنا ، انتظرك حتى تخرجى ..

- لا ، لا ! لا تضع اعتباراً لى مطلقًا، لا قدرة لى على مواجهة أمى ، ربما لا تصدق ، لكننى لا أزال حتى الآن فى ضيق من نفسى كلما تذكرت آخر لقاء بيننا .

- إن أكبر الذنوب قابلة لأن تعوض !

- أنت تعلم أن ما من ذنب للمرأة يفوق هذا الذنب ، لكننى عدمت الحيلة !

- لقد رأيت ابنك أيضاً! إنه ... فى الحقيقة ... إنه الآن ابنى بالتبنى !

نظرت بيتا إليه فى حيرة ، وقالت :

- ماذا تقصد ؟ أين هو الآن ؟

رد بابك بابتسامة مريرة :

- لا تقلقى ، إنه عند عمتى لكننى أتولى رعايته لأنهم كانوا يريدون أن يتركوه للحكومة لرعايته بسبب عدم توفر الإمكانات المادية !

قالت بيتا بعين باكية :

- لا أعلم كيف أشكرك ؟!

قال بابك بصدق :

- لا داعى للشكر ، لقد فعلت ما اعتقدت أنه لازماً !

قالت بيتا فى انكسار :

- فى الحقيقة لقد جعلتنى أكثر خجلاً مما سبق بما فعلته معى !

قال بابك بنبرة مفعمة بالحسرة والأسف :

- هذا عجيب جداً، لكننى كنت أشعر دوماً يا بيتا بالمسئولية تجاهك ، ربما كان حبى لكِ ذات يوم لأنكِ كنت المرأة الوحيدة التى حظيت باهتمامى !

صرحت بيتا :

- وفى المقابل ظلمتك كثيراً!

نهض بابك من مكانه وقال فى فتور :

- دعى ذلك فلا نتحدث فيه ، لقد جئت فقط لأقول لكِ اطمئنى على كيان .

والآن تبرق عيناهما من لمعة الدمع ، قال بابك وهو أمام الباب :

- أنا آسف ، ليتنى أستطيع القيام بعمل أكثر من أجلك .

قالت بيتا وسط بكائها :

- مع وضعى غير المعلوم هذا أعهد إليك بأمى وكيان.

خرج بابك دون كلمة وهو فى غاية الحزن واستقرت عينا بيتا الباكية رغمًا عنها على اللافتة التى أمامها :

لوجئت إلى دارى لأجلى

أيهـــا الحبيـــب

فلتحضـر مصباحـاً

وكوة صغيرة كى أنظر

منها على ازدحام حى تعاستى (*)

" النهاية "

(*) هذه الأبيات نقلاً عن فروغ فرخ زاد .

ثانياً

الدراسة

أولا : الحدث

إن القصاص مهما استغرق في الخيال فإنه يحاول أن يخلق عالمًا متخيلاً من خلال العالم الواقعي الذي يعيشه الناس ، وحيث أن العالمين (العالم الأصغر عالم القصة ، والعالم الأكبر عالم الناس الواقعي) ينتميان معًا إلى الواقع الإنساني فإن عالم القصة لابد أن يتحكم فيه المنطق كما هو الحال في عالمنا ولابد أن يحكمه التماسك والنظام الذي يردنا إلى عالم الواقع . وفي كلا العالمين تثار مجموعة من التساؤلات ومجموعة متشابهة من العمليات الفكرية ، ولكننا في حين نعجز عن الوصول إلى الإجابة الشافية عن هذه التساؤلات في عالم الواقع فإن عالم القصة يقدم إلينا فرصة أكبر لتوقعات قد نصل من خلالها إلى الإجابة الشافية ، وأن نصل إلى نهايات للبدايات الأولى فيها .[1]

ومن هنا كان من الضروري أن نبحث في العمل القصصي عن سلوك الناس وذلك من خلال دراسة الشخصيات فيها وعلاقة بعضهم ببعض وأن نبحث عن السبب والمسبب وذلك من خلال تطور الأحداث فيها وحبكتها ثم أن نبحث أخيراً في مدى الإتصال أو الإنفصال عن المجتمع الذي نعيشه .

وبناءً على ما سبق ترتكز دراستنا في هذا المقام على عنصرين أساسيين هما :

الحدث والشخصية ، وآثرت أن يكون التحليل وفقًا للمناهج الحديثة على أن أتتبع فيه المنهج البنيوي الذي يعتمد على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناءً متكاملاً بعيداً عن أي عوامل أخرى ، ويعكف أصحابه من خلال اللغة على

(١) نبيلة إبراهيم (دكتور) : نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التى تحرك العمل الأدبى . وربما من أشهر الوحدات التحليلية هى ما توصل إليه العالم البنيوى ليڤى شتراوس ، وهو الذى يقوم على أساس استخلاص الوحدات الثائية من خلال العمل الأدبى كله بصرف النظر عن موقعها من العمل ، ثم البحث عن دلالة هذا التعارض بهدف الوصول إلى العنصر الغالب فيها .[1] وتوالت من بعده جهود العلماء البنيويين فى استخلاص الوحدات التحليلية داخل العمل الأدبى وكان فى مقدمتهم العالم الفرنسى جريماس والذى تقوم الدراسة هنا على أساس نظريته السردية .

أى أننا سنقوم باستخلاص هذه الوحدات وضم المتشابه منها أو الذى يتفق حول دلالة واحدة فى قوائم متراصة جنبًا إلى جنب بحيث يمكن فى النهاية قراءة العمل الأدبى قراءة جديدة ، لا وفقًا لتسلسله الزمنى (أى تسلسله الأفقى) بل وفقًا لترتيب وحداته الدلالية أيًا كان موقعها من العمل . والوحدات الوظيفية التى يستوعبها بالضرورة أى عمل قصصى ، هى :

١- الوحدة الوظيفية الأولى : الخروج

ما من عمل قصصى إلا ويبدأ من نقطة خروج من مرحلة إلى أخرى (من قبل ، ومن بعد) . على أن الخروج قد يكون معنويًا ، بمعنى أن يكون خروجًا من أسر مرحلة ما فكريًا أو سلوكيًا إلى مرحلة أخرى ؛ بهدف حل مشكلات كانت حتى هذه اللحظة راقدة فى انتظار من يوقظها . وقد يكون الخروج حسيًا بأن تحكى القصة عن خروج البطل من بيئة لأخرى . أو قد يتمثل الخروج فى الانطلاق من مرحلة زمنية إلى مرحلة زمنية أخرى . المهم أن القصة لابد أن تبدأ من نقطة انطلاق نسميها خروجًا ، وهى ليست سوى رمز لبدء مرحلة من الصمود والإدراك الجديدين .

(١) انظر : Levi straus : Anthropologie structural, Paris, 1965 .

٢- الوحدة الوظيفية الثانية : العقد

العقد عنصر مهم فى القص أيًا كان نمطه أو شكله . ذلك أن البطل عندما يخرج من مرحلة إلى أخرى فإن هذا يعنى أنه بدأ يفكر على نحو جدى فى موضوع ما . وهذا التفكير يدفعه بالضرورة إلى أن يتخذ موقفًا يلزمه التحرك على نحو معين وهذا ما نعنيه بالعقد ، وهو أن يعقد البطل بينه وبين نفسه أو بينه وبين مجتمعه العزم على ضرورة التغيير مهما تكن المشقة أو النتائج المترتبة على ذلك . وقد تتعمد القصة العمل على إخفاق البطل فى إنجاز العقد ، وذلك بقصد الكشف عن الدوافع الاجتماعية أو السلوكية التى أدت به إلى هذا الإخفاق .

٣- الوحدة الوظيفية الثالثة : الاختبار

فى أثناء محاولة البطل إنجاز العقد لابد أن يمر بمراحل من الاختبار السلوكى على المستوى الفردى أو على المستوى الاجتماعى . وهذه المراحل هى التى تكشف عن مدى تلاؤم البطل فكريًا وسلوكيًا مع نوع الاختبار ، ثم مدى قدرته على المواجهة بقيمه ومبادئه . ويشكل نجاح البطل أو إخفاقه فى اجتيازه لهذه المراحل من الاختبار نمط البطل فى القصة ، بل ويشكل الإطار العام للقصة . فقد يكون البطل إيجابيًا متساميًا ، وقد يكون فاشلاً لإصراره على تحدى معايير النظام ، وقد يكون سلبيًا لا يصل نتيجة تردده إلى هذا أو ذاك . ومهما يكن الأمر فإن السلوك الذى يختاره القصاص لبطله يدخل فى صميم نسيج القصة ومغزاها ودلالتها .

٤- الوحدة الوظيفية الأخيرة : الانفصال عن المجتمع أو الاتصال به

وربما كان هذا العنصر أهم العناصر دلالة فى قصصنا المعاصر ، إذ إنه يكشف عن مشكلة عصرية جوهرية هى إحساس الإنسان بالعزلة على الرغم من

تواجده بين الناس وتعامله معهم ، وقد تتمثل أسباب ذلك فى إحساس الفرد بأنه ليس هناك من يسمعه ، أو من يعى ما يقول أو يحس بما فى نفسه . وعندما يقوم البطل بهذا الدور فإنه يمثل دور المنفصل عن مجتمعه وقد يحاول الاتصال به ، وقد ينجح أو يفشل ، لكن حسبه أنه يبلغ رسالته .[1]

(١) نبيلة إبراهيم : نقد الرواية ، ص ص ٦٠ - ٩٢ .

البنيـات :

(١) الحكاية : بنية الحدث / البنية الكبرى

البنية الكبرى هـى التى يمكن أن تعنى أيضًا وبشكل أقل دقة المعنى الإجمالى أو موضوع النص ، وقد طرح العالم الهولندى فان ديك عدة اقتراحات لتعيين محدداتها وشروطها ، هى :

١ – إنها بنية دلالية تتكون من قضايا (جمل) تعرض الوقائع النصية .

٢ – تلغى البنية الكبرى جميع أنواع التفاصيل ولا يحتفظ منها إلا بالمعلومة الأهم والأوثق صلة بالموضوع .

٣ – يمكن أن تختلف البنى الكبرى جزئيًا من شخص لآخر و غير أن مبادئ تكونها متشابهة .

٤ – هنـاك وسـائل متـعددة للتعبير عن البـنى الكبرى التى تتضمنها النصوص (جمل موضوعاتية تستخرج من النص نفسه ، عناوين ، كلمات رئيسية ...) .

٥ – لأجل فـهم النص من المهم جـدًا أن تكون كمـيـات المعلومـات التى يمكن استخلاصها من النص منظمة ومختصرة .

٦ – ترتبط البنية الكبرى بالقضايا المعبر عنها بجمل النص بواسطة ما يسمى بالقـواعد الكبرى التى تحـدد مـا هـو الأكثـر جـوهـرية فى مـضـمـون النص . هـذه القواعد هى :

(أ) الحذف أو الانتقاء .

(ب) التعميم .

(جـ) التركيب .[1]

على ضوء ما تقدم نستطيع أن نستخلص البنى الكبرى فى رواية " أزهار مسك الليل " فى ثلاثة مستويات تعد مدخلاً للإمساك بباقى خيوط النص ، هى :

(أ) غلاف الرواية (مستوى بصرى) .

(ب) عنوان الرواية (مستوى لفظى) .

(جـ) المعلومة الروائية (مستوى نصى) .

أ) غلاف الرواية :

رغم أن غلاف الرواية ليس من إنتاج المؤلف بل من وضع الناشر (وأحياناً يكون بالاتفاق بينهما) فإننا نعتبره علامة دالة تقدم بعض عناصر التنبؤ ، ونعتبر الصورة بذلك لغة موجهة نحو استكشاف فضاء المعنى .

- وصف الغلاف

خلفية تكتظ بأشجار الصفصاف الفارعة الطول الخاوية الأوراق ، يبدو المنظر وكأن الزمان ليلاً بينما يظهر وجه امرأة جميلة تنظر عبر كوة صغيرة ويستشف من وجهها الهدوء ومن نظرتها الحزن والألم والندم .

(١) سعيد الحنصالى : بداية ونهاية : قراءة وتحليل ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥م، ص ص ١٤-١٥. نقلا عن ، النص : بناؤه ووظائفه لتون فان ديك ، العرب والفكر العالمى ، الطبعة الخامسة :١٩٨٩، ص ٦٥

- تأويل الغلاف

تبدو الصورة محيلة إلى نهاية القصة ، فهي تلخص النهاية المؤسفة التي آلت إليها البطلة حيث تم القبض عليها بعد أن صارت من بائعات الهوى لتلقى في النهاية مصيرها المحتوم داخل أحد السجون الخاصة بالتحفظ على نساء الشوارع . وفي أعلى الغلاف نجد عبارة " كلهاي شب بو " باللون الأحمر- أي أزهار مسك الليل – وهي المستوى الثاني في تحديد النبية الكبرى .

ب) العنوان :

نستدل على أهمية دراسة العنوان باعتباره بنية دلالية كبرى في النص انطلاقًا مما يلي :

نسلم بأن الرواية جسم دينامي ينطلق من حد وينمو ضمن مسار سردي ليقف عند حد آخر ، لا يمكن أن يكون حد البداية منفصلاً عن عنوان النص لأن رأسه ، من ثم يرتبط العنوان بباقي النص برباط عضوي فهو الذي يمنحه بذور النمو [1].

وعليه فإن العنوان هو ما يحقق هوية النص ويعطيه القيمة [2] .

- عنوان الرواية

أزهار مسك الليل .

(١) سعيد الحنصالي : بداية ونهاية : ص ١٨ .

(٢) صندوق نور الدين : البداية في النص الروائي ، الطبعة الأولى ، سوريا ، ١٩٩٤ ، ص ٧٠.

- تأويل العنوان

أزهار مسك الليل هى أزهار ذات أوراق صفراء تفوح رائحتها ليلاً ويطلق عليها بالفارسية " گلهاى شب بو" والعنوان هنا للدلالة على نوعية الفئة التى تنتمى إليها البطلة فى نهاية الرواية وهى فئة بنات الليل أو نساء الشوارع اللائى لا تظهرن فى الغالب سوى ليلاً ، وكأنهن كتلك الأزهار التى لا تفوح رائحتها إلا ليلاً .

جـ) المعلومة الروائية :

تتحدد البنية الكبرى فى النص فيما يمكن أن ندعوه بالمحور النصى ، وهو الذى يقدمه النص كأساس موضوعاتى دلالى وينميه ويشعبه . وفى رواية " أزهار مسك الليل " يتبدى المحور النصى فى تحقيق الرغبة (الزواج عن حب) وانخداع البطلة بالمظاهر الزائفة ، وهنا تظهر عدة ملامح يزدوج فيها ما يقدمه النص بوضوح وما تفترضه موسوعة القارئ وذاكرته وذكاؤه .

- ما تفترضه موسوعة القارئ :
- توتر فى العلاقات الأسرية داخل العائلة .
- تهاوى المستوى الاجتماعى .
- عدم القدرة على متابعة الدراسة .
- احتمالية الاستمرار والاستسلام للأمر الواقع .

- ما يقدمه النص :

- تحقق التوتر فى العلاقات الأسرية .
- الانتقال إلى مستوى معيشى أدنى .

- مساندة الأم لابنتها إلى مرحلة بعينها .

- السقوط فى الرذيلة.

- الزج بالبطلة فى السجن .

ويتبين من العلاقة بين افتراضات القارئ انطلاقًا من البنية الكبرى والمحتوى النصى أنهما متوافقان لكن دون أن تتمكن موسوعة القارئ من معرفة التفاصيل الدقيقة ، لأنها نتائج اختارتها المؤلفة (سوء الاختيار ، الانخداع ، الوقوع فى الرذيلة، الزج بالبطلة فى السجن) من بين احتمالات أخرى أقل مأساوية ، لكنها غير مفاجئة إذا علمنا أن مقصدية الكاتبة الخفية هى كشف تناقضات بنية اجتماعية . ولا يتم ذلك لدى القارئ - كما تقول سيزا قاسم - إلا بتضخيم المأساة . لأن عمق الكتابة الواقعية عمومًا يقوم على الانتهاء بالفشل ، والسقوط والمأساة (١) .

النموذج العاملى :

يرى جريماس أن النموذج العاملى فى أى عمل قصصى يرتكز على ثلاثة أزواج من العوامل ، هى :

المرسل / المرسل إليه الفاعل / الموضوع المساعد / المعارض

وتعد العلاقة بين الفاعل والموضوع بؤرة النموذج العاملى ، وتبدو من وجهة نظر جريماس محملة بالشحنة الدلالية الكامنة فى الرغبة .

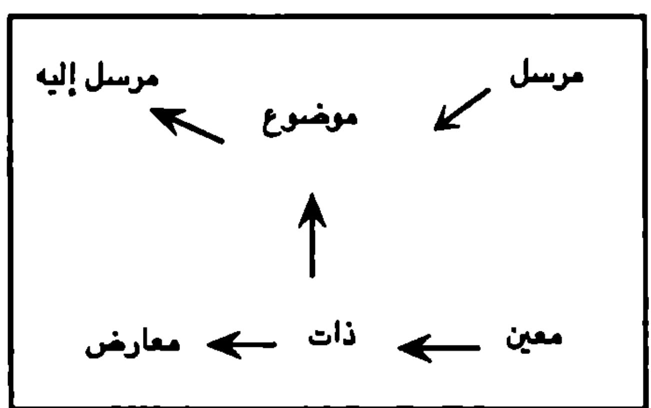
أما عن المرسل والمرسل إليه ، فإن حضورهما فى الخطاب السردى يوحى بوجود عالم مؤسس على منظومة من القيم يحكم بمقتضاها على الأفعال سلبًا

(١) بناء الرواية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٥م ص ٦٦ .

أو إيجابًا ، والوظيفة الموكولة إلى المرسل تتمثل فى المحافظة على هذه القيم وصيانتها وضمان استمرارها وذلك بتبليغها إلى المرسل إليه أو إملائها عليه . وهكذا يستوى المرسل والمرسل إليه فى سلم تراتبى يتبوأ فيه المرسل مركزًا فوقيًا وتكون علاقته بالمرسل إليه قائمة على تبعية هذا إليه ، أو وفق تعبير جريماس الاصطلاحى موجهة من الكل إلى الجزء ، فيما ينتظم علاقة المرسل إليه بالمرسل فى اتجاه معاكس أى من الجزء إلى الكل .

أما الوحدة العاملية الثالثة وهى المساعد والمعارض فنجد أنها تنتظم فى سياق العلاقة بين الفاعل والموضوع ، وتتحدد وظيفة المساعد فى تقديم العون للفاعل بغية تحقيق مشروعه العملى ، فيما يقوم المعارض حائلاً دون تحقيق الفاعل لموضوعه وعائقًا فى طريقه .

وعلى ما تقدم ، فوفق تصور جريماس يمكن إعطاء الترسيمة التالية التى تقوم باختصار مجموع الأدوار فى خانات ست : [١]



وفى ظل العلاقة التى يحددها المربع السيميائى أعلاه لابد من حدوث أحد احتمالين ، إما أن يحدث اتصال بالمجتمع وإما أن يحدث انفصال عنه ، وإذا رمزنا بعملية التحويل بالرمز (ت) ، والفاعل بالرمز (ف) ، وعملية الاتصال بالرمز (٨) ، وعملية الانفصال بالرمز (٧) والموضوع بالرمز (م) ، فيمكننا صياغة عملية التحول فى ضوء الوحدة العاملية الرابعة وفقًا للرسم البيانى التالى:

ت [ف ← (ف ٧ م) ← (ف ٨ م)]

أو ت [ف ← (ف ٨ م) ← (ف ٧ م)] [١]

وعلى ما تقدم ، نستطيع أن نرصد بنية الحدث فى رواية " أزهار مسك الليل " من خلال أربع حركات أساسية تمثل حركة تطور الأحداث داخل الرواية مع الأخذ فى الاعتبار أن كل حركة تكشف لنا عن سلوك للذات يتجه نحو هدف ما بما يحدث خروجًا من مرحلة بعينها (من قبل) ليكون فى الوقت نفسه تمهيداً لمرحلة أخرى (من بعد) ولابد أن ينجم عن ذلك الخروج تحول لدى الذات الفاعلة يصحبه حالة من اللا توازن والاضطراب ، ولابد لهذا اللا توازن من قوة تعيد الذات إلى حالة التوازن ، وعليه ترتكز كل حركة من الحركات التالية على التركيب التالى :

استقرار ← خروج ← لا توازن واضطراب ← توازن واستقرار

الحركة الأولى :

١) الحدث :

- تعرض الأم على ابنتها الزواج من ابن خالها (بابك) :

" فكرت فى الموضوع اللى كلمتك فيه إمبارح ؟ .... أقول أيه لخالك ؟ .... هو بس بابك عيبه إيه ؟ .... أنا أعرفه كويس وبستريح له ...... أنا دايمًا بختار الأحسن لكِ " [٢]

- تتردد بيتا فى قبول العرض :

(١) انظر ، فى الخطاب السردى ، نظرية قريماس لمحمد الناصرى العجيمى ، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٣ ، ص ٤٠ – ص٤٨ . وسميولوجية الشخصيات السردية لسعيد بنكرارد ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ – ٩١ .

(٢) المصدر ، ص ١٣ : ١٦.

" أنا مش عايزة أتجوز بابك ...... أريد أن أختار شريك حياتي بنفسي .... لا أحب الزواج بالأمر .... يجب أن تعلمي أنني لست على استعداد لأن أضحي بمستقبلي من أجل تحقيق مصالحكما (أي الأم والخال) ...... لقد وافق بابك على الزواج مني لأنه وضع مصالح الأسرة أمام عينه " (١) .

- إلا أنها تتخذ قرارها في النهاية بقبول العرض بعدما لمست حب بابك لها :

" قدوم الخال وأسرته لخطبتها .... تهرب من النظر إلى بابك .... ترغب في أن تصرخ .... يصارحها بابك بحبه لها .... تطلب مهلة للتفكير ..... تملكها احساس غريب ... كأن اعترافات بابك بمشاعره تجاهها قد أرضت غرورها كأنثى ، أعادت النظر في رأيها .... يستعجلها بابك لمعرفة قرارها .... تبدي موافقتها " (٢) .

٢) التحول :

- أتبع هذه الحركة تحول في موقف الذات ، نتج هذا التحول بسبب تعرفها على (كامران) بواسطة القوة المعينة (مريم) ، وأدى هذا التحول إلى رفض الزواج من ابن الخال :

" دعتها مريم إلى حفل موسيقي في إحدى القاعات كي تعرفها على كامران أحد أعضاء الفرقة الموسيقية والخطيب المرتقب لمريم .... ذهبت بيتا برفقة بابك إلى الحفل ..... شاهدت كامران ..... جعلت تتأمله بدقة .... تشعر بسابق معرفتها به ... يتغير حالها .... تنصرف عن المكان برفقة بابك .... تدعوها مريم ثانية إلى حفل خاص في منزل كامران ..... تلبي بيتا الدعوة وتذهب برفقة بابك .... يعزف كامران ويشدو

(١) المصدر ، ص ١٤ ، ٢٤، ٣٥ .

(٢) المصدر ، ص ٣٥ : ص ٧١.

بكلمات الحب والعشق موجهًا نظراته إلى بيتا .... يخفق قلبها بشدة .... تنصرف مع بابك ..... تقع مشادة كلامية بينها وبين بابك ... تتوالى اتصالات كامران الهاتفية .... يطلب مقابلتها ... تحدث جفوة بينه وبين مريم ..... يفتعل الصدفة للقائه ببيتا .... يبدأ نفورها من بابك ..... تتذرع بانصياعه التام لأبيه .... تطلب استقلاله عنه .... يرفض ..... تصر على عدم الزواج منه " (١) .

وفى هذه الحركة تتحقق الوحدة الوظيفية الأولى بخروج البطلة من حالٍ إلى حال ، فبعد مرحلة الاستقرار وعقد النية على الارتباط بابن الخال تمر بحالة من التوتر والاضطراب بما يُحدث تغييراً في مسلكها ويبدأ نفورها وتذرعها بالحجج لفسخ الخطبة وعدم إتمام الزواج وبذلك يتحقق انفصال الذات عن المجتمع .

الحركة الثانية :

١- الحدث :

- يتحقق زواج بيتا من كامران بعد محاولاته العديدة لاستمالتها :

" يحضر كامران إلى منزلها دون موعد مسبق ..... يطلب خطبتها من الأم .... ترفض الأم ...... يستمر فى إلحاحه على بيتا مظهراً لها مدى ولعه بها ...... تحدث مواجهة بين بيتا ومريم .... تحاول الأخيرة كشف سوء أخلاق كامران ..... تسدى إليها النصيحة بعدم الارتباط به ...... تصر بيتا على موقفها فى قبول الزواج من كامران " (٢) .

- بعد أن تحقق الزواج عزم الزوجان على الانتقال إلى مسكن مستقل بعيداً عن

(١) المصدر ، ص ٨٨ وما بعدها .
(٢) المصدر ، ص ٢١٧ ، ص ٢٣٧.

ضغوط الأم ، لكن نظراً لعدم عمل الزوج بشكل منتظم اضطر الزوجان لقبول معونات الأم ، ثم بدأ كامران يفصح عن نواياه وطالب بيتا بإقناع أمها كى تمنحه توكيلاً عاماً لإدارة أعمالها، و ورغم رفض الأم فى البداية إلا أنها وافقت فى مرحلة تالية:

" تزداد معاملة نسرين السيئة تجاه كامران .... تنتقل بيتا وزوجها إلى شقة صغيرة .... تصطدم بيتا بعدم وجود دخل ثابت لكامران بما يحقق لهما حياة كريمة .... يقترح كامران عليها إقناع أمها بمنحه توكيلاً لإدارة أعمالها .... ترفض الأم ... تنجب بيتا كيان ..... تبدى الأم رغبتها من تلقاء نفسها فى منح الوكالة لكامران حرصاً على مستقبل حفيدها " [1].

– ويظهر عنصر جديد يؤدى إلى مزيد من التوتر فى العلاقة بين بيتا وكامران ، تمثل هذا العنصر فى ظهور والدة كامران المفاجئ وسلوكها الذى اتسم بالجفاء والغلظة تجاه زوجة ابنها :

" اندهشت بيتا من حضور والدة كامران المفاجئ .... تتعمد الحماة توجيه الإهانة لها ..... ينفق كامران على والدته ببذخ فى أسفارها للزيارة .... تغضب بيتا .... تستفسر عن أموال أمها .... تطلب الحماة الإقامة الدائمة معهما .... يقبل كامران دون استشارة زوجته .... يزداد تدخل الحماة فى شئون بيتا .... يمتنع كامران عن تقديم كشف حساب عن أعمال الشركة إلى نسرين .... تحدث مشادة كلامية بينه وبين بيتا .... تتطور المشادة الكلامية إلى تطاوله عليها بالسب والضرب .... تغادر بيتا منزل الزوجية " [2].

– تتجلى الصورة القبيحة لكامران تدريجياً ، تكتشف بيتا سوء خلقه وسلوكياته التى تتنافى والقيم الأخلاقية :

(١) المصدر ، ص ٣٤٠ : ص ٣٧٨ .
(٢) المصدر ، ص ٣٨١ : ص ٤٠١ .

" تمرض نسرين .... تضطر بيتا للبقاء معها للقيام بتمريضها .... تعود ذات يوم إلى منزلها دون علم كامران .... تندهش لوجود غرباء فى منزلها .... رجال يحتسون الخمر ويترنحون .... نساء تتراقص بملابس خليعة .... تفتح باب حجرتها .... ترى زوجها يمارس الرذيلة فى مضجعها .... تسبه .... تعود إلى منزل أمها .... يكرر كامران محاولاته لإعادتها إلى منزل الزوجية .... تصفح عنه من أجل طفلها .... تعود ..... يتوجه ذات يوم إلى مكان ما بعد دعوة صديق له عبر الهاتف ..... يساورها الشك ...... تقوم بمراقبته ...... تكتشف وجوده فى مجلس للإدمان ...... تثور .... تبلغه بأن ردها عليه سيكون فى المحكمة "[1].

٢) التحول :

– مع نهاية هذه الحركة حدث تحول على المستويين الفردى والاجتماعى ، فعلى المستوى الفردى تمثل فى موقف الذات الذى كان مؤيداً للآخر على الإطلاق لتتخذ قرارها بوجوب الانفصال عنه وطلب الطلاق منه . وعلى المستوى الاجتماعى تمثل فى الانتقال إلى مستوى اجتماعى أدنى بعد أن يتدخل القدر ويتوفى زوجها نتيجة حقنه بجرعة زائدة من المورفين ، حيث تكتشف سوء موقف أمها المالى نتيجة لتبديد زوجها ثروة الأم ، وتضطر إلى الانتقال إلى مسكن أقل فى المستوى المعيشى وتترك دراستها وتنجح فى العثور على عمل يعينها على إعالة الأم والطفل لكنها تُفصل منه [2].

(١) المصدر ، ص ٤٠٩ : ص ٤٢٥ .

(٢) المصدر ، ص ٤٢٦ ، ص ٤٥٩ .

الحركة الثالثة :

١- الحدث :

- يتمثل في مرض طفلها بمرض خطير وتعرفها على الطبيب اعتضاد الذى يستغل حاجتها المادية ورغبتها فى إنقاذ طفلها ليقدم لها عرضاً تضطر بيتا لقبوله :

" يمرض الطفل .... تتجه به إلى إحدى المصحات ..... يشخص الطبيب الحالة بورم فى المخ بما يستلزم معه إجراء عملية جراحية على وجه السرعة ..... يستغل عدم مقدرة بيتا على دفع تكاليف العملية الجراحية .... يبدأ فى مساومتها لممارسة الرذيلة معه ..... تفكر بيتا فى الصفقة المقترحة ..... تبدى موافقتها .... تدنس نفسها للمرة الأولى .... يدعوها الطبيب لحضور حفلاته الخاصة .... تتعرف على إحدى بائعات الهوى (ژاله) ..... تستدرجها ژاله للتعرف على آخرين فى مقابل المال ..... تمتهن بيتا طريق الرذيلة " [1] .

٢- التحول :

هكذا أدت هذه الحركة إلى انجراف بيتا نحو الانحراف والاستمرار فى هذا الطريق حتى آل بها الأمر فى النهاية إلى أن تم القبض عليها فى إحدى الحفلات الخاصة ليزج بها داخل السجن ليتم الانفصال بينها وبين المجتمع .

الحركة الرابعة

١- الحدث :

- الظهور المفاجئ لبابك فى نهاية القصة .

(١) المصدر ، ص ٤٦٣، ص ٤٨١.

بعد أن لمس القارئ انفصالاً تامًا حدث بين الذات (البطلة) وبين مجتمعها بعد الزج بها فى السجن ، فإذا ببابك (ابن الخال) يأتى لزيارتها ويبدى مساندته لها فى أزمتها ، ولعل ذلك إثبات بخطأ حكمها السابق تجاهه .

٢- التحول :

حدث فى هذه الحركة تحول داخلى فى نفس الذات التى كانت ، وهى فى هذا الوضع الجديد ، تتأذى لعدم علمها بظروف أمها وطفلها وكيفية معيشتيهما بدونها ، وبحديث بابك إليها هدأ من روعها بتبنيه ابنها ورعايته لأمها .

وبالحوار الذى قام بين بابك وبيتا تنتهى القصة ونصل إلى نهاية الحركات المؤثرة فى سير الأحداث وتطورها داخل العمل الأدبى الذى بين أيدينا الآن ، وتحقق النموذج العاملى فى الحركات السابقة فى التراكيب التالية :

١- المرسل ← الذات

المرسل إليه ← كامران

الرسالة ← الزواج

القوة المعينة ← الرغبة

القوة العارضة ← الأم

النتيجة ← نجاح

(أدى إلى انفصال عن المجتمع)

٢- المرسل ← الذات

المرسل إليه ← كامران

الرســـــالة ⟵ الاستقلال - استمرار الزواج

القوة العارضة ⟵ البطالة - قيم أخلاقية متدنية

النتيجـــــة ⟵ فشل

(أدى إلى استمرار حالة الانفصال عن المجتمع)

٢- المرســـل ⟵ الذات

المرسل إليــه ⟵ شريحة من المجتمع

الرســـــالة ⟵ التمسك بالقيم الأخلاقية

القوة العارضة ⟵ الحاجة - مرض الطفل

النتيجـــــة ⟵ فشل

(أدى إلى مزيد من الانفصال عن المجتمع)

ومع ملاحظة الوحدة الوظيفية الأخيرة نجدها أفادت بالانفصال دومًا عن المجتمع، وعليه فقد بدأت القصة من نقطة الخروج والانفصال عن المجتمع ، وتم هذا الخروج بوعى وإرادة كاملين ، وكانت النتيجة فتور العلاقة بين الذات وبين من حولها ، لتتكون فى النهاية الوحدة الوظيفية الأخيرة على النحو التالى :

انفصال عن المجتمع	انفصال عن المجتمع
بقصـد تحقيق الرغبــة	لفشلها فى تحقيق الرغبة
وجهلها بمعايير الحياة	

النتيجة : لم يحدث الاتصال المتوقع بالمجتمع ، بل زادت حدة الانفصال عنه بعد ما سدت أمامها الطرق وآلت إلى ذلك المصير المؤلم .

وحرى بنا فى هذا المقام أن نذكر أن تلك الوحدات الوظيفية الأساسية تتفرع عنها وحدات فرعية أخرى وظيفتها تأكيد موقف ما أو توضيحه ، وقد تخلق نوعًا من التوتر لكنه دون توتر الوحدات الأساسية بكثير . وقد تبدو الوحدات الفرعية مجرد حشو لكنها فى الحقيقة لا غنى عنها فى القصة لأنها تصب فى النهاية فى الدلالة العامة ، فضلاً عن إلقاء مزيد من الضوء عليها .

ثانيا : الشخصية

إن الشخصية فى أى بناء فنى لا يمكن فصلها عن الخزان الثقافى الذى تشتق منه الترسيمات الفنية والدلالية والتركيبية على حد سواء . وتتحدد الشخصية أساسًا باعتبارها وحدة ثقافية تعيش فى الذاكرة الجماعية على شكل مجموعة من التصنيفات والمسارات التصويرية والوصفية التى يمكن اعتبارها وحدات منبثقة عن تقطيع ثقافى مخصوص ، وداخل هذا التقطيع يصاغ كل ما يعود إلى الشخصية.[1]

ولدينا فى هذا المقام ثلاث نظريات لدراسة الشخصية جميعها تقودنا إلى حقيقة مفادها أن تناول الشخصية داخل النص السردى لا يمكن فصله عن تناول السردية ذاتها ، وتتلخص هذه النظريات فى :

١- نظرية بروب (الشخصية بين الأشكال الأصلية والأشكال المشتقة) :

دعا بروب فى الثلاثينات إلى ضرورة البحث عن العنصر الثابت فى الحكاية وعزله عن العناصر المتحولة بهدف خلق بنية عامة تتحقق فى أشكال متعددة ، وقد قاده هذا المبدأ إلى تحديد عنصرين أساسيين داخل الحكاية ، هما :

(أ) **الشخصية** : باعتبارها السند المرئى لكل الأفعال المنجزة داخل الحكاية ، وهى كيان يتميز بالتحول والعرضية .

(ب) الوظيفة : باعتبارها ما يبرر وجود الشخصية .

٢- نظرية لوتمان (الشخصية بين الحدث والمبنى) :

وتتلخص هذه النظرية فى أن النص فى حد ذاته حدث . والحدث هو وقوع شرخ داخل المتصل الزمنى والمتصل الفضائى . ويرى يورى لوتمان أن الحدث داخل النص هو تنقل الشخصية عبر حدود الحقل الدلالى ، فالحدث يوجد عندما يتضافر عنصران ، هما : الشخصية من جهة والحقل الدلالى من جهة أخرى . فالفعل الصادر عن الشخصية يعد حدثًا فى حدود أن يقوم بتحطيم حاجز ما ، أو يقوم بخرق قانون ما ، أو يقوم بالخروج عن مألوف ما ، إلا أن هذا الحدث نفسه لا يدرك كـ " حدث" أو " لاحدث" إلا عندما يوضع فى إطار ثقافة تحدد وضعه وسمكه .

٣- نظرية جريماس (الشخصية في السيميائيات السردية) :

ويقترح جريماس ثلاثة مستويات داخل المسار التوليدى ، وكل مستوى من هذه المستويات يشتمل على مكونين :

(أ) مكون دلالــــى .

(ب) مكون تركيبى .

وكل مكون يقود إلى الآخر ضمن سيرورة منتظمة تقود إلى تحديد الدلالة داخل كون ما . ويتشكل المكون الدلالى داخل المستوى الأول بما يسميه جريماس بالدلالة الأصولية المدركة كبنية دلالية أولية ، وسنكون مع هذه البنية أمام سلسلة من الثنائيات ، وهى غير قابلة فى ذاتها لإنتاج دلالة ما إلا إذا دخلت فى شبكة من العلاقات تمنحها وجهًا إجرائيًا ، هذا الوجه الإجرائى هو ما يشكل المكون التركيبى داخل المستوى

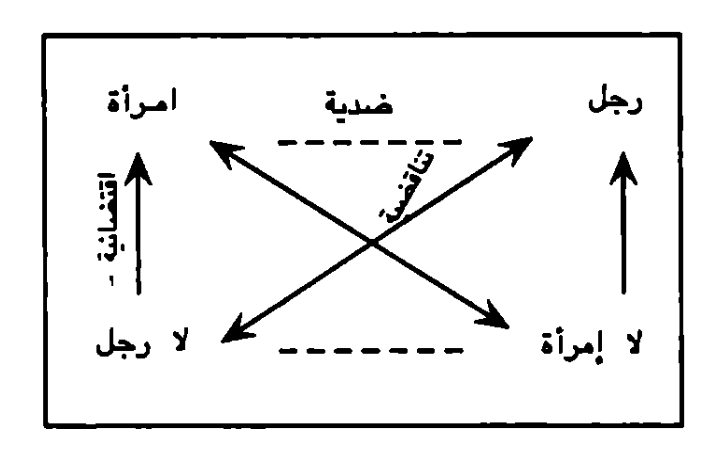
الأول ، والوجه التركيبي للبنية الدلالية يقتضي طرح سلسلة من العلاقات يجملها جريماس في:

(أ) علاقات ضدية .

(ب) علاقات تقابلية (تناقضية) .

(جـ) علاقات اقتضائية .

ويوضح المربع السيمائي التالي هذه العلاقات :



أما التركيب في المستوى الثاني يقتضي عملية قلب جديدة تجرى هذه المرة على العمليات ذاتها ، وهذا القلب لن يتم إلا من خلال تحويل العمليات إلى فعل تركيبي يستدعي دخول ذات الخطاب السردي كشرط ضروري لتحريك المربع السيمائي ، ويطلق جريماس على هذه العملية " التسريد " ومعناه تحويل المجرد إلى محسوس ، أو منح البعد الدلالي العام وجهًا تصويريًا قابلاً للإدراك من خلال التجلي النصي .

وعمليات القلب المتتالية تنتهي بنا إلى المستوى الثالث والأخير داخل المسار التوليدي ، ويعتبر هذا المستوى أشد المستويات محسوسية داخل سيرورة إنتاج الدلالة [١].

(١) سعيد بنكرارد : سميولوجية الشخصيات السردية ، ص ١١٧ ، ص ١١٨.

يبقى لنا أن نشير فى نهاية الدراسة النظرية إلى استخدام عملية التحليل النفسى فى الدراسات الأدبية ، فحتى وقت قريب تجنب النقاد التحليل النفسى لما بدا لهم من أنه يفضى إلى دراسة الأدب خارج نطاق الخصوصية الأدبية ، إلا أن ثمة اتجاه جديد يهتم بدراسة التحليل النفسى فى إطار الرغبة فى تجاوز المذاهب الشكلية .

وكانت المشكلة الأولى لاستعمال التحليل النفسى فى الدراسات الأدبية إنه لم يخبرنا إلا بالقليل عن بنية النصوص الأدبية وبلاغتها ، وثمة مقولات ثلاث عامة كان يجنح إليها النقد التقليدى القائم على التحليل النفسى ، هى : المؤلف ، الشخصية داخل النص والقارئ . وكان الاتجاه إلى تحليل شخصية المؤلف هو ما يمثل محور اهتمام التحليل النفسى ، وربما كان ذلك راجعًا إلى فكرة " فرويد" عن الفعل الإبداعى بأنه صاخب ، متذمر ، مُطالب ، فكان ينظر إلى الأعمال الأدبية على أنها صور تخيلية تتيح للكاتب مجالاً للتنفيس عن رغباته المكبوتة . ثم جاءت مرحلة أخرى من التحليل النفسى تركز الاهتمام فيها بالشخصيات نفسها داخل العمل الأدبى . ثم تلتها مرحلة أخرى لاحظ النقاد فيها أن للقراء أنفسهم مفاهيم عن كل شخصية من الشخصيات التى يخلقها المؤلف ، فالقارئ يعيد خلق الشخصية من جديد مضيفًا عليها وعلى النص كل خبراته ومعارفه السابقة .

وتطورت الدراسات الأدبية فى إطار التحليل النفسى إلى أن حدث تحول جوهرى فى الستينيات على يد العالم الفرنسى " جاك لاكان " الذى أعان على إحياء النقد الفرويدى من جديد ، واتسم اللاشعور عنده بأنه يقوم على البنية ، أى أنه لغة وخطاب وليس نتيجة الكبت أو عرضاً من أعراضه كما كان يرى فرويد [١] .

(١) السيد إبراهيم (دكتور) : المتخيل الثقافى ونظرية التحليل النفسى المعاصر ، مركز الحضارة العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠٥ م ص ١٠ : ص ٢٧ .

وعلى ما تقدم فإن النقد التحليلى النفسى لا يتجه إلى تقديم نظرية جمالية أو نظام فلسفى منهجى من الأفكار يكون موضوعه البحث فى المعنى فى الأعمال الأدبية، بل يحاول أن يجيب على سؤالين اثنين يتعلقان بأفعال البشر ، هما : كيف تحدث هذه الأفعال ولماذا تحدث ؟ وعلى هذا لا تتضارب رؤيته فى التفسير مع أية رؤية يمكن أن يقدمها منهج آخر من مناهج الدرس النقدى الأخرى ، بل هو فى الغالب يقدم لها يد العون ، ولا يعتدى على طرائقها الخاصة فى التفسير .

وفى ضوء النظريات السابقة سنتناول بالتحليل عملية خلق وتلقى الشخصية ضمن جدلية النص الثقافى / النص المتحقق ، كما سنتناول الأساليب الخاصة ببناء الشخصية وذلك ضمن تحديد خصائص الشخصيات الفنية والدلالية ، وسوف يتم تناول الشخصيات من خلال ثلاثة أبعاد ، هى :

١- البعد الوصفى الظاهرى .

٢- البعد القيمى أو الأخلاقى .

٣- البعد النفسى .

أولاً ، البعد الوصفى الظاهرى :

وهو ما أطلق عليه العالم " فيليب هامون " التحديد العرفى المسبق وهو ضمن سلسلة الإجراءات التى تقود إلى عزل شخصية ما عن باقى الشخصيات الأخرى وتقديمها كمحفل محدد للأساليب السردية ، ومحدد للترسيمة السردية ، ومحدد للنقطة الاستدلالية التى يتم انطلاقًا منها تفكيك النص .[١] وفى هذا البعد يلعب النوع دورًا رئيسيًا فى تحديد الشخصية الرئيسية ، فمن خلال ميثاق القراءة يوجه القارئ نحو أسلوب معين فى فك التسنين الذى يخضع له نسق الشخصيات ، وداخل هذا النوع يتحدد البطل من خلال لباسه ، هيئته العامة ، وطريقة حديثه إلى الآخرين .

(١) سعيد بنكرارد : سيميولوجية الشخصيات السردية ، ص ١١٧ ، ص ١١٨ .

وإذا ما رجعنا إلى الرواية موضع الدراسة " أزهار مسك الليل " نجد الراوية قد أضفت بعض الصفات الظاهرية على شخصياتها ، وتمثل هذا البعد فى صفات الجسم من طول وقصر وبدانة ونحافة وتحديد نوعية الجنس والإشارة إلى السن والمحاسن والعيوب ، كذلك الإشارة إلى انتماء الشخصية لطبقة بعينها أو لنوع معين من العمل الذى تقوم به . ونقدم الآن نماذج تطبيقية لما تم الإشارة إليه :

فى حديثها حول شخصية البطلة الرئيسية (بيتا) ، تلك الفتاة صغيرة السن التى لا تزال فى مرحلة دراستها الجامعية ، تقول :

" إنها ذات عيون سوداء براقة تجذب كل من ينظر إليها ، حينما تبتسم تصير نغزات وجنتيها أكثر عمقًا ، لم تكن تتمتع بجمال خارق ، لكن ملامح وجهها كانت تبدو متناسقة وكأنها من صنع رسام ماهر ، بشرتها بيضاء اللون ، الحاجبان رفيعان متساويان بشكل جذاب ، تتسم بالبساطة ، لم يكن جمالها بالشئ الذى تدخلت فيه بل كان طبيعيًا . " (١)

والشكل الظاهرى الذى خلقته المؤلفة وطرحته على القارئ يعطى لديه انطباعًا عن حسن البطلة ، كما يضفى على الشخصية مزيداً من الثقة بالنفس . كما حرصت الكاتبة على إبراز الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها هذه الشخصية ، فساقت إلينا قصة جدها عن أمها الذى توفى ثم آلت ثروته إلى ابنه (الخال) وابنته (نسرين) ، ومشاركة الأخيرة فى أسهم الشركة مع أخيها بما يحقق لها الدخل الوفير والرفاهية ، ويمكنها من المعيشة هى وابنتها فى مستوى راق ، وعليه تحدد المستوى الاجتماعى لشخصية البطلة والأم التى قدمتها الكاتبة فى موضع آخر فى قولها :

" كانت تبدو أكبر من عمرها، سمينة القوام إلى حد ما ، قصيرة ، شعرها ناعم، غالبًا ما تقوم بصبغه لكثرة ما به من بياض ، وجنتاها ناعمتان ممتلئتان " . (٢)

(١) المصدر ، ص ١٢ .
(٢) المصدر ، ص ١٣ .

ومن خلال هذا الوصف يستنتج القارئ أن ما ألم بها من حزن على وفاة زوجها، وتحملها مسئولية بيتا هو ما جعلها تبدو أكبر من سنها ، وما جعل شعرها يتخضب بالبياض بهذه الدرجة .

وشخصية أخرى تناولتها المؤلفة بالوصف الظاهرى ، وهى شخصية بابك

(ابن الخال) ، حيث أضفت عليه الملامح التالية عند لقائه ببيتا :

"كان يرتدى بالطو كحلى جميل فوق بزته السوداء بحيث يبدو قوامه المتناسق على نحو أفضل ، كان قميصه الأبيض الحريرى الناعم الملمس يزيد من جاذبيته ، أما شعره الناعم المنسدل من مفرق رأسه والذى كان يلملمه خلف أذنه فكان يجعله ذا جاذبية عجيبة ." (١)

وما تبديه الكاتبة من تناسق فى الألوان فيما يرتديه بابك ، ومن تحديد للملامح الجسدية للشخصية يترك انطباعًا لدى القارئ بتمتع بابك بالجاذبية والأناقة وهو ما يتفق والطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها والتى أشارت إليها الكاتبة ، فهو المليونير، ابن صاحب الشركة الذى يقوم بإدارة الأعمال الخاصة بأبيه وعمته ، وعليه تنتفى الحاجة المادية لديه ، لذا يدرك القارئ بسهولة أن تقربه من بيتا ليس لأسباب أخرى سوى لأنه يكن لها مشاعر الحب والتقدير دون أى هدف آخر .

أما فى تناول الكاتبة للوصف الظاهرى لشخصية كامران فكان لابد من ظهور الثنائية – التى أشار إليها جريماس – فقد تناولت وصفه فى اللقاء الأول بينه وبين بيتا على النحو التالى :

" كان طويل القامة ، عريض المنكبين ، يعقد شعره الطويل خلف رأسه، كانت أنفه المسحوبة بين عينيه الزائغتين اللتين تشعان ذكاء ودهاء تتناسب مع وجهه وتجذب

(١) المصدر ، ص ٤١

إليه المشاهد منذ النظرة الأولى رغمًا عنه ، كان فى مظهره شبيهًا بنجوم هوليود ، يرتدى معطفًا أسود اللون وقميصًا أبيض ذا ياقة طويلة ، كان بريق حذاءه الأسود يبدو وكأنه فى محفل ملكى ، يخرج قليل من شعره الناعم عن رباطه وينسدل على وجهه ، كلما أعاده خلف أذنه ينسدل ثانية مع أقل نسمة من نسمات الليل ، كان أنيقًا ، هادئًا ، متماسكًا ، واثقًا من نفسه " [1] .

هكذا أسهبت الكاتبة فى وصف دقيق حول الملامح الظاهرية لشخصية كامران بشكل فاق حديثها عن الشخصية المنافسة (بابك) ، وكان ذلك منها لإقناع القارئ بتفوقه على بابك من الناحية الشكلية ، وليكون ذلك تبريرًا لانجذاب بيتا إليه . فهى حتى تلك اللحظة لم تكن قد تحدثت معه ، وتكون الانطباع الأول عنه لديها من خلال مظهره العام الذى نجح فى اجتذابها و جعلها تشعر بالرغبة فى التقرب إليه.

وثمة ملامح أخرى اختص بها كامران دون بابك تتعلق بطريقة كل منهما فى الحديث ، فبابك يتسم بالصراحة والوضوح ، يكن مشاعر الحب الصادق تجاه بيتا ، لكنه يعدم القدرة على التلفظ بمعسول الكلام بينما كانت هذه هى إحدى صفات كامران الأساسية ، فهو بارع فيها إلى أقصى درجة ، وربما كانت سلاحه الأول الذى اجتذب به بيتا .

والمقابلة الأخرى بين كامران وبابك هى انتماء الأول إلى فئة الفنانين ، وهى الفئة التى تنتمى إلى طبقة بعينها لها سماتها الخاصة التى تختلف فى كثير عن الطبقة التى ينتمى إليها بابك سواء من الناحية الاجتماعية أو المخزون الثقافى لديها ، أو من الناحية المادية غير المستقرة .

ومن الشخصيات التى حرصت الكاتبة على إظهار الوصف الجسدى لها هى شخصية الخال . فتقول :

(١) المصدر ، ص ٩٧ .

" كان نحيفًا مسحوب الوجه ، حواجبه كثيفة رمادية اللون ، عيناه ضيقتان واهنتان ، تجتمع فيه الجاذبية والقوة ، وربما ذلك ما مكنه من رئاسة كل هؤلاء العمال والموظفين وقيامه بإدارة هذا المصنع الضخم بمفرده " . (١)

فالخال هو الذى يقوم بأعباء الشركة ، ويعمل جاهدًا للحفاظ على ثروة الجد من الضياع ، ويبذل قصارى جهده فى رعاية أخته وابنتها وتلبية رغباتهما ، وربما كان ذلك سببًا فى وهنه الجسدى على النحو الذى قدمته به الكاتبة إلا أنه رغم ذلك يتمتع بقوة الشخصية التى تمكنه من الإستمرارية فى إدارة الأعمال على نحو جيد.

وتتعدد إشارات الوصف الظاهرى لبعض الشخصيات الأخرى داخل النص الأدبى بما يسهل على القارئ عملية استخراجها ، لكننا سنكتفى فى هذا المقام عند هذا الحد ، لننتقل إلى بعد آخر من الأبعاد التى استخدمتها الكاتبة فى عرضها للشخصيات داخل النص الأدبى .

ثانيًا ، البعد القيمى والأخلاقى :

وهنا تتحدد الشخصية من جهة من خلال المواصفات والأفعال ونمط التوزيع كمرجعية للعملية السردية ذاتها ومن جهة أخرى كمرجعية ثقافية . فهى تمثل من موقعها جاذبًا لكل القيم المنتشرة فى النص ، وعبرها يتم التمييز بين القيم المرفوضة والقيم المثمنة ، وهو ما أطلق عليه " هومان" الوظيفية الاختلافية . (٢)

ونستحضر الآن بعض الأقوال أو الأفعال المنسوبة إلى بعض الشخصيات داخل العمل الأدبى لنرى العلاقة بينها وبين المخزون الثقافى للبيئة ، ثم نحكم فى النهاية فى كونها تمثل قيمًا مقبولة أم مرفوضة داخل هذه البيئة .

(١) المصدر ، ص ٣٧ .
(٢) سعيد بتكراد : سيمولوجية الشخصيات السردية ، ص ١١٨.

شخصية الأم :

– يحمل النص بين طياته ما يدلل على اتسام شخصية نسرين بالوفاء :

" ما زالت حتى الآن رغم مرور تلك الأعوام على وفاة زوجها تنفق ما تحصل عليه من مستحقاته على الأيتام وفى أعمال الخير ، تذهب كل ليلة جمعة لزيارة قبره وتختلى بصورته داخل حجرتها و ينهمر الدمع من عينيها ، لم تضعف أمام عروض الزواج المختلفة رغم صغر سنها حين وفاة زوجها ، نذرت نفسها لتربية ابنتها ورعايتها." (١)

وهنا تظهر ثقافة البيئة فى سلوك نسرين ، فالمجتمع الشرقى – حتى وقت قريب يعيب على الزوجة التى توفى عنها زوجها الزواج بآخر خاصة مع وجود الأبناء ، وكان سلوك نسرين داخل إطار هذه الثقافة حينما رفضت الزواج ثانية وهى فى سن تحتاج فيها إلى وجود الآخر ، ونذرت نفسها لتربية ابنتها كنوع من الوفاء .

– كما يبدو الأثر الثقافى واضحًا فى دعوة الأم ابنتها للزواج . فالأم تنشغل بزواج ابنتها بعد بلوغها مرحلة النضج ، تحاول فرض سلطتها على الإبنة ، يقع اختيارها على أحد الأقارب (ابن أخيها) وذلك لأكثر من سبب ، فهى تعرف بابك معرفة جيدة ، كما أنه هو الذى يتولى إدارة أعمال الشركة مع أبيه – وهى تحظى بنصيب فيها – وعليه فهى حريصة على أن تؤول الثروة فى النهاية إلى ابنتها وابن أخيها ، لتضمن بذلك استمرارية المصلحة المشتركة داخل الأسرة دون استفادة آخر من هذا الوضع .

– كما يبدو الأثر الثقافى فى سلوك نسرين عند سماعها خبر حمل ابنتها الذى يُعتبر مباحًا من الناحية الشرعية إلا إنه غير مباح من ناحية العرف والتقاليد حيث

(١) المصدر ، ص ٣٠ .

لم يتم الإعلان عن بدء حياتهما الزوجية بشكل رسمي أمام الأهل والمعارف ، واعتبرته نسرين عاراً ألحقته بيتا بها وبعائلتها :

" ألم تفكرى فى سمعتى ، لقد لعبتى باسم العيلة ، أريد أن أدفن رأسى فى التراب ، ما هذا البلاء الذى ألقيته على حياتى ؟ أى ذنب اقترفته يقتص الله منى بجريرته ؟ ماذا سيقول الناس الآن ؟ " (١).

وعلى هذا النحو كانت شخصية نسرين ثرية على مستوى القول والفعل بما ينم عن فكر ثقافى معين هو الذى حدد سلوكها داخل النص الأدبى .

شخصية «بابك» :

– هى من الشخصيات الثرية بقيمها وأخلاقها المقبولة لدى الوعاء الثقافى التى خُلقت وطُرحت فيه . يتسم منذ البداية بالسلوك الرزين واحترام الآخرين والولاء، وأول من يدين له بالولاء ويبدى تجاهه الاحترام والطاعة عرفاناً بجميله وتقديراً لجهوده هو أبوه، فنراه يقول لبيتا حين تعرض عليه الاستقلال عن أبيه وعدم الانصياع له :

" إن ما يريده أبى منا مقابل كل ما يبديه من مشقة من أجلنا هو أن نكون أبناء مطيعين منقادين نحترم رغباته ، ولا أرى فى نفسى القدرة على معارضته طالما يمكن إرضاؤه بمثل هذه البساطة ، قد أرى أبى مخطئاً فى كثير من الأحيان إلا أننى لا أعترض عليه احتراماً له " (٢) .

– من الصفات الأخرى التى اتسم بها بابك صفة الحياء . فهو يكن مشاعر الحب تجاه ابنة عمته إلا إنه لا يستطيع أن يبوح بها ويمنعه حياؤه من المجاهرة

(١) الرواية ، ص ٣٦٢ .
(٢) الرواية ، ص ٤٨ .

بذلك الحب ، إلا أن أفعاله تنم بوضوح عن تلك المشاعر . فنراه يريد الانقضاض على الطبيب الذى يعالج قدم بيتا ويتسبب فى ألمها ، كذلك تعرضه لذلك الشاب الذى كان يعترض طريق بيتا إلى الجامعة وتشاجره معه [١]. نرى كذلك عدم مبالاته بالفتيات من حوله فى الشركة وإخفاقهن فى استمالته[٢] . فكل هذه السلوكيات دلالات تنبئ بحقيقة مشاعره تجاه بيتا والتى ظل محتفظًا بها حتى اتهمته برغبته فى الزواج بها كى يضمن استمرارية المصالح المشتركة بين الخال والأم ، فكانت هذه اللحظة هى بداية التصريح لها بمكنون قلبه .

- من القيم الأخلاقية التى بدت بوضوح فى شخصية بابك تمسكه بمبادئ الدين الإسلامى التى تنهى عن اقتراب الخمر وتناولها ، وذلك حينما حل ضيفًا على كامران فى منزله ، ورفض تلبية رغبة كامران فى تناول الشراب ، بل وأعرب لبيتا عن استيائه من تواجده فى مثل هذا المكان الذى يختلط فيه الرجال والنساء بشكل غير لائق وطلب منها سرعة الانصراف [٣] .

- من القيم الأخلاقية الأخرى التى اتسمت بها شخصية بابك قيمة الوفاء ، ونلمس ذلك فى التزامه بالمسئولية تجاه بيتا رغم كل ما قامت به تجاهه ، فما أن شعر بأزمتها حتى بادر بالوقوف بجانبها من منطلق الوفاء لحبيبته والمسئولية تجاه ابنة عمته[٤].

شخصية «كامران» :

اتسمت شخصية كامران على النقيض تمامًا من شخصية بابك ، ودللت سلوكياته على صفات بعينها تمثلت فى الخداع ، الإنانية ، العدوانية . ولتوضيح ذلك

(١) المصدر ، ص ٥٠ ، ص ٥٢ .
(٢) المصدر ، ص ٨٥ .
(٣) المصدر ، ص ١٢٨ : ص ١٣٠ .
(٤) المصدر ، ص ٤٨٣ .

سوف أخص هذه الشخصية بموضوعين أساسيين كانا الأساس والمنطلق للدلالة على الوعاء الثقافي المختزن داخل هذه الشخصية والمرفوض من قبل الثقافة البيئية ، هذان الموضوعان هما : الحب والجنس . ولنبدأ بالحب الذى ترتبط قيمته فى النص بوجهتين، الوجهة الأولى ترتكز على معايير أخلاقية واجتماعية ، وقد رأينا نماذج ذلك فى النص من خلال : بابك - نسرين - الخال فى مستوى تحكمه إرغامات واتفاقات الوضع الاجتماعى . أما الوجهة الثانية فهى الحب الذى يرتكز على معيار الرغبة والمصلحة ، وقد تمثل فى كامران ، لذا اتسم سلوكه دومًا بالخداع ، ونلمس ذلك فى طريقة تقربه من بيتا للظفر بها - وهو الهدف الظاهرى - فنراه فى البداية يستغل سذاجتها وعدم خبرتها ليتم استدراجه لها على عدة مراحل :

- توجيه نظراته إليها وهو يشدو بكلمات الحب والعشق فى الحفل الذى أقيم فى منزله [١] .

- تكرار نفس الموقف السابق أثناء حفل خطبتها على بابك [٢] .

- بداية اتصاله الهاتفى بها ليخبرها بحدوث جفوة بينه وبين مريم ، وعقده مقارنة بين ما تتسم به مريم من صفات الغيرة وعدم المنطقية ، وما تتسم به بيتا من الحكمة والرزانة والهدوء [٣].

- بداية الاتصالات الهاتفية المجهولة المصدر فى محاولة لشغل تفكير بيتا [٤] .

- افتعاله الصدفة للقاء بيتا وتقديم الهدايا إليها [٥] .

- إرسال باقات الزهور بشكل منتظم دون معرفة الراسل [٦] .

- قدومه تحت شرفتها وقت الغروب وعزفه بالجيتار وقيامه بالغناء بكلمات الحب [٧] .

- اتصاله الدائم بها وتأكيده على ضرورة اللقاء بينهما وتصريحه بحبه لها[٨] .

(١ : ١١) الرواية : ص ص ١٣٦، ١٥٧، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٥٥، ٢٦١، ٣١٨، ٣٢٨، ٣٤٠.
=

- قدومه إلى منزلها دون موعد مسبق لطلب خطبتها من أمها [٩].

- إقناعه لها بأنه إنسان يتسم بالاستقلالية وعدم الانصياع للغير . [١٠]

- مفاجأته لها ولأمها باستدعائه المأذون فى حفل خطبته عليها ليتم عقده بها.[١١]

كانت هذه هى محاولاته التى تمت بشكل تدريجى لخداع بيتا واستمالتها إليه وحثها على قبول الزواج منه الذى لم يبغ من ورائه سوى تحقيق المصلحة المادية . وقد نجح فى مخططه ، واستسلمت لرغبته الظاهرة ثم إلى رغبته الدفينة التى عبر عنها تباعاً حين حاول استخدامها لإقناع الأم بمنحه توكيلاً عاماً ليكون المتصرف الوحيد فى ثروتها .

وعليه يعد الحب هنا قيمة ثقافية قامت على المصلحة .

أما القيمة الأخرى التى بدت واضحة فى سلوكياته هى مخزونه الثقافى حول فعل الجنس . وجدير بنا أن نشير إلى أن الجنس فى النص الأدبى لم يذكر بألفاظه بل يلمح إليه ، وهنا تظهر الخلفيات الأخلاقية والإجتماعية التى توجه بنية الكتابة وتخضعها لقيود موضوعية ضرورية ومبررة . ولحظات الجنس فى الرواية تظهر من خلال وصف السارد مع اختزال اللحظة إلى جملة إشارة تلميحية . فالراوية هنا تترك فراغات فى النص وعلى القارئ أن يملأ هذا الفراغ ، وشخصيتنا هنا استخدمت الجنس كنمط سلوكى يتحقق به :

(أ) رغبة غير معترف بها داخل البيئة الثقافية .

(ب) التأثير .

(جـ) العنف والإجبار .

وعليه فالجنس مندرج هنا ضمن رغبة يدفعها إليه عقله ، وهذا ما يعارض الأفق

(١ : ١١) الرواية : ص ص ١٣٦، ١٥٧، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٥٥، ٢٦١، ٣١٨، ٣٢٨، ٣٤٠.

الثقافى السائد فى المجتمع. وسوف نشير فى هذا المقام إلى الإشارات التى وردت داخل النص الأدبى حول هذا النمط من السلوك الذى اتسم بالأنانية والعدوانية .

أ) الجنس رغبة غير معترف بها داخل البيئة الثقافية :

فى يوم خطبته على بيتا يستدعى المأذون دون علم بيتا وأمها ويعقد عليها ، وبعد انتهاء الحفل :

« اختلى بها فى حجرتها قبل إعلان زواجهما بشكل رسمى ، جعل يحتضنها ويقبلها أثناء حديثه معها ، أحكم قبضة يده على يديها ، يطلب منها أن تتلفظ بكلمة " أحبك" ، ينعقد لسانها ، يتقدم ناحيتها ويقبلها بحرارة ، تشعر بالدوار ، تسمع أذناها همسات الحب فقط ، يطلب منها أن تتلفظ بكلمة " أحبك " ، تستجيب ، يقربها منه أكثر ، يضع رأسها فوق كتفه ، يحل ياقة قميصه ، ينظر إليها و تشعر بحرارة محببة فى جسدها ، يطلب منها أن ينام بجوارها على السرير ، يطفئ المصباح، تبتعد ، ترجوه ، يرفض رجاءها ، يذكرها بإنهما زوج و زوجة .... »[1] .

وهنا ينقطع الحديث وتشير الفقرة التالية إلى بداية يوم جديد . وكما ذكرنا سالفًا ، إنها حقًا علاقة فى إطار الشرع إلا أنها مرفوضة فى إطار العرف والتقاليد .

ب) الجنس للتأثير

وفيه اتخذ كامران المعاشرة الزوجية وسيلة يتم بها إرضاء الطرف المقابل لحل خلاف ما حدث نتيجة سوء تصرفه :

– بعد مشاجرة تمت بينه وبين بيتا بسبب حثها له على العمل وتحمل مسئولية

(١) الرواية ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

الأسرة ، يقوم كامران بمغادرة المنزل غاضبًا ، وبعد عودته يحاول إرضاءها فيجتذبها نحوه لمضاجعتها متجاهلاً نصائح الطبيب لها فى شهور حملها الأخيرة [١] .

– فى مشاجرة أخرى تمت بينهما بسبب رفض نسرين منح التوكيل لكامران ، تطور الأمر إلى أن قام كامران بصفع بيتا على وجهها ، لكنه سرعان ما يعيد حساباته بينه وبين نفسه ، فيتراجع ويتودد إليها ، ويعدها بعدم تكرار ذلك الموقف ، فتصمت بيتا وتكف عن البكاء ، ويستغل كامران الفرصة وجعل يقبلها و ....[٢] .

– بعد مغادرة بيتا منزل الزوجية وإقامتها عند أمها ، يأتى إليها ويحاول إعادتها إلى منزل الزوجية ، وما أن اختليا معًا حتى ...... [٣] .

(جـ) الجنس بالعنف والإجبار

وهنا يقدمه النص مبنيًا على العنف والإجبار وليس على التوافق ، وتمثل ذلك فى محاولة كامران التقرب من بيتا ومعاشرتها بعد حكم القاضى بطلاقهما :

" رغبت بيتا فى الذهاب إلى شقتها لإحضار بعض مستلزمات كيان بعد أن اتصلت بالهاتف وتأكدت من عدم وجود كامران ، يأتى فجأة وهى لا تزال فى الشقة، بعد حديث طويل دار بينهما ، يحتضنها بقوة ، وعندما أبدت اعتراضها سحبها إلى حجرة النوم ، وحاول فرض نفسه عليها عنوة متوهمًا أنها سوف تبدى بعض اللين..." [٤]

(١) الرواية ، ص ٣٦٨.
(٢) الرواية ، ص ٣٧٧
(٣) الرواية ، ص ٤٠٨
(٤) الرواية ، ص ٤٣٥

وهذا المقطع يرمز إلى عدة دلالات تجعل من الجنس شكلاً من أشكال الأنانية التى تتصف بها الشخصية عبر مجرى الحكى ، حيث يتبدى كشخص عدوانى .

ونستطيع أن نضيف صفاتًا أخرى على هذه الشخصية مثل الخيانة وعدم الوفاء، فرغم ما أنعم الله به عليه من زوجة صالحة تتوفر فيها كل المقومات التى يتمناها أى رجل فى زوجته حيث الأصل الطيب والمكانة الاجتماعية المرموقة والثراء والجمال ، إلا أنه يقدم على خيانتها داخل حجرة نومها بعد أن بدد ثروة أمها وخان عهده إليها.[1]

ثالثًا : البعد النفسى

تركز الدراسة هنا على قراءة للنص القصصى فى ضوء الأفكار التى قدمها التحليل النفسى وبصفة خاصة منهج " لاكان" .

ورواية " أزهار مسك الليل " هى قصة تحول من حالة إلى حالة أخرى مختلفة ، وموضوع الرغبة الكامن لدى البطلة يتأسس على جملة متنوعة من علاقات مصيرية بالبنية الثقافية التى تحيا فيها . والقصة تضعها داخل بنيتين رمزيتين كبريين تتصلان ببعضهما البعض ، الأولى عبارة عن تفاعل معقد ، طرفاه الخضوع للثقافة البيئية ومقاومتها . والأخرى هى الاستسلام لتنفيذ رغبتها بكل ما يترتب عليه ذلك من آثار.

وقصة بيتا تمثل التمرد على القانون الأبوى[2] ، والكلام عن الرغبة لابد فيه من

(١) المصدر ، ص ٤١١.

(٢) Nome du Pere ، ولابد هنا من التفرقة بين الأب بمعناه الحرفى (الوالد) وبمعناه فى اصطلاح التحليل النفسى . فالأول شخصية موجودة فى الواقع ولها ذات الإسم فى اللغة . والثانى يشير إلى بنية ينكر على المرء فيها إشباع رغبته ، ويقبوله هذه الأفكار للرغبة والتسامى بها ، أو تحويلها ، يدخل إلى مجال تتحصل له به القدرة على استعمال هذه الأبنية . وهنا يمكن أن تعادل الأب بتلك القوى التى تؤسس القوانين والأعراف الاجتماعية والنظام الرمزى .

(السيد إبراهيم : المتخيل الثقافى ونظرية التحليل النفسى المعاصر ، ص ٧١).

استجلاء موقف الذات من هذا القانون ، وعليه لابد لنا أن نبحث الرغبة عند بيتا التى غُرست داخل بنية أبوية متعددة الأوجه تتكون من الأسرة ومما يتوقعه منها المجتمع ومن الضغوط التى تتعرض لها (نقصد الضغوط النفسية) .

والانطباع الأول الذى يتكون لدينا عن أهداف بيتا أنها تقوم كلية على التفاوض من أجل أن تتحرك من وضعية البنت إلى وضعية الزوجة ، وتبدو هذه الأهداف من خلال أمها وأسلوب الحياة الذى تقوم بوظيفتها داخله لكنها تقاومه أيضًا ، وهذا ما يمكن أن يكون المقصود بالتفاوض . وكل الأنشطة التى تقوم بها داخل هذه المنطقة هى البحث عن الرجل المناسب من وجهة نظرها إلى أن تركز نشاطها حول كامران عازف الجيتار - بما يمتلكه من مقومات ظاهرية ، فى حين أن معايير البيئة الثقافية التى تحويها تحتم عليها معايير أخرى . وهنا تبدو رغبة بيتا ، فهى برفضها الزواج من بابك لا ترفض الزواج بشكل قاطع ، لكن المسألة لديها هى من ستتزوج وتحت أية ظروف ؟

والخطاب فى القصة يصور لنا بيتا على نحو واضح على أنها متمردة على نحو مستمر فى سياق من أبنية رمزية ، ويتجلى ذلك بالنظر إلى حركة الإحساس بالنفس خلال السطور الأولى للقصة ، والتى تبدو بوقوفها أمام المرآة ثم اصطدامها بأمها لتستكمل معها الحوار بشأن بابك .

وهنا تبدو البنية المسيطرة ، وهى بنية العلاقة الثنائية الأم / البنت ، وتليها بنية أخرى تمثل الخال /البنت . وإذا ما تتبعنا حركة بيتا فى إطار هذه العلاقة نجدها تؤكد على ضرورة إشباع رغبتها ضد معايير السلوك الاجتماعى . فهى ترفض عرض الزواج من ابن الخال لأن ذلك يعنى عدم احترام ذاتها وفرض ذات أخرى عليها ، وتعقد العزم بينها وبين نفسها بعدم الارتباط ما لم يتحقق شرط الحب الذى هو نابع من ذاتها .

ويظل التزامها بهذا العقد رافضة أية محاولات لإثنائها عن عزمها وتتذرع بالحجج للانفصال عن الذات المفروضة (ابن الخال) ، وذلك بعد أن وضعت مشاعرها في محك الاختبار في محاولة منها للاعتماد على الذات في الاتصال بالشخص الذي تحبذه ذاتها .

ونلمس حالة التوتر النفسي الذي يسبق هذا الاتصال :

- " تصاب بالدوار ... تشعر بالوهن .... فكرت لو لم تكن خطيبة بابك ... لو لم تكن مريم على علاقة به ..... هل تختاره ثانية ؟ ..... ارتجف قلبها .... كم كانت ترى نفسها ضعيفة أمامه .... تمنت لو يقع خلاف بينه وبين مريم . " (١)

- " كادت أن تصاب بالسكتة ..... لم تثق في عينيها مع رؤيتها كامران ...... تفقدته من الرأس إلى القدم ..... شعرت بدوار شديد ..... لم تقو على الحديث .... " (٢)

لكن هذا التوتر النفسي ينتهي بتحقيق الراحة النفسية لها بتقدم كامران لخطبتها ، وكان لابد لها من تحقيق الرغبة ، فتقوم بممارسة الضغوط ، وتعقد العزم بينها وبين نفسها للتأثير على الأم بامتناعها عن تناول الطعام . ثم مرت بمرحلة اختبار صاحبها النصيحة والتحذير من مريم أقرب صديقة لها ، وكشفت لها عن قيم كامران السلبية ، وتفشل بيتا في هذا الاختبار ، فهي مصرة - كما أسلفنا - على تحقيق الرغبة مهما كانت الآثار والنتائج المترتبة عليها . وينجح كامران في خداعها وذلك بسبب سذاجتها وعدم خبرتها ، وتتصل بالذات الأخرى ، لكن سرعان ما تنجلي أمامها القيم السلبية ، وتكتشف انتهاك كامران لقانون المحارم لتبدأ من جديد مرحلة الانفصال ، وتصر على الطلاق ، ويتدخل القدر بموته المفاجئ ، ليبدأ التمهيد لمرحلة

(١) الرواية ، ص ١٥٥.

(٢) الرواية ، ص ٢٣٤.

أخيرة يتم خلالها انتهاك آخر لقانون المحارم ، لكنه لا ينبع هذه المرة من قيمة سلوكية غير سوية - كما كانت لدى كامران - بل كان نتيجة لضغوط شديدة تعرضت لها البطلة لتجد نفسها أمام الاختبار الأخير : هل تتنازل عن قيمة أخلاقية تفرضها عليها البيئة الثقافية ؟ أم تتمسك بها ؟ وتظل فى صراع نفسى ينتهى بها إلى انتهاك قانون المحارم والاستمرار فى طريق الرذيلة .

وبهذه النهاية تستسلم البطلة إلى نتاج تصرفاتها ، وها هى قد أثبتت عدم قدرتها على اجتياز الاختبارات الأخيرة المتتالية . حقًا إنها أثبتت جدارة فى بعض المواقع - أمام السيد زارعى - إلا إنها أخفقت فى مجملها .

الخاتمــــة

قدمنا من خلال النص الأدبى الذى بين أيدينا إمكانية من بين إمكانيات أخرى لفهم المضمون والصياغة ، طرحت الكاتبة فيهما مقاصد بعينها فى هذا المستوى من تجربتها الروائية ، تمثلت فى :

١- انتماؤها إلى مجال الكتابة الواقعية التى ينتهى مسارها الزمنى الحكائى غالبًا بالفشل والسقوط والطابع المأسوى .

٢- كشف متناقضات بنية مجتمعية فى إطار وعاء ثقافى يمثل البنية الثقافية لذلك المجتمع .

٣- عند إعادة جمع الوحدات الوظيفية الأساسية التى حللنا القصة على أساسها تتكشف الرسالة التى تريد الكاتبة توصيلها إلى المجتمع . وما يمثل جوهر رسالتها هنا يلخصه الاستفسار التالى :

هل الفرد هو الذى يؤثر فى المتغيرات الاجتماعية ؟ أم أن المتغيرات الاجتماعية هى التى تؤثر فى الفرد ؟

وأرى أنها تريد أن تقول إن للمتغيرات تأثيرًا حتميًا متبادلاً بين الفرد والمجتمع ، لكن على الفرد أن يعى جيداً واقع الحياة الذى يعيشه ، ولا ينجرف وراء أهوائه ، بل عليه أن ينظر إلى الأمور بنظرة أعمق كى تتحقق الرغبة ويحدث التغيير المرتقب.

٤- وظفت الكاتبة النص الأدبى على مستوى الشخصيات ليقوم على أنماط ثلاثة من الشخصيات :

- نمط رئيسي وهو الذى قامت عليه حركة الأحداث وتطورها ، وتمثل فى : بيتا - بابك - كامران .

- نمط وسيط وهو ينتمى إلى نوعية الشخصيات الثانوية لكن كان لها أثرها الواضح فى تطور الحدث ، وتمثل فى : الأم - الخال - مريم - أم كامران - كيان - الجارة كبرى - الطبيب اعتضاد - ژاله .

- نمط عابر مثلته باقى الشخصيات التى قامت بدور التكملة للإطار الذى قدمت فيه الكاتبة لوحتها السردية ، وتمثل فى : الأستاذ مهدوى - لادن - ميترا - عبد الله - فرشته - أم بابك - المحامى - نقيب الشرطة پاك دل - رئيسة بيتا فى المصنع - السيد زارعى - مدير المصنع - الأرمل الذى رغب فى الزواج منها .

ومن خلال دراستنا للشخصية على مختلف مستوياتها وجدنا الكاتبة عنيت فى المقام الأول بالبعدين القيمى والنفسى للشخصية ، وكانت اللغة لديها خطاباً ذا دلالات واضحة يعبر عن مخزون ثقافى داخل أعماق النفس الإنسانية .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً ، المصدر (الرواية) :

١- مريم جعفرى : گلهاى شب بو ، انتشارات شادان ، تهران ١٣٨٢ ش .

ثانياً ، المراجع العربية :

١- سعيد بنكراد : سيمولوجية الشخصيات السردية ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان .

٢- سعيد الحنصالى : بداية ونهاية (قراءة وتحليل) ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٩٥ م .

٣- السيد إبراهيم (دكتور) : المتخيل الثقافى ونظرية التحليل النفسى المعاصر ، الطبعة الأولى ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ٢٠٠٥ م .

٤- سيزا قاسم : بناء الرواية ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٥- صدوق نور الدين : البدايات فى النص الروائى ، الطبعة الأولى ، سوريا ١٩٩٤م.

٦- محمد الناصر العجيمى : فى الخطاب السردى (نظرية قريماس) ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٣م .

٧- نبيلة إبراهيم (دكتور) : نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة ، مكتبة غريب ، القاهرة .

ثالثا، المرجع الفارسي :

- على اكبر دهخدا : گزيدهء امثال وحكم ، به كوشش محمد دبير سياقى، تيراژه ، چاپ چهارم ، تهران ، ١٣٦٦ش.

المؤلفة فى سطور

مريم جعفرى

ولدت عام ١٩٧٤ م فى إحدى المناطق الواقعة شرق العاصمة الإيرانية طهران ، وحصلت على دبلوم العلوم الإنسانية وأتمت دراستها العليا . ونظراً لنشأتها وسط أسرة تهتم بالعلم والثقافة صارت موضع اهتمام من حولها ، وبدأت التأليف القصصى وهى فى سن مبكرة ، وحصلت عام ١٩٨٨ م وهى فى الرابعة عشرة من عمرها على جائزة أحسن مولفة شابة على مستوى محافظة طهران .

من أشهر أعمالها : « تنها باتو » ، « ترانه هاى نيمة شب » ، « مستانه عشق » و « كلهاى شبابو » . وتعكف الآن على دراسة وتحقيق حياة الشاعرة الإيرانية فروغ فرخ زاد ؛ لتكوين المنطلق لها فى روايتها المقبلة التى طرحت اسماً مقترحًا لها هو « شهر أشوب » .

المترجمة فى سطور

هويدا عزت محمد

- ليسانس آداب - جامعة عين شمس بتقدير امتياز (١٩٨٤م).
- ماجستير فى الأدب الفارسى - جامعة عين شمس بتقدير امتياز (١٩٩٢م).
- دكتوراه فى اللغة والأدب الفارسى - جامعة عين شمس بمرتبة الشرف الأولى (١٩٩٦م) .

الوظيفة :

- قائم بعمل رئيس قسم اللغات الشرقية - كلية الآداب - جامعة المنوفية .

المؤلفات :

١- العلاقات الإيرانية الألمانية فى العصر الحديث وأثرها على الأدب الفارسى ١٩٩٨.

٢- اتجاهات فى إصلاح اللغة الفارسية فى القرن العشرين ١٩٩٩ م .

٣ - صورة مصر فى الأدب الفارسى الحديث والمعاصر ٢٠٠٠ م .

٤ - المسرح الإيرانى فى الربع الأول من القرن العشرين ٢٠٠٠ م.

٥ - صورة المرأة فى الأدب الفارسى الحديث والمعاصر ٢٠٠٠ م .

٦ - رواية "لا تنسنى" لمريم جعفرى ، دراسة نقدية تحليلية مع الترجمة ٢٠٠١م.

٧ - منطق الطير لفريد الدين العطار وتورى الظلال فى الشمس لباربرا فريشموت . دراسة مقارنة ٢٠٠٢ م .

٨ - يهودا ايران منذ أقدم العصور حتى الآن ٢٠٠٤ م.

٩ - الثورة الإسلامية فى إيران ، الأسباب والمقدمات ٢٠٠٤ م.

١٠ - فاطمة الزهراء للدكتور على شريعتى ، ترجمة إلى العربية ٢٠٠٥م.

١١ - البنية الفنية فى المجموعة القصصية « إمرأة فى مهب الريح » ٢٠٠٥م.

الدكتور بديع محمد جمعة

أستاذ اللغات الشرقية بجامعة عين شمس

عضو المجالس القومية والمجلس الأعلى للثقافة .

من مؤلفاته : ترجمة منطق الطير .

پروين اعتصامى : صوت المرأة الشرقية فى إيران ، دراسات فى الأدب المقارن، من روائع الأدب الفارسى ، من قضايا الشعر الفارسى الحديث ، الشاه عباس الكبير، قواعد اللغة الإنجليزية .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومــى للترجمــة مشـروع تنميــة ثقافيــة بالدرجـــة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمدًا المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١- الجماعات المتخيلة	بنديكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣- مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥- مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨- الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١- النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣- قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧- صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالروف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر — بول دى مان — سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس — كونفوشيوس — محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى — الحاج أبو بكر إمام وآخرون — مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١) — زين العابدين المراغى — محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية) — بيتر أبراهامز — محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث — مجموعة من النقاد — ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) — إسماعيل فصيح — محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) — فالنتين راسبوتين — أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق — شمس العلماء شبلى النعمانى — جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى — إدوين إمرى وآخرون — إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية — يعقوب لانداو — جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل — جيرمى سيبروك — فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة — جوزايا رويس — أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤) — رينيه ويليك — مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية — ألطاف حسين حالى — جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم — زالمان شازار — أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات — لويجى لوقا كافاللى- سفورزا — أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً — جيمس جلايك — على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية) — رامون خوتاسندير — محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى — دان أوريان — محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح — مجموعة من المؤلفين — أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) — سنائى الغزنوى — يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير — جوناثان كللر — محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان — مرزبان بن رستم بن شروين — يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر — ريمون فلاور — سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع — أنتونى جيدنز — محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢) — زين العابدين المراغى — محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم — مجموعة من المؤلفين — أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان — صمويل بيكيت وهارولد بينتر — نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) — خوليو كورتاثار — على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية) — كازو إيشجورو — طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون — بارى باركر — على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى — جريجورى جوزدانيس — رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا — رونالد جراى — نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر — باول فيرابند — السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا — برانكا ماجاس — منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية) — جابرييل جارثيا ماركيث — السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى — ديفيد هربت لورانس — طاهر محمد على البريرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وأخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	ڤاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧- الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك في الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلي
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمود علاوي
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- باندراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكيافللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥- حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم	ج. ب. ماك إيفوي وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبدُ الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات — هارولد بالمر — محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار — نصوص مصرية قديمة — شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى — إدوارد تيفان — حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١) — إكواو بانولى — مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط — نادية العلى — مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث — جوديث تاكر ومارجريت مريودز — أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع — مجموعة من المؤلفين — فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية — تيتز رووكى — طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١) — أرثر جولد هامر — سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة — مجموعة من المؤلفين — هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث — نخبة من الشعراء — محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١) — مارتن هايدجر — إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢) — مارتن هايدجر — إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا (رواية) — أن تيلر — عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية) — بيتر شيفر — شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى — عبدالباقى جلبنارلى — عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك — أدم صبرة — قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية) — كارلو جولدونى — عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية) — أن تيلر — عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى — تيموثى كوريجان — جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور — تيد أنتون — مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية — چونثان كولر — مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة — فدوى مالطى دوجلاس — فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان — أرنولد واشنطون ودونا باوندى — صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى — نخبة — سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون — إسحق عظيموف — هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة — جوزايا رويس — أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع — أحمد يوسف — أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة — أرثر جولد سميث — عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها — أميريكو كاسترو — على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية) — وليم شكسبير — محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى — دنيس جونسون — نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية — ستيفن كرول ووليم رانكين — محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا — ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب — جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية — طارق على وفِلْ إيفانز — جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى — محمد إقبال — حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية — رينيه جينو — عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَثِ» ١١ سبتمبر؟ — جاك دريدا — صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق — هنرى لورنس — بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية — سوزان جاس — محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون — سيڤرين لابا — حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر) — نظامى الكنجوى — عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم — صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون — شوقى جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر) — نخبة — عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى — كيت دانيلر — محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة — كاريل تشرشل — محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية — السير رونالد ستورس — رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى — خوان خوسيه مياس — مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث — نخبة — نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية — باتريك بروجان وكريس جرات — وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين — روبرت هنشل وآخرون — حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم — فرانسيس كريك — عزت عامر
٥٤٦- ريموس — ت. ب. وايزمان — توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت — فيليب تودى وآن كورس — جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع — ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون — حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات — بول كوبلى وليتاجانز — جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير — نيك جروم وبيرو — حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة — سايمون ماندى — سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية — ميجيل دى ثربانتس — على عبد الروف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر — دانيال لوفرس — رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على — عفاف لطفى السيد مارسوه — عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين — أناتولى أوتكين — أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار — كريس هوروكس وزوران جيفتك — حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد — ستوارت هود وجراهام كرولى — إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية — زيودين ساردارويورين ڤان لون — إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية) — تشا تشاجى — عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر) — محمد إقبال — جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر) — محمد إقبال — جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين — كارل ساجان — عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية) — خاثينتو بينابينتى — صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية) — خاثينتو بينابينتى — صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر — ديبورا ج. جيرنر — أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى — موريس بيشوب — على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب — مايكل رايس — إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية — عبد السلام حيدر — عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة — هومى بابا — ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى — سير رويرت هاى — يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر — إيميليا دى ثوليتا — السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة — برونو أليوا — كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد — ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى — جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين — حسن بيرنيا — علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة — نجير وودز — أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس — أمريكو كاسترو — ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو — كارلو كولودى — محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت — أيومى ميزوكوشى — محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى — جون ماهر وجودى جرونز — محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١) — جون فيزر وبول سيترجز — بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية) — ماريو بونو — سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية) — هوشنك كلشيرى — سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية) — أحمد محمود — سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية) — محمود دولت آبادى — سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية) — هوشنك كلشيرى — سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية — ليزبيث مالكموس وروى أرمز — سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى — مجموعة من المؤلفين — عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث — أنييس كابرول — ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية) — فيلكس ديبوا — عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية — نخبة — محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر — هوراتيوس — على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١) — محمد صبرى السوربونى — مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة — بول فاليرى — بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال) — سوزانا تامارو — أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢) — إكواديو بانولى — مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم — روبرت ديجارليه وآخرون — إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة — خوليو كاروباروخا — جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل — دونالد ريدفورد — بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق — هرداد مهرين — محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ — برنارد لويس — مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة — ريان فوت — أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية — جيمس وليامز — إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى — آرثر أيزابرجر — وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١) — باتريك ل. آبوت — توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب — إرنست زيبروسكى (الصغير) — مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر — ريتشارد هاريس — محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافي	أجنر فوج	شوقي جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفي
٦١١- النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسيني	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولي	عايدة الباجوري
٦٢٠- السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعي
٦٢١- النوبة المعبر الحضاري	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣- نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجي
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسي
٦٣٠- سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبري محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوي
٦٣٥- التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعي
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعي
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشي
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادي	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاييم برشيت وأخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وأخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وأخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣- ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤- ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥- جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦- جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧- جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨- جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩- جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠- جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافي أحمد القطورى
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤- اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس أليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتى	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠- خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروری
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	باتريشيا كرون	أمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩- النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	التطور وعوامل التطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

٧٩٩-	سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٨٠٠-	قضايا في علم اللغة التطبيقي	ميشيل ماكارثي	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولي	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعي
٨٠٣-	التغير والتنمية في القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسي
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجي
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربري
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحي حقي: تشريح مفكر مصري	ميريام كوك	خيري دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسي	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	جوزيف أ شومبيتر	حسن النعيمي
٨١٢-	تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولي	فريد الزاهي
٨١٣-	لم أخرج من ليلي (رواية)	أني إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية في مصر الرومانية	نافتال لويس	أمال الروبي
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغني
٨١٦-	العدو الأمريكي	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكي
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	أفلاطون	محمد لطفي جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار في القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار في القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسي جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندي
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعي (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعي
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقطنون المحلات	دونالد پ.كول وثريا تركي	محمد علي فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغاني	مجدي عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو بولد إنفلد	محمد النادي وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادي (جـ٣)	جوزيف أ شومبيتر	حسن النعيمي
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	نبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥-	تشيخوف: حياة في صور	بيتر أوربان	علاء عزمي
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوي

٨٣٧- عناكب فى المصيدة — ناتاليا فيكو — على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى — نعوم تشومسكى — لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية — ستيوارت سين وبورين فان لون — جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة — جوتهولد ليسينج — فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك — وليم شكسبير — محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢) — فريد الدين العطار — محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى — نخبة — محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة — كريمة كريم — سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام — نيكولاس جويات — طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية — ألفريد أدلر — عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية — مايكل ألبرت — أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية — يوليوس ڤلهوزن — عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير — وليم شكسبير — بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة — مقالات مختارة — جابر عصفور
٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبى — كلود برنار — يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة — ريتشارد دوكنز — مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١) — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢) — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب — جيرارد ستيم — محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى — فرانثسكو ماركيث يانو بيانويا — عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية) — أندريه بريتون — كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية — ثيو هرمانز — بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم — إيف شيمل — مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا — القاضى فان بملن — لطيفة سالم
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا — جين سميث — محمد الخولى
٨٦٢- بيغاء الكاكاتو — أرتور شنيتسلر — محسن الدمرداش
٨٦٣- لقاء بالشعراء — على أكبر دلفى — محمد علاء الدين منصور
٨٦٤- أوراق فلسطينية — دورين إنجرامز — عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥- فكرة الثقافة — تيرى إيجلتون — شوقى جلال
٨٦٦- رسائل خمس فى الآفاق والأنفس — مجموعة من المؤلفين — محمد علاء الدين منصور
٨٦٧- المهمة الاستوائية — ديفيد مايلو — صبرى محمد حسن
٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر — ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى — محمد علاء الدين منصور
٨٦٩- تطور الثقافة — روبن دونبار وآخرون — شوقى جلال
٨٧٠- عشر مسرحيات (جـ١) — نخبة — حمادة إبراهيم
٨٧١- عشر مسرحيات (جـ٢) — نخبة — حمادة إبراهيم
٨٧٢- كتاب الطاو — لاوتسو — محسن فرجانى
٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل — تقرير صادر عن اليونسكو — بهاء شاهين
٨٧٤- النهر الخالد (مج١) — جاويد إقبال — ظهور أحمد

٨٧٥- النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦- دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧- أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠- الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١- التنويريون ودورهم فى خدمة المجتمع	جلال آل أحمد	هويدا عزت
٨٨٢- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (جـ١)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (جـ٢)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥- روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عرودكى
٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧- غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٩٤٤ / ٢٠٠٥





تعكس الكاتبة من خلال هذه الرواية إحدى المشكلات الاجتماعية التى تطرح نفسها داخل المجتمع الإيرانى، وهى مشكلة واقعية لامرأة انحرفت فى فترة من حياتها نحو تيار هوى بها فى النهاية كى تصبح من نساء الشوارع، وقد اتسمت طريقة تناولها بالنظرة الواقعية وإلقاء الضوء على أهم السلبيات داخل هذا المجتمع وربما كثير من المجتمعات الشرقية التى تؤدى فى النهاية إلى وجوب احتواء الأبناء، ووجود مساحة من الحوار بينهم وعدم تركهم لأهوائهم الخاصة، كما تلفت نظر الفتيات إلى عدم الافتتان بالبريق الزائف الذى سرعان ما يكشف عن وجهه القبيح، وربما يكون ذلك بعد فوات الأوان فى وقت لا يفيد فيه ندم ولا علاج!.



غلاف: مروى